



# سياحت نامه إبراهيم بيك

(الجزء الأول)





المشروع القومي للترجمة

سياحت نامہ

إبراهيم بيك

( الجزء الأول )

تأليف

زين العابدين المراغى

ترجمة

محمود سلامة علاوى



٢٠٠٥





## إهداء

أهدى هذا الجزء من هذه الرواية إلى أخ صديق فى زمن عزّ فيه الأصدقاء ، وإلى زميل وفى غدا فيه الأوفياء عملة نادرة الوجود إن لم تكن منقرضة ، أهديه إلى الدكتور يوسف عبد الفتاح فرج ، مدرس علم اللغة والدراسات الشرقية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

د . محمود سلامة علاوى







## تصدير

كانت الرحلة من أهم وسائل نقل المعلومات والأخبار بين الشعوب الاقوام في العصور القديمة والوسطى سواء في الشرق أو الغرب . إلا أن الرحلة في الشرق الإسلامي اكتسبت الجانب الأدبي حين مزج الرحالة المسلمون الخبر والوصف بالفصاحة والبلاغة ، فغدت جنساً من أجناس الأدب العربي والفارسي ، وصارت رحلة مثل رحلة ابن جبير في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي مثلاً للأدب البليغ ونموذجاً رائعاً يفيد منه متعلمو اللغة والفصاحة فضلاً عن الأخبار والوقائع والوصف لما رآه هذا الرحالة من مبدء حركته حتى نهايتها . وصنع ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي صنيعه وإن لم يبار ابن جبير في فخامة لفظه وقوة تعبيره ، لكنه بحكم طول رحلته مكاناً وزماناً أرفد الدارسين والمعنيين بمعلومات قيمة لساثر بلدان العالم الاسلامي إبان تلك الفترة خاصة أحوال إيران والهند وبلاد ما وراء النهر والروم ( الأناضول ) ، وقدم الأدب الفارسي مقلداً العربي نماذج لأدب الرحلة والسياسة أبرزها رحلة ناصر خسرو للبلاد العربية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ورحلة ناصر الدين شاه لأوروبا في القرن الرابع عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ورحلة زين العابدين المراغي الذي سماها رحلة إبراهيم بيك في ذات القرن الرابع عشر الهجري . ويعد كتاب رحلة إبراهيم بيك سجلاً حافلاً تاريخياً صور المؤلف فيه كافة المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية في المجتمع الإيراني في العصر القاجاري ، خاصة فترة حكم ناصر الدين شاه ، ويون فيه مشاهداته وملاحظاته بصدق عن كل قرية ومدينة إيرانية دخلها .



ورحلة إبراهيم بيك تضم أجزاء ثلاثة ، الجزء الأول الذى يصدر الآن ، ثم الجزء الثانى والثالث وسوف يصدرهما المجلس الأعلى للثقافة بعد ذلك تباعاً بعون الله ، وقد انفرد هذان الجزءان بالقيمة الأدبية بعد القيمة السياسية والاجتماعية عن الجزء الأول ، خاصة الجزء الثالث الذى حوى أخطأ من الشعر والأمثلة والمأثورات الدينية والشعبية .

وقد عاصر المؤلف أحداث الثورة الدستورية بایران فى بدايات القرن العشرين لأنه توفى عام ١٩١٠ م عن عمر يناهز الثالثة والسبعين .

هذا أول كتاب رحلة يصف أحوال إيران فى الفترة المعنية يقدم فى ثوبه العربى على يد أخى وزمىلى الدكتور / محمود سلامة علاوى وقد تحلى هذا الثوب بالأمانة والدقة والجمال فى آن ، أمانة النقل وجمال التعبير ولسوف يشعر القارئ الكريم بالمتعة العقلية والروحية إذا وقع هذا المؤلف بين يديه ، والمرجو من الدكتور / محمود أن يديم جهده واجتهاده على هذا الدرب والله هو الموفق .

## المراجع

محمد علاء الدين منصور

أستاذ اللغات الشرقية - آداب القاهرة

١٩٩٩/١٢/٦



## المقدمة

يحفل الأدب الفارسي بكثير من كتاب السياحة والرحالين الذين أثروا الأدب الفارسي بما دونوه في مذكراتهم خلال رحلاتهم ، ومن أولئك الكتاب : ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي وناصر الدين شاه في القرن الرابع عشر الهجري التاسع عشر الميلاد ، وزين العابدين المراغي موضوع دراستنا .

وتعتبر رواية سياحتنامه إبراهيم من الروايات الهامة التي ظهرت في العصر القاجاري حيث جعل كاتبنا من هذا الرواية ، سجلا تاريخيا صور فيه كافة المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية في المجتمع الإيراني في العصر القاجاري ، خاصة فترة حكم (ناصر الدين شاه) فزاد هذا من قيمة الكتاب السياسية والاجتماعية ، كما تميزت هذه الرواية عن غيره من كتب الرحلات ، وذلك لأنه جمع بين السياسة والرحلة والرواية ، وقد ظهر الجانب السياسي لهذا الكتاب حينما منعت الحكومة الإيرانية تداوله بين الأفراد ، كما فرضت غرامة على كل من يضبط وفي حوزته هذا الكتاب ، وهو كتاب رحلة وذلك لأن كاتبنا دون ملاحظاته ومشاهداته بصدق ودون مبالغة عن كل قرية ومدينة إيرانية دخلها . أما الجانب الروائي فقد برز في الأجزاء الثلاثة لهذه الرواية ، خاصة الجزء الثاني والذي



دار حول مرض بطل كاتبنا (إبراهيم بيك) ثم وفاته بعد ذلك ، بسبب ما رآه من المساوئ المنتشرة فى المجتمع الإيرانى ، وقد دون المراغى هذه الرواية فى أسلوب بسيط بعيد كل البعد عن الصنعة اللفظية التى كانت سمة كثير من الكتاب الايرانيين انذاك .

وتدور هذه الرواية حول ابن تاجر تبريزى ، أخذ عن والده فى مصر حبه المتعصب لبلاده وحضارته القديمة ، وبناء على وصية أبيه قام برحلة إلى إيران . بصحبة وصية العم يوسف ، وعلى النقيض مما كان يتوقع وجد الجنه التى وصفها والده له جحيماً يعانى من الفاقة والفقر والنفاق الدينى والفساد فى إدارة الدولة ، ودولة إيران ، وحيث سجل فى يومياته كل شئ رآه فى إيران يوماً بعد يوم اندفع فى تعليقات ساخرة معلقاً على كل علامة من علامات العنف فى الدولة ، وعلى كل حالة ظلم صادفته فى طريقه ولم يغفل شيئاً لم يدونه فى رحلته . القوة الغاشمة ، الإجراءات الشريرة للشاه وبطانته والوزراء وكبار الموظفين ذوى الألقاب البراقة ، والتعذيب وإبتراز الأموال من الناس وتخلف الشعب فى غياب كلى للقانون والعدل ، وكذلك انتشار الظلم والحالة السيئة للمدارس والتعليم عموماً . وانتقد كذلك الخدمات الصحية وانتشار آفة تدخين الأفيون وتدهور التجارة والصناعة وتخلف الزراعة . وكان نقده لكل ذلك صريحاً ولم يهمل حتى الكتابات البديعية والأبجدية الفارسية يضاف إلى ذلك مقابلة زين العابدين المراغى لوزراء الحرية والداخلية

والخارجية ، حيث ناقشهم فى الأمور الخاصة والدقيقة المتعلقة  
بوظائفهم ، وقد وجد المؤلف فى ذلك الفرصة المناسبة لتنوير  
الشعب ، كما رسم مقارنة بين الحالة الحاضرة السيئة وبين الأمجاد  
الفارسية القديمة . ولهذا ليس غريباً أن تتردد كثيراً أسماء الشاه  
عباس ونادر شاه وميرزا تقى خان أمير كبير .





## بسم الله الرحمن الرحيم

الواضح الجلى للعلماء المستنيرين الذين أوجه إليهم الحديث ، أن المطبوعات هى أول العوامل الرئيسية لرقى الشعوب وسعادتها وحسن حظها فى هذه الأيام ، على وجه الأرض ، أجل فحينما يكون الواقفون على المطبوعات بعيدين عن الهوى والغرض فإنهم يناون عن جلب المنافع غير المشروعة فلا يضعون أنفسهم موضع الأغراض والتعلق ومن ثم يصونون عزة أنفسهم ويجعلون شعارهم حب الوطن والمواطنين ، ويولون حب الوطن كل اهتمامهم ، فيعطفون على الدوام أنظارهم إلى البحث عن أسباب الرقى والتحضر الحقيقى للدولة والشعب ، فلا يمدحون أى صديق دونما استحقاق مهما بلغت محبتهم لهذا الصديق ، ولا يفترون على أى عدو لهم بحكم غرض من الأغراض وعليهم أن يعتبروا البهتان جرماً عظيماً مما ينافى الأسلوب الإنسانى .

لا شك إذن أن أحاديثهم ستؤثر فى المواطنين صغيرهم وكبيرهم ، وستكون سبباً فى إصلاح نقائص الأمور ، ويجب على المؤرخين وكتاب الرحلات بخاصة أن لا يكتبوا شيئاً إلا ما رأوه رأى العين أو ما سمعوه من أناس ثقات ، وعليهم أن يدققوا فى هذه النكات ويمحصوها أكثر من أى شئ آخر .



واليوم بات معلوما للجميع أن السبب الرئيسي لرقى دول الغرب هو من ميامن مطبوعات تلك الدول المحظوظة التي بعد أن ترى جميع نقائص أوطانها من كل طبقة من طبقات الأمة وكل شُعبة من شُعب المملكة وتسمع بها ، وبعد التأكد التام من صدق ما شاهدوه وما سمعوه ، يثبتونها فى صحائف الأوراق المطبوعة أمام الأنظار العامة بلا أدنى ملاحظات شخصية أو أغراض نفسية ، ثم يدعون أولى الأمر بإصلاح تلك النقائص وما أن يسمع أولو الأمر بتذكير المطبوعات حتى يقدموا دون أن يفوتوا دقيقة على البحث فى ذلك النقصان ، فإذا كان قول المطبوعات صحيحاً ، فأنهم يهيئون على الفور أسباب إصلاحه « النقصان » ويشنون بدورهم على القائل وإذا كان هناك خطأ فى الأمور أحياناً فأنهم يبينونه فى لغة حسنة حتى يزيلوا خطأ المطبوعات إذن يمكن القول للسكان السعداء فى تلك المناطق لساناً ناطقاً وكذلك عيناً بصيرة وأذناً سماعة وللأسف فإننا لسوء الحظ محرومون من هذه النعم الثلاث .

والقصد من عرض المقدمات هو أن تكون صورة هذه المرحلة خالية من كل نوع من ألوان الأغراض والتهويل ، والتي تحكى عن إظهار بعض نقائص وطننا العزيز والتي صادفتنا فى مكان ما فلم نجوز فى مذهب حب الوطن أن يظل هذا الكنز مخبوءاً تحت أطباق الثرى .

ولهذا هيأنا نفقات طبع هذا (الكتاب) ونشره على أنفسنا  
بمحض ملاحظة حب الوطن والمواطنين فينا ، ونعلم بقوة القلب  
أنه لن ، يمتد من أى من المواطنين العملاء المنصفين أصعب الرد  
والتعرض إلى كلمة واحدة من كلماته لأن ما كتب فى هذه الرحلة  
وأمثالها يمكن أن يراه كل واحد بعينه هو ، بقليل من الاهتمام فى  
تلك المناطق من وطننا التعيس فى كل يوم بلا زيادة أو نقصان  
وهو الذى كان قد رآه السائح الغيور وحرره . اذن فليطبق  
كبراء الوطن الماضى على حاضرهم بدون أدنى غرض أو مرض  
بمجرد الملاحظة بل حين ينظرون فى مادرج فى هذه الرحلة بنظر  
الانصاف ، فيقومون فى حركة فتية بإصلاح هذه المعايير  
والمفاسد التى هى فى نظر الأجانب سبب إنقاص الشأن العظيم  
للدولة والشعب وخراب الملك وتفرق الرعية وعلة كثير من الخور  
والعار ، فإنهم بذلك يعيدون المياه إلى مجاريها .

ومنذ القدم كان لايران والإيرانيين العمران والفخر بين  
جميع الأمم فخلدوا أنفسهم بهذه الوسيلة ، كما أنه لن ينسى  
تاريخ الأمة مطلقاً تخليد أسمائهم .

غدا حياً خالداً كل من عاش طيبَ السيرة . . . لأن الذكر  
الطيب يخلد اسم صاحبه / والتمس من القراء المحترمين خاصة  
أن لا يذكروا المؤلف باللعن والسب مالم يتموا قراءة هذه  
الرحلة . وفى خاتمة القراءة ندعهم إلى انصافهم إذا كان يستوجب



الرحمة أو يستحق اللعنة وما نرجوه فقط إذ ذاك من الله تعالى  
هو أن يزيّن إيمان كل أخوه الوطن والدين بزيّنه ( حب الوطن )  
الخلاصة إن الحديث فى أمثال هذه الموضوعات والكتابة فيها  
منا والتوفيق من الله الواحد الأحد .

( يارب اغفر لنا بفضلك هذه الذنوب التى بدرت منا )

## رحلة إبراهيم بيك

قبل أن نبدأ كتابة رحلة إبراهيم بيك فالأنسب والالزم أن يكتب مختصر من سيرته حتى يحيط المطالعون بأسباب رحلته كما ينبغي ويتوجب . فهو إبراهيم بيك ابن أحد تجار (أذربيجان) قدم والده إلى ( مصر ) قبل خمسين عاما عازما التجارة ، وأتخذ هذه المدينة الكبيرة التي يغطيها كثيراً من البلاد الإسلامية مسكنا له حين اقتضت الوسعة التي حدثت في أمر تجارته وتبدل بهذا عزم رحيله إلى الإقامة .

وقد جمع هذا الشخص المحترم في فترة وجيزة ثروة كبيرة بسبب أمانته وديانته وهما أول أسباب حسن الصيت ورفق التجارة ، وجذب إليه الاهتمام العام نظرا لصفاء نيته وحب الخير بلاده .

ولم يغير هذا التاجر المستقيم الطاهر الاعتقاد خلال السنوات الطويلة التي كانت مقيما أثناءها بمصر عادة من عاداته المستحسنة القومية أو طورا من أطواره الإيرانية المرُضية في وضع معاشرته مع الناس .

وكان يتصرف في مأكله ومشربه وملبسه على غرار أجداده ، وكان متعصبا قوميا أشد ما يكون التعصب ، وظل لسنين عدة لم يتحدث كلمة عربية واحدة مع أحد ، بل لم يُرد أن يتعلم



العربية . وكانت أحاديثه كلها عن إيران ، وكان دائم الترنم  
بنغمات إيران ، وكان يسأل عن وضع بلاده وحال مواطنيه كل  
من يراه ، فكان بجسده فى مصر وبخياله فى إيران ،  
وكان يستضيف عددا من معارف أولاد وطنه فى كل ليلة من ليالى  
الشتاء . وكان حديث ضيوفه ينحصر فى قراءة كتب تواريخ إيران  
وسير الملوك القدماء .

وكان ميزرا يوسف المعروف معلما لابنه فى بيته لسنوات  
طوال وكان يقرأ عليه كتاب ناسخ التواريخ . وقصص الاكاسرة  
من أمثال كيخسرو وجمشيد وبهمن وشابور<sup>(١)</sup> وانوشيروان<sup>(٢)</sup>

(١) شابور الاول : جلس على عرش إيران ( من ٢٤١ م - ٢٧١ م ) ، ويعتبر أحد ملوك  
الأسرة الساسانية المشاهير ، وكان محبوبا من شعب إيران لكنه لم يفد إيران كثيرا بفتوحاته  
بالنسبة للسياسة الخارجية ، ذلك أن غروره كان يقضى على انتصاراته أحيانا ، ويعتبره البعض  
دارا ( داريوش ) الأسرة الساسانية ، ولكن لا يوجد وجه للمقارنة بينه وبين ذلك الملك العظيم  
، ومن أعماله : بناء سد شادروان أو القيصر ، الذى بنى على يد مهندسى الروم وأسراهم  
على نهر كارنون فى شوشتر ، وأيضا بناء ( مدينة سابور ) التى كانت تقع بالقرب من  
كازرون فى فارس ، وينسب إليه كذلك بناء جندى سابور فى خورستان بين ( شوشتر  
ودزفون ) .

- حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ( ترجمة ) محمد نور الدين عبد المنعم والسباعى  
محمد السباعى : ص ٢٥٥ ، ٢٢٩ .

(٢) انوشيروان : تولى عرش إيران من ( ٥٣١ و ٥٧٦ ) يعتبر المؤرخون الشرقيون  
انوشيروان أعظم ملك فى إيران القديمة ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن ملوكا مثل كوروش  
وداريوش الكبير قد دخلوا فى طي النسيان لكن هذا لم يحدث لانوشيروان ، أما عن كونه ملك  
فى ملوك الأسرة الساسانية فهذا أمر لا شك فيه ، والتاريخ يبين أنه نادرا ما تجتمع صفات القيادة  
وخصائص إدارة الدولة فى شخص واحد ، ويمكن القول أنه كان ملكا عادلا وحازما وإدارياً  
وقائداً .

- المرجع السابق ، ص : ٣٧٦ .

وغيرهم وكان يزهو بنفسه <sup>(١)</sup> وكل عام فى شهر رمضان المبارك كان يستأجر أربعة من القراء العرب ذوى الأصوات العذبة حتى آخر الشهر وكان القراء يتلون القرآن المجيد أثناء الليل كله من الافطار حتى السحور ، فيهدى ثواب التلاوة إلى روح الشاه عباس الكبير الصفوى <sup>(٢)</sup> الطاهرة والذي بقى له كثير من الأعمال والمآثر الخيرية العظيمة فى كل ركن من أركان الدولة الايرانية والتي لاتزال لم تصل لها يد الدهر بالتخريب والهدم .

وكان يقرأ عقب كل صلاة الفاتحة من باب الإخلاص ليرحم بها على روح ذلك الملك الشهير ، وكان شغوفاً بقراءة ( تاريخ نادرى ) <sup>(٣)</sup> وقرأ هذا الكتاب كثيراً حتى أنه استظهره كله .

وبعد وفاة هذا الشخص الغيور المحب لبلاده ، بقى عنه ابن هو إبراهيم بيك الذى تعنون هذه الرحلة بأسمه ، وكنت تعرفت بهذا الابن بعد وفاة أبيه ، وبعد فترة من الوقت ذهبت

(١) ميرزا يوسف : هو المعروف فى المجلدات الثلاثة للسياحة بالعم يوسف . ورفيق إبراهيم بيك فى سياحته فى المدن الإيرانية .

(٢) الشاه عباس الأول : جلس على عرش إيران من ( ١٥٨٧ - ١٦٢٩ م ) ، وهو من ابرر الملوك الصفويين الذين حكموا إيران ، وقد اعاد هذا الملك تنظيم أوضاع إيران الداخلية وكذا سياستها الخارجية بعد أن كانت مترديه ، حتى أن إيران خطت فى أيامه خطوة واسعة فى سبيل التقدم لاسيما بعد أن كثرت متاجر العرب فى إيران وكثر تردد التجار عليها .

- بطروشفسكى وآخرون : تاريخ إيران ( ترجمة ) كريم كشاورز . ص ٥١١ ، ٥٢٠

(٣) مؤلف كتاب ( تاريخ نادرى ) : ميرزا مهديخان ، ويقع الكتاب فى مجلد واحد ويدور حول غزو نادرشاه للهند .

إلى (مصر) ، فقصدت بسبب المعرفة القديمة منزل (إبراهيم بيك) مباشرة ، فتزلت به ، وذات يوم بينما كنت أتفقد مكتبته رأيت ستة أو سبعة مجلدات من كتاب ( تاريخ نادري ) فى أشكال مختلفة مخطوطة ومطبوعة فتعجبت أن يكون فى مكتبة واحدة هذه النسخ العديدة لكتاب واحد ، والذي طُبِع فى عدة مدن مثل ( طهران ، وتبريز ، وبومباي ) ومناطق أخرى ، حتى إننى سألت عن سبب هذا إذ قلت : لماذا جمعت كل هذا العدد من نُسخ كتاب تاريخ نادر ؟ قال : هى ذكرى عن أبى ، إذ كان المرحوم شغوفا بهذا الكتاب حتى أن الجميع كان يعرف هذا الأمر ( إن كل من كان يصادفه نسخة جيدة من الكتاب المذكور مخطوطة أو مطبوعة كان يأتى بها إلى والدى المرحوم ويبيعها إليه بثمن مرتفع ، حتى أن المجلدات الأخرى العديدة التى أوقفت أخذت من هذه المكتبة ) .

**الخلاصة :** أن التعصب الإيراني عنده بلغ حدا يعجز القلم عن وصفه . وعلى سبيل المثال حينما كان يتحدث أحد عن إيران بسوء عمدا أو جهلا كان يعتبره لادين له ولا غيره عنده ، حتى أنه كان يقاطعه حتى آخر العمر . وفى مصر ، عدد آخر من التجار الكبار الأثرياء ، وقد بلغت ثروة كل منهم خمسمائة ألف ، وتخلّى جميعهم عن جنسياتهم نظراً لظلم ولالة الأمر فى (إيران) وعدم مبالاتهم ، ونسب كل واحد من هؤلاء التجار نفسه إلى دولة من الدول الكبرى مثل ( إنجلترا وفرنسا وروسيا )



حتى يتعدوا عن شرورهم وكانوا ينصحون هذا الشخص الغيور من باب إرادة الخير قائلين له : إذا لم تتخل عن جنسيتك الإيرانية فقد ظلمت وارثيك وأعقاب أسرتك وختهم . لأن السفراء والقائمين بالأمور الإيرانية في البلاد العثمانية والقوقاز يعتبرون أنفسهم الأوصياء والورثة الحقيقيين للأموال والمقيمين على الأحياء الإيرانيين لهذا لا يعطون شيئاً بعد موتك إلى ورثتك ، كما نرى كل يوم أمثال هذا ونسمع عنه ، إلا أن هذا الشخص الغيور لم يسمع لكلمة واحدة من هذه الكلمات ولم يكن يقبل كلمة على أى وجه قط مع أنهم تصيدوا له الأسباب مرارا وحبسوه وجرموه . إلا أنه كان يتحمل ولم يستسلم إلى ترك التبعية لفرط غيخته ، حتى أن ( حاجى ميرزا نجفعلى خان ) الذى لاتزال شراره كل ما للإيرانيين فى ( إسلامبول ) وسائر البلاد العثمانية ، ويذكر الجميع اسمه باللعنة الابدية - وبعد وفاة هذا الرجل ذى الطبع المحبوب - فإن نجفعلى خان لم يسكت حتى أخذ الف ليرة<sup>(١)</sup> إنجليزية من وريثه مع أن والد إبراهيم بيك قد كتب وصيه شرعية محكمة وكان كلما وجد فى الوصيه مكانا ضيقا لكلام كان يستعيد للجميع بالله من نفسه .

وخلاصة الكلام أن إبراهيم بيك كان فى العشرين من عمره حين توفى والده ، وقد خاطب ابنه قُبيل وفاته فى وصيته بلغة جدية بمثل هذا الاب قائلا :

١ - الليرة الانجليزية تساوى جنيها إنجليزية ذهبا .

- سليم حداد : جدول نقود العالم ، ص ٣

بنى العزيز : أديت لك ما كان واجب الابوة ، وعلمتك علاوة على اللغات الوطنية والقومية ، اللغات الأجنبية ، والفنون المتداولة التى تناسب امثالك وهى اليوم من العلوم التى يحصلها الرجال ، واتقنتها جميعا باقتضاء الذكاء الفطرى . ولا أقول شيئاً فى طهر أخلاقك وعفتك وديانتك غير حمد لله ، وأنا فى هذا الخصوص راضٍ عنك قرير العين والله عنك راضٍ ، ولكن الآن وشمع حياتى على وشك الخمود ، فأنى أوصيك فاستمع جيداً حتى تستقيم لك الداران .

أولاً : أنى أودعك أمك بعد الله ، ولسوف تعلم بنفسك كم عانينا أن وهى فى تربيتك .

ثانياً : أهتم بعمك ( ميرزا يوسف ) الذى كان معلمك ومربيك لأن احترام المعلم بعد احترام الأب والأم واجب لازم . خاصة وأن ( يوسف ) رجل أمين ومتدين وحسن الفعال والصداقة ، وكان من بداية عمره معنا ، فينبغى أن تعدّه من أهل بيتنا .

ثالثاً : لاتفرط مطلقاً فى عادة من العادات القومية الحسنة ولا تصدق من يقول شراً عن إيران من الاخساء ومن لاغيره لهم ، ولا تشاركهم فى الإساءة إلى الوطن ولو كانوا صادقين بفرض المثال .

رابعاً : اخف شرك عن كل شخص إلا عن صديق مجرب  
طاهر الفطرة زاهد فى حطام الدنيا <sup>(١)</sup> .

خامساً : احذر الأشخاص المداهنين الذين يتحدثون بوجه  
التملق . وفر فراسخ ممن يمتدحك ويزكيك وجها لوجه ، لأنه  
علاوة على ما يتمناه منك فهو يلقي بك فى قمة الغرور والعجب  
وهما أسوأ الصفات الإنسانية المذمومة ، ويبيك بمرض الكبر أسوأ  
الأمراض طراً .

سادساً : اقل من الذهاب ودعهم يأتونك كثيرا ، أى أرغب  
فى الاتيان بالضيوف أكثر من الذهاب لكى يستضيفوك ، وحذار  
أن تترك الصلاة والفرائض ولا تفرط فى السخاء ، اعط لا بالقدر  
الذى تصير به مشهورا ولا تعط بالقدر الذى تكون به معروفا ،  
أى إذا صرت مشهورا ، فإن المتسولين سيأتون لك من كل  
حذب وصبوب ، فإن لم تعطهم عادوك ، وهذا الحديث ليس  
فى حق الفقراء ، وإنما المقترضين المتملقين ، وكل من يقول  
كل شئ إذا لم تصدقه أو تقبله فلا تجادله أو تعارضه فهو يخدعك  
وأوصيك وأؤكد فى الوصية أن لا تتاجر لمدة ست أو سبع

(١) ذكر الكتاب هذه العبارة كالاتى : ( رازخودرا ازهمه كس ينهان دار ، مكر ازدوست  
مجبرب باك فطرت كه أنهم درحكم كيمياست ) والكيمياء تعنى عند المتأخرين علم وصياغة  
يبحث بها عن طبيعة جميع الأجسام وكيمياء السعادة عند الصوفية تذهب النفس باجتئاب  
الرزائل واكتساب الفضائل وهى تغليص القلب من الكون باستثناء المكون .

- بطرس البستاني : محيط المحيط ( قاموس مطول للغة العربية ) بيروت ١٩٨٣ م ص



سنوات ، فالحمد لله أنت فى سعة من العيش فاهناً حتى تصل  
سن الثلاثين ، وفى خلال هذه الفترة ، قم بالسياحة فى كل  
مكان فى العالم ترغب . وقد كتبت باسمك فى دفتر الف ليرة  
مستقلة من أجل هذه السياحة وليس لوارث آخر شأن بها .  
ولا تقصر السياحة على رؤية خراب المدن وعمارها ، فامكث فى  
كل مكان عدة أيام ولاحظ بدقة وضع المعيشة والحياة لجميع  
القاطنين فى تلك الديار ، وتعرف على إحصاء التجارة السنوى  
فى تلك البلاد وحتى تعلم ما هى البضائع والمحاصيل التى تأتى  
من البلاد الأجنبية إلى ذلك البلد ، وأى كمية تباع فيها سنويا ،  
وكذلك الكمية التى تُصدر للخارج من الأمتعة والمحاصيل من ذاك  
البلد سنويا ، وصادق عدداً من الأفراد الصادقين المعبرين فى كل  
مدينة تصلها حتى يكتبوا لك دائماً ويراسلوك . واصطحب  
يوسف عمك فى سياحتك هذه لو كان بقيد الحياة ، إذ إنه سيقف  
بجانبك فى الشدائد . وأنت تعرف أصدقائى فى هذه المدينة  
فأظهر لهم الاحترام ، وابتعد عن الأشخاص الذين لم يكونوا  
أصدقاء لى ، لأننى عانيت كثيراً فى اختيار أصدقائى ، ومعرفة  
الناس وتجربتهم يتوقف على كثير من المعاناة وهو فى الواقع  
فن . واكتب فى دفتر جيبك فى كل مدينة تصل إليها تاريخ  
دخولك وخروجك مع كل مشاهداتك اليومية حين تصل ، لأن  
ذلك يفيد . وقد كتبت باقى الوصايا الشرعية فى وصيتى واحدة

واحدة ، والآن استودعك الله وقد صار إبراهيم بيك يُشار إليه بالبنان من قبل العدو والصديق بعد وفاة والده ، باقتضاء الفطرة النقية في حسن الاخلاق والاستقامة وطهارة الذيل ، فكل أعماله موزونة وسلوكه مرضي من كل وجه ، وتفوق على أبيه في التعصب لقومه إلى حد أن أولاد وطنه الظرفاء حينما كانوا يريدون الهزل معه كانوا يحادثونه صدقا أو كذبا عن عدم انتظام إيران ، وسوء حال الجندي الإيراني وبيع الدولة للأقاليم في مقابل مبلغ من الرشوة ( تعطى ) للحكام الذين يلفقون أنواع التهم والحبس والتجريم للناس من أمثال أمير الأمراء ورئيس المدينة وقائد الشرطة ورئيس الفرashين ، ووجود خمسة عشر محبسا به السلاسل والخنادق في المدينة الواحدة ، وكذلك وجود عشرة أو اثني عشر موضعا (ملجأ) <sup>(١)</sup> في المدينة الواحدة مثل منازل العلماء أو رئيس أصطبل الحكام أو فلان كبير الضباط ، وقذارة المدن وعدم نظافة المساجد واغلاقها مدة أحد عشر شهراً ، وفي فصل الخريف (يرى) تكدس الأشخاص السفلة في المساجد بالشمام والبطيخ <sup>(٢)</sup> ووضع الحمامات الشديد السوء ومياهها الآسنة ودخول الكثير من أشتات الناس المصابين بالامراض المعدية حوضا واحدا عفنا اسنا

(١) وكانت العادة قد جرت في فارس منذ القدم على أن يعتصم الناس في أحد المساجد إذا آنسوا عفنا من جانب السلطان ( وقد اطلق على هذه العادة اسم ( بست ) أي ملجأ .

(٢) لقد شاهد المراهي بعض الإيرانيين وهم يأكلون فاكهة البطيخ والرمان ويلقون بالقشر في المسجد دون مراعاة لحرمة أو قدسيته أو على الأقل المحافظة على بيت الله نظيفا . انظر :

- المراهي : سياحته ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

تغير لون مائه من القذارة وصار سبب كثير من الأمراض المعدية ،  
ومنافسة العلماء وخصومتهم مع بعضهم البعض واحتفاظ  
كل منهم بعشرة أو اثني عشر رجلا من الصعاليك والأوباش باسم  
( السيد ) عندهم ليشجعوهم حين يرغبون على نهب الرعية  
وسلب بيوت الحكام ، وبعد تخريب الأسواق ينهبون كل ما  
يتصورونه وتكون الحماية أحيانا التي يوليها لهم الحكام وهضم  
الرعية السبب المحض لإظهار الخصومة لهم . وهجرة الرعية  
العاجزة عن الوطن من مثل هذه التعديات التي لا تنقطع وكانوا  
يتحدثون هذه الأحاديث أن صدقا وأن كذبا ، ويوجهونها إلى  
إبراهيم بيك ، فكان المسكين يضطرب عند سماع هذه الأحاديث  
فيعتبر بعضهم لادين له والبعض الآخر بلا غيرة .

وكثيراً ما كان ينتهى الأمر من السباب إلى التضارب بالأيدى  
والعصى وحيناً إلى نتف اللحى وتمزيق الجيوب ، ولما كان  
أصدقاؤه يعلمون حالته تلك فلم يكونوا يتأثرون من ضربه  
الفاحش وشتمه . وكانوا أحيانا على النقيض يطلبون إرضاءه  
باحاديثهم ، فيجلسون ينتظرونه فى المقهى ، وما أن كانوا يرونه  
قادمًا من بُعد يبدؤون فى الثناء على إيران وتمجيدها ويمجدون  
يرى إبراهيم المسكين وضع الأحاديث فإنه يسعد وينشرح صدرا  
لها ويصير كله أذانا صاغية . وأول أثر إظهار سرور قلبه أن  
يخرج علبه السجائر ، ويضعها على المنضدة ، ويهدى كل



الجالسين فى المقهى قائلا : بسم الله تفضلوا السجائر ، ويأخذ المتحدثون فى التحدث فيما بينهم أحيانا عن حكم الملك أيضا بقولهم : أن جلالة الملك الهمايون <sup>(١)</sup> قد أمر بصورة مؤكدة أن تُقام مكاتب لخدمة المواطنين فى كل مدينة ، وقد أصدر الأوامر الصارمة لحكم الأقاليم ليعاملوا الرعية بالعدل والإنصاف ، وقد أعدّ فى هذا الصدد كتيب لكل حاكم بعنوان دستور عمل الحكام من قبل وزراء دار الشورى فلقى شرف الصدور من الإدارة السنية الهمايونية لتنفيذه ، وكان آخر يقول :

أن ظل السلطان يعد الآن مائة ألف فارس وراجل بكل نوع من الأسلحة الحديثة والمهمات اللازمة ، وكان إبراهيم المسكين ينشر صدراً عند سماع مثل هذه الأحاديث ، وتسكبه السعادة إلى حد أنه لم يكن يعرف يديه من رجليه وينادى عامل المقهى قائلا : هات للسادة شايًا ونرجيلة ، ويقدم السجائر للجالسين حوله من ناحيته أخرى ، ويكون الحديث حارًا من كل طرف . وكان شخص آخر يقول :

إننى أعلم جيدًا أنه بأشارة واحدة من جلالة الملك يمكن أعداد خمسين ألف فارس جاهز للقتال من قبائل ( شاهيسون وطالشي ) فقط فى ظرف أسبوعين بحيث تكون كل نفقاتهم عليه . وكان آخر يقول : ماذا يكون هؤلاء بالنسبة لجنود بختيارى إذ إنه

(١) لقب من القاب الملوك الإيرانيين بمعنى الميمون والمبارك ..

فى ظرف أسبوعين يمكن اعداد مائة ألف جندى مسلح وعلى أهبة التحرك والقتال ، فلا يدعه آخر يكمل حديثه فيحكى عن شجاعة جنود ( مراغه )<sup>(١)</sup> و ( افشار ) ، وفى نهاية هذا المجلس كان إبراهيم يدفع بكل ممنونية ثمن القهوة والنجيلة عن كل الحاضرين ، بل كان يدفع من نفقته أحيانا حساب الغداء والتجوال بالعربة أيضا .

وينقل حاجى كريم وهو من ( أصفهان ) وكان يقيم فى مصر ، حكاية من هذا القبيل . واعجب من كل هذا ، كان يقول كنت فى مصر فى أحد الأوقات سيئ الحظ ، إذ كنت أمر بضائقة مالية ، وأخذت من جميع المعارف مالا قرضا ولم أظن بعد ذلك أن أحدا سوف يساعدنى بشاهى واحد .

لهذا فقد قصرت يدى عن كل مكان ، وقضيت ليلى دون عشاء ، والأسوأ من كل هذا أننى لم أدفع أيجار المنزل لمدة ستة أشهر ، وضاق العربى ( المصرى ) وصاحب المنزل بعد هذه المدة الطويلة من كثرة المماطلة ، فعرض الامر على المحكمة ، وأخذ به حكما بأن يحصل منى على اثنتى عشرة ليرة حق الإيجار ويُخلّى المنزل ويستولى عليه ، فاستمهله عشرة أيام بالعجز والالتماس لأمزيد عليهما وظللت أفكر . . ماذا أفعل يا إلهى . وكان قلبى

( ١ ) مراغه : مدينة فى آذربيجان ، انظر :

- الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧٩

أُلهم بأن علاج هذا الامر فى يد إبراهيم بيك ، ثم بدأت فى تدبير حل هذه المشكلة ، وأعددت ورقة وكان أحد اقربائى قد ارسلها لى من (طهران) ، وبعد ذلك ذهبت إلى (حاجى ميرزا رفيع) التاجر الأصفهانى ، وأخذت منه لفافة قديمة من قشر التمر الإيرانى ووضعت ذلك المكتوب داخل تلك اللفافة ، وجلست على قارعة الطريق منتظرا إبراهيم بيك ، وكنت أعلم أنه يمر من هناك كل يوم فى وقت محدد إلى أن ظهر على بعد وكنت اخرجت إذ ذاك الورقة من جيبى ، وكأنى لا أعلم بمجيئه . ثم أخذت شيئا فشيئا فى قراءة الخطاب ، ولما اقترب رفعت رأسى فجأة والقيت عليه السلام ، فرد بصوت عال : وعليكم السلام . من أين اتيت "يا حاجى كريم" قلت : من مكتب البريد ، فقد كان لى خطاب من طهران . قال : من طهران ؟ قلت : نعم . قال : حسن جدا ، هل هناك أخبار جديدة ؟ قلت لم اتم قراءته حتى الآن ولكن اسم الملك وغيره باد فيه ، فقال فى نهاية الحديث لنذهب إلى هذا المقهى ، ونرتشف كوبا من الشاى وتقرأ أنت ما يسمع من الأخبار ، فأجبت : مع أن لدى اشغالا كثيرة لكننى بما أننى أعلم أنك تميل إلى سماع أخبار طهران ، فأى مضايقة فى هذا ؟ فلنذهب ندخل المقهى ، ودخلنا المقهى وأوصينا على الفور على القهوة والترجيلة وجلسنا ، قال : حسن اقرأ لى أية أخبار ، فأخذت أتلى الخطاب من أول الورقة مضمون الخطاب :



أخى المكرم وصلنى خطابكم وقد سعدت كثيرا بسلامة ذلك  
الأخ العزيز وكنت قد أرسلت خمسا وعشرين ليرة فى حوالة  
(حاجى عبد الرازق اغا ) التاجر فأخذت المبلغ المذكور ، وارسلته  
وفقا لطلبك إلى ( أصفهان<sup>(١)</sup> ) باسم ( مشهدى محمد رضا )  
الذى سيسلم بدوره عشر ليرات إلى منزلك ويدفع خمس عشرة  
ليرة قرضا لاغا حسن ، وبلاشك أنه سيكتب لك بنفسه ، وليس  
ثمة موضوع آخر يمكن أن أخبرك به ، إلا إنه منذ عدة أيام حدثت  
مسألة هامة .

وكادت دولة إيران تعلن الحرب على إنجلترا وربما حدث ،  
ولكن منذ عدة أيام انتهت محادثات العداء إلى أن حلَّ  
الهدوء إلى حد ما ، وكان سبب هذا مما عُلِم من القرارات  
أن الوزير المفوض الإنجليزى ، عله أجاب فى مسألة سياسية خافية  
علينا ، جناب الصدر الأعظم اجابة تخلو من الاحترام  
فعرض الموضوع على الهمايون بدوره ، فشرف بالصدور من  
جانب قرين الشرف الملكى فى نفس تلك الساعة ، وأمر  
بصورة مؤكدة جناب وزير الشؤون الخارجية أن يخبر ( لندن )  
برقيا بأنه ينبغى أن تعزلو سفيركم فى مدة اسبوع واحد  
وتستدعوه إلى لندن وتحاسبوه ، وإلا فإن جيش إيران سيتحرك

(١) اصفهان : تعتبر من أهم المدن الفارسية ، فُتحت فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ر)

- وهخدا : لغت نامه ، ج ٦ ، شماره حروف (ا) ، ص ٢٧٧٨ .

إلى ( هراة )<sup>(١)</sup> فى الاسبوعين القادمين ، وسجعل من الاستيلاء على جميع الهند نصب همته ، وفى نفس اليوم ، صدر أمر برقيا إلى سيادة ظل السلطان بأن يستعد الجيش الرابع للتحرك فى خلال الاسبوعين القادمين بالمهمات المقتضاة نحو ميناء ( بوشهر ) . وعلاوة على هذا ففى الرابع والعشرين من ربيع الأول ، أعدت رسوم العرض العسكرى فى المدينة العاصمة ، وكانت جديرة بالمشاهدة ، فقد قام الجيش الهمايونى الخاص وسائر الجيوش المتأهبة للركوب وكانوا يقربون من خمسين ألفا من المشاه والفرسان ورجال المدفعية بمناورات فى ميدان التدريب بلغت من المهارة والشجاعة حداً أن سببت مزيد الحيرة والتعجب من قبل الوطنيين ، والأجانب ، وكان قبلة العالم يتولى بنفسه النفيسى الهمايونى القيادة . الخلاصة أنها كانت معركة ، وكان نائب السلطنة وزير الحربية كأحد القواد يعجرى هنا وهناك ، ولم يكن أحد يعرفه من كثرة ما علق بوجهه من التراب والغبار وقد اسود وجه السماء لدخان المدافع المتشتر فى الجو ، فلم تكن أشعة الشمس تصل الأرض .

(١) هراة : مدينة مشهورة وعظيمة من أمهات مدن خراسان ، انظر :

- الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩٥٨

كانت إنجلترا تحاول بسط نفوذها فى هراة منذ عهد محمد شاه ( ١٨٣٤ - ١٨٤٨ ) باعتبارها مفتاح الهند فى حين كانت روسيا تحاول دوما اختلاق الفتن والحروف فى هذه المنطقة ، انظر :  
Lenczowski : Russa and The West in Iran, p. 1.

**الخلاصة :** ثم وصلت برقية فى ذلك اليوم من " لندن " لكننى لم أعرف ما جاء بها إلا أن الوزير المفوض الالمانى توسط ، ووصلت من نفس صاحب الجلالة الإمبراطور الالمانى برقية إلى قبة العالم : أود من صاحب الحضرة العليا الهمايونية باقتضاء المودة الكاملة التى بيننا أن تنظروا ، وتبذلوا العناية الملكية ، فى شأن الصلح والصلاح العام ، لأنه لا يخفى على الضمير الطاهر الهمايونى أن اليوم كلما أرتفع صوت المدافع فى أحد الاماكن فى العالم ، فان حربا عامة ستشمل العالم كله لأن سياسة الدول مرتبطة ببعضها البعض ، وحينذاك سيظهر الهرج والمرج فى أمور العالم ، وستقلب أسس التجارة رأسا على عقب فى البلدان التى هى سبب تعايش عباد الله . / إننى بحكم صداقتى الشخصية بذلك الملك الواعى لا أريد أن تصبح دولة إيران العليا سبب نشوب هذه الحرب ، وأتوقع أن تعفو عن فعل ذلك السفير عديم التدبير ، لهذا تين أن الحرب لن تنشب لكنه قرر أن يعتذر الوزير المفوض الانجليزى لجناب الصدر الأعظم ضمن عرض وأن يرضى خاطره على نحو علقى ويندم على ما قاله . ويقال إنه تقرر أن يخرج الوزير المفوض المذكور لمدة شهر آخر معذولا من طهران ، وأن دولة إيران لن تقبل سفارته مطلقا وسيحل مكانه سفير آخر ، والآن ينبغى أن تشاهد وجه إبراهيم بيك فقد غص حلقه من فرط السعادة ، وأخذ يقول لنفسه أفديك بنفسى أيها الملك . فلاشك ينبغى أن يحدث مثل هذا والصدر

الأعظم بدوره عظيم ذو غيرة وليحفظهما الله من البلاء ،  
وكان المسكين متشياً من السعادة بهذه الاخبار إلى الحد الذى  
لا يمكن وصفه .

وينهض ( حاجى كريم ) الأصفهانى بعد قراءة كل الخطاب  
ويقول : اسمح لى ثانية فإن لى امرأ ويجب أن أذهب ،  
فأذن لى . فيقول إبراهيم بيك : بمتهى صفاء القلب اين تذهب  
يا حاجى كريم والوقت غداء ؟ فلنذهب لناكل شيئاً  
فنحن جوعى .

حاجى كريم : لا ، لا انحسر ظلك ، ينبغى أن أذهب ،  
فلدى أعمال كثيرة ، وأن شاء الله وقت آخر ، فى رعاية الله ،  
فى حفظ الله ، ويذهب حاجى كريم . ويدفع إبراهيم بيك ثمن  
القهوة والnergيلة ثم يخرج من المقهى ولكن من شدة سعادته  
لا يدرى أين يذهب ، وماذا يصنع ، ودون تفكير يطلب عربيه ،  
ويصل السائق ويركب معه . ودون أن يحدد مكانا ، يقول  
للسائق : سر وإبراهيم ليس فى وعيه ، ويظل السائق سائراً إلى  
أن يخرج من المدينة ، وحينذاك يقول : يا حضرة البيك أين  
أذهب بكم فيجيب : تجول ، تجول ، وبعد تجوال طويل يقرب  
إلى الغروب ، لا يتناول غداءه ولا عشاءه ، ويصل منزله بنفس  
السرور البادى عليه ، واتجه مباشرة إلى المكتبة ليخرج التاريخ  
النادرى ، ويبدأ فى قراءة تفصيل سفر ( نادر ) إلى الهند ،



وتغمره نشوة جديدة بالإضافة إلى ذلك السرور ، وفى تلك  
الاثناء تصل أمه ، وتقول : يا بنى أين تناولت غداءك اليوم  
جعلتنا نتظرك ؟ إننى لم أكل فى أى مكان شيئاً قط ومع ذلك  
شبعان حتى لو لم أكل شيئاً لمدة عشرة أيام آخر . فلن أرغب فى  
الطعام . الخلاصة : إن إبراهيم بيك قضى تلك الليلة منشراح  
الصدر إلى الحد الذى يعرفه هو نفسه . وفى الصباح يخرج من  
المنزل أبكر من عادته كل يوم ظاناً أنه سيقابل واحداً أو اثنين من  
رفاقه فيتحدث معهم عن تفاصيل خطاب الامس لحاجى كريم ،  
واليوم أيضاً يشعر بالسعادة من مذاق المثل ( وصف العيش  
نصف العيش ) ولا يصادف أحداً بالقضاء ، فيجد فى البحث  
عن حاجى كريم ، فيجول من هذه المقهى إلى تلك ومع هذا  
لا يجده ، ومن ناحية أخرى فأن حاجى كريم الاصفهاني كان  
يعلم أيضاً أن خطته قد اثمرت وأن إبراهيم سيجرى وراءه ،  
وينبغى أن لا يخرج من منزله فى ذلك اليوم حتى يحوز مقصوده  
على نحو أسرع ، ولا يجد إبراهيم بيك المسكين فى ذلك  
اليوم مع كل السعادة التى غمرت قلبه بسبب تلك الأحاديث  
والاخبار الطيبة السعيدة أحداً يشاركه سعادته ، فيعود مضطراً إلى  
المنزل وقت الغروب ويشغل نفسه بالاطلاع ثانية بعض الوقت  
بعد اداء الصلاة وتناول طعام العشاء وفى الصباح يخرج

من البيت كعادته المقررة ، ويذهب مباشرة إلى المقهى الكبرى التى تقع فى ميدان (محمد على باشا) <sup>(١)</sup> ووقت الظهر يظهر حاجى كريم من على بعد أذ كان كامنا له ، ويرى أن إبراهيم بيك جالس وحيدا ، يتظاهر بأنه لا يراه ، ويريد أن يعبر من ذاك المكان ، إلا أن إبراهيم بيك يراه فيدعوه فى عجلة قائلا : يا حاجى . . . يا حاجى ، ويعود حاجى كريم ، إذ كان يترقب تلك الفرصة ، ويرى إبراهيم بيك فيلقى عليه السلام ، وبعد رد التحية يقول : أين أنت أيها الحاجى العزيز ؟ فيقول حاجى : أن لدى أمراً فى هذا المكان .

**إبراهيم بيك :** بسم الله اجلس قليلا كى نرتشف بعضا من الشاى . . لا . . لا . . . ينبغى أن أذهب . ما هذه العجلة يا والدى اجلس . اجلس . حاجى كريم : لا لا أستطيع . إبراهيم بيك : أيها الحاج العزيز أنى أعلم أنه ليس عندك دكان وليس لديك وظيفة أو عمل فلم كل هذا التمتع ؟ فيقول حاجى كريم : حقا ما تقول ، أنا ليس لدى عمل فائت ، لكن لدى عذرا فوق كل هذا ، فيأخذ إبراهيم بيك بذيل ( حاجى كريم ) ويقول له : اجلس لنرى ما هو عذرك ، فيقول حاجى كريم : حقيقة أن على قرضا لأحد المصريين العرب ، غير النجباء وأنا أيضا فى المقابل دائن لواحد ، وواعد أن يدفع أول الشهر القادم ، ولكن ينبغى أن

(١) هذه اشارة إلى مجيء الكاتب إلى مصر .

أدفع للعربى <sup>(١)</sup> اليوم ، وليس فى استطاعتى هذا ، ونحن الآن خارج المقهى ، وبما أن المال ليس جاهزاً ، فأنى أخشى أن يرانى ( ابن المحروق ) <sup>(٢)</sup> فى الحارة ، فىأخذ فى طلب دينه والشدة على ، وتصاب أنت أيضاً بالخجل وأنا بالفضيحة ولو كنت داخل المقهى وسط المجتمعين وازدحام المشترين ، فمن المحتمل أن لايرانا ولكن لايحتمل هنا أن يرانى حين يمر بهذه الناحية ، وإذ ذاك ( هات الحمار وحمله المعركة ) <sup>(٣)</sup> .

**ويقول إبراهيم بيك :** كم هو دينك ؟ خمس عشرة ليرة لاغير . إبراهيم ، لاتهتم ، اجلس الله كريم ، كريم ، فيجلس حاجى كريم وينادى إبراهيم بيك عامل المقهى ، ويطلب منه المقلمة ويخرج من جيبه دفتر ( شيكات ) أى حوالات ، ويكتب فيها شيئاً ويعطيها لحاجى قائلاً : هاك حوالة بخمس عشرة ليرة ، خذها من البنك فى أى وقت تحب الذهاب فيه . والآن اشرب قهوتك هادئاً ، وحين تقضى طلبك هات مالى واعطنيـه ، حاجى : أن كرمك لزائد وحقيقة فأنتك خلصتني من براثن هذا العربى الخسيس . والآن فإننى أكتب لك سنداً عند الطلب وأعطيك اياه . وأن شاء الله لن يمر عشرون يوماً حتى أسترده مالى وأوصله لك ، وأن لم اتمكن من ذلك ادفعه لك على ثلاثة أقساط كل قسط خمس ليرات .

(١) يسمى الكاتب كل شخص مصرى عربياً .

(٢) اوردها الكاتب ( بلرسوخته ) : انظر نفس الصفحة .

(٣) مثل يضرب حين الاستعداد للامر وتداركه قبل وقوعه .

**إبراهيم بيك :** إن الامر لا يحتاج سنداً وإنما كلامك حجة ،  
ويتحدثان فترة ، ويسأل إبراهيم بيك : هل خطاب أمس الأول  
معك ؟

**حاجى :** نعم . اعطنيه سأقرأ بنفسى شيئاً منه فأى خطاب  
هو طيب المضمون ! أكاذيب هذه التى ينسجها أولاد المحاريق  
ومن لا حياء لهم حين يقولون أن السفراء والقناصل حتى أفراد  
الجمالية الأجنبية فى إيران يفعلون كل ما يريدونه ، وليس فوق  
أيديهم يد . فلتأتوا يا أولاد المحاريق ولتقرأوا بأنفسكم بعيونكم  
العمياء ، هذه الورقة التى كتبها مسلم من طهران لمسلم آخر <sup>(١)</sup> ،  
وفى تلك الاثناء يخرج حاجى الورقة من جيبه ليعطيها له ،  
ويقول إبراهيم بيك : ألا يوجد مطلب آخر أيها العم الحاج ؟  
كلا فلو كان هناك شىء فلماذا أخفيها عنك .

ويبدأ إبراهيم فى قراءة الورقة ، ويقرأ ويقول :  
فداوءك روحى ، امض الله سيفك ، ويقرأ الخطاب عدة مرات  
بشوق وسعادة غامرين ثم لايمل ، ويقول فلتدع يا حاجى كريم  
هذه الورقة عندى بضعة أيام ، فيقول حاجى : ( مخافة أن يعرف  
لون مسلكه ) ، طالما أنه لم يرد اسم امرأة أو طفل فى الخطاب  
فإنى لا أتضايق ، لكنك نفسك تعلم أنه مع هذا لايجوز ،  
ويأخذ الخطاب ويلقى السلام بعجلة ويذهب ويدفع إيجار المنزل

(١) هذه الورقة أو الخطاب كتبه حاجى كريم فى مصر ليقضى حاجته ( القرض ) من  
إبراهيم بيك بعد أن يسمع إبراهيم بيك ما ورد بالخطاب فيسر لسماع الأخبار الطيبة عن إيران .



ويستريح . ويمكن أدراك التعصب القومى لدى إبراهيم بيك من هذه الحكاية ، وهذا الشاب الغيور منذ عرف نفسه لم يكن ينطق اسم ( الإسكندرية ) بسبب غزو الإسكندر <sup>(١)</sup> لإيران وتخریب كثير من عمائر ذاك البلد ، وإحراقه مدينة (اصطخر) <sup>(٢)</sup> العاصمة القديمة لإيران وقتل دارا بمكائدة .

ولم يذكر اسم الإسكندرية على لسانه ، ولو اضطر أحيانا لذكر اسم تلك المدينة كان ينطقها " ميناء بر مصر " ، وهذا قليل من كثير لتعصب وحمية شديدين ، ومختصر من سيرة إبراهيم بيك ، وإن كان ليس من المستبعد أن يحمل بعض قصار النظر حالاته هذه على الحمية الجاهلية ، والتعصب الجائر . والأمر ليس كذلك ، فهذا المواطن العزيز على الرغم من كونه شابا إلا أنه شاب مجرب بالغ بصحبة الشيوخ . كامل عاقل ذكى واع بوضع زمانه ويعد من مثقفى عصره ، وغاية الأمر هو أنه كان بغير اختيار حين يسمع اسم إيران ، فقد سيطر عشق الوطن على سائر وجود هذه الشاب ، ولم يترك له قدرة على أن يسمع من أحد اسم معشوقه بسوء ، وهذا يعد خصلة من خصاله الحميدة .

(١) الإسكندر المقدونى أو الرومى أو الأكبر ، ولد عام ٣٥٦ ق . م ، وجلس على العرش عام ٣٣٦ ق . م ، وتوفى عام ٣٢٣ ق . م ، وقد فتح كثيرا من البلاد ومنها إيران وعرف أيضا بالإسكندر ذى القرنين .

- دهخدا : لغت نامه ، ج ٥ ، ص ٢٣٦٧ .

(٢) اصطخر : من أكبر الأقاليم الفارسية وأهمها ، ومركزه مدينة : اصطخر ، وهو يضم بعض المدن والقرى مثل : بيضاء ومائين ويزد .

- دهخدا : لغت نامه ، ج ٦ ، شماره حرف (ا) ، ص ٢٧٥٥ .

**الخلاصة :** اننى كنت قد ذهبت من إسلامبول إلى الخارج وعدت بعد شهرين وحينما وصلت إلى المنزل . قال ابنى : جاءنا يا أبى ضيفان من مصر ، مكثا ثلاثة أيام ، وذهبا إلى ايران ، فسألت ما اسمهما ؟ قال إنهما كتباً لك ورقة فوق مكتب المكتبة ، فاقرأها ، فأخذت الورقة من عليها ، وقرأتها فكان هذا مضمونها :

فداؤك نفسى ، أتينا إسلامبول عازمين زيارة المشهد المقدس ( بعد أن خرجنا ) فى مصر ، ومعى العم يوسف ، ونزلنا بيتك الذى هو فى حقيقة الأمر منزلى ، وآسف لأنى لم أحظ بشرف لقائك . وقد عانينا الكثير خلال الأيام الثلاثة ، وتوجهنا نحو خراسان <sup>(١)</sup> فى اليوم الرابع عن طريق " باطوم " ولو وصلنا بالسلامة سوف نكرر الزيارة ، لو احللتهم حقوق الصداقة والمودة ، وقد رأيت بين كتبك مجلدا من " كتاب أحمد " فحملته معى حتى أشغل نفسى بالاطلاع عليه فى طريقى <sup>(٢)</sup> وعلى الرغم من أن كاتب الكتاب يبدو لى النظر رجلا عالما

(١) خراسان : أول حدودها مما يلى العراق ازادوار ( قصبه جوين وبيهق ) ، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنه وسجستان وكرمان وتلك اطراف حدودها ، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراه ، ومرو .

- عبد الله ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ ليزج ١٩٦٩ .

(٢) كتاب أحمد : أحد كتب طالبون التى يعرض فيها المؤلف إلى التقدم والمخترعات الحديثة من خلال بطل الكتاب الابن " أحمد " .

وكاملاً وقد حرر فيه موضوعات رئيسية وكبيرة وعديدة ، لكنه  
بصدد وضع إيران فقد كتب بعض الأشياء ايماءً وإشارة ، ويبدو  
أنه لا يعلم شيئاً عن إيران مطلقاً أو أنه أخطأ أو أنه ليس منا<sup>(١)</sup> .  
فالتمس له الدعاء ولك السلام من العم يوسف أيضاً

امضاء

إبراهيم

(١) لقد عدل المراغى عن قوله هذا أى طعنه فى كتاب طالبون وذلك فى المجلد الثالث من  
السياحة .

ومعلوم أن الكاتب إبراهيم بيك صديقى وقد تحسرت كثيرا فليتنى كنت موجودا حين دخولهما ( إسلامبول ) لكنت أخرجت من رأسه فكره السياحة فى كل إيران ونصحته أن يكتفى على الأقل بزيارة " المشهد القدسى " ويذهب عن طريق " باطوم ) وعشق أباد ثم يعود بعد الزيارة من نفس الطريق ، لأننى أعلم أنه حينما يتجول داخل إيران سيرى الوضع المؤسف للوطن فيتعب ولن يكون سعيدا ، علاوة على أننى خشيت أن يطيل لسانه ويسب الحكام لرؤية تلك الأوضاع غير المستقيمة فيبتلى بالشر لأننى أعلم حاله جيدا ، وكان يحكى هو بنفسه : أنه ذات يوم رأيت فى مصر فى حديقة بلديتها ثلاثة أو أربعة من الإيرانيين يتجولون ورأيت بينهم رجلا فى الستين من عمره ذا لحية ملونة ويرتدى ملابس قديمة ممزقة وحذاء باليا وجوارب نسائية حمراء وبيضاء وكان كعبه أيضا ممزقا قدرا ومتسخا جدا ، ويخرج من الحذاء والجوارب ويسير فى أوج الكبرياء وكان لسان حذائه يقفز أمامه فى كل بضع خطوات مسافة ثلاثة أقدام ، وكان يرتدى فوق رأسه قلنسوة من قماش الجوخ القديم وقد تغير لونها ( القلنسوة ) من السواد إلى الخضار ، ورأيت أنه قد علق رمز الأسد والشمس على جبهته ، والدرجة الثالثة للأسد والشمس ومعها ثلاث أو أربع ميداليات فضية بياقة قيادته الكثيرة الأمزاق واتضح أن هؤلاء حجاج إيرانيون أتوا مصر للسياحة ، وتقدمت والقيت السلام وقلت زيارة مقبولة يبدو لى أنكم عائدون



من زيارة بيت الله ، قال نعم . وليجعل الله لك نصيبا  
فى الزيارة أيضا وبعد ذلك سأل أين تعلمت " الفارسية " ؟ قلت  
أننى إيرانى فسأل من أين ؟

قلت من أذربيجان وسألت من أين أنتم ؟ قال من مدينة  
(خمسة) وسألت عن اسمه فقال " الحاج الياور " قلت  
هل حججت حديثا " فالياورية " تعنى منصبا فما هو اسمك  
الأصلى قال رستم الياور ، قلت حسن جدا ، فهو اسم إيرانى  
عظيم وأنا أتوسم فيك هذا ، قال ماذا ؟ قلت هنا مصر  
وهى ملتقى كل الشعوب ، وفى كل خطوة يرى كثير من الضباط  
والقواد (واليورات) ، وأنتم تلاحظون كيف يرتدون ملابس نظيفة  
وجميلة بنظام ، وينبغى أن ترتدوا اللباس اللائق بالمنصب  
العسكرى لكم والذى هو سبب افتخارنا ومحط حفظ احترام  
نیشان القلنسوة والحفاظ على المكانة السامية لدولتنا ووطننا .

وليس بهذا الشكل المهلهل الذى نخجل منه ، قال نحن  
زائرون وهذا لباس ولانينا المحلى ، قلت كان ينبغى عليك ترك  
هذا اللباس هناك وكذلك شارة القلنسوة والنیشان والميداليات ،  
لا تأتى بها هنا والآن فاخلع مالبست واستعمله فى ولايتك ،  
فقال أنت رجل فضولى فما شأنك لعلك حاكم الولاية ؟ قلت  
لا ، ليس هناك تعصب قومى يمنعنى من أن أخبرك باستنكار هذا  
العمل المشين ، ورأيت أن حالة الحاج الياور قد تغيرت دفعة

واحدة ، قال أنك تُهيننى ( يا بن المحروق ) ، فلو كنت فى إيران لكنت قد أمرت بضربك بالعصا ( يقول هذه الكلمات وهو يشتاط غيظا ) وعند سماع هذه التجاوزات ارتفع دمي فى عروق رأسى ، فلطمته دون خوف أو تردد مرات متعاقبة . وأمسكت بمجامع ثيابه وأطرت قلنسوته على الأرض ، وفى تلك الاثناء تجمع عدد من أتباعه ولم يتركونا ، كما تقدم رفيق من رفقائه وقال أتعلم يا بن بلدى مع من تتشاجر ؟ أنه حاجى ياور الذى له فى ولايته سبع قطع من الأرض الجيدة ، له البساتين والطواحين وهو فى بلده قائد فرقه . وهو فلان وفلان . الخلاصة أننى ارتعشت ، ارتعاش الحمى لشدة الغيظ ، وعدت إلى منزلى ، ألعن الشيطان <sup>(١)</sup> .

والآن ينبغى أن نتصور كم من البلايا ستلحق بمثل هذا الإنسان فى إيران من جراء لسانه وعلى كل حال فأنى لا استصوب سياحته لإيران بسبب هذه الملاحظات وكنت فى قلق تام عليه ، ولم يمر ثمانية أشهر على هذه المقدمة حتى ذات يوم اخبر خادم المنزل أنه قد عاد الضيفان اللذان قد سبق أن ذهبا إلى إيران ، إبراهيم بيك والعم يوسف - وأسرعت إلى البيت ودخلنا الحجرة بعد المصافحة والتعانق والترحيب ، قلت كنت قلقا عليك يا أخى ، ولو كنت اعرف مكان اقامتك لاستفسرت عليكم من

(١) هذا مثال بضربه الكاتب ليعين سرعة غضب الشاب إبراهيم بيك .

خلال ( المبرقة ) ، والحمد لله انكم عدتم بالسلامة ولعلكم لم تتعرضوا لمشاق الباخرة والسفر إن شاء الله ، قال : لا ، أننا واجهنا بعض العناء كتلاطم الامواج فى ( طربزون ) سرعان ما انتهى ... فى أى باخرة جئتم ؟ فى الباخرة الروسية . حسن وكيف احوالكم ؟ هى على ما يرام بفضل دعائكم ، والآن كيف قطعت طريق ( بادكوبه ) هذا السفر الطويل بالخييل والبغال ؟ وعلى أى نحو كان ؟ ولماذا لم تخبرنى قبل سفرك ؟ قال فى الحقيقة أنه خطر لى قبل التحرك بيومين أو ثلاثة الرغبة فى هذا السفر وبعد ذلك عزمنا على الرحيل ، والسبب فى ذلك هو اغا أحمد شیرازى ، ولا بد أنك تعرفه فائشاء تشریفکم لمصر كان یأتى أحياناً إلى بیتمکم <sup>(١)</sup> .

قلت نعم ، نعم تذكرت ، قال أن ذلك الرجل يتقاضى فى مقابل خدماته الصداقة لمدة أربعين عاماً ، خدم اثناءها أباک يتقاضى مائة وعشرين تومانا سنوياً من طهران ، ولكنه انقطع لمدة عشر سنوات ، وقد ذهب إلى طهران للحصول على ذلك واتضح له أن حقه كان یجىء إلى طهران سنة تلو أخرى ، إلا أن سفارة اسلامبول <sup>(٢)</sup> تعتبر نفسها وصية على الأموات وقیمة على الأحياء من الإيرانيين ، فتستولى فى كل يوم فى اسلامبول على مستحقاته

(١) يذكر الكاتب فى بعض الأحيان بعض الاسماء لشخصیات غیر معروفة إلا لديه .

(٢) السفارة الإيرانية فى اسلامبول .

كتركات سائر الإيرانيين التعساء فى إسلامبول وضواحيها ،  
فأكلت كل هذه الأموال بلا أدنى تفكير فى المسألة والمؤاخذه <sup>(١)</sup> .

المهم أن ذلك المسكين قد عاد ودخل ( مصر ) بعد طى  
وتجشم كل ذاك الطريق الطويل ، وتعرفون أنتم حالى أنه بمحض  
سماع خبر مجيئ هذا الرجل ، ذهبت لرؤيته وسألته عن طهران  
وأوضاع إيران قائلا : ما هى الأخبار الطيبة ؟ قال لا شئ ،  
قلت إننى أسأل عن وضع السلطنة وأحوال وزراء المملكة  
قال لا شئ ، وسألت عن انتظام أحوال الجيش والادارة  
البلاد قال : قلت لا يوجد أى شئ . قلت : عجيب  
حالك ، إلا يوجد فى هذه المملكة - إيران - وزير حربية  
وزير داخلية وخارجية ومعارف ووزارة مالية وضرائب ووزارات  
للزراعة والتجارة ؟

قال مجرد أسماء ؛ إذ يوجد أيضا المنشئ والكاتب بالفعل ،  
حتى أنه هناك سفيتان باليتان ترابضان فوق سطح الماء وللسفيتين  
وزير بحرية ووزارة ، ومن هذا المثال يمكن أن تستتج كيف يكون  
حال سائر الوزارات الأخرى <sup>(٢)</sup> .

(١) يتضح من هذه الفقرة أحوال الإيرانيين الفعلة الذين هاجروا وتركوا إيران بسبب الظلم  
والعسف خصوصا فى عهد ناصر الدين شاه .

(٢) وصف تهكمى ساخر يبين الاوضاع السيئة فى إيران بشكل موجز .



وحقيقة فإنه قد تعس حالى من كلمات هذا الرجل العابثة المضطربة ، فعدت للبيت وكل ليلة كنت أفكر ماذا يجب أن أفعل ؟ فأن ما يقولونه فى صدد البلاد ينبغى أن لا يكون له أساس من الصحة ، فى حين إن أبى المرحوم قد سمح لى بالسياحة وليس ببعيد أنك ترى البلاد الغربية مرات ولا ترى وطنك مرة واحدة ومن الأفضل أن أسافر لزيارة "المشهد المقدس" فاشاهد فى هذا السفر سائر مدن الوطن وعلى الأخص العاصمة ، ولو وجدت مكانا مناسباً للإقامة ، فأنى سأعود إلى مصر لايبيع ممتلكاتى وأرحل هناك مع الأهل والعيال ، فاقضى باقى العمر فى أرض الوطن الطاهر ممارساً عملاً بالتجارة أو الزراعة ، ثم قلت ليوسف عمى فى نفس اليوم : اعد حاجيات السفر ومتطلباته ، فإننا ستتوجه بعد غد لزيارة المشهد المقدس وللسياحة فى إيران ، وكان هذا منذ ثمانية أشهر ، فأتينا هنا وذهبنا ثم عدنا ، ونحن بصدد العودة إلى ( مصر ) .

قلت حسن ماذا رأيت ؟ وكيف حال المملكة والحكومة ؟ تنهد وقال : لا أنت تسأل ولا أنا ارد ، ليتنى لم أذهب أبداً هناك ، ولم أر كل تلك المساوىء لكأنت ذكرى وطننا بنفس الجمال ، قلت : إننى نفسى كنت أعلم أنك لن تقرعينا فى هذا السفر ، والآن تحدث عما رأيته فليس هناك ضرر ، قال كل ما رأيته وجرى لى قد كتبه كله ، وغدا أعرضه عليك فى " كتاب ( رحلتى ) وأقرأ بنفسك الكتاب فليس لى الحكم

عليه ، وعلى الرغم من أننى أكتب كل المساوىء وغير راض عنها . . . ولكن لما أن والدى المرحوم كان قد اوصى : ( اكتب كل ما تشاهده فى أى بلد تصله فقد يفيد يوما ، فلم اسلك خلاف وصية أبى . وكان قد مر جزء من الليل فتعشيت ثم قلت بعد ذلك ، إنك وصلت من السفر ، فاسترح مبكرا قدرأ من الوقت حتى تستريح من تعب الطريق اراحك الله ، قلت هذا وذهبت ونمنا .

وفى الصباح نهضنا وأدينا الصلاة ، وارتشفنا الشاى ، قال إبراهيم بيك : انهض يا عم يوسف وارقد ملابسك واحضر ملابسك الداخلية حتى تستبدل ما عليك ونذهب إلى الحمام .

وتعلم أننى لم أذهب إلى الحمام منذ سبعة أشهر ، وفتح يوسف عمى الحقيبة حتى يأخذ الملابس وقال : اولا اعطنى أوراق الرحلة ، ثم أخذ كتابا وأعطانيه وقال هذا كتاب رحلتى ، كتبت فيه كل ما رأيته بدون نقص أو زيادة ، فاقراً حينما تسنح الفرصة لك بذلك عند عودتنا من الحمام ، وأخذته بدورى ، ولما أننى اعلم أن القراء ينتظرون فصول الرحلة ، لهذا فأننى أكتب صورتها فيما يلى :

### **صورة كتاب الرحلة :**

فى السابع عشر من الشهر الفلانى ذهبنا إلى " المشهد المقدس " مع العم يوسف معلمى والذى هو فى الحقيقة فى محل

عمى وربما والدى ، وبعد ساعتين من مغادرتنا لمصر وفى أول الامر نزلنا بجانب الإسكندرية عند الشمندورة وفى نفس اليوم دخلنا ذلك المكان قبل الغروب بساعتين ، وقضينا تلك الليلة فى المدينة المذكورة ، وفى الغد توجهنا فى الساعة الرابعة بعد الظهر نحو اسلامبول ، وكنا قد حصلنا على تذكرة من الدرجة الأولى فى باخرة البرنس عباس الخديوى .

وكان الجو طيبا ، فقضينا اليوم كله فى المشاهدة على متن الباخرة ، ولم يكن معى أى رفيق إذ كنت أفكر مع نفسى ، وفى خلال ليلتين دخلنا إسلامبول ولم نتوقف قط اثناء الطريق ألا عند القلعة السلطانية مدخل بوغاز إسلامبول ، والقلعة السلطانية هذه ذات استحکامات عظيمة جدا ، وقد شيدت وفق الطرز الفنية ويقال أن ألف قطعة مدفعية قد أعدت فى مناطق متعددة منها ، ولا يمكن عبور أى باخرة من هناك بدون إذن حرس العبور ، ومن شاهد بنفسه هذا المكان سوف يصدق قولى ، وقد انطلقت باخرتنا بعد الحصول على الإذن ودخلنا إسلامبول ، ولما كانت الباخرة تتوقف بعيدا عن الشاطئ ، لهذا فقد كان ( مأمورو الجمرك ) يتجمعون بالقوارب التى لا حصر لها حول السفن الداخلة لتوها ، وأدخلونا بامتعتنا إلى الجمرك ، وبعد المعاينة نزلنا مباشرة بيت فلان أى منزل مؤلف هذه الرحلة <sup>(١)</sup> ومع أن صاحب البيت

(١) أقام زين العابدين المراغى فى روسيا ثم فى اسلامبول بتركيا : أنظر - سياحته : إبراهيم بيك ج ٣ ، ص ١١ ، ١٢

والذى كان صديقى العزيز لم يكن فى إسلامبول وقد قابلنا من ينوب عنه بالمنزل بمنتهى الاحترام بحيث أنهم لم يتركوا دقيقة من مراسم الضيافة ، وفى الحقيقة فقد احترامونا إلى الحد الذى أخجلونا به ، ومع أننى أعتبر المنزل مثل منزلى إلا أن غياب صاحبه قد زاد من خجلنا مع أننى أعتبر المنزل مثل منزلى ، وفى اليوم الرابع ختمنا تذاكرنا من سفارتى إيران وروسيا ، وتوجهنا نحو " باطوم " <sup>(١)</sup> فى باخرة النمسا فى الدرجة الأولى ، ودخلناها فى اليوم الخامس من السفر .

وقد جاء موظفو الجمر ك الروس وعابونا الأمتعه وختمنا التذاكر أيضا فى الباخرة ورأيت على الشاطئ مجموعة من الإيرانيين كانوا فى منتهى الفاقة والفقر ، فملابسهم كلها بالية وممزقة ووجوههم شاحبة وضعيفة فتحيرت وتأسفت لحالهم ، وفى تلك الأثناء أحاطت بنا جماعة منهم قائلين : لدينا مقهى جيدة أيها السادة ، ولدينا منزل أيضا ، وأرادوا أن يحملوا امتعتنا فإشار علينا واحد منهم بأن لا نذهب معهم ، فانتحى بالعم يوسف جانبنا وهمس فى أذنه قائلا لا تذهب إلى تلك المقهى ، فهؤلاء سفلة ولصوص ومحتالون ، والأفضل من هذا أن تذهبوا وتنزلوا فى فندق " ايمبريال " القريب ، وعلى الرغم من أن الليلة

(١) باطوم : مدينة وميناء مشهوران فى روسيا ويقعان على الساحل الشرقى للبحر الأسود ، انظر :

- دهخدا : لغت نامه ، شماره حرف (ب) ، ص ٤٤٨

فيه تتكلف أكثر من مئتين<sup>(١)</sup> ، إلا أنكم ستستريحون فيه من كل تعب .

قال يوسف عمى للحمال سنذهب إلى " فندق إمبريال " وهناك استأجرنا حجرة واحدة بمئتين عن كل ليلة ، وغنما الليل ، وخرجنا وقت السحر ، وأقبل مواطن فسألناه متى تتوجه السيارة إلى تفليس ؟<sup>(٢)</sup> .

قال يوجد سيارة الآن ، وأخرى بالليل ، ورأينا أننا لن نلحق هذه السيارة ، وقلنا من الأفضل أن نتجول في المدينة حتى المساء ، وسألنا عن اسم ذلك المواطن وبلده قال اسمى على وأنا لنكرانى .

وسأل هو بدوره من أين أتيتم ؟ قلت من مصر ، قال إننى قضيت فترة فى مصر ، واستفسر عن أحوال بعض الافراد ، قلت إننى أتعجب فأرى فى كل ناحية من البلد إيرانيا ، ولكن الجميع فقراء ذابلون وعاطلون ، وواضح أنهم جميعا معدمون ، قال المواطن ، نعم الإيرانيون كثيرون هنا ، ولما أن اليوم الأحد والأعمال معطلة ، فقد تجمعوا بهذا الشكل هنا وغدا سيذهب كثير منهم إلى أعمالهم ، قلت ماذا يعملون ، قال فعلة

(١) المن : عمله متداولة فى روسيا .

(٢) تفليس : مدينة قوقازية روسية عاصمة الكرجستان ومركز حكومة جمهوريات ما وراء القوقاز ، تقع على ساحل نهر ( ارس ) ، وقد فتحت فى عهد عثمان بن عفان ( ر ) .

- دهخدا : لغت نامه ، ج ١٣ ، شماره حرف (ت) ، ص ٨٢٣ .



وحمالون ، إلا أن أربعين أو خمسين منهم يبيعون الفواكه وبعضهم طبّاخون وبائعو ملابس ومتسكعون وفى حاجة إلى القوات الضرورى ، قلت كم عددهم ؟ قال : لابد أنهم أربعة أو خمسة آلاف ، قلت سبحان الله ايجاد فى هذه المدينة خمسة آلاف من الإيرانيين بهذا الوضع المهين والحالة البائسة قال أيها السيد العزيز : ماذا تقول كل المدن والقرى وحتى قرى القوقاز مكتظة بهذه الأعداد من الإيرانيين وأن النسبة إذا ما قورنت بسائر المناطق فهى قليلة جدا .

قلت لماذا تسمح دولة إيران لهؤلاء بالهجرة عن البلاد ؟ قال رحم الله أباك ، أسمع أخبارا عن يوم القيامة ؟ ( من يده فى الماء ليس كمن يده فى النار ) أولا : ليس فى إيران من أمن فلا عمل ولا خبز فماذا يصنع المساكين ؟ فبعض من تعدى الحكام وشئ من ظلم أمير الأمراء ورئيس الشرطة والعمدة ، هؤلاء اللثام حينما " يشتمون " إن أحدا من الرعية لديه خمسة شاهيات فأنهم يهجمون عليه بالف سبب يتصيدونه قائلين لواحد إن أخاك الجندى قد هرب من " الجيش " وقائلين لآخر أن بن عمك قد شرب الخمر منذ عدة أيام . أو أحد أقاربك قد لعب القمار ، حتى أنهم يلقون القبض على الجار فى مقابل ذنب لم يفعله جاره فيحبسونه ويجرمونه ، وإذا لم يفعلوا بأحد هؤلاء الأبرياء شيئا من هذا فإنهم يتهمونه بالف تهمة وإفتراء ، فهذا الذى جعل الناس تهجر الوطن ، فملأوا بلاد الروس والروم والهند وفى تلك

المناطق أيضا ليست جثثهم وجيفهم المحقرة فى راحة من السفراء والقناصل وأتباعهم<sup>(١)</sup> .

وترى هؤلاء المساكين الحفاة فى هذه المنطقة يعملون كل يوم من الصباح حتى المساء تحت وهج حرارة الشمس الملتهبة كفعلة ، فى حين أن الكفرة قد يشفقون عليهم<sup>(٢)</sup> ، وهؤلاء السفراء والقناصل والموظفون يضربونهم بالسياط بلا رحمة وبدون أى وجه حق ، ويأخذون من كل واحد أربعة من المئات كضريبة مالية كل عام وقد سمعت أن فى إسلامبول وسائر ممالك الروم تجاوزات أقسى وأنكى كثيرا من هذه ، وينبغى إعطاء السفارة كل ما يلزم من نفقة لها ، أى أن السفارة ليس لها أعمال غير هذا وإذا توفى واحد من هؤلاء الفعلة وكان يمتلك شيئا فأول من يسير فى جنازته موظفوا السفارة الذين يعتبرون أنفسهم الوارث الشرعى والعرفى وإذا لم يكن لدى أحد الفعلة شئ ، فإن جنازته تبقى ثلاثة أيام ولا يسير فيها أحد من موظفى السفارة ، وحتى يدفن الميت ينبغى أن يجمع له مال ، واليوم فإن هناك أربعين أو خمسين شخصا سجناء فى " باطوم " والقنصل لايهمه شئ فى هذا الصدد ، ولا يصغى الروس لأحاديثه ( القنصل ) ، فيقال مثلا إن فلانا تقاضى رشوة وتريد أن تطلق سراحه ، ولأنهم يعلمون جيدا

( ١ ) هذه الاحداث تبين بوضوح وجلاء كم يعانى السواد الاعظم من الشعب الإيرانى .

( ٢ ) المقصود حتى لو أن هؤلاء الإيرانيين العاملين على غير دين حكاهم فالمفروض أن يرفقوا بهم نظرا لسوء أحوالهم .

سلوكهم مع الرعية فأن مرور هؤلاء وأكثر منهم ، متعلق بوجود هذه الشرذمة المضطربة والمغتربة من الرعية هؤلاء الذين هم مكلفون بالمحافظة على حقوق الرعية ، هم أنفسهم الذين يقومون بسلب الرعية ونهبها ، فبهذا الشكل ماذا يمكن أن نتوقع من الأجنبي ؟ قلت إن دولة إيران لا تعلم شيئاً عن جرائم هؤلاء وينبغي أن تقدم مذكرة وأن يشكى فيها الظلمة . قال بالله إنها تعلم أفضل منى ، طالما أن الدولة لا تعطى شيئاً للموظفين الأجانب وربما تأخذ مبالغ كبير منهم ، فبلاشك لا يمكن مساءلة ( أحد ) لماذا فعلتم هذا وذاك ؟

ومن هؤلاء القناصل الذين تراهم فى ممالك الروم والروس " أصحاب اليد الطولى " تجد أنهم أخذوا من كل شخص الفين من المئات وأرسلوها إلى تلك المناطق ، وهؤلاء أيضاً ينبغي عليهم فى غضون عام أن يعرضوا مادفعوه من الرعايا المساكين جبراً وقسراً .

**الخلاصة :** إن هذا هو أول ألم اشعر به فى " باطوم " ويضيق منه صدرى ، وتنهدت الصعداء وعلى الفور خفق قلبى ، وكلما تجولنا لا أشعر بشئ وذلك من دهشتى وذهولى إذ إننى كنت مشئت الفكر حتى أقبل الليل وحانت لحظة تحرك السيارة ، وحصلنا على تذكرتين من الدرجة الأولى حتى تفليس ، ثمن التذكرة أربعة عشر منا . . . وأنعمنا على " على " ببعض المئات ، وودعناه وسرنا فى طريقنا ، وقد طوينا نصف الطريق فى نفس

الليلة ، ورأيت وقت السحر أثناء الطريق ، جبالا شاهقة جدا  
فى عدة مناطق ، وقد أخذت السيارة تسير تحت نفق لتقطع مسافه  
طويلة ، وأخذت أفكر مع نفسى قائلا : أن ذلك الإنسان نسخة  
كبرى من تلك الجبال الشاهقة التى شقها مسافة عشرة فراسخ ،  
وتحيرت من تلك السيارة التى تسير حول المدينة ، فى خلال عدة  
دقائق وهى كقطعة حديدية معلقة فى وسط ذلك الجبل ، وهمت  
مع نفسى ، وعندما تخلصت من دهشتى قلت لنفسى " همة  
الرجال تقلع الجبال " .

**الخلاصة :** كان هناك رجل ارمنى فى العربى ، فقلت له إن  
علم : الهندسة يصنع العجائب فشق هذه الجبال الصخرية وإزالتها  
وتسيير هذه السيارة فن بارع ويحتاج إلى نفقات بلا حدود ،  
قال : نعم فن بارع أنفق عليه كثيرا من الأموال ولكن العام  
الماضى أنفقت الدولة فى صدد السكة الحديد ستة عشر مليوناً من  
المنات لإنشائها ، وعلاوة على ذلك فهذه المناطق التى تراها  
أكثرها وديان لم تزرع وتخلو من السكان ويسكنها " الشياطين "  
واليوم بفضل بترول " بادكوبه " <sup>(١)</sup> فإن العديد من الملايين تصب  
من الممالك الأجنبية فى هذه المملكة وهذا الذى تراه فى كل شبر  
من القرى والقصببات من العمران ، ترى فى أرض إيران أمثال

(١) بادكوبه : أو باكوبه أو باكو ، اسم ميناء ويقع على ساحل بحر ( شور )  
بمدينة ( شماخى ) .

- دهخدا : لغت نامه ج ٨ ، شماره حروف (ب) ، ص ٢٤٧ .

هذه المعادن واليُنابيع وفيها الخير الوفير ، ولكن نظرا لغفلة الدولة وتكاسل الشعب فإنهم لم يستخرجوا تلك الكنوز الدفينة التي لاتعد ولا تحصى من باطن ارضكم ، ولهذا فإن مواطنكم يتدفقون على البلاد الأجنبية في غاية الذلة والهوان ، ويمارسون الأعمال المتواضعة مثل العمل في الفاعل أو كحمالين ، ويصل الأمر بكثير منهم " المواطنين الإيرانيين " إلى التسول ، والحقيقة أن كلمات ذلك الشامت ابن المحروق <sup>(١)</sup> كانت مثل سهم أصاب قلبي ، فماذا أصنع ، فلا يمكن المجادلة ولا مناص من أننى نهضت وذهبت مع آخرين فى ركن العربيه ، ونمت من شدة الضيق والسأم ، وعندما رأيت أن يوسف عمى يوقظنى من نومى قائلاً : انهض لتشاهد تفليس ، نهضت ولم يمر وقت طويل حتى توقفت العربيه عن الحركة ، واتضح أننا وصلنا ، وخرجنا من العربيه .

وقد حزم الحمال أمتعتنا فى العربيه ، وقلت سنذهب إلى فندق " لندن " كما أوصانا " على لنكرانى " فى باطور قائلاً : انزلوا فى ذلك المكان ، وبعد الوصول إلى الفندق المذكور استأجرنا الغرفة الليله بأربعة منات ، وبعد أن نظفنا وجوهنا ورؤوسنا - من غبار الطريق - قلت ليوسف عمى لنخرج فربما يظهر طاهٍ إيرانى فنأكل شيئاً ، وذهبنا لمحل مشهور اسمه

(١) هذا الرجل الذى يصفه المراغى بأنه شامت وسفيه سبرى إبراهيم بيك بعد ذلك أنه ليس شامتا ولاسفيها وأنه صادق فى قوله .



" شيطانه بازار " ورأيت هناك أن المطبخ يضم أكثر من باب ،  
وكله قذاره والأواني النحاسية كلها سوداء ورائحة المحل كريهة ،  
وفى نهاية الأمر وصلنا إلى محل كبابجى ولا مناص من أننا  
دخلنا وطلبنا كبابا واكلنا بالأيدى - دون استعمال الملاعق - ولم  
يكن أيضا هناك أثر للنظافة ، وبعد تناول الطعام شغلنا  
بالتجول فى المدينة ، ووجدت أن وضع الإيرانيين هنا أكثر بؤسا  
وشقاء مما هو موجود فى باطوم ، إذ أن الجميع يعملون  
بالأزقة فى الأعمال المتواضعة وفى الأعمال الخراسانية ، وقد دمت  
قلبى من رؤية تلك الأحوال السيئة والأعمال المضنية والتي تثبط  
همم أولئك والتي لا مناص من أن يتحملوها صاغرين .

**الخلاصة :** أن كل الأعمال المتواضعة والمضنية فى هذه  
البلدان منوطة بهؤلاء الإيرانيين البؤساء وقد سألنا مواطنا كان فى  
طريقنا إلا يوجد تاجر إيرانى هنا ؟ قال لماذا ؟ فى الخيام  
" خلتوف " و " بارون بكوف " وغيرهما هناك الكثير <sup>(١)</sup> .

وقد توجهنا إلى تلك الخيام ، وعندما دخلنا إحدى الخيام  
نظرت متفحفا فى كل ناحية فرأيت جماعة كانت قد جلست فى  
دكاكين وكل منهم حوله العديد من الأقمشة الحريرية وقماش  
" همدان " و " بروجرد " وكذلك قماش " يزد " وبعض الخيوط  
وفى تلك الأثناء رأيت واحدا وقد نادى على قائلا : إبراهيم بيك

(١) واضح حتى أن الاسماء روسيه وهذا يحمل كثيرا من المعانى . بمعنى أنه لا مكان  
للتجار الإيرانيين فى هذا المكان .

إبراهيم بيك ، فتوقفت وتقدم والقي السلام فرددت عليه التحية ، وقال يقينا إنك لا تعرفنى قلت إننى أعرفك ولن لا أتذكر أين عرفتك ، قال فى مصر أننى منذ عدة سنين جئنا مصر من زيارة مكة المشرفة ، وقد تعرفت عليك فى متجر حاجى ميرزا محمد رفيع ، وقد استضافونا ليلة فى منزلهم ، قلت ليس ببعيد ، سار بنا إلى دكانه ، وفى أثناء الحديث قلت يبدو أن هناك كثيرا من الإيرانيين فما شاء الله إنى أرى فى كل ناحية مواطننا إيرانيا ، ولكن يؤسفنى أن الكثير منهم مطحونون وبؤساء ، قال نعم الكثير ، قلت كما عددهم ، قال يقال إنهم حوالى ستين ألفا فى القوقاز ، قلت ما هو سبب غربتهم عن الوطن وهجرهم له ؟

والتى تجعلهم بهذه الأعداد يتوجهون نحو البلاد الأجنبية ويتحملون الذل والهوان ، قال من ضلال مملكة إيران وبطالة الناس وظلم الأقوياء للضعفاء وإهمال الرعية إنهم ( الحكام ) يضطرونهم إلى الهجرة إلى البلاد الأجنبية فى مقابل تومان واحد (هو ثمن التذكرة) ولا يسأل أحد إلى أين تذهب (أيها المهاجر) ؟ وماذا تصنع فى هذه القصبات والقرى البعيدة والقرية من الحدود ؟ إنها قبور وصخور القبور قلما يشاهد فيها اسم رجل ، وكل الأسماء أسماء نساء وكأن المدينة كلها نساء ، قلت ألا يوجد عمل آخر فهؤلاء كلهم فعلة ، فأجاب ليت الجميع كانوا فعلة ، فهم غالبا ما يمارسون السرقة والتسول ومن هذا القبيل فإنهم

يرتكبون فضائح لا حدود لها والتي نخجل لها ، قلت أذن ماذا يفعل القنصل وماذا يقول ؟ قال رحم الله اباك ، أن القنصل ليس له عمل سوى أن يتقاضى أربعة من المنات ثمن التذكرة وعدة منات أخرى تحت اسم الرشوة والجريمة ، فلو أن احدا توفى وكان يمتلك شيئا فإن هذا الشيء يثول إلى القنصل ، قلت ألا تستفيد الدولة من عائد تذاكر هؤلاء الستين ألفا والذي يصل عائد هذه التذاكر إلى مبالغ كبيرة ، قال وماذا تفعل الدولة ؟ أن نصف شاهى لا يصل إلى الدولة ، باستثناء ما يؤخذ من القنصل منذ اليوم الأول كهديه ( رشوة ) منه للدولة ، ولعل ما يؤخذ من الوزراء والسفراء وهو ما يصل للدولة هو وزر هؤلاء ووبالهم . وكل قنصل فى أى مكان يريد تذكرة فإنه يطبعها ويبيعها ولا ينتهى الأمر بالإيرانيين عند هذا الحد ، فإن كل لص ومحتال وسارق من الرعايا الأجانب يريد أن يأخذ أكثر من اثنين من المنات فإنه يصرف التذاكر ، ويرتكبون باسم إيران الجرائم والأعمال الخبيثة ، وحينما يصل الأمر إلى الحكومة الروسية يتضح بعد التفتيش وتقصى الحقيقة أنه قد صنع تذاكرته ( بيده ) وينبغى أن نلاحظ أن هذا الأمر يقلل إلى حد كبير من شأن الدولة فى أنظار الأجانب . وهذا السفير لن تبقى له مكانة فى أنظارهم ، وعندما وصل الحديث إلى تلك النقطة المؤسفة رأيت أن الغم والسأم قد سيطرا على وأخذ قلبى فى الخفقان ، فكان لابد من تغيير هذا الموضوع وتحدثت عن التجارة والبيع والشراء ، وسألت كيف

حال البيع والشراء والتجارة ؟ وأى المنتجات تتجونها فى البلاد ؟ قال : مثل شيت همدان وحرير ميلان وتبريز<sup>(١)</sup> وكل هذه الأقمشة باتت كاسدة بالنسبة إلى السنوات السابقة إذا كنا نتج كثيرا من الأقمشة والمنتجات أكثر ألف مرة من هذه الأيام وكنا نبيعها .

ولكن اليوم فإنه لا يُنفق واحد فى المائة ( على الأقمشة ) بالنسبة للأزمة الماضية ، إذ إنهم يغشون الأقمشة والالوان ويسرقون فى الأنسجة ، ويستخدمون الألوان اللامعة والبراقة والتي لا يرغب فيها المشترون بدورهم ، وسرعان ما تنتهى هذه الأقمشة وتنقرض من الوجود ، حيثذ ينبغي أن ترسل منسوجات " موسكو " الحريرية إلى إيران ، وأرى بنفسى كثيرا من الروس التجار فى خلال مدة وجيزة ، أسمع إنهم أنشأوا مصنعاً للنسيج وذلك بقليل من رأس المال ، وأصبحوا الآن من المليونيرات فى عدة سنين بسبب التفانى والاخلاص فى العمل ، وعلى العكس أعرف عددا من الإيرانيين قد جاءوا ، فى هذا المكان ومع كل واحد منهم ثروة كبيرة ، ومع ذلك اعلنوا جميعا إفلاسهم بعد عشر أو عشرين سنة ، ولما أننا لانهتم بالمصالح القومية والعامة ، فأنا نضيع منتجات البلاد فى سبيل المصالح الشخصية القصيرة الأجل ، ونعلم أن الحرير الردىء

(١) تبريز : مدينة فى آذربيجان ، وتقع فى الاقليم الخامس ، شمال غرب إيران .

- دهخدا : لغت نامه ، ج ١٢ ، شماره حرف (ت) ص ٣١٥ .

يصل كل المنازل ، ومن ثم لن يمر وقت طويل حتى تهمل تلك المنتجات بسبب الغش وتنقرض ، وفى ذلك الوقت فإن إضرار ذلك ستحقيق باهل البلاد ، والأُن كما قيل فى " تفليس " أن كثيرا من منتجات إيران قد انقرضت تماما ، وبسبب ذلك فأى إيراني من الإيرانيين يمتلك عشرة آلاف تومان كرأس مال سوف ينخفض رصيده عن ذلك ، والجميع يرتدون القلنسوات على رؤوسهم ويتسترون فى ثياب التقوى الورع<sup>(١)</sup> .

والسبب الرئيسى لهذه الأوضاع المؤسفة ، هو غفلة الدولة ، وتعود الموظفين على الرشوة ، إن الحكم لا يستقر فى البلاد من شؤم هاتين الكلمتين المنحوستين واللتين هما أسا خراب تلك المملكة العظيمة .

**الخلاصة :** إننى رأيت أنه ليس فى وسعى أن أسمع مثل تلك الكلمات وسألت متى تتحرك عربة " بادكوبة " ؟ قال أول الليل ولكن لن ادعكم أن تذهبوا واصر اصرارا شديدا فاعتذرت ، وقلت بارك الله فيك ، ينبغى أن أذهب ، وودعته ، وذهبنا مباشرة إلى الفندق ، وعلى الرغم من أن مدينة تفليس تعد من المدن الكبرى والجديرة بالمشاهدة ، لكننى حزنت وتأثرت من هذه الأحاديث ودهشت ونمت قدرا من الوقت ، واستيقظت عند تحرك

(١) إشارة من الكاتب إلى نفاق التجار وغشهم للسلع ، فالتجار أتقياء فى الظاهر وغشاشون ومحتالون فى الباطن .



العربيه ودفعت أجرة الفندق ، وأخذنا دليل الطريق وسرنا  
فى دربنا ، وأثناء الطريق كنت مشغولا بالحالة المضطربة لهذه  
الامة التائهة عن موطنها وقد عاش أفرادها فى أسوأ أوضاع الذل  
والهوان فى الغربه بعيدين عن ديارهم <sup>(١)</sup> . تناولت السيجارة  
وأنا اتاوه متأملا ، وفى النهاية قلت لنفسى من شدة تأثرى ،  
ينبغى علىَّ بعد هذا ، أن أمضى فى مشاهدتى لوضع الوطن  
وحالة المواطنين وكتابة كل ما اشاهده ، والذى كله مثير للهم  
والحزن ، فاتسع نطاق وصية المرحوم أبى ، وفى الغد اثناء العصر  
دخلنا ( بادكوبه ) وذهبنا لتونا إلى فندق القوقاز ، وكانت اجرة  
هذا الفندق رخيصة . فالليلة تساوى واحدا من المنات ولكنها  
قدرة جدا ، وكان العاملون به غير مهذبين ، ولما كنا لن نمكث  
فيها أكثر من ليلتين ، فلم نغيره ، وأكثر المقيمين فيه كانوا من  
المسلمين وكان كل واحد فى المكان المخصص له يطهو الطعام  
والكباب لنفسه ، وكان بعضهم يدخن النرجيله ذات الأفيون ،  
فقلت لىوسف عمى لنخرج قدرا من الوقت كى نتجول فنتخلص  
من رائحة الأفيون الكريهة والتى لاتنقطع ، وخرجنا ، وقال أحد  
العاملين : أيها المواطن لو كان لديكم شيء أى مال أو أشياء  
نفيسة فلا تتركوها هنا ، فلو سرقها سارقا فلسنا مسئولين عنها ،

(١) هنا يشير الكاتب إلى أحوال الإيرانيين الذين تركوا إيران بسبب ظلم الحكام فتركوا  
إيران ليعيشوا مغتربين عن وطنهم فى القوقاز والهند وغيرها من البلاد حيث يعملون كفعلة  
وحمالين وكذلك فى كل الاعمال المتواضعة .

قلت مفتاح حجرتنا فى جيبى ، قال ليس لى شأن بالمفتاح ، وقال أنا بلغتكم والسلام ، قلت لا تخف فلا نملك سوى بعض القمصان والملابس الداخلية ، ولسنا تجارا ولا صرافين ، وأخذت أضحك وأتعجب من حالة الخادم .

**الخلاصة :** خرجنا وذهبنا إلى شاطئ البحر ، ونظرنا على الضفتين ، ورأيت ما رأيته فى ( باطوم ) إذ رأيت حشدا من مواطنينا يجلسون تحت لهيب الشمس جماعة جماعة ويتنازعون فيما بينهم ، ورأيت من ناحية أخرى أناسا وقد تجمعوا حول فرد واحد وقد أخذوا يضربونه ضربا مبرحا ، ويقولون فى صوت عال اضربوا هذا ( المواطن ) ابن المحروق وراح كل من أقبل على هذا المواطن ، يضرب مع الضارين ، وسألت ما ذنب هذا المسكين ؟ ومن هو ؟ وماذا جنى ؟

قالوا إنه إيرانى وعامل من عمال إحدى السفن والتي يمتلكها رجل مسلم ومن أهل ( بادكوبه ) ، والضاربون أيضا من عمال السفينة ومن أهل بادكوبه ، قلت كيف يضرب هذا المسلم ذلك المسكين الأعزل الغريب والبرىء ؟ قال ذلك الشخص : أن أهل بادكوبه لا يرحمون الإيرانيين ، واردة أن اتدخل ولكن ذلك الشخص كان حكيما فأثنانى عن ذلك الأمر فقال لا تذهب حتى لا تلقى ما لاقاه " ذلك المواطن المضروب " وواضح أنك غريب عن هذه المدينة ونحن نرى يوميا مثل هذا كثيرا فنسكت على مضض عاجزين ، فاللهم اقتص لنا ممن كانوا سببا فى هذا البؤس

والشقاء والذل والأيام السوداء <sup>(١)</sup> . فضاعفت هذه المنغصات  
الجديدة من حزنى والى السابقين .

ولامناص من اننى تقدمت نحو طريق المرسى ، وتوجهت  
لحظة تحرك السفينة نحو ( اوزون آدا ) وقيل أن هناك باخرة  
ستذهب غدا ، لكن سيرها سيكون على سواحل غير مستقيمة ،  
وهى ستحمل ركابا وحمولات لمناطق مختلفة ، وهناك  
أيضا باخرة أخرى ستذهب إلى ( اوزون آدا ) مباشرة ، لكنها  
ستتحرك بعد أربعة أيام قلت لنفسي إن البقاء هنا مدة أربعة أيام  
فوق سطح البحر أفضل من الإقامة فى هذه المدينة ، وأفضل أيضا  
من مشاهدة أولئك الناس المظلمة القاسية قلوبهم ، وعدت  
من هناك مسرعا ، وكلفت عامل الفندق أن ينهى إجراءات التأشير  
على التذكرة حتى نذهب فى الصباح ، وشغلت ثانية بالتجوال  
فى المدينة ، فهذه المدينة خالية من البساتين والورود والأعشاب ،  
لكن عمائرها شاهقة فى الإرتفاع ، ومحالها التجارية كبيرة  
جدا ، والى فى الغالب من ممتلكات المسلمين والأرمن ،  
وقد جمعوا كل تلك الثروة بفضل البترول ( الذهب الأسود )  
والذى يختفى تحت سطح الأرض عن معظم المعادن الأخرى .

(١) لاشك أن هذا الدعاء المقصود به الملك ورجال البلاط وباقى الحكام الذين تسبوا فى  
تشريد المواطنين الإيرانيين .

ومما يقال إن عددا من المسلمين هناك ومن بينهم " حاجى زين العابدين تفى يوف " والذي جمع ثروة تقدر بملايين المئات وشخصيته جديرة بالاحترام والفخر ، بسبب ذوده عن حمى الإسلام ، فإن جميع المواطنين يذكرونه بالخير ، وخاصة الشعب يذكر اسمه بكل فخر واعتزاز وهو ذاته من المتعصبين والغيورين على الإسلام فليكثر الله من امثاله بين المسلمين .

وهناك عددا آخر من التجار الإيرانيين أيضا ، ولما لم أكن أعرف أحدا منهم ولم أقابل منهم أحدا ، وقلت ليوسف عمى بعد السفر إلى إيران ينبغي أن نشتري سكرا وشايا وزيتا وأرزاً ، واشترينا ثلاث عشر أوقيه من الأرز ولكن كان غاليا جدا ، فسألت عن السبب ، قالوا بسبب القحط فى دولة إيران ، وقد أمرت الدولة الإيرانية وبشكل قاطع بأن لا يصدر إلى الخارج (الأرز) لهذا فقد ارتفع ثمنه بسبب ندرته لمدة شهرين <sup>(١)</sup> .

**الخلاصة :** أننا قضينا يوما ، ودخلنا الفندق ، كى نستريح قليلا ، ومن كثرة البق والبراغيث فقد استحال النوم أن يقرب من اجفاننا حتى تنفس الصبح . وبعد أن ادينا ركعتين لله المعبود

(١) هنا لا يريد الكاتب ارزا ولا زيتا وإنما اراد أن يبين ندرة الاقوات فى إيران وكيف كانت الطبقة الدنيا فى المجتمع الإيراني آنذاك كانت تعاني من احتكار فئة الاقطاع وبعض التجار لهذا السلع بفرض رفع اسعارها ، أو لأن الزراعة فى إيران كانت متخلقة شأن كساد التجارة واهمال الصناعة فى البلاد ، وكله بالطبع ناتج عن سوء الإدارة فى البلاد وكذلك استغلال الإقطاع للزراعة والفلاحين وسلبهم أراضيهم مما أدى إلى هذه النتيجة المتوقعة .

ذهبنا على عجل إلى السفينة وهناك شربنا الشاي وتحركت الباخرة قبل الظهر بثلاث ساعات ، وفي الغد رسونا عند ميناء (انزلى) <sup>(١)</sup> وكان الجو طيبا جدا ، وخرجنا من الباخرة إذ كانت "الباخرة" تفرغ البضائع من ناحية ، وتشحن الأرز من ناحية أخرى .

وسألت شخصا شيروانيا كان هناك بقولى : كانوا يقولون فى " بادكوبه " أن خروج الأرز من إيران إلى الممالك الأجنبية ممنوع منعاً باتاً ، فكيف الآن يشحنون كل هذا الأرز ؟

قال : ( ذلك الشخص الشيروانى ) متى وفى أى مكان نفذت أوامر الدولة الإيرانية حتى تنفذ هنا ؟

أجل إنه ممنوع منعاً باتاً من طهران ، ولكن حاكم الأقليم لم يهتم بالأوامر ، فهو يأخذ على كل جوال أرز فى ( رشت ) قرانا واحدا ، وفى انزلى " نصف قران " <sup>(٢)</sup> ( رشوه ) حتى يسمح بخروج ألف أو ألفى جوال فى كل باخره ، ولعله من المشاهد أن أى قارئ من القراء يمكنه أن يرى كم أصاب ذلك السائح المسكين من المنغصات ، وكم أصابه أيضا من الصدمات الشديدة ، فى كل خطوة يخطوها .

وقبيل العصر أتمت الباخرة حمولتها ، ثم سارت وكانت

( ١ ) انزلى : الاسم السابق لميناء بهلوى ، ويقع على ساحل بحر الخزر فى شهريرور .

- دهخدا : لغت نامه ، شماره ( حرف ) : ١ : ٤ ، ص ٣٩٦ .

( ٢ ) القران : عملة فضية متداولة فى إيران ، وتساوى عشر التومان الذهبى .



الباخرة تتوقف عدة ساعات فى كل ميناء من موانئ ( سارى )  
و (مشهد بابلسر ) من أجل الشحن والتفريغ وقد رأينا فى كل  
ميناء من هذه الموانئ العديد من المنغصات ، ومضت بنا الباخرة  
وحتى هذا الوقت وصلنا ( أوزون آدا ) فى اليوم الرابع ،  
ومن هناك دخلنا ( عشق آباد ) ويدون توقف استأجرنا عربة ذات  
أربع خيول بخمسه وأربعين من المئات ، من أجل زيارة المشهد  
المقدسى ، تلك الزيارة التى كنت أتمناها منذ سنين طوال ،  
وسرنا فى طريقنا حيث رأينا بعض المواطنين فى ( عشق آباد )  
بنفس الحالة التى كنا قد رأيناهم عليها من قبل فى المدن السابقة  
ثم حططنا رحالنا فى أحد الأماكن ، وفى الصباح تحركنا ،  
وبعد طى مسافة طويلة وصلنا عند حدود إيران وروسيا ،  
والتي هى جزء من أرض طوس<sup>(١)</sup> ، وقد أقام الروس عند حدود  
( عشق آباد ) العمائر الشاهقة الفخمة ، وقد وضعوا فى كل  
ناحية الموظفين وجنود المراقبة والاستطلاع ، وقد عطلونا  
مدة نصف ساعة من أجل التأشير على التذاكر ، ثم سمحوا لنا  
بالمرور ، وبعد عشر دقائق من السير وصلنا عند إحدى المناطق  
حيث يشاهد بها بعض الإشارات والعلامات ، وقال السائق :

(١) طوس : مدينة بخراسان تقع على بعد عشرة فراسخ من نيسابور ، وقد فتحت فى

عهد عثمان بن عفان (ر) .

- معجم البلدان : ج ٣ ، ص ٥٩ .

- هنا يلمح المؤلف إلى الأراضى الإيرانية التى استولت عليها روسيا وأصبحت ضمن

ممتلكات الدولة الروسية .

فى هذه الناحية أرض إيران ، وفى تلك الناحية أرض الروس ،  
قلت للسائق ينبغي أن نتوقف قدرا من الوقت فلدى عمل ما ؟

وظن السائق أن لدى عملا آخر ؟ فقال اصبر قليلا فإن الماء  
قريب فانزل هناك ؟ قلت لست فى حاجة إلى ماء فإن أمرى  
يتعلق بالأرض ؟ وتوقفت العربة ونزلت ورفعت قبضة من تلك  
الرمال الطاهرة ولثمتها وشممتها ثم مررتها على عيني ، وقلت  
أيتها التربة الطاهرة ، يا كحل الجواهر ، إنى أشكر الله أنه أحيانى  
حتى شاهدتك ، واضاء العين برؤيتك ، فأنت مأمّن الاخيار ،  
ومدفن الأجداد ، وأنت التى نشأتنا فى المهد على نعمك ،  
فترعرعنا وتنعمنا على عزك ، ولا يمكننا أن نوفى لك حقك  
إلا بأن نكون محبين لك ، فكم هو سام وعظيم ذلك الحق ،  
وقد قرن الرسول عليه الصلاة والسلام بين معرفة حبك  
والإيمان ، فماذا أقول فى وصفك إلا أنك ذات قدر عال .

**الخلاصة :** إننى أجهشت بالبكاء ، وفجأة انهمر بكائى على  
الأرض المقدسة ، وقد بكيت فرحا بتحقيق أمنية القلب العليل ،  
وهكذا أعلم أن لذة ذلك البكاء ستخلد حتى النفس الأخير فى  
أعماقى ، وقد نظر السائق نحوى دهشا ، وقال : وهو فى قمة  
الدهشة : هون عليك أيها الشاب ، إننى اتردد على هذا الطريق  
منذ سنين عدة وأراك أول إنسان يعز تراب بلاده هذه المعزة ،  
وقلبى أنا أيضا جريح من هذا الطريق ، فنحن من أهل "كنجه"

وأنا مثلك لى حكاية مع أرض الوطن ، وقد ابتليت بلادنا بالشقاء  
والبؤس وذلك لعدم مبالاه اسلافنا ، وكما تعلم الآن أن صوت  
(الناقوس) يحل محل ( صوت المؤذن ) <sup>(١)</sup> ، وماذا يمكن أن  
نعمل ، لو أن دولة إيران كانت دولة بمعنى الكلمة ، وكان فيها  
القانون والنظام والمساواه <sup>(٢)</sup> ، ولم تباع الرعية للحكام بقيمة  
الحيوانات ، لكننا هاجرنا إلى إيران وما تحملنا سيطرة الأجانب  
هنا والذين هم عدو كل شئ لدينا .

قلت ما اسمك أيها العم ؟ قال عباس ، فأثنت عليه .

**الخلاصة :** إننا تحركنا حيث يحدونا الأمل ، ووصلنا بعد  
عشر دقائق إلى كوخ بال ، وقد جلس أربعة أشخاص حوله تحت  
حرارة الشمس الشديدة يدخنون النرجيلة ، ونادى شخص من  
بينهم : أيها المواطن هات تذاكركم ، قال السائق هؤلاء موظفون  
فى إيران ، ويريدون أن يعوفوا قيمة التذاكر ، وتقدمت والقيت  
السلام فلم يردوا على التحية ، وسأل شخص من بينهم كم  
شخصا أنتم ؟ قلت ترى إننا لسنا أكثر من شخصين ، فلم السؤال  
والجواب ؟ قال : هات تومانيين .

(١) هنا يشير زين العابدين المراهى إلى تقلص الإسلام فى هذه المناطق .

(٢) هنا يلفت الكاتب القارئ إلى أصول الحياة النيابية ، والتي تقوم على الدستور والذي  
يشمل القانون والمساواه والنظام ، ويلفته أيضا إلى الأوضاع السيئة فى إيران حيث حكم ناصر  
الدين شاه ، وفى هذا الوقت بدأ الكتاب المستيريون عموما فى التحدث عن الحرية والقانون  
والقومية .

ولم اعترض ، فقال : اذهبوا بالسلامه ، ولم يسأل عن تذكره  
ولم يحدد موعدا ، فمضينا متعجبين ، وعند الغروب وصلنا  
إلى قرية صغيرة ، واسترحنا هناك حتى منتصف الليل ، وسرنا  
فى النصف الثانى من الليل ، وقبل تنفس الصبح بقليل وصلنا  
المدينة ، فرأيت عددا من السادات قد جلسوا هناك ، واتضح أن  
السادات قد اتوا هنا من أجل ارشاد الزائرين ، فتحلقونا وأخذ كل  
واحد يدعونا بلهجة معينة ، فوعدنا واحدا من بينهم بالزيارة  
ونزلنا عند حافة أحد الينابيع وبعد تجديد الوضوء واداء الصلاة  
ارتشفنا الشاى ، وتناولنا بعض طعام الارز بمساعدة ( اغاسيد ) ،  
وسرنا فى دربنا ، وقد جاء آغاسيد فى عربة ورأنا ، وبعد مسيرة  
نصف ساعة رأينا القبة المباركة للروضة المطهرة والتي هى آية من  
آيات الكعبة وعلامة من علامات الجنة ، فتحسرننا ومشينا ثانية  
وقرأنا ما يقرأ عند الزيارة ، وقد دخلنا تلك المدينة ونحن فى ذروة  
الاشتياق ، وقد بدت تلك المدينة جنة ، وذهبنا مباشرة إلى منزل  
اغاسيد ، وكانوا قد اعدوا غرفة لنا ثم وضعنا امتعتنا ، وبعد  
تناول الغداء ، أخذنا ملابسنا من قميص وسروال ، وذهبنا إلى  
الحمام مع يوسف عمى وأغاسيد كى نغسل أجسامنا ونستبدل  
ملابسنا تبركا وتيمنا بالروضة المطهرة ، وعندما دخلنا الحمام  
أوشكت رائحة الماء الأسن أن تخنقنى من بُعد ، وكانوا قد اطلقوا  
على المكان العميق والذي به الماء المتعفن والمخزون اسم ( الخزينه )

وبعبارة أخرى " حوض الماء " ، وكان ماؤها من كثرة القذارة قد تغير لونه ، وكانت رائحته الكريهة ، تجعل الإنسان فى اضطراب ، واتضح بعد قليل من التأمل أن هذا الماء الآسن هو أس كل الأمراض المعدية ، إذ أنه كان يرتادها الأعمى والأقرع والجريح دون استثناء ليل نهار من الرجال والنساء ، مستحمين وسط هذه المياه الضحلة الآسنة لمدة ثلاثة شهور ، وفى الحقيقة أننى تعجبت كثيرا أن أحدا من أعلام هذه المدينة وعلمائها لم يفتن لتلك الأمراض الناجمة عن هذه المياه الآسنة ، ويعتبرون أن اسم هذه المياه مزيلة لكل تلك الأمراض ، وفى اعتقادى إن كل شخص يقول عن تلك المياه إنها طاهرة قد أهان الشريعة الغراء ، إذ إن الشارع المقدس قد أمرنا بالنظافة وحشنا عليها ، وهذا الماء أس كل قذارة وعفونة لكثير من الناس ، فلونه ورائحته تغيرا إلى ذلك الحد بحيث صار موضع نفور الناظرين ، فكيف يمكن أن يكون طاهرا نقيا ، وفى حمامات سائر البلاد الإسلامية مثل مصر والأقاليم العثمانية (نجد) مثلا أن ماء الاغتسال محفوظ وجار ونقى وبإمكان كل شخص أن يغتسل من الناحية التى يريد ، ومن ناحية أخرى فهناك ماء بارد يتبعه ماء دافىء وصاف .

وعلى كل ذهبنا إلى الحمام نظيفين ، وخرجنا منه متسخين ، وقال أغاسيد : لتبق صرة الملابس فى الحمام ، ولنذهب من فورنا لكى نزور الروضة المطهرة ، قلت : كلا فالآن ينبغى أن أذهب إلى البيت فإن لى عملا ما ، وبعد ذلك نذهب لكى نقوم بالزيارة



ولما وصلنا إلى البيت قلت لاغاسيد : تفضل حتى يشعلوا  
« السماور »<sup>(١)</sup> ويأتوا به ، قال ليس هناك وقت ، قلت أريد أن  
أغتسل حتى أزيل قذارة ماء الحمام ، قال : يا بني أن مياه الخزينة  
« الحوض » طاهرة ونظيفة قلت لن أتحدث بصددتها ، ولكن هي  
قذرة وآسنة ، وعلى كل حال فقد سُخِّنَ الماء واغتسلت ثانيه  
واستبدلت ملابسي وقطعت عهدا على نفسي أن لا أذهب ثانيه  
إلى حمام فى إيران ، وقد سرنا بعد ذلك عازمين زيارة الإمام  
الثامن والذي كان منتهى آمالى ، وبعد دخولنا الروضة المطهرة  
وتقبيل عتابها ، لفت انظارنا انا وآغاسيد مواضع معينة فى  
الروضة ، وقرأنا مايقراً عند الزيارة ، ومن بركة ذلك المقام  
المقدس والذي هو لطف من جنة وآية من رحمه - أن مُحى كل  
العناء الذى تجمشناه فى الطريق من ذاكرتى ، وأن لسانى وبيانى  
( أنا العبد المذنب ) لعاجزان عن وصف تلك الروضة الطاهرة  
والجنة الحقيقية ، فماذا أكون أنا حتى أعبر عن الوصف الظاهرى  
والباطنى للبنة من لبنات تلك العتبة المقدسة ، والتى هى ملثم  
العلماء السامقين ، أولئك من لديهم تفسير الباطن وقد نالوا المرتبة  
بفيض زيارة تلك العتبة العلوية ويعلمون أى بساط مقدس ومقام  
روحانى سامق ؟ فليس هناك هم أو حزن يمكن أن يصيب الأمة  
طالما أنت المتكأ والملجأ ، وأى خوف من موج البحار وأنت سفينة

(١) السماور : وعاء معدنى فى وسطه مكان لاشعال النار ويستعمل لغلى الماء وصنع الشاى  
- عبد النعيم محمد حسنين : قاموس الفارسية ، ص ٣٨٢ .

نوح ( النجاة ) ؟ ( بلغ العلى بكماله ، كشف الدجى بجماله ،  
حسنت جميع خصاله ، صلوا عليه واله ) .

وبعد إنتهاء الزيارة ، أقمنا الصلاة جماعة وخرجنا ، وقد  
حظينا بشرف هذه العوالم مدة اثنين وعشرين يوما صباحا وظهرا  
ومساء ، وكنا نشاهد كل يوم ضاحية من المدينة ، وعلى سبيل  
المثال ذات يوم ذهبنا إلى مستشفى العتبة مع اغاسيد ، فكم هي  
رديئة تلك المستشفى لدرجه أن كل مريض يذهب إليها هناك ربما  
يهرب إلى مكان آخر عل الله يشفيه بلطفه ، فليس هناك طبيب  
مجرد أو علاج ، وليس هناك أثر للنظافة وسائر لوازم  
المستشفى ، وبهذه الحجة يبدد المشرفون الظلمة مبالغ باهظة سنويا  
من الخزانة الملكية .

وعلى هذا النحو كان يقول أغاسيد : تصل قيمة الممتلكات  
الموقوفة على العتبة المقدسة كل عام إلى مايزيد على مائتى ألف  
تومان كدخل سنوى ، ويضيع السفهاء الذين لادين لهم ، كل  
هذه الثروة على مسميات مختلفة خاصة بهم ، فى حين أنهم  
ليس لهم الحق أن يتصرفوا فى شئ من تلك الثروة ، وعلى سبيل  
المثال فإنهم يطهون باسم الحفاوة بالزائرين كل ليلة مايقرب من  
حملى حمار من الأرز مع سائر متطلباته ، ويذهب كل هذا إلى  
بيوت أثرياء المدينة وأقربائهم الذين ربط كل واحد منهم اسمه  
بالعتبة المقدسة ، وقلما يرى الزائرون والغرباء وجه الحساء أو الارز  
ويقنع بعض كبراء الدولة بأقل شئ من " مائدة السلب والنهب "

(الرشوة) فلا يتدخلون ابداً ويبدد الحاكم وأتباعه كل هذه الأموال الطائلة أدراج الرياح ، وفي بعض الأحيان قد يعتدى الحكام على الناس ومع ذلك ليس هناك رادع أو معاقب أبداً ، ويمكن القول أن أهل المدينة أثر الناس في قسوة قلوبهم ، إذ يطلبون عند المعاملات التجارية في الشيء الذي يساوى تومانا ، يطلبون خمسة تومانات ، ويقسمون بالعتبة كذباً عند كل حديث بلا أدنى خجل ، وكنت أنا نفسى قد اشتريت شيئاً من السوق ، وطلب (التاجر) منى ثلاثة تومانات كثرمن له ، وأقسم بالعتبة أربع مرات ، وفي نهاية الأمر اعطاه لى بسبعة قرانات .

والأدهى والأغرب من كل هذه المصائب هو رؤية وضع الجنود فى تلك المنطقة المتاخمة والتي تجعل الإنسان يصُعق من مشاهدة تلك الأحوال ومخاطر ذلك الوضع ، وذات يوم ذهبنا للزيارة مع سيد ( أغاسيد السابق الذكر ) ، فرأيت عدداً من الأفراد كانوا قد مروا بنا فى ملابس قطنية باليه جدا ، وقدرة لايتضح لونها ، ويسرون فى أوضاع مختلفة وعلى رأس كل منهم قلنسوة رديئة للغاية ، وكانت أرجلهم متسخة ، ويحمل كل واحد منهم بندقية فى يده ، وكان بعضهم يناهز الخمسين عاماً والبعض الآخر شباب فى سن العشرين ، وسألت اغاسيد : ايعمل هؤلاء فى الفاعل ؟ وما هذه البنادق ؟ قال يا عزيزى هؤلاء جنود الدولة وحمايتها ! ،

وكانوا يقومون بالحراسة الليلية فى الحصون ، والآن أخذ زملاؤهم أماكنهم ، فأقبلوا على السوق ، والآن سترى أن منهم الجزار والرقاع والصرّاف وبعضهم باعة فاكهة ، وهم يسرحون من الجيش فى مقابل تقديم الرشوة لضباط الجيش من العقداء والعمداء ، وعند سماع هذه الحادثة اظلمت الدنيا امام عيني ، وتأوهت تأوها كله ألم وحزن .

قلت يا الهى كل هذا جزاءً على المجادلات المتعصبة التى صنعتها مع الناس فى " مصر " بدون وجه حق وعلى رأسها هذه الأمور ، وكل ما كانوا يقولونه من هذا القبيل لم أكن أصدقه وكنت أتشاجر معهم وأسىء إليهم ؟

قال " سيد " الأسوأ من كل هذا ، أن هؤلاء الجنود كلما حصلوا على مكسبة أو غنيمة ، فإنهم يتقاسمونها فيما بينهم ، وكل ما يتبقى مما حصلوا عليه فإنهم ينفقونه على تعاطى الأفيون وتدخين الرجيلة ، فذهلت وسألت : هل هؤلاء الجنود من داخل البلاد أم من سائر المدن الإيرانية ؟ قال أنهم غرباء ، فهؤلاء من جنود ( خلخال ومشكين ) وحراسة المدينة موكلة إليهم ، وهم يتغيرون كل عامين أو ثلاثة .

وبعد ذلك قال " سيد " أن كثيرا من الزائرين يأتون هنا لكى يتمتعوا بالإقامة لعدة أيام ، ولو أنت نفسك لك رغبة ،

فقل لى حتى أعد الأمر ، قلت لو أقسمت على أن أمضى هنا أياما معدودة ، فسوف أضيق بذلك كثيرا ، قال : إنك تمتع نفسك فلماذا أقسم عليك ؟ قلت من الواضح أنك لست مطمئنا وأنا لم أكن أفعل أمراً يخالف الشريعة فى الغرب ، مثل ما يحدث فى هذا المقام المقدس ، والأرض الطاهرة نعوذ بالله أننى كنت قد سمعت كثيرا ، أن بعض الأشرار يرتكبون المحرمات فى ( المشهد المقدس ) ولكن لم أصدق ... أنه لادعاء ظالم .

خلاصة الكلام أننى أوصيت يوسف عمى حتى يعد ما يتطلبه السفر إلى طهران بعد الإقامة مدة اثنين وعشرين يوما فى الأرض الطاهرة ، فأجاب يوسف عمى أننى لم أكن أرغب فى هذا السفر يا حضرة اليك ، أولا : أننى أشكر لآئننى حظيت بخدمتك على زيارة هذه التربة المقدسة ، والتى هى أساس سعادتى فى الدارين ( الدنيا والآخرة ) ، والآن فإن لى طلبا عندك وآمل أن تقبله منى قلت تحدث ، قال : هيا اصغ إلى طلبى وهو أن نعود إلى مصر من نفس الطريق الذى جئنا منه ، فإننى أعلم طبعك جيدا ، فإنك ترى كل يوم فى هذه المدينة من المنغصات ما يحزنك ، وأخشى لا قدر الله أن تمرض وتموت ، فحيثذا ماذا أقول لوالدتك ؟



فقد رأيت جزاء من إيران ، " فطهران " مثل " خراسان " ،  
والجزء نموذج لكل ، ( والسنة الطيبة تبدو من ربيعها ) ، فماذا  
سترى فى طهران من الأشياء ما يرضيك ؟

قلت يا عم يوسف أعلم أنه علاوة على وصية أبى فإننى لم  
أقصر فى واجبك ، واعتبرك خلفا لأبى ، ولكننى أرجو أن  
لا تمنعنى قط فإننى لن أراجع عن عزمى . وانشى أن يصدر منى  
ما يخالف وصيه أبى ، وهذه السباحة متعلقة بى ، فحينما لا  
أذهب بنفسى إلى " طهران " ، ولا أصل لخدمة وزراء المملكة  
وامرائهما ، ولا أتقصى الحقائق عن أسباب غفلتهم بمقابلتهم  
وجها لوجه وسؤالهم عن أسباب شقاء الشعب وخراب الدولة  
فأن قلبى لن يستريح ، فأما أقضى نحبى فى سبيل هذا الهدف ،  
أو أن اتعرف على أسباب هذه الأوضاع المؤسفة والسلام .

وتنهى يوسف عمى المسكين على مضض ، ولم يتفوه  
بكلمة قط ، وذهبنا بصحبه (سيد) لكى نستأجر حصانا إلى خارج  
المدينة حيث مسكن المكاريين ، واستأجرنا من " حاجى حسين "  
السائس القزوينى ثلاثة خيول بعشرين تومانا حتى " طهران " ،  
رأسان من الجياد حملنا والجواد الثالث لحمل امتعتنا حيث سرنا  
بعد يومين ، وقد ذهبنا فى الصباح إلى الروضة المقدسة لزيارتها

وودعناها ، وخرجنا من تلك اللجنة الحقيقية ونحن فى قمة  
الحسرة ، وأعطينا صانع الأحذية تومانا واحدا وعدنا إلى بيت  
(سيد) ، فجمع حاجياتنا وأحضر السائس الجياد أيضا  
وكان الوقت مناسبا ، وانتقلنا فى نفس اليوم خارج المدينة حيث  
تجمعت القوافل ، وودعنا " آغاسيد " فى ذلك المكان ،  
وتناولنا العشاء سويا ، وأعطيناه ثلاثة ايمبريالات ، وودعناه ،  
وقد نسيت الوصية التى اوصانى بها أبى فى هذا السفر ، نظرا  
للأوقات المريعة التى قضيتها ، وهذه الوصية " أن اتعرف  
على بعض الأصدقاء الأوفياء فى كل مدينة أصل إليها " وعلاوة  
على ذلك فقد رأيت أنه يتعذر على تحقيق مثل هذا الغرض  
مع أهل المدينة ، لأننى لم أجد أثرا للإنسانية بينهم ، وكان دماء  
الإنسانية قد تجمدت فى عروقهم ، إذ إنهم كانوا يرضون  
فى مقابل مصالحهم الشخصية بتومان واحد ، بدون أدنى تفكير  
فى مقابل أن يضرروا الشعب والمواطنين وأخوانهم فى الدين بمائة  
تومان ، ولم يجل بخواطيرهم قط التفكير فى المصالح القومية  
العامة ، والمحافضة على عزة الوطن وشئون البلاد وتعمير  
المملكة ، فكان الحاكم والمحكوم والأمر والمأمور ، والعالم  
والجاهل والتاجر والمتكسب كانوا جميعهم يفكرون فى أنفسهم  
وكانوا يتفنون فى الاشكال الغريبة والأساليب المختلفة التى تخدم

مصالحهم فكيف يمكن الاعتماد والاطئمنان لصداقة هذا النوع من الأفراد؟

وفى مدينة مثل "مشهد" والتي لديها مقومات التجارة ، لا يشاهد فيها شركة واحدة ، على الرغم من أن سكانها من الأثرياء ، فمال التجارة من البيع والشراء ، وانتاج الأرض مثل السجاد والأفيون والقطن وغير ذلك إلى ما شاء الله وفير ، وهذا إن دل على شئ فهو دليل على نفاقهم ، إلا أن لهم تسلطاً غريباً فى البذخ وتبديد الأموال والمنتجات التى تنتجها المملكة .

فحتى السجاد غشوة بالألوان البراقة ومستخدمين الصبغة الحمراء ، أما الأفيون فهو موجود كالتراب حتى ولو اختفى الدقيق ، وقد منعت الدولة أكثر من مرة الألوان المغشوشة ، وأمرت بشكل حاسم أن لا يخلط الأفيون بشوائب أخرى ، فلم يستجب أحد ذلك ، لأن الموظفين تقاضوا رشاً وى وأهملوا تلك الأوامر المشددة ، والأسوأ من كل هذا ، هو شيوع تعاطى الأفيون فى هذه المملكة ، والذي ابتلى به الرجل والمرأة والهرم والشباب ابتلوا جميعاً بهذا السم القاتل ، ويتعاطاه الجميع علانية فى الأسواق ، والمحال التجارية ، هذا الأفيون الذى قضى على كل سمة من سمات الرجولة بين الرجال المملكة ، ولم يبقى للأنوثة أثراً بين النساء ، ولم تهتم الحكومة قط بهذه الأوامر ، ولم يبحث أبداً على علاج للقضاء على هذا البلاء المحدث ،

والذى علاجه فى غاية السهولة ، والعجيب أن علماء البلاد لا يعتبرون أيضاً أن هذا السم القاتل مسكر ، بل إنه يذهب بالعقل أكثر من معظم المسكرات الإنسانية - حتى قيل أنه كان يتعاطى كمشروب الشاى فى منازل بعض العلماء والذين هم لصوص ولكن فى زى علماء للبلاد ، وقد جلست فى مجلس عشرة من الفقهاء الواعظين فى مسجد "كوهرشاد" بمشهد ، والذى هو أحد المساجد العظيمة ، وذلك عند إقامتى هناك ، فكان الجميع يتجاذبون أطراف الحديث فى باب الطهارة ، وغسل الأقدام ، والجميع مشغولون "بالفرع" والذى هو شىء ثانوى ، وقد نسوا الأصل تماماً كالجهد وكيفيته وأسباب الجهد وكيف ينبغى أن يكون الدفاع عن البلاد ؟ فلم ترد كلمة واحدة فى هذا الصدد قط ، فى حين أن عدو الدين قد بلغ منازلهم .

**الخلاصة :** يمكن القول إنه لم تحدث مثل هذه الغفلة وخيبة الأمل فى إيران منذ عهد الأسلاف حتى هذا الوقت الحالى ، وعلى كل حال فقد أخذ ضوء الصباح فى الظهور من حافة المدينة ، وسرنا مع "قافلة الحزن والهم" وبعد عدة أيام وصلنا مدينة (سبزوار) تلك البلدة الصغيرة ، وأموال التجارة فى هذه المدينة مصدرها محصول القطن ، وهو بدوره فى أيدي الأرمن القوقازيين ، إذ يحضر هؤلاء العربات ويشحنون الأقطان مثل

"مصر" وسائر البلاد المتحضرة العادلة<sup>(١)</sup> واقمنا يوماً واحداً في مدينة (سبزوار)، وحملنا أمتنعتنا من هناك وسرنا ، وبعد عدة أيام وصلنا مدينة (نيسابور)<sup>(٢)</sup> ، وكان هناك في أول المدينة مسجد عال جداً ، فذهبنا لنشاهده ، ورأيت المسجد كعالم خال من البشر، وكان به السجاد الفخم والذي تطل طول السجادة الواحدة إلى أربعة عشر ذراعاً ، وكان ملفوفاً في وسط المسجد .

وتقدمت أكثر في المسجد ، فرأيت كلباً وقد نام وسط سجادة، فتنهدت ، وبكيت بكاء حاراً لم أملك فيه نفسى ، وضربت كفاً بكف وقلت يا إلهى ما هذا البساط المؤسف ؟ وما هذه الأوضاع المخزية ، وأى شئبقى من دين أهل هذه المدينة وديانتها ؟

لو أن هذا هو إسلامهم . . . . . فواحسرتاه لو كان بعد اليوم غد<sup>(٣)</sup> وبعد أن تقصيت الحقيقة اتضح أن المسجد محروم

(١) لم تكن مصر بلداً متحضراً ، ولم تكن حكومة الخديوى اسماعيل عادلة كما يدعى زين العابدين المراغى إذا أن ناصر الدين شاه كان معاصراً للخديوى اسماعيل ، وكانت مصر آنذاك مثل إيران من حيث الاستبدانة والاعتماد على القروض . أنظر .

- الياس الأيوبي : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل "لمجلد الثانى" القاهرة ، ١٩٣٢ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

(٢) نيسابور : مدينة كبيرة ، تقع على بعد مائة وستين فرسخاً من الرى . وأربعين فرسخاً من سرخس .

- الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٥٧ .

(٣) أى لو أن الإسلام فى جميع المدن على هذا النحو لانتهى الإسلام والمسلمون .



تماماً من الخطيب والمؤذن وصلاة الجماعة ، وعدت إلى المنزل وأنا فى غاية اليأس والقنوط والمرارة ، وادراك يوسف عمى المسكين أن منغصاً جديداً قد حدث ، وهو يعلم ما أعانى منه ولا يقول شيئاً ، وأنا بدورى لم أظهره على مدى حزنى وتأثرى فقلبى ملئ بالأحزان .

**الخلاصة :** إننى تحركت من هناك ، وقد وصلنا مدينة (دامغان)<sup>(١)</sup> بعد أن قطعنا عدة مراحل وعندما دخلنا السوق رأيت زحاماً غريباً ، ووسطه رأيت شخصاً قد وضع يده فى فمه ، وكان هناك حبل فى يد رجل دميم الوجه والذى طرفه فى فم ذلك الشخص المربوط ، فكان يشد الحبل نحوه حيث كان يتبعه ذلك الشخص المربوط فظننت أن هذا نوع من الرقص واللعب حتى أن الناس وقفوا بدورهم يتفرجون ، فسألت (حاجى حسين السائس) ما هذه الجماعة يا حاجى ؟ فسأل حاجى بدوره واحداً من المتسوقين ، قالوا : إن هذا الرجل خباز ، وقد قلل من وزن الخبز فكبله الحاكم بالقيود ، أما الرجل الذى يشد الحبل فهو جلاد ، وقد أصاب الخباز فى رأسه بجرح كما كيله بالقيود ، قلت إنه لقانون عجيب وباعث على تعجب أشد ، وقال لو تجولتم أكثر (فى المدينة) فإنكم سترون أعجب من هذا ، فقد قطع ثلاثة

(١) دامغان : مدينة كبيرة بين الرى ونيسابور .

- الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٥٣٩ .

أشخاص فى هذه المنطقة أذنى جزار ، والجلادون يتجولون فى السوق من أجل التكسب ، والحصول على الرشاوى ، وهم يسلبون من كل دكان شيئاً ، ورأيت فى تلك الأثناء أصوات البكاء والنحيب ترتفع من تلك الناحية ، وكان أحد الجلادين يحضر المساكين جراً ، ووقفوا - الجلادون - أمام كل دكان بسكين مخضبة بالدماء ، يجمعون الأموال ونادى يوسف عمى قائلاً : يا بىك . . . لا تنظر . . . لا تنظر . . . وفى الحقيقة فإن قلبى قد انقبض لرؤية هذ الحادثة ، ووضعنا الركاب على الجياد ومضينا ، ونزلنا بخيمة تقع خارج المدينة .

حيث آبار المياه الغزيرة فى كل منزل من منازل الخيام الكبيرة والعظيمة من " خراسان " حتى " طهران " فلو جاء الف زائر من الزائرين فإنهم سيجدون الراحة وكذا المياه العذبة وقد أقيم جميعها بالطوب اللبن والجص والجير فى غاية الإحكام ، وجميعها من الآثار المباركة للشاه عباس الصفوى العظيم ، والطرق المرصوفة الطويلة هى أيضاً ذكرى عن ذلك الشاه العظيم ، فليتغمده الله برحمته ، وأول شئ يتضح من هذا (أى ما تركه عباس الصفوى) أن هذا الأمير النجيب ، كان محافظاً على الرعية ومحباً للخير كما كان ذا همه عالية ، وعلاوة على هذا فبعد اخضاع " الكرجستان " نقل كثيراً من سكان ذلك الإقليم فى المناطق الحيوية من هذه البلاد والتي كانت محل سلب ونهب التركمان وغيرهم . وكان قد

أقام القلاع الحصينة والمزودة بالعتاد والآلات بالإضافة إلى النفقات  
الكثيرة من قبل الدولة والتي يقوم بحراستها الجنود ، والذين هم  
أتباع تلك الطائفة في المناطق المذكورة ، وكانت ما كنت قد سمعته  
عن وصف هذا الملك المحنك من أبى كان كله صدقاً وهو قليل  
من كثير إذا كان يحضر والذى المرحوم أثناء حياته كل رمضان  
أربعة قراء من القراء المصريين المشهورين لكي يتلوا القرآن الكريم  
وكان يهدى ثواب هذه التلاوة إلى روح ذلك الأمير المحبوب ،  
وأنا إن شاء الله علاوة على ذلك سأقرر كل عام إحساناً آخر منى  
لذلك الملك المغفور له ، ينفق كل عام ضمن آثاره الخيرية ،  
واعتبرت أنه من الواجب علىّ لو كان التوفيق حليفاً ، أن أرسم  
صورة لا نظير لها لهذا الملك العظيم ذى الهمة العالية واضعها فى  
سياحتى هذه حتى يرى العدول من الشعب صورته فيتذكرونها  
بالدعاء والرحمة ،

إن بقيت شهرة طيبة لانسان . . . . . فقد بقى ما هو أخلد من  
القصر الذهبى<sup>(١)</sup> وحينما لا يحالفنى التوفيق فلانى سأوصى من  
يقوم بطبع هذه السياحة بأن يفعل ما عزمت عليه ، وربما خريطة  
لكل إيران فى فترة حكمه وراء تلك الصورة ، حتى يعلم أجيال  
الشعب مدى اتساع أرض الوطن المقدسة ، وأيضاً فقد وصلت

(١) كَر بَما نَد نام نيك آر آدمى . . . به كزو ما ند سراى زر نكار

حدود بلادنا فى عصر ذلك الأمير المحبوب إلى بلخ<sup>(١)</sup> حتى كل  
سواحل بحر الخزر وجبال داغستان وجبال القوقاز .

ومن بغداد إلى خليج البصرة وعمان ، فقد عانى كل المعاناه  
وانفق كثيراً من النفقات الباهظة من أجل المحافظة على الطرق  
وشوارع هذه المملكة المترامية الأطراف وكذلك فقد عمل على  
ترويج التجارة ، وفى الحقيقة حينما يمعن إنسان النظر فى أوضاع  
ذلك العصر ، سيعلم أن ذلك الملك كان مهتماً اهتماماً كبيراً  
بتعمير البلاد ، وكم كان مجداً وساعياً فى العمل على رفاهية  
الرعية وسعادتها ، خاصة بشأن زيادة تجارة البلاد والثروة القومية  
والتي هى أهم وسائل الرقى والحضارة ، فلم تغب عن نظره  
الثاقب نقطة هامة أو حيوية ، وهذه الطرق المرصوفة التي تشاهد  
فى مناطق كثيرة من أرجاء الدولة لهى دليل ثابت وواضح على أنه  
وفر التيسيرات اللازمة لوسائل النقل ، ويمكن أن نقول أنه لم  
تلفت دولة من الدول الأجنبية يوماً ما بالأمور الدقيقة بشأن  
ترويج التجارة فى البلاد مما يزيد من قوة الدولة ، كما اهتم بها  
هذا الملك<sup>(٢)</sup> ، وفى الحقيقة فأن تحسين كل تلك الطرق الوعرة ،

(١) بلخ : مدينة كبيرة بخراسان ، وتقع شمال افغانستان .

- دهخدا : لغت نامه ، ج ١٠ ، شماره (حرف) (ب) ص ٢٣٧ .

(٢) ليس صحيحاً هذا القول ، إذ أن هناك العديد من الدولة الأجنبية وعلى رأسها إنجلترا  
والتي غزت إيران نفسها بتجارتهما فى القرن التاسع عشر ويبدو أن المراعى مبهور جداً بأعمال  
الشاه عباس الصفوى مما دفعه إلى مثل هذا القول .

ورصفها وإقامة الجسور المتينة فوق ضفاف الأنهار وإنشاء المنزل (منازل القوافل) العديدة ، والمحكمة فى المناطق المناسبة وفتح أبواب الصداقة والعلاقات التجارية مع الدول الأجنبية كان من أجل رقى التجارة .

ومع تعصبه الدينى لم يمنعه هذا من توثيق عرى علاقات الصداقة مع الدول الأجنبية وقد شجعت أوامره المشددة على احترام سفراء الدول الأجنبية والحفاوة بهم ، وكذلك المحافظة على أرواح وأموال تجار كل دولة من أى تعد أو ظلم ، وتعين سفراء ذوى دين وعلم فى بلاطات تلك الدول ، وعدم التفريق بين كافة الرعية والمساواة بينهم والعمل على توطيد الصداقة مع الدولة الأخرى بصرف النظر عن مذهبها ودينها ، وهذا نفسه دليل قوى على سمو ذلك الملك العظيم ، وعندما يقارن المرء كل هذا مع أوضاع السلطنات فى ذلك الوقت ، فإنه سيندهش ويذهل من فكره العبرى ورأيه الصائب .

**الخلاصة :** إننا ابتعدنا عن الموضوع ، فليس هدفى كتابة التاريخ، ولكن أعمال هذا الأمير العادل المحبوب جذبتى مضطراً، وكل ما يريد أن يعلم مدى همته العالية وصفاء نيته ودرجة وفائه فى الحقيقى فليقرأ قصة سفره مترجلاً من "أصفهان" حتى "مشهد المقدسة" إذ إنه قطع مائتى فرسخ حافى القدمين ، وفى حين أنه ظل مدة شهر يعانى من قدميه من جراء تلك المسافة



الطويلة ، ولا يمكن لأحد أن يتحمل هذا العناء إلا بدافع العشق الحقيقي والإرادة القوية لآل البيت الاطهار الأبرار .

أجل أن العاشق يتبع المعشوق مضطراً ويقع فى حباله ، ويرى كل عناء ومشقه فى ذلك الطريق غاية الراحة .

"إن السفر فى سبيل طلب الحبيب لا يكون طويلاً ..

ويغدو شوك "مغيلان" حريراً تحت الأقدام" (١) .

ويلاحظ أنه لم يكن يتحدث فى ذلك السفر أبداً عن عناء الطريق ، وكان يتحدث مع الخدم وغيرهم فى منتهى البشاشة وانطلاقه الوجه ، ومع طول المسافة التى قطعوها ، فإنه لم يشعر بتعب الطريق من « اصفهان » حتى « مشهد المقدسة » وكان يطوى مسافة الطريق عن طيب خاطر ، فى حين أن الطريق كان مضنياً للرفقاء ، ومن هنا فقد عانوا كثيراً من هذا الأمر ، فكان يتلطف بكل رقيق ، وفى كل لحظة كان يمازح الغلمان حتى يصرف عنهم الضيق والملل ، وبهذا فلم يعتبروه تعباً من عناء الطريق .

وبعد أن تشرف بزيارة الإمام الثامن ، وكان فى كل يوم يكنس الروضة المباركة ، وكان يتقدم الخدم فى خدمات العتبة المقدسة ، وكان ينظف الشمعدان بيديه ، وكان فى كل ليلة يقص بالمقص فتيل الشموع ، وذات ليلة أنشد الشيخ "بهائى" عليه الرحمة ،

(١) سفر دراز نباشد دوست بتزد طالب . . . بياى خار مغيلان حرير ميايد .

هذا الرباعى ارتجالاً ، حينما كان ذلك الملك المؤمن يقص فتيل الشموع ، وهو كما يلى :

كان الملائكة العلويون دائماً ،  
فراشة شمع روضة الخلد العليا ،  
أيها الخادم استخدم المقص بحذر ،  
فأخشى أن تقص الملاك جبريل الأمين<sup>(١)</sup> .

ويقال أنه فى نفس هذا السفر ، ذات يوم كانوا يقولون إن الشكر لله ، فقد بقى عن ذلك الملك العادل عدة آثار عظيمة وابنية فخمة عالية ، تعد ذكرى عنه فى المناطق الهامة من البلاد .

وليس يبعد عن خصال الملوك أن يقام العديد من المستشفيات القومية من أجل إتمام كل هذه الأعمال الخيرية والجليلة ، فى بعض المناطق من البلاد .

وكان يرد ذلك الأمير الهمام : " إن كل تفكيرى منصب على المحافظة على صحة الشعب وسعادته ، فكيف استطيع أن أفكر فى مرضهم مجرد التفكير " .

فانظروا بالله أى فكر نقى ثاقب وأى همة عالية وكلام سام .

(١) (أ) يوسته بور ملايك عليين (ب) مقراض باحتياط رن / أى خادم

(ج) برو أنه شمع روضة خلد برين (د) ترسم بيرى شهر جبريل أمين

حقاً إن كلام الملوك لهو أعظم الكلام ، ففي عصر حكم هذا الملك العظيم بلغ تعداد إيران أربعين مليوناً ، وكان الإيرانيون يعيشون حيواتهم بفخر تام ، وإننى أعلم يقيناً أن كل إيراني غيور على بلاده ، سيحزن لقراءة هذا الفصل ، وسيبكي بكاء حاراً ، واليوم ينبغي أن نتحسر على تلك الأيام السعيدة .

**الخلاصة :** لا ينبغي أن نياس بل نأخذ من الماضي العظة والعبرة ، ونسعى لاصلاح الحال وتأمين المستقبل ، فإن السعى والكد سيحملان معهما الخير الكثير ، وعالمنا حافل بالعديد من أمثال الشاه عباس : " (مثل ذلك لم يبق وأيضاً لن يبقى) .

**الخلاصة :** أننا تركنا " دامغان " وبعد عدة أيام وصلنا مدينة (شهرود بسطام) " وقال حاجي حسين السائس : سنقيم هنا يومين ، ولكن ينبغي عليك أن تنزل في حديقة لأننا سننزل بخيمة ، لأنه يوجد بهذه المدينة " حشرة الملal " والتي تسبب ذعراً للغرباء بعضها المؤذى .

قلت لماذا تنزلون هنا مع هذا الخطرالكبير مع أن الأفضل أن نمضى ؟ قال : إن علف الخيول قد نفذ وهى منهكة من عناء الطريق ، ولا يصح مع هذه الحالة أن نسوقها حتى " طهران " مباشرة) ، وعلى كل حال ، فقد اضطررنا إلى النزول ، ونصبت الخيام من أجل الإقامة فى حديقة بالقرب من المدينة ، ولما كان الموسم صيفاً فلم يكن هناك ضرر من البقاء تحت الخيمة ، ونقلنا

امتعتنا وخلدنا للراحة قدراً من الوقت ، وتذكرت أن والدي  
المرحوم كانت له صداقة في (شاهرود) مع رجل تاجر اسمه  
"حاجي اسماعيل" وكانا يتبادلان المكاتبة والمراسلة ، ولما إنني  
كنت اكتب خطاباته بنفسى لذا كنت أعلم اسم المنزل الذي كان  
يقيم به ، وكذلك مكان تجارته ، فقلت لنفسى إنه صديق والدي  
وينبغي على أن أذهب لزيارته ، فقلت ليوسف عمى قم لنذهب  
سويًا ، وسألت عن اسم المنزل واسم الحاجي فدلوني ، ووصلنا  
منزله ، ولحسن الحظ أنه كان موجوداً هناك ، فألقينا السلام  
وجلسنا ، وقلت بعد السؤال عن الأحوال : اليس اسمك حاجي  
اسماعيل ؟ قال بلى ، ولكن اسمح لى إننى لا أعرفكما ، قلت  
أنا بن فلان الفلانى ، ومقيم فى "مصر" واسمى إبراهيم  
فاحتضنتى ذلك الشخص المحترم عند سماع اسم أبى ، وقبل  
رأسى ووجهى ، وقال أحسنت ، لقد تأثرت للغاية عند سماع خبر  
وفاة والدك المرحوم ، فليتغمده الله برحمته .

إذ كان رجلاً لا مثيل له ، فاللهم يجعلك عوضاً عن ذلك  
المرحوم .

حسناً فالآن تحدث لأرى من أين تأتى وإلى أين تذهب ؟ ...  
إن شاء الله والدتك بخير وسلامه ، سمعت أن لك أختاً فكيف  
أحوالهما ، قلت الشكر لله فهما بخير وسلامة ، فأنا آت من  
مشهد المقدسة ، وذاهب إلى "طهران" قال لقد سعدت كثيراً

واحسنت صنعا بتشريفك هنا ، فأنت " ذكرى " صديق عزيز علىّ ،  
حينئذ همس بشئ في إن خادمه ، وذهب هو ، وعاد بعد نصف  
ساعة بعد أن أحضر معه صنفين من الكباب وماء السكر والبطيخ  
الطازج وقال حاجي في حنو كامل : بسم الله فلتتناول لقمة  
الغذاء وتجمعنا حول السفرة ، فقال في أثناء الطعام أين نزلتم؟

قلت في الروضة الفلانية تحت إحدى الخيام ، فقال لغلامه :  
اذهب هناك واحضر تلك الأمتعة إلى البيت ، قلت : يقول  
سائسنا أنه يوجد في المدينة حشرة " الملل " وأنى لخائف ، وعلى  
الرغم من أنه أصر علىّ أن أبقى في المدينة إلا أنني رفضت ذلك ،  
وقال بعد تناول طعام الغذاء ، هل من عادتك أن تنام أم  
تشرب الشاي؟

فأجبت أننا لسنا متعودين على النوم في أوقات القيلولة ،  
وأن موعد شاينا هو العصر .

وبعد ساعة شغلنا بأمر النهوض من النوم ، وحينئذ قال  
لابنه : أحمل هذين الضيفين حتى يتفرجا قدراً من الوقت على  
المدينة وشاطئ المياه ، وأرجعوا إلى البيت وقت العصر ، وبعد  
العشاء سأوصلكما إلى منزلكما حيث تنامان في الخيمة ، ورأيت  
أنه لن يقبل العذر فلا مناص من أننى قبلت ، ونهضنا حيث  
مضيّنا ، وقلت إلى أين نذهب ؟



قال يوسف عمى : من الأفضل أن نذهب إلى أحد مدارس هذه المدينة ، لتفقد وضعها وسالنا "أغراضاً" أوجد مدرسة لهذه المدينة ؟ قال نعم : بها ثلاث مدارس ، احدها بعيدة جداً وبها أطفالنا ، والأخرى فى سوق النجارين وهى قرية ، ولكن لو ذهبنا هناك ماذا سنقول ؟ فهناك لا يعرفنى أحداً كثيراً ، ومن الأفضل أن يكون أحدنا دائماً والآخر مديوناً ، فنذهب بحجة كتابة إقرار حتى يتحقق غرضكم ، وضحكت كثيراً على هذه الحيلة ، قلت لآمانع من أن نفعل هذا ، وقال يوسف عمى هل سأسمى باسم مصطفى أم أخبرهم باسمى الحقيقى ؟ فقال أغراضاً : تصرف بالطريقة التى تحبها ، (غرض الكاتب مجرد عبث ومزاح) ، فأطلق على نفسك الاسم الذى تريده ، فلا خوف من أن يتجسس أحد على الاسم واللقب ويحقق فى ذلك ، وتبادلنا حديثاً مازحاً قدراً من الوقت ، وفجأة ارتفع من الناحية الأخرى صوت "ابتعد" وأخذوا يصيحون من كل ناحية "تقدم" "قف" "ارتد ملابسك" ونظرت وأنا فى غاية الدهشة إلى تلك الناحية ، فرأيت شاباً طويلاً القامة ذا شاربين مفتولين حيث يمتطى صهوة جواد ، ومعه ثلاثون شخصاً يتقدمون إثر بعضهم البعض من الجانبين ممسكى العصي ، ويتقدم أولئك شخص ، يرتدى ملابس حمراء

على هيئة الشيطان ، ويأتى خلف هؤلاء عشرة جنود ، فسألت أغارضا ما هذه الجلبة ؟

فأجاب أنه حاكم المدينة وذاهب فى رحلة صيد ، وقال قفوا بلا حراك أثناء عبور ذلك "الموكب" واحنوا رءوسكم تعظيماً وإجلالاً ، كما يفعل الآخرون ، ولما أمعنت النظر ، رأيت أن الناس يسجدون من الجهات الست والجوانب الأربعة ، بينما هو لم يعر أحداً اهتماماً ، وأخذ يفتل شاريه الأيمن والأيسر معاً ، قلت ماذا يحدث أن لم نعظم ؟

قال إنكم تعلمون أن السعاة والخدم يحيطون به ، ويحملون فى أيديهم العصى ، فربما تلقون حتوفكم<sup>(١)</sup> قلت لا أمل أن أخلد فى الحياة ، وفى أثناء مرور مركب الحاكم وقفنا فى منتهى الثبات حيث أدينا التحية معظمين .

"وكان قد وصل البلاء ولكنه مر بخير وسلام " ولما لم أكن أرى هذا الوضع فى أى مكان أصابنى التعجب والدهشة ، وقلت أن حاكم إيران مثل حاكم (مدينة لندن) البالغ تعدادها سبعة ملايين وهو يمر "حاكم لندن" من أى مكان ومع ذلك لا يعيره أحد اهتماماً ، وما شاء الله أن يكون لحاكم مدينتنا الصغيرة كل هذا القدر من الجلال ! وبناء على هذا ينبغى أن تصبح المدينة

(١) أى تلقون حتوفكم ، أن لم تعظموا له وتحبوه تحية الإجلال والتعظيم لقدر ذلك الحاكم .

"سلطنة" قلت يا "آغارضا" من أين يعطى الحاكم ما يستحقه هذا الجمع الغفير من الأموال والنفقات ؟ قال ليس لهؤلاء نفقات وأموال ، قلت ماذا إذن يأكلون ؟

قال : إنهم يمرون من الصباح حتى المساء فى الأزقة والأسواق ، وإذا ما تشاجر اثنان مع بعضهما فإنهم يلقون القبض عليهما فى الحال ، ويحملونهما حيث كبير السعاة لدى الحاكم ، ومهما كان النزاع تافها ، فأنهم يأخذون منهم تومانيين لكبير السعاة، وخمسة قرانات للنائب واثنين أو ثلاثة قرانات لهؤلاء السعاة ، وبعد ذلك يسمحون لهم بالإنصراف<sup>(١)</sup> ، وحينما يتقدم أحد بشكوى من القرى المجاورة ، فإن اثنين من هؤلاء السعاة يؤمران بعمل السلب والنهب .

ولو اشتد النزاع إلى حد ما ، فإن أحد الخدم أو السواس أو الجنود أو السقاة ، أو "القهوجية" يأخذ خمسين تومانا أو مائة للأمير وحوالى عشرة توماتان لهم أنفسهم تحت اسم الجريمة والرشوة ، وحينما سمعت هذه الكلمات تسمرت فى مكانى ، وضقت ذرعاً بالسياحة ، وقلت لنفسى ليتنى كنت أعمى أو أصم فلم أر هذا الموضوع ولم أسمع هذه الكلمات ، فإننى أشتريت البلاء لنفسى مع العناء والمال الوفير الذى انفقته فى سبيل ذلك .

(١) فلتنظر كيف يحصل الموظفون على رواتبهم ، أنهم يمارسون السلب والنهب والتلصص فى الأذقة والأسواق بغيه الحصول على الأرزاق .

**الخلاصة :** وصلنا المدرسة ، وهذه المدرسة موجودة فى سوق النجارين وكان طولها تخميناً ثلاثين ذراعاً ، وعرضها عشرة أذرع ، وكان يتجمع هناك أكثر من مائة تلميذ من الأطفال الأبرياء ، وقد افترش بعضهم الأرض من أجل التعليم ، وبعضهم كان يجلس على قطع من السجاد ، وجلس نفر منهم فوق الحصير والباقون فوق قطعة كلیم ، وكان معلمهم شيخاً معمماً<sup>(١)</sup> ودخلنا المدرسة ، وألقينا السلام ، فلم يسمع المعلم سلامنا من جلبة الأطفال ، وانزونا فى جانب فسأل المعلم ما هو الموضوع ؟

فقال يوسف عمى : إننى مدينون لهذا الشخص بسبعين تومانا ، وأرغب أن تكتب حُجة باسم هذا الشخص من قبلى بالمبلغ المذكور ، فقال حسن جداً ، ما اسمك : قال : عبد الغفار واسم السيد ؟ قال إبراهيم بيك ، وسأل أيشترط هوان تبیع شيئاً؟ قال : نعم "منزلى" فسأل أين المنزل ؟ قلت : فى "أردبيل" وماذا ستدفع له فى الشهر ؟ قال تومانا شهرياً ، وكتب المعلم الحُجة لمدة ستة أشهر ، وقرأ علينا الحجة ، بعد اتمامها ، أعطيته نصف قران وأخذت منه الحجة ، ورأيت أنه مسروا للغاية ، فقلت الديك كثير من التلاميذ ؟ قال نعم وأن كان البعض الآخر

(١) واضح أن هذه المدرسة : إحدى المدارس القديمة التى تخرج أئمة المساجد والملا ، وليست من المدارس الحديثة التى تمثل النوع الثانى من المدارس فى إيران .

لم يأت اليوم ، وسألت ماذا تعلم الأطفال ، قال بعضهم يتعلم الأبجدية وبعض منهم يتعلم (جزء عم) ومنهم من يتعلم القرآن المجيد ، ويتعلم التلاميذ الكبار الذين جلسوا في هذا الصف الكلستان والبوستان / وحافظاً وكل شئ قلت يا جناب المدرس أى دخل لحافظ فى الدرس ؟ قال يعنى ماذا ليس لحافظ الشيرازى دخل فى الدرس ؟ قلت معلوم أن ديوان حافظ عبارة عن أشعار عميقة فى التصوف والتى قلما يفهمها أحد من القراء ، فماذا يمكن أن يستفيد هؤلاء الأطفال من قراءة تلك الأشعار ، والتى فى ظاهرها كلها حديث عن الخمر والمحجوب والمحبوبة والغزل ، قال فى أردبيل بلدكم ماذا إذن يعلمون الأطفال فى المدارس ؟

قلت ليست أردبيل بلدى ، قال أذن أين ؟ قلت قطعة أخرى من كرة الأرض ، قال واضح من حديثكم أنها ناحية «شيراز»<sup>(١)</sup> وبغداد ، قلت ليست أى ناحية منهما بلدى ، بل بلدى "أفريقيا" قال ينبغى أن تكون أفريقيا بالقرب من سلماس<sup>(٢)</sup> إذا أننى رأيت كثيراً من المعلمين هناك ، قلت نعم لكنكم ينبغى أن تعلموا الأطفال الجغرافيا والهندسة ، قال وما الهندسة ؟ قلت أتجيد تعليم الحساب ، يمكنك أن تجعل مقاييس الأرض (إنخفاض الأرض وارتفاعها) معلومة ؟

(١) شيراز : مدينة مشهورة ، وهى قصبة فارس فى الاقليم الثالث .

- الحموى : معجم البلدان جـ ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٢) سلماس : مدينة مشهورة بأذربيجان .

المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ .

قال إننى أعرف هذا ، إذ أعلم الأطفال حساب الدينار ،  
وأعرف أيضاً الهندسة ولكن لا أعلمها للأطفال .

قلت اكتب شيئاً من الجمع والقسمة مما يعد أولى مراحل  
الحساب لئرى ، قال ماذا أكتب ؟ قلت أكتب الفا ومائتين وأربعة  
وثلاثين فكتب الأرقام بهذا الشكل " ١٠٠٠ ٢٠٠ ٣٠٤ " قلت  
يا جناب المعلم ، إن هذه الأرقام تجاوزت المليار ، الخلاصة :  
أردت أن أسأل الأطفال عن شئ أيضاً ، فلاحظت أن معظم  
أوقاتى سوف يتعكر صفاؤها ، فصرفت النظر ، وخرجنا من هناك  
سائرين وذهبنا إلى منزل حاجى ، وبعد أن جددنا وضوءنا قابلنا  
"الحاجى" حيث كان ينتظرنا فأحضر لنا الشاي . وسأل لعلكم  
قضيتم وقتاً طيباً فى التجول ، قلت لماذا ؟ فرأيت أغارضا بن  
الحاجى قد أخذ فى الضحك ، فسأل حاجى لماذا تضحك يا رضا؟  
قال السادة الضيوف المحترمون أحوالهم عجيبة ، إذ عندما رأوا  
حاكم المدينة والسعاة والجنود ، أصابتهم الدهشة من صوت  
"ابتعد " " اذهب " "قف" متساءلين ما هذه الجلبة ؟ ولا يعلمان  
إن هذا هو الأمير وحاكم المدينة ، فتنهد الحاجى المسكين ، قال  
أجل يا بنى إن ضيوفنا لم يروا مثل هذه الضجة ، ولسوء الحظ أن  
هذه الأعمال منحصرة فى إيران والإيرانيين ، وليست هناك أى  
منطقة على سطح الأرض يتحكم فيها الحكام بهذا الشكل ، ففى  
كل مكان تفنن سلطات الحكام وتحدد واجبات الرعية .



أما فى إيران فعلنا نحن التعساء أسرى أحكام هذه القلة من  
الفراعنة والنامردة<sup>(١)</sup> وتابعون لأغراضهم الشخصية ، إذ إنه  
بأيديهم أرواحنا وأعراضنا وأموالنا ، ولا تبعة أو مسئولية عليهم ،  
وصاح "قائلا" آمالنا لم تتحقق ، واليوم تخلص زنوج الحبشة  
وغيرهم من قيود الأسر والظلم ، وحصلوا على جميع حقوقهم  
الإنسانية ، أما نحن ففى كل لحظة يضيقون علينا الخناق أكثر من  
ذى قبل ورأيت أن قلب حاجى مملوء بالهم والحزن أكثر منى ،  
وبعد ساعة من الحديث وانتهاء العشاء ، أضاء خادم الحاجى  
الفانوس وأوصلنا إلى المنزل ، وفى الصباح رحب الحاجى  
بروءيتنا ، وبعد شرب الشاى وتناول النرجيلة ، نهض حاجى وقد  
وعدنا بقضاء ليلة أخرى ، ولما كان مقررأ ، أن نرحل فى منتصف  
الليل فقد اعتذرنا وودعناهم ، وفى منتصف الليل غادرنا ذلك  
المكان ، وقد وصلنا "خاتون آباد" بعد أن قطعنا بعض المنازل<sup>(٢)</sup>  
وخاتون آباد تقع قبل "طهران" بفرسخين ، وكنا قد تحركنا من  
مشهد المقدسة منذ ستة وثلاثين يوماً ومن الممكن لعربة السكة  
الحديد أن تجوز كل هذه المسافة فى مدة ثلاثة أيام بلياليهن بمتهى  
الراحة وبأقل تكلفة .

(١) يشير الكاتب إلى حكام إيران بالفراعنة ، والنامردة لكثرة ما عرف عن هؤلاء الحكام من  
ظلم وتعدي .

(٢) المقصود بالمنازل المحطات فى الطريق .

ومن الظلم البين أن يحرم الإيرانيون من هذه النعمة العظيمة ، فليتغمدهم الله برحمته .

**الخلاصة :** إننا رحلنا من هناك في وقت السحر ، حيث وصلنا المدينة ، وسألت حاجي حسين السائس ، في أي منزل تفضل أن ننزل به ؟ قال حارس منزل حاجي محمد حسن صديقي وسأحكم له هناك ، وهو نفسه رجل طيب أيضاً ، وبعد ذلك سأترككم وأظن إننى لم أقصر في أداء خدمتكم .

**الخلاصة :** ذهبنا حيث كانت هناك حجرة خالية لنا ، وودعنا حاجي حسين ورحل ، فغسلنا وجوهنا من غبار الطريق ، وأحضر الحارس السماور ، وارتشفنا الشاي ، فقال يوسف عمى لنذهب إلى الحمام ، قلت بعد زيارة حمام مشهد المقدسة قطعت عهداً على نفسى بأن لا أذهب إلى حمام آخر في إيران ، فقال هنا " طهران " وهى عاصمة الإسلام الكبرى ، فلعلها تختلف عن حمامات مشهد ، قلت اذهب أنت اليوم ، فلو كان الحمام نظيفاً فسندهب سوياً غداً ، فحمل يوسف عمى معه الملابس والفوطة ، وذهب إلى الحمام بإرشاد الحارس له وشددت العباءة على رأسى ونمت ، وعندما خلوت بنفسى ، وكان يوسف عمى يوقظنى قلت: ما حال الحمام ؟ قال : إن ماء الحمام هنا رائحته كريهة ، ولكن هناك " خزانة صغيرة لا يدخلونها " <sup>(١)</sup> فلو أردت

(١) الخزانة هنا أشبه بحوض صغيرة من الماء .

أن تحضر ماء نقياً من هناك ، فأنهم يسرقون حافظتك ، قلت  
حسناً فلنذهب غدا ، فناديت على الدليل فأتى ، وسألته ما  
اسمك؟ قال مشهدى عبد الله ، قلت دلنا على محل كباب جيد ،  
قال : اتجهوا إلى الجهة اليمنى من هذه السوق وهناك محلان  
متقابلان ، والمحل الجيد فى الناحية اليمنى وهو نظيف كعادته ،  
ولاحظت أنه ينبغي أن يكون معنا دليل ، فى هذه المدينة دائماً ،  
فماذا نفعل ؟ ومن أين لنا بالعثور على مثل هذا الرجل ، وأخذت  
أسير مفكراً فى هذا الأمر ، ورأيت أثناء الطريق رجلاً أجنبياً قصد  
أحد الإيرانيين ، وتحادثاً الاثنان مع بعضهما باللغة الإنجليزية ،  
وكان الإيراني يتحدث اللغة مثل الإنجليز بطلاقة ، على نحو وكأنه  
أحد الإنجليز ، فتعجبت كثيراً ، حيث أنهم لا يدركون أننى  
شغلت نفسى من ناحية أخرى مصغياً لحديثهما ، وسأل الإيراني  
كيف الحال ، قال الإنجليزى : على ما يرام وحقيقة لم أفهم  
موضوع الثلاثين ألف تومان والتي هى من أجل الصدر الأعظم  
وهو آخر مبلغ نوّه به لشخص السلطنة ، وقال غدا أيضاً سيوقع  
جلاله همايون <sup>(١)</sup> وبعد ذلك انفصل كل منهما عن الآخر ،  
ورحل الإنجليزى بينما رحت أنا أمعن فيه النظر .

قلت ياللعجب كيف تعلّم هذا الإيراني اللغة الإنجليزية بكل  
هذه الفصاحة والسلاسة ، وكأنه أدرك ما كنت أفكر فيه ، وسألنى

(١) هنا الكاتب يشير إلى الرشاوى التى كانت تقدم إلى الصدر الأعظم والملك من أجل أن  
يحصل الإنجليز على كل ما يريدونه من امتيازات وقروض ، إذ كان المال هو مفتاح كل شئ لهم .

لماذا تنظر إلى مندهشا أيها المواطن ؟ قلت فى الحقيقة أن كل دهشتى بسبب طلاقة لسانك فى اللغة الإنجليزية ، فأعجبتنى كثيراً قال لعلك على دراية باللغة الإنجليزية ، قلت إننى ألم بها ، فسألنى بالإنجليزية فأجبتة فتعجب هو الآخر لمعرفتى هذه اللغة، فسأل أين تذهب ؟ قلت إلى محل كباب حيث نتناول فيه الغذاء، قال إذن ينبغي أن تكونا ضيفى ، فأجبتة إن كرمك لزائد ، فاسمح لنا «ودلنا على محل جيد ، وتفضل تناول معنا الطعام ، وسوف نكون شاكرين لك ، فدلنا على محل هونظيف بالفعل ، ويختلف عن حال الكباب فى «تفليس» وهو فاخر جداً ، وسألت أثناء الحديث ما عمل ذلك الإنجليزي ؟ وماذا ال قال هذا الرجل هو مندوب الشركة البريطانية ، جاء طهران لكى يحصل على بعض الامتيازات واحتكار المعادن فى دولة إيران ، والآن كان يقول تم الأمر وأخذت الامتياز ولعله أعطى الصدر الأعظم ثلاثين ألف تومان كرشوة وليس من أجل المملكة ، قلت أين تعلمت اللغة الإنجليزية ؟ قال : كنت قد أقمت فترة فى بمباى ، وهناك تعلمت ، وقلت آمل أن تتم كرمك وتذهب معنا إلى المنزل ، فتحدث قليلاً ، فقبل واتيئنا إلى المنزل ، وأثناء الحديث سأل عن سبب سفرنا وسأل عن اسمى وجنسيتى ، قلت أنا من أصل إيرانى ، ولدت فى "مصر" واسمى إبراهيم ، وقد جئت من مصر من أجل زيارة "المشهد المقدس" ومن هناك دخلت من أجل السياحة وسألت أنا بدورى عن اسمه وبلده ، قال اسمى

"مشهدى حسن" والمشهور (بحسن كرماني) ، قلت آمل منك بالذات أن لا تنسانا ، ولا تقصر في كرم ضيافة الغرباء في هذه الأيام المحدودة ، والتي نقيم خلالها في هذه المدينة ، قال حياً وكرامة ولكن قل لى ماذا تعملان في طهران ؟ قلت ليس لنا عمل أو مهمة محددة ، وإن كنت في الحقيقة آمل أن أصل لخدمة عدد من كبار الوزراء في هذه المدينة ، إذ لدى بعض الاقتراحات والعروض أريد أن أعرضها عليهم ، ولكن لا أعلم في يد من يكون مفتاح هذا الباب المغلق؟

وغير معلوم لدى أيضاً كيف أحصل على الشخص الوسيط الذي يساعدني في تحقيق هدفي<sup>(١)</sup> قال لعلك ستقدم طلباً وتحتاج فلاناً كوسيط ، قلت لا أريد أن أقول أحاديثي بنفسى لمن أراه .

قال إنى لا أعرف مثل هذا الوسيط ، فلو كان التوسط أو الالتماس من أجل عمل فإنى أعرف مثل هذا الوسيط ، ولكن لا أعرف الشخص الذى يجالس الوزراء ويأخذ بيدك ، قلت من هو ذلك الشخص الذى تجعل منه "الواسطة" وتطلب منه الالتماس؟

(١) لقد ذكر إبراهيم تيمورى في كتابه "عصر بن خبرى" نقلاً عن اللورد كرزون : انه لم تكن تتم مهمه من المهام إلا بوجود شخص ثالث بين الطرفين كوسيط مما أدى إلى ظهور الرشوة ، وأصبحت هذه الرشوة لا تقتصر على المعاملات التجارية وأمور التوظيف والاستخدام بل أن الوساطة أو الرشوة قد تسربت إلى أى نوع من الأعمال والأمور الاجتماعية أيضاً أنظر : - عصر بن خبرى ، ص ٢٥ .

وما اسمه ؟ قال لا شأن لك باسمه ورسمه ، فهو صديق حميم  
لدى ويحبه كل الوزراء ورجال الدولة ، وجميع الأفراد فى هذه  
المدينة يعملون . واليوم فى طهران كل من يحتاج إلى واسطة فى  
العمل أو من أجل العمل بمعنى أصبح يرجع إلىّ ، فأخذ عشرة  
تومانات " ممن يريد العمل " وأعطيتها له وبذا يسر الحصول على  
ذلك الأمر . وكل عمل يتم عن طريق تلك الوسطة يعطينى  
عشرة ، قلت : أيها الصديق أعطيك تومانين وسأعطى ذلك الرجل  
ما يريد ولا شأن لك به ، وأريد منك بالمناسبة أن تدلنى عليه ،  
قال لك ما تريد ، ولكن سأخبره أولاً فإن قبل هذا ، نذهب غدا  
، وأعلم جيداً أنه سيقبل ، لأنه رجل طيب وهو تركى وهو يحب  
الأتراك ، وهو رجل مزاح وظريف وهو يمقت التكبر والغرور .

**الخلاصة :** رحل (آغا مشهدى حسن كرمانى) ، وفى  
الصباح عاد وقد مر أربع ساعات من اليوم ، وقال رأيت تلك  
الواسطة وعملت اللازم ، فلنذهب بسم الله ومضيئنا فى طريقنا ،  
وبعد أن قطعنا مسافة طويلة وصلنا إلى جسر مظلم ، وهناك  
تذكرت لماذا لم أحضر يوسف عمى معى ، وتوكلنا على الله حتى  
بلغنا آخر الجسر ، وطرق صديقى الباب ففتحوا لنا ، فرأيت شيخاً  
يهاز السبعين عاماً ، وعلى رأسه قلنسوة من اللباد وقد توشح  
بوشاح حولها ، ذا لحية حمراء ووجه أسمر ، وكانت هيئته تنبئ  
عن هم وحزن ، ولم يبق له سن من أسنانه ، وكانت عيناه نصف



الميتين تحديقان فى البيت ، وكانت ملابسة قدرة ومتسخة بشكل لا يرى ، ولم يكن من اليسير تمييز لون جزء من ملابسه ، وسأل مشهدى حسن هل جاء حاجى الخان ؟ قال نعم ، تفضلاً فإنه ينتظر كما ، وعندما وضعنا أقدامنا على الدرج المؤدى إلى الحجرة ، نفرت من رائح العرق الكريهة ، وضقت ذرعاً ، وكأن صالة البيت لم تر مكنسة منذ عهد نوح<sup>(١)</sup> ، فالبيت كالمزبلة ، وعندما وصلنا حافة الحجرة ، رفع الشيخ الستارة لكى نرى أفضل ، ورأيت حاجى ملا محمد على المشهور ، يجلس فى صدر الحجرة فى شموخ ورزانة تامين .

فدهش كل منا عند رؤيته للآخر ، وتعرفنا على بعضنا ، فنسيت السلام من شدة دهشتى أيها الملا الصديق ، أين انت وأين أنت هنا قد أصبحت خائناً<sup>(٢)</sup> ، وكان هو أيضاً مذهولاً ، ولكنه فهم بسرعة البديهة ونادى فى صوت عال ، أحسنت يا إبراهيم بيك أحسنت ، تفضل ، تفضل ، فنهض وتصافحنا وتعانقنا ، لكننى كنت أحدثه بالتركية ، وكان هو يحدثنى بالفارسية ، فانا أذكره بالماضى وهو يحدثنى عن الحاضر ، وفى النهاية ، وضع يده على لحيته وأشار قائلاً : إن هلاكى فى هذه الكلمات فامسك

(١) واضح أن الكاتب متمكن فى استخدامه الأسلوب الساخر التهكمى ، والذي تميز به كتابه بمجلداته الثلاثة وعلى الأخص المجلد الأول .

(٢) أورد باقر مؤمنى فى تحشيتة على هذا الكتاب هذه العبارة بالفارسية (ياروملا ، توكجا اينجاكجا ، لوده خان رشدى) .

- باقر مؤمنى : سياحته إبراهيم بيك ص ٥٠ .

عليها ولا تضيعنى ، ففهمت أن له حكاية مع مشهدى حسن ،  
ولا يريد أن يقلل من شأنه عنده ، فغيرت الحديث إلى شئ آخر ،  
لا أقول اسمح لى " برأسك المبارك ومقامك العالى " فرفعت من  
شأنه فرأيت أن الملا قد هدأ واستراح إلى حد ما ، وبدأ يستعيد  
مكانته ثانية ، وأخذ فى السؤال عن الأحوال قائلاً : ما هى  
الأخبار فى مصر؟ وكيف يتعامل خديوى مصر مع السفراء <sup>(١)</sup> فبلا  
شك أنك رأيت السفير فى إسلامبول فماذا يعمل الحاكم " كراف  
شرمه فتوف " فى تفليس ، فهو صديق حميم لى و خليل افندى  
السفير العثمانى هناك رجل طيب جداً وأصيل ، وما هى أحوال  
تجارة الإيرانيين فى تلك المدن ؟ وكنت أجيب على كل اسئلته فى  
منتهى الاحترام ، نعم يا سيادة الحاجى الخان . . برأس جنابك  
المبارك وما إلى ذلك ، وتحدثنا على هذا النحو نصف ساعة  
واستأذنت ، وفى منتهى الأدب عظمت تواضعاً له وسرنا فى  
طريقنا ، ونادى على من خارج الحجرة الثانية ، وهمس فى أذنى  
بصوت خفيض قائلاً تعال هنا الليلة المقبلة ، وسوف يكون لنا  
حديث سرى وودى أيضاً عن آلامنا وهمومنا واحتياجاتنا وسنتناول  
العشاء سوياً قلت لك ما تريد ، وهل اصطحب يوسف عمى

(١) واضح أن ملا محمد على يريد من سؤال إبراهيم بيك عن خديوى مصر وباقى السفراء  
يريد أن يحتفظ بالمكانة التى يحظى بها فى طهران ، فلا تهتز هذه المكانة فيفضح أمره لدى مشهدى  
حسن وغيره من الإيرانيين فى طهران .

معى أيضاً ، قال يستحسن أن تحضره معك وفى هذه المرة ودعته  
وقفلت عائداً .

ووصلنا السوق فقلت لمشهدى حسن فلتأت غداً ، فعسى أن  
تكون فى غير جهد وعناء ، فنذهب إلى الحمام الفلانى ، ولم  
أقل إننى وعدت الحاجى الخان كى نعود فى اليوم التالى ،  
ووصلنا المنزل وأنا أترقب المقلب فمتى يحين وقت المساء ، فنذهب  
سويًا إلى منزل الحاجى الخان ، لنرى من أين صار خاناً (حاجى  
ملا محمد على الصعلوك هذا ) ؟ وكيف أصبح واسطة حتى  
يرجع الناس إليه ، وأصبح من الضرورى أن نعرف القراء بشئ  
قليل من سيرة حاجى ملا محمد هذا .

وأدون أسباب معرفتى به ، حتى يعلم القراء من هو ذلك  
الشخص الذى انحنيت له تقديراً وتعظيماً عند دخولى وكذلك عند  
خروجى ، فأذن لى وانصرفت ، ذات يوم كنت قد جلست اساعد  
والدى المرحوم فى "مصر" فوجدت برقيه كانت قد وصلت من  
ميناء الإسكندرية باسم والدى ، فحواها :

"أريد أن أزوركم فإن كتم فى مصر وليس هناك مانع فلتردوا  
على البرقية "

إمضاء

جعفر تبريزى

فقال والدى المرحوم إن هذا الشخص من أصدقائي المحترمين فلعله يحج ، فاكتب خطاباً حتى يأتى فأنا فى انتظاره ، وكتبت وذهبت أثناء الغروب إلى محطة السكة الحديد لاستقباله ، وعندما وصلت عربة السكة الحديد كان هناك أربعة ضيوف ، وكان (ملا محمد على ) نفسه أحدهم ، وكان رفقاؤه الثلاثة قد تحملوا كل نفقته لأنهم وجدوا فيه أنيساً يمكن أن يروح عنهم ، ولعلمهم كانوا رأوه فى "إسلامبول "

وهذا الرجل حاضر البديهة ، كثير المزاح ، وهو خفيف الظل وعلى خلق كريم ، فكان يحكى الحكايات والنوادر ، والتي كانت مثار تعجب المستمعين ودهشتهم . ومن بين هذه النوادر أنه قص ذات يوم سيرته والتي كانت تنقل المستمع من حيرة إلى أخرى فكان يحكى "إنه ذات يوم أعطانى لأحد تجار أذربيجان ستين ثوباً من الحرير لكى ابيعها فى "تفليس"<sup>(١)</sup> فحملت البضاعة إلى تفليس ، وبعد أسبوعين من دخولى المدينة جاءنى خطاب من المالك يقول فيه "أريد نقوداً " ، وعند وصول الخطاب أرسل حواله بريدية بمائة إمبريال والتي كنت قد أخذتها ، فسألت أين يبيعون الحوالات ، فأخبرونى أن فلاناً ممن يبيعون الحوالات ، فذهبت إليه ، قلت يا حاجى ، أريد حوالة بمائة إمبريال ، فكتبها وأعطانى أياها دون تردد ، ولما أنه فى ذلك الوقت كان للناس فى تفليس طريقة معينة للتعامل مع بعضهم ، إذا كانوا يقرضون

(١) إحدى المدن الروسية .

الحوالة لمدة أسبوع ، ولما وصلنى خطاب آخر من المالك بعد أسبوع آخر يقول أرسل مائة إمبريال ، ذهبت إلى تاجر الحوالات وأرسلت حوالة بمائة إمبريال والتي كنت قد أخذتها .

ولم تمر عدة أيام على هذه الحادثة حتى رأيت فجأة أن غلام الحاجى قد جاء للمطالبة بحق الحوالة ، قلت ليس معى نقود ، إذ ينبغي على أن ابيع أقمشة الحرير ، فغضب صاحب الدين قائلاً : ما هذا الحديث الذى لا جدوى منه ، وبعد مشادة طويلة ، وجدال بيننا ، اضطررنى الدائن إلى أن يسحب ملكيتى من الأقمشة الحريرية ، وبعد فترة من الوقت استدعيت فى "تبريز" فذهبت فقال المالك بعد سؤالى : أعطنى كل ما أحضرته معك من مال ، قلت ليس معى مال ، وتحدثت عن حادثة الحوالة ورهن الدائن للحرير ، وأسرع صاحب الشكوى إلى الحاكم لكى يعرض موضوعى عليه ، وصدر حكم من قبل الحاكم من أجل حضورى وتحديد الحكم ، وعقد المجلس عدة مرات ، وطلبوا منى الدفتر ، قلت أين الدفتر يا والدى ؟<sup>(١)</sup>

فقد اشتريت ورقتى حوالة وأرسلتهما هنا ، وكان معى صورة منهما ، فأخذهما الدائن ، وكان قد كتب ذلك أيضاً فى جزء من

( ١ ) هنا يطالب أعضاء للمجلس "ملا محمد على" بدفتر التجارة ، فى حين أن المالك الحقيقى لهذه التجارة لم يمهل "ملا محمد على" لكى يعد دفترأ أو سجلاً لهذه التجارة إذا كان كل أسبوع يطالبه بحاجته إلى المال ولهذا رد ملا محمد على متعجباً حينما مثل عن دفتر التجارة .

الورقة ، ولا أعلم ماذا حدث فى هذا النزاع ، وعلى الفور كتب السادة المصلحون الكرام والذين هم ممثلوا المجلس حكماً وأصدروه فحواه : إن ملا محمد على قد أقر بقوله : "إننى ضيعت دفتر تجارتى ، وحملوا صورة من هذا الحكم إلى حاكم المدينة ، ولم يكن الحاكم نفسه موجوداً فى تبريز ، فأصدر الابن الحكم بدلاً من أبيه ، وهو شاب صغير كنائب للحكومة ، وحملونى إلى حضرته ، وحينما ذهبت أعرض حجتى انحنيت تعظيماً للحاكم الشاب بالقرب من نافذة القصر ، فقال : يقولون يا هذا انك ضيعت دفترأ ، قلت نفسى فداوءك لم أضيع الدفتر الفلانى . فلم يهتم بحديثى ، وقال : احملوه وانظروا فى أمره ، فأمسكوا بى وكان الساعى يعرف أخى ، فقال للسعاة إنه لم يرتكب جرمأ كبيرأ ، فضعوه فى حجرة ، وحملونى حتى باب غرفة السجن ، فرأيت السجنان يحضر السلاسل والأغلال ، فقال الساعى : لا تشقوا عليه ، فقد أمر ساعى الحاكم أن تضعوه فى غرفته ، فليس هناك جرم عظيم ، فرأى السجنان ليس ثمة فائدة كبيرة له من ورائى ، فلم يسقنى من شدة غيظه ، وكان أخى من وقت لآخر يحضر الطعام فطلبت منه الماء ، ومكثت حيسأ هناك على هذا النحو مدة أربعة أيام ، وكنت قد جلست فى اليوم الخامس بجوار النافذة ، فرأيت تاجراً من التجار الذين أعرفهم عند الأمير الحاكم ، فلما رآنى ، قال : ماذا تفعل هنا أيها الملا



الصدق<sup>(١)</sup> ؟ قلت إنهم جاءوا بى' إلى هنا ولا أدرى ما هو ذنبى وجرمى ؟ فذهب "التاجر" وظننت أن هذا الشخص صديق للحاكم ، وليس بعيداً أن يلتصق لى العفو عنده ، ورأيت أنه مر بالقرب من النافذة ولم يقل شيئاً .

لكن اتضح بعد ذلك أنه قال للأمير إن عندك شخصاً سجيناً كثير المزاح فلا تغفل عن محادثته حتى تحظى بمزاحه وفكاهته ، ولم يمر قليل من الوقت على عودة ذلك الشخص "التاجر" حتى رأيت أن الخادم قد أتى وقال : إنهم يريدونك ، فذهبت معه عند الحاكم فقال : تقدم ، فذهبت ووقفت بعد أن انحنيت تعظيماً .

فقال الأمير سمعت يا والدى أنك تحسن الحديث ، قلت ماذا أقول ؟ قال أى شئ ، قلت : ثانية ماذا أقول ؟ فيش واضطرب وقال ضائقاً " قل أمس " فقلت أيها الأمير لقد خطر ببالى مثل الآن ، وحينما تسمح لى ، سأقوله ، قال سمحت لك فتحدث ، قلت ذات مرة كانوا يتحدثون حديث النميمة على أمير حر بسيط مثلك قائلين إن خادمك فلانا طفل لاه فطلب الأمير ذلك الخادم وقال يقولون يا بنى إنك طفل تلهو فأجاب " وماذا أقول " فيصر الأمير ضائقاً ، ويقول ينبغي أن تقول الصدق فيقول الخادم أيها الأمير أى شئ أصدق فيه ، فلو قلت إننى طفل الهو وأنت شاب

(٢) أورد باقر مؤمنى هذه العبارة بالفارسية هكذا (يار وملا اينجا چكار ميكنى) .

- باقر مؤمنى : سياحتنامه إبراهيم بيك ، ص ٥٣ .

نقى مستقيم فبلاشك حيثئذ ستطردنى من الخدمة ، ولو قلت أننى لست طفلاً لاهيا أيضاً ، فربما قد تؤذينى ، وبدهى الآن أن تقول أنت ماذا أفعل (وأنا) المجنى عليه ، وكيف أجيب ، فإن صلاحى ليس فى هذا الأمر ، وكنت قد أسعدت الأمير ، وبدأ فى الضحك فى صوت عال ، وقال اجلس فجلست ، وبدأت فى أحاديث كثيرة وطويلة عن أوروبا وأمريكا والوضع السياسى للدول والاختراعات الحديثة للغرب وضخامة مدن لندن وباريس ، وكان حديثى فى المجلس كله كذباً ، وبشكل مبالغ فيه ، فأخذ الجالسون يرمقوننى بنظراتهم مندهشين فى حيرة من أمرى .

ومرت أربعة أيام وحالنا على هذا النحو ، وذات يوم قلت للأمير هل من الممكن أن تسمح لى أن أحضر أخى بدلاً منى فى السجن ، وأذهب أنا لأقوم بإصلاح هذا الأمر ، فرضى فأحضرت أخى وتركته هناك ، وسعيت فى كل مكان وطرقت كل باب ، حتى غيرت جوهر الموضوع إلى حد ما ، وخلصت نفسى وأخى وبعد أسبوع تمنيت أن أذهب إلى "تفليس" ثانية ، فبعت من البيت بعض القطع النحاسية من أجل نفقة الطريق كي أذهب إليها .

وأخذت تذكرة الطريق ، ووقت العصر رأيت غلام حاكم القرية قد أتى ويقول : السيد يريدك ، فذهبنا سوياً وألقيت السلام فرد التحية فى طلاقة وجهه وبشاشة ، وقال : تفضل

يا ملا محمد على ، وأذن لى بالجلوس ، وقال سمعت اليوم أنهم  
سجنوك! والقوا بك فى محلة أخرى ليبت فى أمرك ، ولم  
يقدرók حق قدرك ، فلماذا لم تخبرنى حتى أقتص لك منهم ،  
ليرحم الله والدك الذى كان دعامة هذه المحلة ، وقلما تجد إنساناً  
بهذه الدرجة من الطيبة ، وله أياد بيضاء على ، لا ، لا ، كيف  
يمكننى أن أرضى بأن يتعدى عليك الآخرون ؟ كان ينبغى على أن  
أقوم بهذا الأمر منذ البداية ، فعقت بارك الله فىك ، فلتكن  
مساعدتك فى شئ آخر فقد انتهى هذا الموضوع ، قال لا ، لا ، لا  
يمكن أن يلقي القبض على رجل نجيب مثلك فى محلتى ، إذ  
اساءوا اليك وسجنوك ، ينبغى أن أعاقبهم شر عقاب . ولا  
يمكننى أن اتغاضى عن مثل هذا العمل المشين ، قلت يا حضرة  
الحاكم إنه أمر وانتهى وليزد الله فى عمرك ، شئ آخر . . . .  
انتهى ، وأنا أيضاً أخذت التذكرة وغدا سأذهب إلى "تفليس"  
ولم أنه حديثى بعد ، حتى جلس الحاكم وهو يشتاط غيظاً ،  
وقال كيف . . . . كيف ستذهب إلى تفليس وتتغاضى عن "ابن  
المحروق"

"ابن القحبة" (١) ؟ فإنك الآن كرهت المدينة كلها ، ، والآن  
جاء دورنا لكى تدعو علينا وتظن بنا إننا "نواطير بستان" (٢) ولعل  
بن المحروق قد ذهب به الظن إنه لا قيمة لى ، إننى أسئ لأبيك

(١) أوردها الكاتب : مادر قحبة .

(٢) المقصود من (نواطير بستان) بمعنى : لا قيمة لنا فى المدينة.

حينما تتغاضى أنت ويقال إنهم أساءوا معاملة شريفنا والقوا به فى سجن الحاكم .

وقد علمت أمى المسكينة فباعت الجزء المتبقى من أثاث المنزل بنصف الثمن ورشت الحاكم فخلصتنى منه ، وفى صباح ذلك اليوم ، ودعت " تبريز " الوداع الأبدى ، ويمت وجهى شطر " تفليس " إذ إننى حتى الآن لم أر تبريز ، وكان لدى الملا الكثير من نوع هذه الحكايات والقصص ، وكان يحكى منها فى المجالس مما جعل الناس فى دهشة من تلك النوادر والحكايات ، وكان يقضى أوقاته متنقلاً من مجلس لآخر على هذا النحو ، وكان غير مكلف بنفقه الأكل والشراب ، حتى إنهم كانوا يتحدثون على مائدة الطعام حول كثير من البلاءات والأحاديث المازحة به ، وكان يتحمل ولم يبد ضيقه أبداً بل كان يشع الدفء فى المجلس ، وعلى هذا النحو كان يقضى الليل والنهار ، وينبغى أن نتحدث عن خصائص هذا الشخص فى عدة كلمات أولها : أن رأسه قرعاء ، وثانيها : إن عينيه صغيرتان غير لامعتين .

إذا إنه لا يرى أمامه أكثر من عشرة أذرع ، وثالثها : أن أسنانه عريضة وقبيحة بحيث أنها تبرز عن فمه ، أما شفتاه فهما مكتظتان ، وبطنه كبير منتفخ ، وهو قصير القامة ، والأسوأ من كل هذا أن بلسانه لكنة ، وهذه أوصافه الخلقية ، أما أوصافه الخاصة فهو دائماً شارد الذهن ، ضعيف الاعتقاد ، مهضوم فى حقوقه ،

جُحود مُنكر للجميل ، وهذا النوع من الرجال يندرج تحت اسم المتطفلين ، والذين هم فى الغالب لا يتصفون بحسن الأخلاق والصفات الإنسانية المحبوبة .

**الخلاصة :** أن هذا الرجل والذى عرضنا لصفاته وأوصافه أصبح الآن الحاجى خان ، ومرجع الناس ، ولما لم يكن عندنا عمل اليوم ، فمن هنا ارتعد قلبى فمتى يحين الوقت المحدد ، حتى نتحدث عن الماضى مع هذا الشخص ، حتى يعلم من أين بلغ مرتبة الخان ، وفى مقابل أى شئ واية خدمة قدمها للدولة والشعب كى يصل إلى هذه المكانة السامية .

**الخلاصة :** أننا قضينا الليل فى هذا النمط من الأفكار ، ووقت الحسر قلت ليوسف عمى اليوم سنذهب لزيارة الأمير عبد العظيم ، وسنكون الليلة ضيفين فى مكان ما ، قال أين ؟ قلت بيت أحد الخوانين الذى أنت تعرفه ولكن لن أخبرك باسمه حتى تراه بنفسك وتتعرف عليه وكلما سألتنى لم أقل له ، وسرنا من المنزل حتى موقف السكة الحديد ، وكان طول هذه السكة الحديدية يقل عن سبعة أميال ، وقد قامت شركه بلجيكية بإنشاء السكك الحديدية فى كل مدن إيران <sup>(١)</sup> ، وعلى الرغم من أنها غير منتظمة إلا أن محطتها العامرة أفضل ألف مرة من امتطاء

(١) هنا اشارة من الكاتب إلى احتكار الشركات الاجنبية لمشروعات السكك الحديدية ، واستفادة هذه الشركات من هذه المشروعات الانشائية على حساب الشعب الإيرانى .

الحمير والدواب ، وفى ساعة واحد وصلنا إلى غرضنا وقد حظينا بزيارة ذلك المقام المقدس ، وبعد أداء الصلاة شغلنا بالتفرج على تلك البقعة الطاهرة ، وعلاوة على الروحانية المعنوية فقد كانت الأبنية فخمة وعظيمة من الخارج فى أشكالها الهندسية ، وتناسقها وجمالها ، وقد سعدت بنظافة أول مسجد فى إيران أشاهده وأزوره ، وجلسنا قدراً من الوقت وقضينا وقتنا فى الأدعية وتلاوة القرآن الكريم، وخرجنا وقت الغداء وأخذنا من محال البقالة قدراً من الزبدة والعسل لناكله ، وعدنا وقت العصر إلى المدينة بواسطة القطار ، وفى وسط المدينة شاهدنا الأسواق والمنازل ، ولم تكن الأسواق وتقاطع الطرق رديئة بل أن المنازل عامرة وجيدة ، ولكن ليس هنا أثر فى أى مكان لشركة من الشركات الكبرى ، أو بنك ، أو سجل أو دفتر للتجارة ، مما هو أساس وجود السكان ورواج التجارة فى المدن الكبرى .

وكان المدينة تخلو من التجارة ، وقد شوهدت بعض المصارف، وليس بعيد أن هناك فى المدينة بعض الأغنياء ، ولكن الشئ الموجود بوفرة وقد رأيناه بأعيننا هو النقود (السمراء) والتي كانت فى أكياس ، ولم تظهر النقود الذهبية قط ، من كل أرجاء المدينة ، فإما أنها لم تكن موجودة وإما أنها كانت فى صناديق أو تحت الأرض .

ولم يكن هناك اهتمام عام نحو إصلاح شئون البلاد ، بل كان فرد كبيراً أو صغيراً ، غنياً أو فقيراً ، عالماً أو جاهلاً ، يهتم



فقط بمصلحته ومنفعته الشخصية ، ولم يكن لأحد اهتمام آخر ، ولا يتحدث أحد عن المصالح المشتركة للوطن والمواطنين ، وكأن هذا الوطن ليس منهم ، وكأنهم مع بعضهم ليسوا مواطنين ، ولكن الشيء الذى كان سبب سعادتي وسرورى هو رؤية الرجال العسكريين فى الأزقة وأسواق طهران ، حتى أننا لم نكن نرى أحداً هنا فى إيران قد خلع لباسه العسكرى ، وكان الجنود ممن يمتطون صهوات الجياد والقائمون على سلاح المدفعية حتى رجال البريد كان لهم لباس عسكرى خاص بهم ، خاصة قواد القوزاق<sup>(١)</sup> ورجال هذه الفرق ، والذين يشبهون تماماً فرق الروس فى زيهم ، إلا أنهم كان يطلق عليهم اسم الفوج .

**الخلاصة :** اتنى قلت ليوسف عمى بعد العصر ، ينبغي أن نذهب إلى الموعد المحدد ، فذهبنا سوياً حتى وصلنا بالقرب من باب "الحاجى خان" وكان قد دخل "الحاجى خان" وراءنا ، فقال تفضلاً ، فألقيت السلام ثانية ، فقال لماذا السلام مرتان ؟ قلت مرة (السلام) قضاء لسلام أمس ، حيث إننا فوجئنا برؤيتكم ، فنسيت السلام ، فضحك وذهبنا متجهين إلى أعلى ، ولكن يوسف عمى كان يفكر مثلما كنت بالأمس ، مختلياً بنفسه ، وأخيراً همس فى أذنى : اليس هذا الشخص "ملا محمد على" الذى كان فى وقت ما ضيفنا فى "مصر" قلت أجل هو بعينه

(١) أول حاكم انشأ فرق القوزاق هذه ، هو ناصر الدين شاه ، وقد اهتم بتدريب هذه الفرق محمد على شاه من بعده وذلك للمحافظة على عرشه من أى خطر فى البلاد ، أنظر: مؤسسة الأبحاث العربية : إيران ، ص ٣٣ ، ٣٤

ولكن الدهليز تغير وسمع هو بنفسه فضحك كثيراً وسأل يوسف  
عمى عن أحواله ، وقال : هو . . هو يوسف أغا كما كان .

**الخلاصة :** جلسنا ، وجاءوا لنا بالشاي ، فشربناه ، وقال  
"الحاجي خان" حسن . . . . . حسن . . . . . حسن الآن تحدث  
لنرى من أين جئتم ؟ وإلى أين ستذهبون . وأين أنتم وأين  
"طهران" ؟ قلت ينبغي أن أحكى أحوالى تفصيلاً ، ولكن تحدث  
لنا أنت أولاً : ما هذه الدنيا ؟ ومن أين لك بالخان ؟ قال سيرتى  
طويلة <sup>(١)</sup> .

لكننى سأوجزها ، بعد العودة من مكة المكرمة ، دخلت  
"تفليس" وكنت أعيش دون أدنى مبالاة مدة عامين أو أكثر على  
نفس النحو الذى رأيتنى عليه ولكن بشكل أو بآخر ، جمعت  
مائتين من المئات أو يزيد ، هى رأسمال التوكل ، ولكننى كنت  
أفكر ، فى إننى لو جئت إلى "طهران" بأى وسيلة فإن أمرى قد  
يتحسن ، ولأننى كنت قد تيقنت من وضع كبراء إيران الذين كنت  
قد رأيتهم حيناً من الوقت ، وأنهم سيميلون إلى حديثى إلى حد  
كبير ، ذلك الحديث العابث وبينما كنت فى هذا الفكر حين ابتسم  
إلى الحظ إذ سمعت أن إحدى وصيفات الحرم الملكى قد ذهبت  
للعلاج فى الغرب وعادت إلى إيران ، فحصلت على واسطة

(١) هنا يشير المراجع إلى ظاهرة عامة كانت فى إيران ألا وهى بيع الألقاب ومنحها لمن لا  
يستحقها دون أن يقدم صاحب اللقب خدمة أو عملاً جليلاً لبلاده ، فالخان ملا محمد على هو  
نموذج لهذه الظاهرة .

وأدخلت نفسي ضمن خدم معيتها ، وكنت قد اجتذبت قلوب أتباعها إلى بدخولى مدينة "رشت" وعلى هذا النحو عاملتهم أيضاً من رشت حتى طهران ، وكنت أظهر نفسي فى أنظار الناس ، كأحد محترمي أتباعها ، وأثناء الطريق ، كان يفتتن بصحبتى كل من كان يأتى لاستقبال موكب تلك المخدرة من ملازمتى لها ، وكان كل شخص يدعونى إليه وكنت أنا بدورى أسير وأنا فى غاية الأبهة والاستغناء ، وكل من كنت أقبل دعوته كنت أثنى عليه ، حتى وصلنا إلى "طهران" وفى أقل فترة زمنية وصلت إلى المجالس العليا وانتشر الحديث فى كل مكان "وراجت بضاعتى" ورأيت أن ما يثير إعجابهم بى عدم معرفتى للفرسية والتي كنت انطقها نطقاً غير صحيح ، وكنت أسير عامداً ممازحتهم ، وكان لهذا طعم آخر .

وفى نهاية الأمر ، وصلت إلى مجلس الصدر الأعظم ، فشغف شغفاً لا حدود له بحديثى ، وشرفنى غد ذلك اليوم بقطعه عليها علامة (الأسد والشمس) مع لقب الخان وفى تلك الأثناء قال مشيراً إلى بإزرار كان نيشاناً فى ياقه قيادته ، وقال هذا أول نيشان منى لك وطلب خادم الصدر الأعظم نوالاً ، لأن النيشان والفرمان أودعا عنده كما كانت العادة جارية فأوردت له مثلاً بدل النوال ، فرأى الند قوياً ، فعاد مباشرة ، ولم يمر وقت طويل حتى أخذت هذين النيشانين مع حصولى على درجة "مقدم" ومائة تومان كراتب شهرى، وأشار ثانية بأصبعه إلى الشارتين،

وقال مع إننى لا آخذ راتباً فانا نفسى لا أهتم كثيراً ، لأننى أصبحت مرجع أمل الناس بالمال وأنا موفق فى مسألة التوسط ، إذ يومياً يعود على من موضوع الوساطة خمسة تومانات وأحياناً أكثر .

والعام الماضى ، أمر الصدر الأعظم بعزل حاكم "سمنان" فقال : أتريد أن أعطيك حكومة ذلك المكان : قلت : لا حسر الله لك ظلاً ، فليس هناك من مانع ، وأتيت منزل أم قاسم خادمتكم وبشرتها قائلاً : أن الصدر الأعظم كلفنى بحكومة "سمنان" قالت وما رأيك؟ قلت أى حكومة فى مدينة لا بد أن أذهب إليها ، فقالت أم قاسم : انت تركى الأصل وتنقصك الدراية ، وأنا لا أرضى ، وهذه المرأة أصلها أصفهانى وهى ذكية حقاً فقلت راداً عليها : إن ما يقال من أن طائفة النساء ضفائرهن كبيرة وعقولهن صغيرة . . قول صحيح لأن من يحظى بحكومة تلك المدينة يدفع ستة آلاف تومان "كرشوة" ولا ينال منها شيئاً فتعطى لنا بلا مقابل فترفضين ؟

قالت ينبغى عند بداية كل أمر أن ننظر إلى نهايته إذ أن يكون الشخص مفكراً فى مآله وخاتمته فيعيد النظر ، وهذه الحكومة لا تنفعك لعدة أسباب :

أولاً : أنت تركى الأصل ، وأهل سمنان <sup>(١)</sup> متعصبون للغة

( ١ ) سمنان : أحد الأقاليم الإيرانية ، يحد سمنان من الشمال سلسلة جبال البرز ، ومن الجنوب صحراء (كوير) ، ومن الشرق دامغان .

- دهخدا : لغت نامه ، شجرة (حرف) س : ٥ ، ص ٦٣ .

الفارسية ، لهذا سيعارضون بشدة حكمك ، وستظل المشاكل  
برؤوسها ، وسيتمردن فى نهاية الأمر ليخلعونك عن الحكم .

ثانياً : بينى وبين الله إن طبيعتك تخلص من أى استعداد  
أو لياقه للحكم فانظر لوسامتك فى المرأة ،

ثالثاً : إن مناخ تلك المنطقة غير مناسب لك ، وأنت عليل ،  
والأطفال أيضاً ضعاف .

رابعاً : وإذا لم يتحقق أحد المحاذير فمن الممكن أن يدفع  
شخص آخر سبعة أو ثمانية آلاف تومان كرشوة ، أو كأجرة  
للمدينة فيأخذ الحكم منك وأنت لم تمكث أكثر من ستة أو سبعة  
أشهر ، فقل لى ماذا تفعل إذ ذاك؟ ومن أين ستأتى بكل هذه  
النفقات فى الذهاب والإياب ، فلا تأخذ بكلمات الصدر الأعظم  
أو غيره ، والآن ، فنحن صنعنا بيتاً هادئاً ، وكل يوم يعود عليك  
بعض التومانات بلا جهد أو عناء ، فعش هانئاً مستريحاً وشق  
طريقك ، وشيئاً فشيئاً يمكن أن يزيد رزقك فى المستقبل ، فأين  
حكومة سمنان وأين أنت ؟

وفى الحقيقة رأيت أن المرأة أحكم منى ، وهى خيرة بمثل  
هذه الأمور وأوضاع المدينة ، فأثنت عليها بينى وبين نفسى ،  
فقلت لا بأس فى بعض ملاحظاتك ، فهذا المكان سئ لى  
وللأطفال ، إذ لا يتوافق مناخها مع طبيعتنا ومن ثم سأتترك الأمر ،  
وبعد يومين أو أكثر من وقوع الحادثة ذهبت إلى خدمة  
الصدر الأعظم .

فقال (الصدر الأعظم) : ماذا رأيت فى سفرك لسمنان  
يا حاجى خان؟ ينبغى أن تستعد للرحيل فعقبت روحى فداؤك إنه  
لمعلوم أن عبدك مريض وعليل فى بلاط جلالتك المفخم ،  
وأخشى أن أذهب هناك فأمرض وأموت ، فى حين أن هؤلاء  
الأطفال الصغار - أطفاله - ولا أحد يعولهم ، ولن يجدوا  
الرعاية الكافية فى الغربية فى ذلك الإقليم ، بينما لو ظلوا هنا  
سيجدون الرعاية التامة كما يجدونها هنا فى ظل بلاطكم السامق،  
فأقضى العمر فى هناء ولسوف يكون هذا سبب مزيد من الدعاء  
لكم ، قال الصدر الأعظم : لا توجد خدمة مناسبة لك هنا والتي  
يمكنك أن تقوم بها ، وأنت لست شاباً أو وسيماً ولا تجيد حسن  
الحظ ، أو القراءة أو الكتابة ، وليست عندك دراية بالشعر  
والشعراء ، ولست حكيماً أو طيباً ، فقل لى أنت فى أى عمل  
اعينك ؟

فعقبت نفسى فداؤك لقد أقمت كثيراً فى الممالك الأجنبية  
وتعلمت " اللغة الكردية " فى تفليس ، وأنا على دراية إلى حد  
ما باللغة الروسية ، فلو كانت هناك خدمة أو عمل فى وزارة  
الخارجية ، فيمكننى أن أقوم بها ، فهذا شئ أنسب ، قال الصدر  
الأعظم ، إذن ينبغى أن تصبر فهناك شخص لا أرغب فى  
وجوده ، وكنت من فترة أريد أن أنحيه عن العمل ، ولكنه على  
علاقة بشخصية كبيرة ذات شأن، فبلاشك سوف تسنح الفرصة،



فكن على اهبة الاستعداد لأرى ولأفكر فى الأمر ، والآن إنما  
منتظر والحمد لله ، كما أنى لى زوجة وولد وبنت ، وإنى لراض  
تماماً على زوجتى ، فهى ربة بيت ، ولا أفكر فى بيت آخر ،  
وهذا مجمل حياتى .

والآن جاء دورك ، فتحدث ، قلت أليس لديك من الألقاب  
لقب ما ؟ ففى إيران لكل خان لقب خاص ذو شأن ، قال لا ،  
لقد أعطانى جناب " مشير الدولة " قائمة بالألقاب ومد يده فى  
الجمعة التى بجواره ، وأخرج قطعة ورق وأظهرها قائلاً : ها هى  
صورة منها عندى ، وقال لقد ارسلها لى حتى اختار لقباً منها  
ولكننى لم أرد ، فقلت لماذا ؟

قال فكرت فربما ذهبت " لتبريز " لغرض من الأغراض ،  
وأنت لا تعرف أوباش تبريز جيداً ، فأنا أعرف أنهم يحرمونها  
(الألقاب) ، وهم يعلمون منذ البداية إننى مجرد سخرة ، ولذا  
سيشتموننى ويعيروننى بشتائم " الحمار " والبغل " والكلب "  
والقط " فيفتضح أمرى .

قلت : أهناك خطر من لقب الخان ؟

قال : لا ، أصبح لقب الخان مثل الأسماء العامة ولا يعد  
من الألقاب الخاصة .

بل أصبح يتلقب به البقالون والفلاحون وصناع الغرابيل

والمطربون ، علاوة على الكثرة العامة ، فالآن هذا اللقب مثل  
سائر الكلمات والتي تبدأ بحرف الخاء مثل (خرما ، خيار ، خانه ،  
خان ، خلعت ) فلم يعد له احترام أو امتياز ، وبعد ذلك رفع  
يده وأعطاني قائمة الألقاب فاخذتها فرأيت " معركة " فعلى الرغم  
من إننى ضقت بكتابتها ، فهى أذيه لقراء هذه السياحة ، ولكن  
ماذا أفعل ؟ فلا يمكننى أن أخرج عن وصية المرحوم أبى ، فقد  
أوصانى قائلاً : اكتب كل ما تراه ، والآن أكتب مضطراً قائمة  
هذه الألقاب ، عز الدولة ، شهاب الدولة ، نصر الدولة ، مؤتمن  
السلطنة ، معز الدولة ، مستشار الدولة ، أمين السلطان ، شجاع  
الدولة ، صنيع الدولة ، طيب الدولة ، حكيم الدولة ، كاتب  
السلطنة ، شعاع الدولة ، عزيز الدولة ، مشاور الدولة أو  
السلطنة ، افتخار الدولة ، ظفر السلطنة ، مظفر الدول ، ظفر  
الدولة ، حشمة الدولة ، شريف الدولة ، ظهير الدولة ، حسام  
السلطنة ، معين الدولة ، معظم الدولة ، مكرم الدولة ، نائب  
السلطنة ، نصرة الدولة ، حسام الدولة ، سهام الدولة ، كاتب  
السلطنة ، يمين الدولة ، يسار الدولة ، آصف الدولة ، غاية  
الدولة ، أرفع الدولة ، اعتضاد السلطنة ، إقبال السلطنة ،  
أوالدولة ، سحنة الدولة ، مجير السلطنة ، وكيل الدولة ، أمين  
الدولة ، شحنة السلطان ، جلال الدولة ، جمال الدولة ، مجد

الدولة ، نجم الدولة ، كوكب الدولة ، مشكوة الدولة ، مصباح  
الدولة ، سراج الملك ، مؤيد الدولة ، شجاع السلطنة ، ضياء  
الدولة ، مهندس الدولة ، معمار الدولة ، ضرغام الدولة ،  
حاجب الدولة ، حارس الدولة ، ناظم الدولة ، منطق الدولة ،  
نقيب الدولة ، خطيب الدولة ، أديب الدولة ، شعاع السلطنة ،  
افتخار السلطنة ، ركن الدولة ، ممتهن الدولة ، معتمد الدولة ،  
بهاء الدولة ، احتشام الدولة ، سيف الدولة ، رمح الدولة ، زكى  
الدولة ، رضى الدولة ، صارم الدولة ، صمصام الدولة ، قوام  
الدولة ، علاء السلطنة ، وقر السلطنة ، شرف الملك ، عز الملك ،  
افتخار الملك ، اعتماد الملك ، انتصار الملك ، اعزاز الملك ،  
مبشر السلطنة ، مدير الملك ، معز الملك ، صدر الدولة ، عضد  
الملك ، عضد السلطنة ، صديق الدولة ، خازن الدولة ، قادر  
الدولة ، مقتدر السلطنة ، اعتصام السلطنة ، وكيل الدولة ،  
خازن الدولة ، مقتدر السلطنة ، اعتصام السلطنة ، وزير الدولة ،  
نير الدولة ، شجاع الملك ، ذكاء الملك ، بيان الملك .

بناء الملك ، معين الملك ، احتشام الملك مستنصر السلطنة ،  
أرفع السلطنة ، عدل الملك ، معين الدولة ، معين الولاية ،  
نصرة الملك ، إقبال الملك ، إقبال السلطنة ، حكيم الملك ،  
طيب الملك ، فيلسوف الملك ، مسيح الملك ، سهام الملك ،

سهام الملك ، قوام الملك ، خازن الملك ، علاء الملك ، كاتب  
الملك ، بهاء الملك ، ضياء الملك ، نظام الملك ، عضد الملك ،  
ظهير الملك ، سيف الملك ، شمشير الملك ، معتمد الملك ، ناظم  
الملك ، سراج الملك ، وكيل الملك ، نجم الملك ، حشمة الملك ،  
مشير الملك ، مشكوة الملك ، أديب الملك ، أديب الممالك ،  
أمين الملك ، مهندس الممالك ، محقق الملك ، سعد الملك ،  
صنيع الملك ، شهاب الملك ، سحاب الملك ، يمين الملك ، لسان  
الملك ، صدق الملك ، صديق الملك ، ناصر الملك ، ناصح الملك ،  
عميد الملك ، عماد الملك ، عماد السلطنة ، ساعد الملك ، ساعد  
الدولة ، ساعد السلطنة ، ساعد الوزارة ، محقق الدولة ، محقق  
السلطان ، أمين البلاط ، أمين الشورى ، أمين الخلوة ، أمين  
الحضرة ، أمين الحضور ، أمين الديوان ، أمين الجيش ، أمين  
الحرم ، أمين الخاقان ، أمين همايون ، أمير نظام ، مشير نظام ،  
وزير نظام ، شجاع نظام ، مشرف نظام ، قائد الجيش ، بدائع  
الرسام ، وقائع الرسام ، أمين الوزارة ، نائب الوزارة ، معين  
الوزارة ، اعتضاد الوزارة ، اعتماد الوزارة ، معتمد الوزارة ،  
(فقلت ) لن تنتهى القائمة يا والدى ، فقال لك ما تريد صدر  
العلماء ، اعتماد العلماء ، افتخار العلماء ، ودعك أيضاً من هذه  
الألقاب فغير لازمة لنا ، ملك التجار ، وكيل التجار ، أمين  
التجار ، وينبغى أن نترك هذه الأسماء أيضاً ، فلسنا من طبقة  
التجار ، صدر الذاكرين ، فخر الذاكرين ، سيف الذاكرين ، وهؤلاء

أيضاً من قراء التعزية <sup>(١)</sup> والذين ليس لهم صلة بعوالمنا .

ودعك من هذه الألقاب العديدة ، وقلت يا حاجى خان ، لقد وضعوا علامات بالألوان الحمراء والزرقاء فوق بعض هذه الألقاب فلم هذا ؟ قال : حسن إنك قوى الملاحظة ، فتلک الألقاب التى أخذت علامة اللون الأحمر ، تخص أمراء الجيش ، والتى لاتعطى لأقل من أمير الخمسة ، أو تمنح لعميد ولا يمكن لأمثالنا أن يحصل على تلك الألقاب إلا فى مقابل رشوة كبيرة ، وتلك التى أخذت علامة يمكننى أن اختار لقباً منها لنفسى ، ولكن للسبب السابق لم أرد لقباً منها ، هذه سيرتى تحدثت عنها كاملة فتحدث أنت عن حياتك تفصيلاً حتى نرى ماذا حدث لك حين

(١) يبدأ الإيرانيون مراسم التعزية فى مقتل الحسين مع شهر المحرم وتستمر حتى نهاية صفر فتشيع البلاد باثواب الحداد وتعطل الملامى ، إلا أن أشد أيام التعزية وأرهباها هى العشرة الأولى من المحرم ، فتقام المجالس للغناء فى كل مكان ، ويتجمع النسوة والرجال ويقوم فى هذه المجالس متكلم بليغ حسن الأداء ، يقص مأساة الحسين وينشد المراثى فى صوت حزين ولحن منغم فيغلب الناس البكاء ، وتجري دموعهم حبة عند الله ، وقد يبكى المتكلم أيضاً فيزيد تأثيره فيهم ، ويسمى هذا الرجل (روضه خوان) أو (روضه خون) فإذا كان اليوم العاشر وهو أروع أيام الحداد ، خرجت هذه الجموع فى فرق منظمة أشبه ما تكون بفرق الجنود فى الاستعراض ، فتسير فى الشوارع ، بعضهم يضرب الصدور ، فيسمون (سينه زنان) وبعضهم يضرب الظهر العازية بالسلاسل ، ويسمون (زنجير زنان) والبعض يشج الرأس بنوع من المدى يسمى (قمة) بفتح القاف وكسر الميم ، ويقال لهم (قمة زنان) .

ويتقدم هذه الفرق جماعات ينشدون عبارات محزنة بنغمات رتبية ، على وقفاتها تضرب الصدور والظهور ويردد مقاطعها القوم بعدهم ، فهم يقومون بدور الناديات فى مآثنا الشعبية ويسمون (نوحه خوان) أى النائحون ، والمشهد الرهيب يملأ النفس اسى ، والقلب شجى والجو ضجة وعويلا ، ويحس مشاهدته اهتزاز الأرض تحت أقدام الآلاف المشتركة فى هذه المواكب الصاخبة ، أنظر :

- أمين عبد المجيد بدوى : القصة فى الأدب الفارسى ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٧٧ . .

اخترت السفر من مصر حتى هنا ، وفى الحقيقة إننا اليوم لم نتناول طعام الغداء كعادتنا ، فنحن جوعى ويستحسن أن يحضروا العشاء ، وبعد ذلك سأعرض لسيرتى فأحضروا العشاء وهو "كفته" جيدة ، فتناولنا الطعام ، فطلب الخمر فأقسمت أننى لم أشربها ولن أشربها ، وحينئذ بدأت فى الحديث وقلت أن سيرتى ليست بالطويلة جداً ، إذ جئت من مصر عازماً زيارة المشهد المقدس ، وبعد أن شرفنا بزيارة تلك العتبة الطاهرة ، شاهدنا كل مكان ، حتى وصلنا هنا ، وفكرت فى أن أذهب لأذربيجان من هنا ، إذ يجذبنى كل مكان فيها ، ورغبت أن اتخذ مسكناً لأذهب لممتلكاتى فى (مصر) لأبيعها وأغادرها فأقيم فى أى بقعة فى وطنى العزيز ، والذى هو عندى أعز ألف مرة من (مصر) ، ولكن لسوء الحظ لم أر مكاناً مناسباً لى حتى الآن ، والآن أفكر فى الحصول على واسطة ، حتى أصل إلى خدمة نفر من الوزراء الكبار ، فلدى بعض المقترحات والعروض الشفهية ، والتى سأعرضها ، فلو تحقق هذا الأمر عن طريقك فحينئذ أستطيع أن أقول لك : يا حاجى خان ، وإلا ستكون ذلك الصعلوك ملا محمد على الذى كان ، قال لو تريد توسطاً لأى شئ ، أو ستقدم التماساً لمنصب كبير ، يمكننى أن أوصلهما لك ، لكن لا يمكننى مساعدتك فى بلوغ مجلس الوزراء ، ومحادثتهم ، أى لا يمكننى أن أفعل هذا بهذه السرعة ، فلو بقيت مدة خمسة أو ستة أشهر هنا فذلك ممكن .



وينبغي أن تنتظر الفرصة فترة من الوقت ، قلت لا يمكنني أن أبقى في هذه المدينة ، فترات طويلة ، إذ ينبغي أن أذهب ، ولكن بعد صمت قليل قال : مَنْ مِنَ الوزراء تريد أن تراه ؟ قلت وزير الداخلية ، وزير الخارجية ، وزير الحربية ، قال : الآن فكرت فيما ستتج عنه هذه الحيلة ، فأخرج ثلاث ورقات كتبها ووضعها في غلاف وكتب فوق كل واحدة من الورقات الثلاث شيئاً ما ، فقال هذه باسم ميرزا كاظم بيك ، فهو معلم أطفال وزير الخارجية ، وهو نفسه عربى الأصل ، ويحب العرب كثيراً ، فحينما يرى أنك عربى سيسعد كثيراً ، وسيقبل طلبك راضياً ، وسيقوم بإنهاء مهمتك (والأخرى) باسم رضا خان ، وهو خادم وزير الداخلية ، وعليك أن تعطيها له (والثالثة) باسم أسد بيك ساعى وزير الحربية ، وعليك أن ترسلها له ، وإن لم يقبل رضا خان وأسد بيك ورفضاً ، فأرشفهما ببعض التومانات خفيه ، أما ميرزا كاظم فهو لا يقبل الرشوة مطلقاً .

ويعرف : مشهدى حسن كرمانى " هذه الوزارات ، فاتخذته دليلاً لك غدا حتى تحقق هدفك ، فسعدت كثيراً ، وقلت لك الشكر<sup>(١)</sup> يا حاجى خان ، لك الشكر وبعد هذا قال الحاجى خان : لا تقلق من شئ فإذا أردت شارة أو شخصاً (واسطه) فيمكنني أن أساعدك ، قلت : لا . . لست في حاجة إلى نشان أو شئ آخر

(١) أوردها الكاتب هكذا : مرسى : (Merci)

من هذا القبيل ، قال إن كنت لست فى حاجة له فلماذا لا تأخذه من أجل أصدقائك ؟ فإذا أردت اثنين أو ثلاثة من الفرمانات والنياشين من درجات مختلفة ، فيمكننى أن أحصل لك عليها بدون تحديد الاسم ، وأعط أنت من تريد فى الخارج ، قلت يا عزيزى وإن قلبى قد دمى من هذه الأوضاع ، فلا تجعلى دلالة لبيع الشارات ، فإن الله يذل من يستهين بنياشين الدولة إلى هذا الحد ، وأن من هو سئ الطبع وخسيس هو من يمكن أن يرضى بهذا العار على نفسه ، فماذا يعنى بيع النياشين ، فإن كل من يبيع عرضه وشرفه لهو أفضل من هذا ، لأن هذا يتعلق بذاته وشخصه ، وذلك يتعلق بعامة الناس ، وينبغى أن ننظر إلى نياشين الدولة نظرة تقديس وإجلال ، وينبغى أن لا نفرط فيها ولو بارواحنا ، ولتحقيق ذلك فلنضع أرواحنا على أكفنا ، ونحن نعلم أن عزته وشرفه أسمى من كل شئ ، فأى شئ سيعلى من شأن دولتنا وشرف شعبنا فى الخارج ؟

قال ما هذه الأفكار يا بنى ؟ ألا تعلم أن حاجى محمد باقر الملقب "بكرك يراق" قد سافر عدة مرات إلى روسيا والنمسا وحمل معه أربعين نيشاناً من درجات مختلفة من الفرمانات المختومة بالخاتم الأبيض ، وأنا رأيت فى البلاد الروسية بنفسى ، وكان يبيع الواحد من هذه النياشين والفرمانات من مبلغ ستمائة من المنات حتى الألف من المنات ، وقد تقاضى هذه المبالغ قلت

لعل ملك المملكة <sup>(١)</sup> لا يعلم بهذا ؟ قال أى شئ يعلمه ذلك  
المسكين (الملك) فهو مشغول بنفسه لا يعلم رأسه من قدميه ،  
ويبيع هذه النياشين أيضاً وزير الخارجية والصدر الأعظم ، وهنا  
لم أستطع أن أمسك بزمام نفسى ، فأخذت أتشنج باكياً وخطر  
بىالى أن أشدو بيتين لأحد الغيورين على شعبهم من أجل  
الوطن ، ولما أنهما مناسبان لهذا الحال ، فإن اثبتهما هنا .

أيها الوطن إنى أرى اللجنة العليا ليست فى لونك ورائحتك  
وليس هوى خاطرى سوى الطواف فى حاك  
فاللهم اجعل من لا يسعى لزيادة

شرف الوطن حزينا ومتألماً فى أيامه <sup>(٢)</sup>

أجل اللهم اضرب الذلة على من لا يعملون بكل طاقاتهم فى  
سبيل المحافظة على شئون الدولة والشعب ، والذين أضاعوا شأن  
وطننا وشعبنا العظيم . ثم نظرت فى الساعة ، فرأيت أن نصف  
الليل قد انقضى ، فقلت اسمحوا لنا لنذهب ، فليس بعيد أن  
يلقى رجال البوليس القبض علينا فى الطريق ، قال إن غلامى  
سيرافكهما أثناء الطريق إذ يعرفهم جميعاً (رجال البوليس) ونادى  
قائلاً : يا غلام على احضر الفانوس ، وغلام على هذا ، هو

(١) ملك إيران فى هذا الوقت : ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) .

(٢) وطن بهشت برينم برنك وبوى تونىست

هوای خاطر من جز طواف كوى تونىست

الهى انكه در أيام بى كله باداً

سرى كه درى تزويد آبروى تونىست

ذلك الطباخ المسن القذر الذى سبق ذكره ، ورأيت أنه أضاء  
الفانوس ، وقد تمنطق بسلاح " القمه " <sup>(١)</sup> كأنه استعداد شبابه ،  
فرافقنا حتى باب الخان فطرقنا الباب وفتح ، وانعمت على غلام  
على باثنين من القرانات ، وقال ليمد الله فى عمر الخان ، قلت  
لست خاناً يا والدى العزيز ، قال : واحسرتاه " ايكون الخبز  
بهذا الرخص يا مدينة طهران " <sup>(٢)</sup> فحتى الآن لم تصبح خاناً فمتى  
إذن ستكون ؟ فضحكت ورحل ، ووصلنا إلى المنزل وخلدنا  
للنوم .

وفى الصباح استيقظت وبعد أداء الصلاة واحتساء الشاي  
سيطرت على أفكارمشوشة ، فيالها من ليلة ، لقد رأيت فيها  
بعض الأحلام المفزعة ، وكانت الساعة وقتئذ تجاوزت الرابعة ،  
ورأيت مشهدى حسن قادماً من بعد ، فأراد أن يصعد لنا فقلت لا  
تأت سنذهب معك إلى أى مكان ، وإرتديت العباءة وسرنا ،  
وقلت ينبغى أن تدلنا على بيت وزير الداخلية ، ومن هناك  
سنذهب أيضاً إلى منزلى وزير الخارجية والحرية ، فقال مشهدى  
حسن أساعدك حاجى خان ؟ قلت : نعم ، ثم ذهبنا سوياً إلى  
منزل وزير الداخلية ، ولو وصفت تلك العمارة فإن الحديث  
يطول وسألنا عن رضا خان فدلونا ، فذهب إليه والقيت عليه

( ١ ) قمة : بفتح القاف وكسر الميم : وهو نوع من المدى يستخدمه الإيرانيون أحياناً فى شج  
رؤسهم أثناء مراسم التعزية فى شهر المحرم ، ويقال لهم " قمه زنان "  
( ٢ ) المقصود بعبارة ( واحسرتاه يا مدينة طهران ايكون الخبز بهذا الرخص ) ، أى كيف يا  
مدينة طهران لم يصبح هذا حتى الآن خاناً وهو أهل لهذا اللقب .

السلام ، وقدمت له ورقة حاجى خان ، فقرأها وردها على قائلاً ، لم تعدلها قيمة ، ولا يمكن تحقيقها ، فقد ولى زمانها ، فأعطيته جنيهاً إنجليزياً ، فرمقنى بنظرة ، وقال اصبر قليلاً وجاء بعد خمس دقائق وقال : تفضل ادخل الحجرة ، وانحنيت مؤدياً مراسم التعظيم ، فرأيت جناب الوزير وقد جلس جلسة العظماء مرتدياً لائه رديئة ، فتوقفت أنا بدورى فقال : ما الموضوع ؟ قلت نفسى فداؤك ، لدى موضوع ، فقال تحدث ، قلت موضوعى طويل وأنا أيضاً غريب عن هذه الديار ، ولا يبعد عن كرم حضرتكم أن تأذن لى بالجلوس .

فحينما أجلس أعرض موضوعى على تراب قدميك المباركتين ، وبعد أن فكر قليلاً ، قال حسن ، اجلس وتحدث ، وبعد الدعاء والمدح جلست وقلت إننى جئت من مكان بعيد وأنا غريب عن هذه المدينة ، ومذهبى هو الشيعة ، ومن أصل إيرانى وأول اقتراح لدى على وزارتك المفخمة والمظفرة ، هو أن تصفوا لمقترحاتى حتى النهاية ، وبعد ذلك تحدثوا عما ترونه صواباً كان أم خطأ ، قال تحدث : قلت سمعت "عن هذا" فى الخارج ولكننى الآن أراه بعينى ، فمملكه إيران خربة إذا ما قورنت بسائر الممالك الأخرى فى أنحاء العالم ، وجلالتكم يتقلد المنصب الرفيع لوزارة الداخلية ، فينبغى عليك أن تكون على علم بكل مهام وزارة الداخلية وشئونها ، ووفقاً لما يقتضيه ذلك المقام العالى ينبغى عليك

أن تقضى أوقاتك ليل نهار ، فى تعمير البلاد والأخذ بالأسباب  
التي من شأنها أن ترفع من شأن الدولة وراحة المواطنين ، والآن  
أخبرنى لنرى فى أى مدينة من مدن هذه المملكة المترامية الأطراف  
أنشأت مستشفى ؟ أو داراً للمعوقين أو ملجأ للأيتام ؟ وهل  
أنشأت معهداً حرفياً من أجل تأهيل أطفال الملاجئ ؟ وفى أى  
قصة من قصبات البلاد قمت برصف الطرق من أجل تيسير  
وسائل النقل للمواطنين ؟ وهل بحثت عن أفضل الوسائل لرقى  
الزراعة والفلاحة وتسهيلهما واللتين تعدان عصب حياة الدولة  
والشعب ؟ وماذا قدمت أو أعطيت من تسهيلات بصدد رقى تجارة  
البلاد والتي لا تغفل عنها الدول الكبرى دقيقة فى هذا الشأن إلا  
وبذلت ، ولعلها أنفقت ملايين الأموال بغية ترويجها ، وقد  
ضحت بالدماء من أجل تحقيق هذا الهدف عند اقتضاء الأمر ؟  
فماذا صدر عنكم من خطوات جدية ، وهل تعلمون بما يُصدر  
للخارج سنوياً من منتجات إيران ، أو ما يعود على إيران من  
دخول أموال التجارة ؟ ، عجباً ألم يخطر بذهنكم المبارك ،  
فتكون قد تدبرت الأمر فيما يصدر للخارج من كم المنتجات  
والمحاصيل المحلية فيكون الصادر أكثر من وارد المملكة ، حتى  
يزيد دخل المواطن عما ينفقه ، فتغنى الرعية بتلك الوسيلة وتعمّر  
خزانة الدولة ؟



فلماذا يحتاج الإيرانيون إلى الخارج حتى فى أبسط متطلبات الحياة؟

فهل اختص الله الشمع الكافورى بصنعتة الكاملة ، أم أنه من عمل البشر ؟ وهل يسقط السكر من السماء؟  
عجباً الا تملك أرض إيران الاستعداد لزراعة البنجر وقصب السكر ؟ (١) .

وكان شحوم ثيران إيران ودوابها ، لا يمكن استخلاصها مثل شحوم مواشى الشعوب الأجنبية (٢) ، وياللعجب لعل قطن إيران هذا كله والذي يصدر للخارج بمئات الآلاف لا يكفى أهلها ملبساً؟  
أتعلم يا جناب الوزير كم عدد سكان إيران؟ وكم عدد المولودين والذين هم عصب بقاء قوميتنا ودوامها؟ وهل بحثت حتى الآن فى أسباب هجرة كل هذا العدد من المواطنين الذين يتفرقون بين ممالك الروس وتركيا والهند ؟ وهل تدبرت الأمر لمنع تلك الهجرة؟ ولماذا لم تخطط خطوات من أجل رفع الحاجة والمعاناة عن كاهل الشعب ، أو على الأقل أن تؤسس بعض المصانع الصغيرة فى بعض المدن المناسبة لذلك ؟ ستقول إن إنشاء المصنع ليس من اختصاص الوزير ومهامه وهذا مسلم به ، لكن تسهيل هذا الأمر

( ١ ) حدث أكثر من مرة أن ارتفعت اسعار السكر فى إيران فى عصر ناصر الدين شاه رابع الحكام القاجاريين وذلك لسببين ، السبب الاول الاحتكار ، والثانى قلة الانتاج .  
( ٢ ) استغهام تهكمى وساخر على تخلف البلاد فى مجال الصناعات المختلفة .

وتشجيع الشعب ومراعاة حقوق الرعية هو عمل الوزير الكفاء العاقل والعاقل ، وبالله فإن ما عرضت له تفصيلاً لهو كله من مهام وزير الداخلية فى البلاد الخارجية ، وينبغى عليه أن يقوم بهذه الأعمال الإصلاحية فى كل مكان ، ويجعل إدارتها فى يد الرعية ، وحينما لا يفعل ذلك تقع عليه التبعة والمسئولية .

ولماذا لم تسأل عن أسباب بؤس الشعب وهجرته ؟ إذ كل عام يترك آلاف المواطنين الإيرانيين دورهم وديارهم ، نازحين إلى تركيا وروسيا والهند ويعيشون فى ذلة وشقاء عند الصديق والغريب فى الدول الأجنبية غرباء؟ ألم يحزن بعد ذلك الزمان والذى لا يبيع فىك وزراء إيران الرعية للحكام والحكام يبيعونها للخدم ، والخدم للأمراء وللعسس ، وأولئك للعمد ، وهؤلاء لكبار السعاة ونوابهم؟ وفى أى مدينة يشاهد أن رئاسة المدينة يمكن أن تؤجر وتباع ؟ وحيث ينبغى التعامل مع أراذل الناس وأخسهم من الظلمة ، إذن يجب الإنصاف ، إذ تسمى هذه الوظيفة الرفيعة بدائرة البوليس فى البلاد المتمدينة ، وهل يجوز أن يكون رجل البوليس غير كفاء وجاهل وعلاوة على ذلك يتهم أبناء التجار المحترمين بالأفعال المشينة والأساليب الملتوية ، فيبيعون شرفهم وفخارهم من أجل خمسة تومانات ويأخذون باسم الجريمة والتي لفقوها أربعين أو خمسين تومانا من شاب نجيب وحيى ، وذلك بسبب خجله من والده وأخيه بدون أدنى ذنب أو جرم .

هل لا تعلم بالوضع المؤسف لهذه الجمارك والتي ليست لها  
تعريف محددة ، إذ تعد موضع شماته الصديق والعدو ، إذ أنهم  
يأخذون على شئ واحد من المنتجات المحلية أو الأجنبية من  
شخص اثنين من التومانات ومن آخر تومانا واحداً ، ومن شخص  
ثالث لعل والده جندي أو أخاه مدفعي يأخذون منه خمسة  
تومانات ، ولا يحتاج إصلاح مثل هذا الأمر إلى مال أو مخلوق  
من السماء؟

إلى متى سيظل حل الأمور وعقدها ، فى أيدي الحكام  
الظلمة ، خاصة فى شأن تعاملهم مع الرعية وأخذ الضرائب ؟  
ألا يوجد ما يشبه كتاباً للوائح ودستوراً للعمل ، وحتام تهملون  
فى ودائع الله النفيسة والتي هى الرعية ، لقد تركتموهم للحكام  
الأدنياء بهوى أنفسكم ، فلا مناص من أن يصيبكم شئ من تبعية  
المطالب الرازلة لهؤلاء الأدنياء ؟ وهل ليس فى وسع دولة ذات  
ثلاثة آلاف سنة (إيران) أن تقيم إدارة صحية فى كل مدينة من  
مدنها الكبرى ؟

وتعين عدة أطباء فى تلك المناطق ، وبذلك تخلص أهل المدن  
من "الأجل المعلق" والذي هو ناتج عن جهل وعدم معرفة  
المتطبيين ؟ ولماذا لا يكون هناك مستشفى من أجل علاج مرض  
الجزام والبرص والذي يسهل علاجه فى بدايته ، حتى لا تصيب  
(العدوى) أى مسافر عند دخوله أى مدينة صحية لهؤلاء التعساء،

إذ أن أذى هذا المرض اللعين يصيب شفاء الناس ورؤسهم  
فتعوج أعينهم وأفواههم ؟ وكذلك ينبغي منع التسول لدى  
الإيرانيين وغير الإيرانيين إذ إنهم يمدون أيديهم هائمين على  
وجوههم كالحوانات فى الصحراء وقد طردوا عن الدار والديار  
وهو منبوذون فى أنظار أهليهم وأسرهم ؟

والله إن من يحب بلاده ويغار عليها ليفضل الموت على أن  
يرى أولئك البؤساء ، وقد رأيتهم بنفسى ذات مرة ، ولا يزال  
قلبى يرتعد وأنتم ترون يومياً كل هذا ، ولم يجرح كبرياءك شئ ،  
فلعل هؤلاء ليسوا أبناء وطنك وأخوتك فى الدين ؟ وترون غيركم  
يعانون كل المعاناة من أجل حماية روح من أرواح مواطنيهم  
وأتباعهم ، فكم من الأموال ينفقونها فى سبيل ذلك . وإصلاح  
هذه الأمور والتى فى أنظار الأجانب وصمة عار للدولة  
والشعب ، وموضع لوم المحلى والأجنبى ، لا يحتاج إلى كثير من  
الأموال مما يجعل الدولة والشعب عاجزين عن تنفيذها ، وبالله  
فإن إصلاح هذه المفاسد والتى هى سبب الاستهانة بشئون الدولة  
فى أنظار الأجانب ، لهو من السهل اليسور فلماذا إذن يؤخذ من  
الرعية المسكينة هذا الكم من الرشاوى وأموال الجرائم المدبرة .

إذ إنه على هذا النحو وخلال عشرين سنة ، يصبح أولاد  
رجل فقيه وأقاربه والذى عين فى وظيفة (ملا) وبواسطة نفر من  
الدولة حيث يتقاضى مرتب ستين تومانا سنوياً يصبح هو وأولاده

وأقاربه من الأغنياء الأثرياء فتبلغ ثرواتهم حيثئذ مئات الآلاف ،  
فى حين أنه لايهتم بإصلاح أبسط مساوئ البلاد ، بل أنه رجع  
ليأخذ من الإعانة العامة ، وهكذا أحجم عن العمل المقدس ، وما  
يهمنا فى هذا المضمار هو فقط حسن النية والتدبير والصدق  
والقناعة ، وحينما يعرف الشعب ويفهم أنه من الدولة وأن الدولة  
من الشعب ، وهما عنصران متلازمان وغير مفترقين ، ولا  
يختلفان إلا فى اللفظ ، لكنهما فى المعنى واحد ، فإن كل الأمور  
المستعصية ستجد الطريق لحلها ، وعند اتحاد هذين العنصرين  
الهامين ، لا يمكن أن تقف أى مشكلة أمام الوطن ، فتتقدم  
الدولة كلها بفضل الاتحاد ، وتنهار عند النفاق ، فبالعدل  
والمساواة ، يمكننا أن نقهر كل العراقيل والصعوبات ، وقد دمی  
قلبی أثناء السفر والذي رأيت فيه جزءاً قليلاً من مدن إيران ،  
فكل موضع من المملكة مضطرب ، الشعب مضطرب ، والتجارة  
مضطربة ، والفكر مضطرب والعقائد مضطربة " المدينة مضطربة  
والأمير مضطرب " (١) بالله ما هذا الإضطراب ؟

وأنى لا تعجب أى فائدة لكل هذا العدد من الوزراء مع كل  
هذا الاضطراب؟ فهذا هو موضوعى والذي أسألك عنه وعن  
أسباب كل هذا الاضطراب .

( ١ ) كرر الكاتب كلمة "پریشان " وهى تعنى مضطرباً عشر مرات فى خمسة سطور ، مما  
يوضح مدى تأثر الكاتب بهذه المساوئ .

وبماذا ستجيب لو سألك رسولا الله قائلاً : يا وزراء إيران  
ويا رؤساء الشعب أين شريعتي ؟ وأين عتاد جهادكم ؟ وأين  
مجاهدوكم ، وأين إيمانكم الذى قرنت حب الوطن به ؟ وبأى  
عذر من الأعذار ستعذر؟ وحينما سيسألك صديق أو عدو قائلاً  
هل منعك شئ بأن تحكم بدون نزاع خارجى فى استقلال وراحة  
تامين خلال حكم الخمسين عاماً أو يزيد ؟

ألم تستطع أن ترى خمسة وعشرين شخصاً من بين خمسة  
وعشرين كروراً<sup>(١)</sup> ؟ من سكان إيران حتى يمكنهم أن يتعهدوا  
بإدارة جمارك المملكة بشكل لائق حتى لا تحتاج أن تستأجر من  
البلاد الأجنبية أفراداً بمبالغ باهظة لكى يعملوا فى جمارككم ؟  
وبماذا ستجيب لو سألك أجنبى أى شئ منعك بأن ترفع الناتج إلى  
مليون تومان فى مدة الستين عاماً فى خلال الضرائب فى هذه  
المملكة المترامية الأطراف ؟

بحيث تصبح هذه الأموال الزائدة ضمن ما ينفق فى الدفاع  
عن الوطن ، فبأى جواب مفحم سترد عليه ؟ ، فى حين  
تضاعفت أموال سائر الممالك الأجنبية القاصية منها والدانية عدة  
مرات خلال مدة الستين عاماً ، وقد زاد أيضاً نفس القدر من  
العمران فى تلك البلاد وكذلك عدد سكانها .

(١) الكرور : خمسمائة ألف .



ولو سألكم يا صاحب الشرف كيف تصرفت فجعلت الدخل القومى منحصرأ فقط فى أخذ الرشاوى والهدايا وثمان الجريمة وغفلتم عن عوامل زيادة الدخل وترويج التجارة والتوسيع فى رقعة زراعة البلاد فبماذا ستجيئون عن هذه الأسئلة بما يرفع روءسكم المطأطئة ؟ هل كنتم تخافون من العمل فى حقول أدغال المملكة والتنقيب على المعادن الدفينة ؟ وهل وجدتم فى شأن تيسير وسائل النقل أن ما يعود عليكم ، أقل فائدة من سلب الرعية ونهبها ؟ وهل لا تعلمون أن الرعية هى بمثابة أساس الدولة ، ومن ثم ينبغى تركها وشأنها بدلاً من سلبها ونهبها ، فالرعية بمثابة جسم الدولة فى الذود عنها ، واليوم فإن اضطراب الرعية يوماً آخر فيه ذلكم واضطرابكم وهوانكم .

**قال الوزير:** كلام هراء وانتهى ، كلامك كله عبث وتلاعب . وأنا لست على استعداد للاستماع إلى ترهاتك ، فمن هذا الحقيقر الأحـمق " ابن المحروق " الذى علمك هذه الأحاديث الفضولية ؟ فلعللى رسول آخر الزمان فأقول وأمتاه ؟ فكل شخص لديه الكثير من الآلام والهموم ، (فالأحمق) أخذ يثرثر لمدة ساعتين وأنا مصغ لما سيقول ، رجل حقير مجنون ، قف

واذهب لحالك ، يا لك من أحمق قم وأغرب عن وجهي ، فلا  
مناص من إننى نهضت وخرجت ، وعدت من الدرب الذى جئت  
منه ، ورأيت "حسن مشهدى" فى حديقة صغيرة يقف تحت  
شجرة ، قد اخذه النعاس بسبب الوحدة ، فقلت إنهض يا أخى  
لنذهب ، فالوقت الآن ليس وقت النوم فقال هل أنهيت مهمتك  
عند الوزير؟ فضحكت<sup>(١)</sup> وترددت فى الطريق محدثاً نفسى هل  
أذهب لوزيرى الداخلية والحرية أم لا ؟

وقلت لنفسى ينبغى أن يكون الإنسان ذا عزم فبالرغم من أن  
هذين لن يكون منهما علاج لآلام الوطن ، لكن مقابلهما أفضل ،  
فعلى الأقل أعزى بقولى لهما قلبى الحزين إلى حد ما .

وقلت لمشهدى حسن لنذهب لوزارة الخارجية ، قال : ليس  
هناك مانع ، ووصلت إلى بوابة وزير الخارجية ، فرأيت عدداً من  
السعاة والخدم وجندياً روسياً من القوزان كانوا يفقون  
أمام البوابة ، فسألنا السعاة عن ميرزا كاظم بيك ،  
فدلونا عليه .

(١) يرى فريدون آدميت أن رؤية الكاتب للوزير الأعظم "أمين السلطان" ليست حقيقية ،  
لكن وصفه لحكومة أمين السلطان وصف حقيقى وصادق ، انظر :

- فريدون آدميت : ايندولوزى هضت مشروطيت ايران ، ج ١ ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

ونظر الى رجل ذو سيماء حسن ، فألقيت السلام ، وأعطيته ورقة حاجي خان فقرأها وسألني بتلطف بالغ "تعرف عربى" (١) قلت نعم ، وأشار باللغة العربية إلى مكان وقال : تفضل ، فجلسنا ، فطلبت شايأ فجئ به وارتشفناه وبعد ذلك نهض هو نفسه وخرج ، وعاد على الفور وقال اصبر قليلاً ، أن النائب الأول للسفارة الروسية عند الوزير وقد اختلوا ، وقد أدركت بعد قليل من التأمل أن السفارة الروسية قد استاءت من إعطاء الإنجليز أحد الامتيازات وأن الخلوة بصدد هذا الموضوع ، فأما أنهم يتحدثون عنه وأما أنهم يريدون مثل ذلك الامتياز لأنفسهم ، وقد اتضح بعد ذلك مصادفة أنه كان "نفس الموضوع" وبعد ذلك بساعة ، ذهب ميرزا كاظم بيك ثانية ، وعند عودته جاء ومعه خادم من خدم الوزير ، وأوصى بى قائلاً : أنه سوف يصل إلى خدمة الوزير، ومر الخادم بكثير من الغرف ، ووقف فى موضع ورفع الستارة ، ودخلت الغرفة فرأيت الوزير يروح ويجئ فأقرأته السلام وعظمته، فقال ما هو الموضوع ؟ وكنت قد قلت نفس الديباجة التى كنت قد أعددتها عند مقابلتى لوزير الداخلية وطلبت الإذن بالجلوس، وسأل أنت من مصر؟ فقلت: نعم ، وفهمت أن كاظم

(١) هكذا أورد الكاتب اللفظتين "تعرف عربى" ولم يترجمها إلى الفارسية ، وقد اتضح أن المراغى كان يجيد اللغة العربية وقد تمثلها فى مجلداته الثلاثة ، بل أنه كان يحيط علماً بالثقافة العربية وقد أورد الكثير من الألفاظ العربية والأحاديث النبوية.

بيك قد عرّفه بي، وقال أنت تابع لرعية أى دولة ؟ قلت الرعية الإيرانية<sup>(١)</sup> قال لقد سمعت إن كل الأغنياء من رعية إيران فى مصر قد تخلوا عن جنسيتهم ، وانتموا إلى دول أخرى فرددت قائلاً : غير العبد ، فتبسم وجلس ، وأمرنى أيضاً بالجلوس ، وهنا طلبت منه أن يسمع حديثى إلى النهاية ، فقال ليس هناك إجبار أو ضغط شريطة أن يكون حديثك مجدياً وذامعنى ، فقلت أن كل ما سأقوله كله من باب تعصبى لبلدى ولست أقصد شيئاً آخر ، قال تحدث لأرى .

قلت لو يسألك يا جناب الوزير شخص غريب ومتعصب لبلاده (إيران) عن أسباب الفضائح التى يقتربها سفراءكم فى المدن الأجنبية هل تعلمون أم لا ؟

والام ستظل تذاكر الدولة والتى ترمز إلى الشعب الإيرانى فى أنظار الأجانب بلا معنى ولا اعتبار مثل ورق الدواء الملفوف لدى العطارين ؟ والام تباع حوالة شرفنا القومى هذه مثل ورق اللعب فى المحال المتعددة ؟ ، فهذه الحوالات ذات أسعار متفاوتة ، فمثلاً فى طهران بخمسة قرانات وفى تبريز بتومان واحد .

وعلى شاطئ الأرس بتومان ونصف التومان ، وفى

(١) ظل رين العابدين متجنساً بالجنسية الروسية فترة من الوقت ، ثم استعاد جنسيته الإيرانية بعد ذلك

"القوقاز" بأربعة منات ونصف المن ، وفى الأراضى العثمانية بخمسة وسبعين قرشاً ، وعلاوة على ذلك فإن موظفيكم فى كل مكان يبيعون هذه التذاكر لكل لص ومنحرف من الأجانب ممن يدفع أكثر من القروش ، ويقتربون أشكال الفصائح والسرقات فى الأراضى العثمانية والروسية حتى فى الغرب <sup>(١)</sup> باسم الرعية الإيرانية ، فهم يفضحوننا بين الشعوب ، وفى بعض المناطق التى يتولون حكوماتها يتضح بعد التحقيق أن ذلك اللص والنشال أما من الأرمن أو كرجى من القوقاز أو من قطاع الطريق والمُغِيرين العثمانيين والذين باع سفراؤنا لهم تلك التذاكر ، فهل سيبقى شأن عظيم لذلك السفير أو اعتبار من أجل تلك التذكرة التى تحمل العلامة والرمز لدولتنا وشعبنا ؟

وهل يجوز أن يرتكب بعض سفرائكم المعروفين والمشهورين هذه الفصائح الفظيعة فى مقابل بعض الليرات التافهة ، فلا يخجلون من مقامهم الرفيع ؟ وإلام تستمر هذه الرشوة المشئومة من قبل موظفيكم فتحول دون المعاقبة والمسئولية ؟ ياللعجب ألم يحسن الوقت بعد ، حتى تحولوا دون وقوع هذه الفصائح ،

(١) ذكر المراجع فى الجزء الثالث من كتابه سياحته ، أنه ذهب إلى الغرب خاصة فرنسا .  
- سياحته إبراهيم بك ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ .

فيتخلص الشعب والدولة من وطأة هذه الفضائح والأفعال المخزية؟ وإلام يفعل سفراء الدول الأجنبية ما يشاءون بسبب هذه الفوضى في البلاد ، وعلى النقيض فإن سفراءكم يتملقون أولئك الولاة والحكام وكأنهم في درجة أدنى منهم في ممالك الروم والروس؟<sup>(١)</sup> وسيتحمل سفراءكم - كستارة يخفون وراءها أعمالهم السيئة - سيتحملون هذه الكثرة المفرطة من مظالم وتجاوزات السفراء الأجانب مع قوة الدولة الإيرانية ، وأنتم لا تعلمون أن هذا مفهوم خاطئ لأنه يوجد في العالم دول ضعيفة جداً ، وحينما يكون الوضع والحال على هذا النحو ، فإن الأقوياء سيسيطرون على الضعفاء فتقلب موازين العالم ، نعم فكل دولة ليس لها قانون معين ومدون ثابت ، فإنهم يفعلون فيها كل شئ ، ولا يكون هناك مانع أو رادع لذلك ، والآن لما أن الجنرال "السفير الإنجليزي " أو الروسي أو الفرنسي لهم أفضال على حكومة البلغار ، والتي هي حكومة جديدة ، وعددها ليس أكثر من ثلاثة ملايين ، فإنهم (هؤلاء السفراء) يتدخلون في شئونها ، أو كأن يقول سفير من أولئك السفراء لأحد أفراد الرعية البلغار : قم من هنا واجلس هناك ، فإنه سيطيع الأوامر على الفور ، وحتى الآن فإنهم فعلوا الكثير برعية هذه الدولة السابقة الذكر ، وربما أن سفراء الدول الأجنبية هؤلاء ، يفعلون في إيران أكثر من هذا ، فاحتذوا هم أنفسهم حذو سفراء إيران وقناصلها .

(١) المعروف أثناء حكم خديوى مصر (اسماعيل باشا) وهو المعاصر لناصر الدين شاه أن سفير إيران في مصر (ميرزا ملكم خان) قد أخذ من خديوى مصر مبلغ عشرة آلاف تومان كإعانة لهذا استدعاء ناصر الدين شاه ثانية إلى إيران ، انظر : آرين يور ، أرسبا نيم ، ج ١ ص ٣١٨ .



فى حين أن أولئك يحافظون على حقوق الرعية (السفراء الأجانب) ، فإن هؤلاء (سفراء إيران) أنفسهم يغيرون على الرعية على الملأ ، فماذا يمكن أن نتوقع من الموظفين الأجانب ؟ فحينما لا يكون عندنا قانون أو عدالة ، فبأى لسان يمكن أن نحدثهم أنقول لهم عاملونا بالعدل والقانون؟ وإنى لألجأ إلى الله من هذا الوضع المشين الذى يبعث على الهم والحزن نظراً لأحوال الكادحين الإيرانيين الذين تصل أناتهم وآلامهم إلى عنان السماء ، إذ إنهم يهربون من الجور والظلم فى الداخل ليواجهوا مظالم أقسى فى الخارج ، وفى كل مكان وقرية تصلها فى ممالك الروم والروس ، سترى جمعاً من العاطلين المتسكعين باسم السعاة ، وقد التفوا حول رجل أطلق عليه القنصل ، وأخذوا يغيرون على هؤلاء المساكين (الرعية) والمتشردين عن ديارهم عاملين فيهم السلب والنهب ، بالاتفاق مع ذلك القنصل والذين ليس لهم اسم فى سجلات الدولة ولا رسم.

أولاً : لماذا يستولى السفراء سنوياً على خمسة منات كثرمن للتذكرة من كل واحد من هؤلاء المساكين ويجعلون هذا الأموال وفقاً على جيوبهم ؟

وحينما تقول إننا نعطيهم إياها فى مقابل خدمات فبالله إنك مخدوع ، وأى خداع؟ حينما تؤخذ هذه الأموال من الرعية ، وحينما تأخذها أيضاً الدولة وتعطيها لهؤلاء السفهاء الأخساء ، فإن خزانة الدولة ستتفع بهذه الأموال

الزائدة<sup>(١)</sup> وسوف تقل هذه الفصائح إلى حد ما ، فاليوم حينما يموت أى إيرانى من أى طبقة ، فى ممالك الروس والروم ، فإن السفارات والقنصليات تكون الوريث الأول لهذا الميت ، وحينما يكون الورثة والدائنون من ذوى السلطة ، فإن أولئك يمكنهم أن يستولوا على نصيبهم والإ فلا ، ويتكلف جواز السفر أربعين تومانا أو أكثر ، وهذا فى ذهاب شخص إيرانى وإيابه من أجل زيارة مكة المكرمة ، من أى طريق يسلكها حتى العودة ، وينبغى عليه أن يعطى تلك «البوابة» التى يمر بها ، ثمن التذكرة وإعتمادها ، وعلى الأقل يذهب إلى مكة سنويا أربعة آلاف إيرانى ، ويزيد ثمن تذاكر هؤلاء سنويا على مائة وستين ألف تومان ، ومع هذا المبلغ ، فى كل المناطق الهامة والضرورية للأراضى الروسية والعثمانية فإن السفراء يحاسبون ويعاقبون ولهم نظم خاصة . إذ إنهم يتعرضون للتحذير والمعاقبة عند حدوث أى شكوى وفى ميناء جدة والذى هو بوابه قبلتنا ومركز اهتمام عامة المسلمين لماذا لا يكون العامل والموظف من النجباء والوقورين المتدينين ممن يعرفون الملك ومن أسرة معروفة صاحبة علم وفضل .

فكل عام يولون العمل هناك فى مزايدة بعض الأشخاص السفلة الاخساء والجهلة فى مقابل الفى ليرة ، ويؤمنون

(١) يريد الكاتب هنا أن يقول أنه من الأفضل للحكومة الإيرانية أن تجبى هذه الاموال من الرعية فى شكل ضرائب أو ماشابه ذلك ، لكى تقدم للمواطنين الخدمات وللهؤلاء السفراء المرتبات ، أفضل بكثير من أن يستولى السفراء على أموال الرعية ، إذ فى الحالة الاولى يمكن للحكومة الإيرانية أن تستثمر هذه الاموال ، وتتفع بها .

«ذلك الموظف» على أرواح الحجاج وأموالهم ، والذين تأتي رعايتهم والمحافظة على حقوقهم أمراً واجباً على عاتق الدولة ، وهو يأخذ نصف ليرة على كل تذكرة ، فى حين لاتأخذ الدولة ، أكثر من تومان واحد بلا خجل أو ادنى خوف ، ونصف الليرة تلك ، تساوى تومانين ونصف التومان ، ولا يقنع بذلك بل ويشترك مع الجمال والجمال فى سلب الرعية ونهبها .

وفى مقابل تأجير الجمل والبغل من جده إلى مكه يدفع سائر المسلمين من الأراضى العثمانية ومصر والجزائر وهولندا والهند والقوقاز ثلاثين قرشا ، ويأخذون من الإيرانى مائتى قرش أى مايساوى القيمة ست مرات ، وكل عام تكتب الصحف هذه التفاصيل ، ويصل تزمير الحجاج وتظلمهم إلى عنان السماء<sup>(١)</sup> ولا من مجيب ولا يعاقب المذنبون السفهاء قط ، ومايأخذه القناصل من الحجاج الإيرانيين مايعادل ثلاثة أشهر فى جده وحدها ، وهذا كاف لما يحتاجه السفير ، فلو قلت إنك تعلم ولا تهتم بالأمر فواحسرتاه ، إنه لظلم وإجحاف ، ولو إنك لاتعلم فحيثذ يكون الحق معهم إذ أنهم يستغفلونك ، ولايعتبرونك جديراً بهذا المنصب الرفيع والسلام .

(١) نعلم أن حاجى زين العابدين قد أدى فريضة الحج فى مكه ، وهو هنا يروى أحوال الحجاج خاصة أحوال الحجاج الإيرانيين ، إذ إنه رأى هذه الأحداث رأى العين . انظر : سياحته ج ٣ ، ص : ١٦

وتشاءب الوزير وجلس معتدلاً ، وقال إن التشيئة العربية<sup>(١)</sup> لا تأتي بأفضل من هذا قط ، ياللعجب إنك رجل فضولى لاعقل لك ، إنك رجل حقير مجنون ، إنك سمعت عن القانون وتثرثر بلسان ملتو عن القانون ، إنك لم تعرفه «القانون» فلو هناك قانون واحد فى سائر الدول ، ولم ينفذ حكمه فى عام من الأعوام ، لتحتم على كل وزارة فى بلادنا والتي لها قانونها المنفصل ، أن تنفذ أحكام كل قانون فى نصف ساعة ، إني سعدت بخدعتك ، إنك لم تتخل عن جنسيتك ، وإلا لتصرفت معك تصرفاً مغايراً أذهب إلى الجحيم ، اذهب ، ورأيت أنه لامجال لجلوسى ، فقممت وسرت فى طريقى ، وغرقت فى عرق خجلى ، وتقدم ميرزا كاظم بيك ، نحوى بوجه بشوش وسأل هل شكوت سفير مصر ؟ قلت كلا ، كان موضوعاً آخر ، حفظكم الله وخرجنا من هناك مع مشهدى حسن ، وقلت على الرغم من أنه ليس هناك متسع من الوقت لكن ينبغي أن أنجز هذا الأمر ، فذهبنا إلى مقر وزارة الحربية ، ووصلنا هناك ورأيت جنوداً عند حافة الباب ، وقد ثبتوا بنادقهم على شكل هرم وجلس كل منهم فى ركن يدخلون الغليون ، فأردت أن ادخل ، فسألوا إلى أين ؟ قال مشهدى حسن له التماس ، ولا أعلم بماذا اشاروا . قال مشهد حسن : حسن ، حسن . . . . . لقد فتح الباب ، وعاد هو على أثره ، ودخلنا وسألنا عن أسد بيك رئيس السعاه ، فاخبرونا

(١) المقصود من التشيئة العربية ، أى المصرية .

عن غرفته ، فرأيت شاباً وسيماً فى السابعة عشر من عمره ، وقد جلس جلسة العظماء ، وألقيت السلام وأعطيته ورقة حاجى خان فى أدب واحترام ، فقرأها وسأل من أين ؟ قلت إن عليها توقيعاً بين صاحبها ، قال توقيع «محمد على» ولكن لا أعرفه قلت حاجى خان . . . ، وألقى على الورقة وقال اليوم لا تجدى بشئ ، وتجاهلنى ونظر إلى الناحية الأخرى ، فذهبت أحمل الورقة وبرويه وتأن وضعت فى يده ( جنيتها إنجليزيا ) وقلت يا حضرة الساعى إنى غريب ومسافر ، وإنى أمل . . . وفى الحال لم أتم حديثى حتى رأى الجنيه الإنجليزى ، فقال لأحد الاشخاص قل لميرزا اغا الخادم إن يأتى هنا<sup>(١)</sup> ، ورأيت شاباً أوسم منه وقد أقبل نحونا ، والذي وجتاه مثل شمس لآلاءة وبراقة ، فسأل أسد بيك : هل الوزير بمفرده؟ قال : لا ، إن عميدا من أهل كروس هناك حيث يستبدل العملة ومعه ناظر القرية ، وقال لى اجلس قليلا ، واوصى ميرزا أغا قائلاً : أخبرنى حينما يفرغ الوزير ، وبعد نصف ساعة أقبل ميرزا أغا ، وقال : لقد رحلا ، فذهب الساعى ايضا وعاد بعد قليل وأشار بقوله . . . تعال ، ونهضت ، فهمس فى أذنى : أن أعط هذا الخادم شيئا ، قلت : لك ماتريد ، وكان معى خمسة آلاف ، فأعطيته شيئا من النقود ، فرفع الستارة ، فرأيت أن ناظر القرية أخرج عشرة أكياس من المال وأعطائها

(١) ولتنظر كيف أن أى لقاء أو مهمة لا يمكن أن يتم بدون «الرشوة» ، أنظر :

- إبراهيم تيمورى : عصر بى خبرى ، ج ١ ، ص ١٠ .

لساعين ، ورحل من الباب الآخر ، وكانت هناك نقود من الذهب حيث يزنها الوزير في ميزان ويقسمها أقساماً على حدة<sup>(١)</sup> ، وانحنيت تعظيماً له ، ووقفت ويدي على صدري ، وظللت على هذا الوضع أكثر من عشر دقائق ، حتى وزن النقود ووضعها في كيسه باليه ، وبعد ذلك رمقني بنظرة قاتلة : ماذا تريد : قلت لدى اقتراح ، قال : تحدث وشرحت نفس الاحاديث التي كنت قد عرضتها على وزيرى الداخلية والخارجية عند بدء المقابلة ، فطلبت الأذن بالجلوس ، ونظر إلى من رأسى حتى أخمص قدمى متعجباً ، وقال : ألا تستطيع أن تتحدث عن اقتراحك واقفاً أيها الفضولى ؟ إنك لست مريضاً ، فعقبت إنه حديث طويل ، قال : تحدث عما لديك ، ورأيت أنه لن يعطى الأذن بالجلوس ، وهو أيضاً فى قمة الغضب ، ولو أتحدث بكلمة واحدة فإنه سيطردي ، فعقبت وقلت ، أقسم لك يا جناب الوزير إن بى المأ ، فإذاً لى ياملك الإسلام وحاميه ، بأن أجلس على أى وضع ، فقال اجلس فجلست .

وقلت إننى سائح ومسلم وجعفرى المذهب ، وقد جبت كل الغرب ورأيت جنود كل الدول ، واعرف جيداً نظام وزراء الحرية لتلك الدول وأحوالهم ، ومن المشهد المقدس حتى هنا حيث المدينة العاصمة ، لم أر أثراً لجنود حراسة الثغور والذين يحافظون

(١) هنا يجيب المراجع على السؤال الذى طرحه قبل ذلك من اختفاء الأموال الذهبية ، وفى هذا المقام نرى الأموال الذهبية مكدة حيث يختزنها الوزير الإيراني .



على أمن البلاد ، ولم أر مدفعاً أو موقعاً للمدفعية وكذلك لم أر المهمات والقلاع والحصون والأبراج والأسوار ، ولم أشاهد شيئاً منها ، باستثناء عدد من الجنود كنت قد رأيتهم فى مدينة «مشهد» ، فى زى الفعلة والكادحين لىبتنى لم أرهم ، والآن أسألك بإعتبارك وزير الحرية لهذه الدولة العريقة : إن وضع دولة إيران بين أمرين ، فلو أنك على صلح مع كل الدول المجاورة ، وتعتقد أن الحرب لن تنشب ، فبناء عليه ليس من الضرورى كل هؤلاء : «العميد ، وأمير الخمسة ، وأمير التومان ، والقائد الأكرم ، والقائد الأفخم ، والقائد الأعظم ، وكذلك مقر وزارة الحرية» وكذلك لاجاجة لإعداد جيش مكون من مائتى ألف جندى ، ويكفى فوجان لحراسة القصر المبارك ولتول حاكما واحدا على كل مدينة مع ثلاثين شخصا من السعاه والخدم ، بدون رواتب محددة يحمون الأراضى العثمانية والعراق حتى تعتبر الرعيه الإيرانية إن طاعة الملك أمر لازم ، أما الأمر الثانى : إذا كان من المحتمل أن يعدو عدو على دولة إيران ، فإنه لامناص من الحرب ، إذن أين جيشكم المدرب ؟ والذى وفقا للوقت الحالى ينبغى أن يكون على أهبة الاستعداد ، وأين مهام الحرب والإمدادات ووسائل التصدى للعدو من المدافع والبنادق ، وأين مخازن الأسلحة ومهمات الجنود ، وكم عدد الأفواج التى تحرس الثغور والحدود من الجنود والتى هى لديكم ؟ وفى أى المناطق الهامة يرابطون ؟ وأين مستشفياتكم العسكرية ، وأين أطباء الجيش وجراحوه ؟ وفى أى

مكان اخترتم مكان الأدوية ، واللوازم الجراحية لهؤلاء الجنود ؟ وما هى وسائل النقل التى ستنقلون بها شهداء البلاد والوطن والجرحى من ميدان الحرب ؟ وفى أى منطقة من البلاد انشأتم الثكنات العسكرية لإيواء المجاهدين فى الدين المدافعين عن الوطن ؟ وأين أقمتم القلاع المتينة والحصون الحصينة لتستخدم وقت الضرورة ؟ وهل يمكن أن تدافعوا أمام العدو الذى طوق البلاد من الجهات الأربع بهؤلاء الجنود ذوى الستين عاماً والقواد ذوى العشرين عاماً ؟ وماذا قدم هؤلاء القواد الصغار من الخدمات للدولة والشعب فصاروا أهلاً للسيف ، وجديرين بعمادة الجيش وعندما وصل الحديث إلى هذه النقطة .

رأيت أن لون وجه الوزير قد تغير ، وناذى بصوت مهيب :  
أسد ، أسد أسد ، فجاء أسد بيك الساعى وقال «الوزير» : هذا رجل فضولى «ابن محروق» وحديثه كله عبث ، فمن سمح «لابن الكلب» أن يأتى إلى هنا ؟ قال : نفسى فداؤك ، فقد كتب حاجى خان ورقة لى ذكر فيها أنه على معرفه بوالده ، اضربوا «ابن الكلب» هذا ، اضربوه ، اضربوه ، اخرجوه ، إنى لا أعرفه هو الآخر ، وانهاالت الضربات والصفعات على رأسى ووجهى مثل قطرات المطر من السماء ، ولما رأيت أن العباءة ليست على كتفى ، والقلنسوة ليست على رأسى ، وأخذ خمسة أو ستة أشخاص يشدوننى من يدى وقدمى ، وأمسكوا بتلابيى ، وراحوا

يَكِيلُونَ لِي الضربات على ظهري ، من أول درج السلم حتى القوا بي على الأرض عند آخر درجه من درج السلم ، وهجم عدد من الأشخاص على أسفل السلم وأمسكوا بي ليلقوا بي في السجن ، قلت : ياوالدي بالله ابتعد ، إذ قال الوزير اخرجوه ولا تحبسوه ، فردوا قائلين لايمكن ، وجاءني مشهدي حسن وقال باللغة الإنجليزية ، ما الموضوع يا أخى العزيز ، قلت كل ماهو منتظر أن يقع فقد وقع ، لكنه لم يأمر بسجنى ، فتدبر الأمر حتى نرحل من هنا ، قال معك نقود ؟ قلت ليس معى أى شئ ، قال أخرج الساعة وكل ما أطلبه منك ، وكانت يدى ترتعش وأنا أخرج الساعة ، فلم أقدر أن أخرجها «الساعة هنا ساعة جيب» ، فمزق مشهدى حسن جيبي وأخرج مابها ، وقدم الساعة للساعة الذين كانوا يحملون القيود ، فتوقفوا عن تكتيفى بالقيود ، وشغلوا بتحديد قيمة الساعة وتقسيمها فيما بينهم ، وخرجنا من وسطهم ، ورأيت حيث كنت خارج البيت أن رأسى عارية ، والعباءة ليست على كتفى ، فقلت يا أخى افترض أنه يمكن أن أذهب بدون العباءة لكننى لايمكن أن أسير ورأسى عاريه ، ووعد مشهدى حسن فراشا آخر بقران واحد ، فذهب وأحضر القلنسوة وأخذ القران ، وسرعان ماتغير الجنود بأخرين ، وكان أولئك يريدون شيئاً ، ولا أعلم ماذا فعل « مشهدى حسن » ورجعنا أدراجنا متعبين بل ومعدمين ، فالجسم منك ، والعين

باكية فى حين أنه لم تكن بى قدرة على المشى ، وسرنا فى طريقنا إلى المنزل ، ورجوت «حسن مشهدى» أثناء الطريق أن لا يخبر يوسف عمى بحكايتى ، ووصلنا المنزل ، وحينما رآنى يوسف عمى ، أسرع نحوى فى ذهول تام وقال ماذا حدث لك يا حضرة اليك ، تحدث لماذا شحب لونك كما أن جسمك يرتعش ، فقلت ليس عندى جواب ، وقلت احضر الفراش والوسادة فاحضرهما ، وسقطت بلا وعى وحينما عاد لى وعى رأيت فى ضوء المصباح ، وقد تحلق حولى عدد من الأفراد واختبر شخص ما «الطبيب» نبض يدى ، ووضع يده الأخرى على جبهتى ففهمت إنه الطبيب .

وسألنى الطبيب كيف حالك ؟ وبماذا تشعر ؟ قلت لاشئ ، ونظرت صوب يوسف عمى ، فقال لا يأخذك الوهم ، فبالله ليس هناك خوف عليك قط ، ورأيت أن يوسف عمى يبكى ويقول أيها الحكيم العزيز ، إننى لا أستطيع أن أعود إلى «أمه» أى والدته إبراهيم بيك وحيدا ، وينبغى أن أحمله معى ، فقال الحكيم ثانية أقسمت بالله ليس هناك شئ قط ، إذ إنه يعانى من التفكير وبعض الاضطراب ، وهذا من جراء بعض المنغصات والتي حدثت فجأة ، ليست هناك خطورة وسوف ينتهى الألم ، وإن كان معتادا أن يشرب شيئا من «الكُنْيَاك» أو مشروبا معتقا ، فأعطوه ليشرّب حتى يستريح ، فقال يوسف عمى حتى الآن لم

يذق شيئاً ، أما وإن كان لابد من إعطائه فلا مناص من ذلك  
فقلت لا يجعل الله لىّ فيه نصيباً ، فلو مت لن أذقه ، وأنا لست  
مريضاً ، ولا تخف ياعمى العزيز وأعتدلت فى فراشى ، وقال  
الطبيب اشغل نفسك بشئ . وأحضروا به كل ما يريده من كتب  
الشعر والمغنين والمطربين ، حتى تتحسن حالته ، فقال يوسف  
عمى أنه مولع بكتاب «تاريخ نادر» فضحك الطبيب ، وحملها  
على أنها سذاجة من العم يوسف وقال الحكيم : خذ شيئاً من  
النعناع ، وليحضروا الشاى ، وضعوا به قطرتين أو ثلاثة ،  
وأعطوه اياه ليرتشفه ، وكتب اسم زجاجتين كشراب آخر كى  
يحضروه من الصيدلية ، وأعطوه كل ساعتين نصف فنجان  
ليشربه ، وبإذن الله لن يتطلب الأمر حكيماً آخر ، وحينما  
تحتاجون طبيباً ، فأخبرونى فسأتى ثانية ، وقال الحكيم : حفظكم  
الله وأعطى مشهدى حسن الحكيم خمسة قرانات ، ورحل هو  
بعد أن أخذ «رشته» الأدوية وأحضرها ، وكنت أشير أثناء هذه  
الفترة لمشهدى حسن أن يخفى الموضوع عن يوسف عمى ، وفجأة  
تذكرت أن مشهدى حسن المسكين لم يتناول الغداء أيضاً ،  
واعتذرت له ، فقال : ليست هناك مشكلة ، أرجو لك الشفاء ،  
فسألنى يوسف عمى أين تناولت غداءك ؟ قلت أكلته فى مكان  
آخر ، ورأيت مشهدى حسن يضحك<sup>(١)</sup>.

(١) واضح أن كلمة «تناولته» هنا فيها تورية ، فأولا هو لم يتناول الطعام ، وثانياً فإن  
الذى تناوله هو الضرب المبرح من سعاة الوزير ، فهذا ما أضحك صديق إبراهيم بيك «حسن  
مشهدى» .

**الخلاصة :** أننى لم أستطع أن أخرج من المنزل لمدة يومين أو أكثر من جراء تلك الحادثة ، وفى اليوم الرابع ، رأيت أن حاجى خان يزورنى ، لكن فى هذه المرة كان غلام على الطاهى يرتدى ثيابا جديدة ، ويضع فوق رأسه قلنسوة مزدانة بالريش ، ويتمنطق بسلاح القمة ، وقد ارتدى عباءة من قماش اللباد أمام حاجى خان ، ولما رآنى صاحب الوجه ، ويبدو على الهزال قال ، لا بأس عليك ، ما الموضوع ؟ واليوم حدثنى «مشهدى حسن» . ولم أسمح بأن يتم حديثه ، إذ خفت أن يعلم يوسف عمى ، وقلت أيها العم العزيز أشعل السمار ، فذهب ، وقال حاجى خان : من ذلك الشخص ، وأى بلاء عظيم ابتليت به ؟ قلت : لقد انتهى ، وما ينبغي أن يحدث فقد حدث ، قال ماذا جنيت حتى يضربوك بهذا الشكل ، فحدثته بالتفصيل ، فتعجب وقال هل جننت حتى تتحدث مثل هذا الحديث ، إن وزير الحربية يعتبر نفسه فى التكبر والغرور أعلى من «فرعون» والطواغيت فى هذه المملكة ، ولا يجب أن تتحدث مثل هذه الاحاديث ، أن هؤلاء لا يعلمون شيئا عن أحوال هذا العصر سوى الإغارة على المملكة وخيانة الدولة والشعب ، وأنا من لقب «خان» الذى أطلقته على نفسى لخنجل وحياء ، وأى فائدة فالجميع مثلى ، بل أسوأ منى ، وتفكيرهم منحصر فى شئ واحد ومذهب واحد ، وأفكارهم مقصورة على نقطة واحدة ولو أننى كنت أعرف من البداية تفكيرهم عند لقاءك هؤلاء الاخساء ، ولم أسمح لك أن تذهب



لهم «الوزراء» ، وربما كنت أدلك على شخص عظيم هو أهل  
للمروءة والإنسانية، ذو غيرة، ومحب للوطن ، مولع بحبه لشعبه .

وليس مكتوبا في صحيفة قلبة غير اسم الوطن وحبه ،  
وذلك الشخص مقدس لوطنه ، وهو يعانى من الألم الذى تعانى  
منه ، وأنا فى مقابل هذه المعاناة والتى انتهت بك إلى ذروة حب  
الوطن أدلك على «كتر» ينسبك كل المنغصات التى تعانى منها  
الآن ، وأنا الآن سوف أصل إلى خدمة ذلك الرجل العظيم ،  
لكى أعد الأمر ، فتملأ كئوسك من معين كوثر غيرته ، لتروى  
ظماك ، وسأل : كيف أحولك الآن ؟

قلت : لاخوف فكل هذا ذهب وانتهى ولايزال العشق الأول .

**الخلاصة :** كان قد أعد الشاى ، فارتشفناه ، ودار الحديث  
بعض الوقت ، وراح حاجى خان يمزح مع العم يوسف ويلاطفه ،  
ثم ودعنا هو وذهب . وفى الغد فى وقت الظهر رأيت رجلا كان  
يسأل البواب عن أسمى ومنزلى ، فدلوه ، وتقدم نحونا وألقى  
السلام فى منتهى الأدب وقال إنهم يريدونك ، ويرغبون أن تأتى  
هناك حيثما تسنح لك الفرصة ، والدليل على ذلك ، أن حاجى  
خان قد وعدك بشئ ، وفهمت الموضوع على الفور ، وقلت له  
اجلس قليلا حتى آتى ، وذهبت إلى السوق عجالة .

واشتريت عباءة بارية تومانات ، وعدت للمنزل ، وقلت لنذهب .

**الخلاصة :** أننا سرنا وبعد أن جُزنا مسافة قصيرة ، قال الرفيق هل ترغب أن نستقل «الترمواي» ، قلت ليس هناك أفضل من السائرين على أقدامهم ، حتى وصلنا إلى بوابة بيت في عمارة كبيرة والتي تدل ضخامتها على عظمة صاحبها ، وجزنا الباب ، فرأيت بستانا إزدان بالزينة والجمال وهو زاخر بأنواع الورد المختلفة ، ورأيت بعض الخدم والحشم كل منهم مشغول بنفسه ، ولا يعمل أحد مع الآخر ، واعتلينا درجات السلم ، ووصلنا إلى الدور الثاني من العمارة ، ومررنا بقاعة كبيرة ، وكان الخادم يقف أمام الغرفة ، فرفع الستارة ، فرأيت شخصا يجلس على كرسي ، ويبدو على جبينه الطاهر آثار النجابه والعظمة ولعله ملاك في زي إنسان ، وعندما رأيت وجه ذلك «الوجود المحترم»<sup>(١)</sup> ، وشمائل الرجولة والوسامة زالت عني كل المنغصات التي مررت بها ، والقيت السلام من أعماق قلبي ، وردَّ التحية على بوجه طلق وبشوش ، وقال : بسم الله تفضل ، وجلست فوق الفراش فقال : إنك لم تأت قبل ذلك « أي أول مرة تدخل البيت » ، وأشار إلى الكرسي الذي كان بجواره ، وأجلسني عليه بعد اصرار تام ، وبعد السؤال عن الأحوال وأداء مراسم الزياة ، سأل : اسمك إبراهيم بيك ؟ فقلت : نعم ، قال

(١) يرى «فريدون آدميت» أن الوجود المحترم هذا : هو «أمين الدولة» وأن روءية المراغى لأمين الدولة أمر خيالي وليس حقيقيا . أنظر

- فريدون آدميت : ايدثولوجي نهضت مشروطيت إيران ، ص ٨٦ ، ٨٧

إن طقس مصر حار جدا ، فكيف كنت تعيش هناك طوال هذه الفترة ، وقد سمعت إنك تقطن هناك منذ سنوات طوال ، فقلت : كل الصعوبات تهون مع التعود عليها ، وقد تعودنا على طقس تلك المنطقة وكذلك مائها ، قال : نعم ، نعم ، كل شئ مرتبط بالتعود ، وقال سمعت بالأمس أن أحد الكبراء قد أساء لك ، وعاملك بلا احترام ، وفي الحقيقة فقد اسففت للغاية ، وقد تجرعت الحسرات فماذا يمكن أن نعمل ؟ فينبغي الحرق والبناء<sup>(١)</sup> إنه لظلم ، بل ظلم عظيم ، فليرعاكم الله ، وليقتص الله منهم ، والحقيقة اننى أردت أن أتحدث معك كي أتعرف على هدفك من خلال هذه الأحاديث ، فماذا تريد ولأى شئ أتيت إيران ؟ وفي أى شئ ترى مساوئ إيراننا ، من وجهة نظرك ؟ فلعلك أخطأت ، فقلت : لم يكن هدفى من وراء هذا السفر سوى زيارة أرض الوطن الطاهرة والطواف بها ، ولكن السبب الأول هو تعصب أسرتنا الشديد فى عشقنا للوطن وهو مضرب المثل فى جميع أنحاء «مصر» .

أجل إننا نعز أرض إيران عن أرواحنا ، لأن وطننا مقدس وهو محل نشأة أسلافنا ومدفن أجدادنا .

وقد سمعت فى مصر التى تبعد كثيرا عن هذه المملكة الطاهرة - كثيرا من الأحاديث المنغصة من عدم استقرار أمور البلاد وانحراف المواطنين ، وغفلة الكبراء وتجاوزهم وتعديهم على

(١) يقصد الكاتب بالحرق والبناء أى التخلص من المساوئ والمقاسد ، والبناء أى بناء كل شئ من أجل إصلاح البلاد .

الضعفاء والمساكين ، فلم أصدق لشدة حبي للوطن ، فصممت أن اذهب لكى أرى بعينى فشجعنى صبا الشباب فلم أفكر فى الأمر ، وأعددت عدة السفر ، ومن أول دخولى الحدود حتى وصولى الى هذه المدينة العاصمة ، رأيت أن كل مامرت به ، والذي كان يدعيه المدعون حقيقة وواقع ، وليس هناك شئ حسن ، فاصررت على أن أبحث فى أسباب هذه المفاسد والفضائح مع وزراء المملكة ، فربما يكون هناك سبب معقول ومقبول ، فرحت أبحث عن شتى وسائل السفر من أجل أن أقابلهم ، فلم أر جوابا علي استلتى الا اللكلمات والصفعات ، ولم أسمع الا الشتائم والفحش وكما سمعت «لا يسمع مسلم ولا يرى كافر» ( واضح أن حاجى خان قد شرح للوجود المحترم بما رآه الكاتب ) ، قال أولا أسألك عن القانون ، ماهو هدفك أو غرضك من القانون ؟ وماذا يجب أن نعمل ، فقلت أن شرح القانون وبيانه يطول الحديث عنه ، ولكن اختصاره هو التعرف على دور تلك الحقوق ، قال تحدث لنرى كم هذه الحقوق ، وكيف تكون ، وماهى ؟ قلت : إن تطبيق القانون الفعلى والذي يريده الشعب ، كل الأحاديث تلخص فى أربع فقرات :

الحق الأول : يتعلق بالوطن ذاته .

الحق الثانى : يتعلق بأبناء الوطن .

الحق الثالث : يتعلق بالشكل العام لأفراد الوطن .

الحق الرابع : يتعلق بأمور إدارة الوطن والبلاد .

وهذه الحقوق الأربعة هي بمثابة العناصر الأربعة لجسم الوطن ، حيث تمتزج كل فروعهِ وجزئياته معاً ، ويسمون كلياته باسم الحقوق القومية ، ويطلقون على جزئياته وإعدادها اسم القانون ، وتشمل أحكامه حق كل شخص <sup>(١)</sup> .

### **الحقوق المتعلقة بالوطن ذاته :**

وهي عبارة عن حرية الوطن واستقلاله ، وتهيئه أسباب استقرار الأمور وسعادة قاطني تلك الأرض الطاهرة ، والتي نطلق عليها «إيران» ونعتبرها وطننا .

وينبغي أن لانسمح لأحد من الأجانب أن يطأ بقدمه أرضنا دون إذننا وموافقتنا حتى لا يأتي الوقت الذي يستولى فيه على جزء منها فيضرب خيامه ويقيم قصوره في أرجائها .

### **الحقوق المتعلقة بالمواطنين :**

وهي عبارة عن المحافظة على حياة أبناء الوطن وكذا

(١) ذكر حسان كمشاد : في كتابه «الشر الفارس المعاصر» إن المراغي كان يتقذ الأوضاع الفاسدة في إيران في حين أنه فشل في تقديم «الدواء» الذي يمكن من خلاله أن يتم إصلاح هذه المساوئ ، وهذه مقولة مردودة وليست صحيحة بالمرّة ، إذ مآذكره المراغي قبل ذلك عند استجوابه لوزراء الداخلية والخارجية والحرية فيه الدواء والإصلاح ، واللذان يحتاجان إلى الإجراء والتنفيذ ، وكذلك فحديث المراغي عن الحقوق بأنواعها من ص ٨١-٨٤ ، فيه الدواء ، ليس هذا فحسب ، بل أن الكتاب بمجلداته الثلاثة ، ماهو إلا رسالة من أجل الإصلاح ، ومن ثم يصبح رأى كمشاد السابق الذكر مجانباً للحقيقة ، ويعيدا كل البعد عن الصواب .

H. Kamshad: The Modern Persian Prose Literature . P:20.

أعراضهم وأموالهم وعزتهم من تعدى الأقوياء وظلمهم سواء من الشعب أو من الأجانب ، وليس فى مثل هذا العصر أن يلقى خدام خان ما القبض على شاب شريف فى وضع النهار بحجه ما ، فيلقون به فى السجن ويعتبرونه مجرماً ، وهو ليس له جرم سوى أنه متوكل على الله وذو شرف وشأن عال ، فيسيئون إلى شرفه ويقللون من شأنه ، أو كانوا يلقون القبض على تاجر يكون مشغولاً بتجارته فى حانوته ، وذلك بواسطة ثلاثين شخصاً أو أكثر من السعاة والخدم ، الذين يلتفون حول امرأة هى زوجة أحد الحكام ، حيث تحمل الجياد هذه المرأة والخدم محسكين العصي من حولها حيث يصيحون : «غض الطرف ، اغمض عينيك ، انهض . انزل ، اصعد» ، أو كان يخطئ أحد أقرباء شخص ما ، فحينئذ يلقون القبض عليه مع عشرة أشخاص من أقربائه ويزجون بهم جميعاً إلى السجن ، وبعد عدة أشهر من السجن ، يطلقون سراح الجميع من السجناء الذين تم القاء القبض عليهم ، فيضطر أولئك أيضاً إلى ترك الدار والديار ، ويفضلون آلام الغربة على الإقامة فى الوطن ، ويصبحون محوياً وعدماً فى البلاد الأجنبية .

### حقوق إدارة الوطن :

وإنه لمن الواضح أن أفراد الوطن عبارة عن تشكلات ، سلطة تشريع القانون ، وسلطة تنفيذ القانون ، أى تنظيمات لسعادة الوطن والمواطنين ، ويرأس الملك وحده هاتين السلطتين المنفصلتين ،



لأنهما بالوراثة والاستحقاق ملك الأسرة العظيمة ، والآن تعال لنرى حقوق الوطن ، أى المطالبة بتنظيمات سعادة البلاد ، والمحافظة على إدارتها ومحبه أبنائها ، أولى مسئوليات هذه السلطة ، بغرض إنها موجودة ، فكيف استولت إنجلترا على نصف «أرض بلوجستان»<sup>(١)</sup> بلاد سبب وبدون أى عناء والتي تعتبر الركن الركين لقوة إيران وشوكتها ، وهراة التي تمثل الجزء الأعظم من بلادنا الآن هي في أيدي الافغان ، «وسرخس»<sup>(٢)</sup> والتي بالأمس ضحى مائه الف مقاتل إيراني بأرواحهم على أرضها هي بالاسم تابعة لإيران وبالفعل في أيدي الغير .

ويمكن إدراك الحنين «لإيران» وذلك عند لقاء أى مواطن من المواطنين في القوقاز ، والتي انفصلت عن الأراضي الإيرانية منذ زمن بعيد ، وكل عام يهاجر على الأقل خمسون ألف من أولئك المواطنين ، وذلك بسبب ظلم الحكام وأصحاب النفوذ إلى الممالك الأجنبية ولايهتم أحد باحوالهم إلى أين سيذهبون ؟ ولماذا يتركون الدار والديار ؟

(١) بلوجستان : تقع شرق إيران ، يحدها من الشمال سيستان ومن الجنوب بحر عمان ، ومن الشرق باكستان ، ومن الغرب (جيرفت) ، و( بندر عباس )

- بهجدا : لغت نامه ، جـ ١٠ ، شماره حرف (ب) ، ص ٢٧٢

(٢) سرخس : مدينة كبيرة تقع بالقرب من خراسان بين نيسابور ومرو

- الحموى : معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٧

## الحقوق العامة للوطن :

وهى عبارة عن كلية تلك السعادة الجزئية التى تجمع حقوق كل فرد من أفراد الهيئة العامة وهى من بين نفس تنظيمات السعادة المذكورة ، وتهيئة السعادة للمواطنين جزء منها ، ولكن الأفراد ليسوا قادرين على نيل تلك السعادة منفردين ، بالرغم من أنهم يسعون لتحصيلها ، وتحقق هذه الحقوق من خلال الهيئة الاجتماعية ، التى هى الخير العام وينبغى على أبناء الوطن ، أن يحبوا تراب الوطن أكثر من حبهم لأولادهم ، وبقدر ما هم مكلفون بحفظ المذهب والعقيدة ، ينبغى أن يحافظوا على الوطن بنفس الدرجة ، حتى يعملوا بالحديث الشريف «حب الوطن من الإيمان»<sup>(١)</sup> ، والآن نرى أنه من أجل دوام هذه السعادة والمحافظة على أوامر الشريعة والمظاهر القومية والديانة الإسلامية والثروة والحياة العامة للبلاد ، ينبغى أن يكون هناك جيش ، وكذلك مايلزمه من مهمات للجيش ، من أسلحة كالمدافع والبنادق والعدل والنظام ، ولكن لسوء الحظ نرى أنه لا يرى شئ فى وطننا العزيز اليوم من وسائل صد هجمات العدو ، سوى التأوهات الحزينة وغوالى الدموع للغيورين من الشعب ، أى لا يرى أى شئ فى هذه المملكة العريقة ، المترامية الأطراف ، فليس هناك مدرسه من أجل تعليم الأطفال ، وتنشئتهم وليس

( ١ ) المأثور: حب الأوطان من الإيمان ، وهذا ليس حديثاً شريفاً كما ذكر الكاتب .

هناك وحدات صحية ، ولا قانون يقنن حدود حقوق المواطنين ، ولا أثر للعلوم والفنون المتداولة ، وأخذ «الوجود المحترم» يرتعد لشدة تأثيره فتارة راح يضرب ركبته يديه تأسفا وحسرة ، وتارة أخرى ، أخذ يتأوه من أعماق قلبه ، قلت ماذنبى وأى حظ تعس هذا ، حتى ألزم الفراش ثلاثة أيام ويضربونى ضربا مبرحا ، بسبب سؤالى عن أسباب هذا الوضع السيئ ، علاوة على سماعى السباب والشتائم البذيئة ، والتي لم أسمع عنها طيلة حياتى ، وهنا تعثرت الكلمات فى حلقى ، وبكيت فجأة ، بكيت بكاء حارا ، وبكى معى «الوجود المحترم» بكاء أكثر حرقة ، وفى تلك الأثناء أخذ يربت على كتفى يديه فى حنو تام ، ثم قبلنى على رأسى وبين عينى ، وأمسك ييدى وهو يبكى وقال : تعال معى ، ورأيت خلف الباب خادما وطفلا يناهز العاشرة أو الثانية عشرة من عمره وفى يده منديل ، وراح الاثنان يبكيان على حالتنا ، واتضح لى إنهما لايعلمان شيئا عن أصل الموضوع ، فرقا لحالتنا وأخذنا فى البكاء .

**الخلاصة :** إننا مررنا بحجرتين ، ووقف «الوجود المحترم» لحظة عند الحجرة الثالثة ، وأخرج المفتاح من جيبه ، وفتح الباب ، ورأيت غرفة المكتبة ، والتي رصت كتبها ، وأعدت إعدادا جيدا ، وقدم لى مقعدا ومكتبيا وطلب منى الجلوس ، وأحضر ستة مجلدات لكتاب واحد ، ووضعها فوق المكتب ، وقال : لدى

الكثير من الكتب ولكن ليس عندي أفضل من هذه «المجلدات» ،  
لكى تقرأها ، فاشغل نفسك بقراءتها ، واليوم ينبغي أن اذهب ،  
فاليوم يوم سلام وتعارف ، وليس ببعيد أن أتأخر ، وكل شئ  
معد وجاهز من أجلك ، وعندما يحين وقت الغداء والشاي فلتأمر  
لكى يحضروهما لك ، ووضع علبة السجائر أمامى ، وقال طالما  
أنت مقيم فى «طهران» ، فهنا أنت ضيفى ، فعقبت مبديا شكرى  
وودعنى ورحل .

وشغلت أنا بمشاهدة المكتبة ، ورأت فى إحدى جوانب المكتبة  
كتب قوانين الدول ، وقد تراصت متجاورة ، والذى رأيته كان  
«قانون الدولة العثمانية» وكتاب قانون الروس ، والقانون  
الإنجليزى والفرنسى ، ورأيت فى جانب آخر الكتب المتعلقة بفقه  
الإسلام وأصوله ، والتى هى أساس النجاة ، وشغفت شغفاً  
شديداً من وضع هذه المكتبة ، وبعد ذلك بدأت أقرأ مجلدات  
الكتاب الستة التى أعطانى إياها ، فرأيت مخطوطا وقد كُتب فى  
غاية الإبداع ، وفهمت أنه مؤلف من مؤلفات «الوجود المحترم  
نفسه» ، وقد جمع فى المجلد الأول قوانين انجلترا وفرنسا وكل  
المواد التى تختلف وتتنافى الأحكام المطاعة لشرعية الإسلام الغراء ،  
وقد أورد به البراهين العقلية فى إثبات الأضرار الدنيوية والأخروية ،  
وقد كتب شرحا مفصلا لكل نقطة على حدة ، وبرهن عليها ،  
والتي أحكامها لاتلائم المقام السامى للإنسانية ، وقد أطلق عليه

«المجلد السالف الذكر» أسم ( كتاب القانون الملعون ) ، وقد كتب بخط واضح نفس الكلمات على «مجلد القانون الملعون» وأشار بعلامة على عدة مواد باسم «المردود من كتاب القانون العثماني» ، وأشار بعلامة على بعض المواد الأخرى ذاكراً أنه جيد جداً ، ولكنه اليوم لا يلائم وضع إيران وطبائع الإيرانيين ، وقد صحح مابقى والذي لا يتنافى مع أحكام شريعة الإسلام المقدسة ، والذي كله مطابق للآراء السديدة والعقول السليمة ، ولإثبات صحة ذلك وسقمة ، أورد من الكتب الفقهية للإسلام .

والأحاديث الشريفة وكلام الأئمة الأدلة والبراهين والمؤكدات ، وكتب شروحا والتي من قراءتها ينبعث الأمل فى النفوس . وتحيرت وتعجبت من غزارة فضل الوجود المحترم وعلمه وإحاطته للعلوم فى المعقولات والمنقولات ، وقدرته الفائقة فى الأمور السياسية والعلوم الحديثة المتداولة ، فقلت لنفسى يا إلهى : كيف وجد هذا الشخص الغيور الوقت الكافى للاطلاع على كل هذه الكتب المحلية والأجنبية مع كثرة أعماله اليومية ؟ وكيف استوعب كل كتاب من هذه الكتب بهذه الدرجة ؟ وهنا تجلت عظمة الإبداع فى نظرى ، وقد دهشت لصنع الله ، الذى أبدع هذه القبضة والتي هى من الماء والطين ، والتي اسمها آدم ، فكيف خلق كل هذه القدرة والقوة المادية والمعنوية ، وقد زادت مراتب توحيدى بسبب هذا المعنى .

وأخذت فى التسبيح والتقديس بلسان القلب ، وفى ذلك الوقت كنت مستغرقا فى هذا الحال حين دخل الخادم الغرفة ، فقال بسم الله : تفضل الغداء جاهز ، قلت : أخى العزيز إني شعبان من لذة الاطلاع ، لا أستطيع أن أبذل هذا الغداء الروحي بذلك الغداء الجسماني ، فاحضر لى هنا كوبا من الشاي مع قطعة خبز وجبن ولاشئ آخر ، فقال إني أمرت ومع ذلك سمعا وطاعة .

والآن سأنفذ ماتأمر به ، فاسترح ، وذهب وأحضر قطعة خبز مع شريحة جبن وكوبا من الشاي ، وقد جاء إلى ، ذلك الابن الصغير والذي بكى لحالتنا فى الصباح مع الخادم ، وألقى السلام بأدب جم ، وذهب الخادم وجلس الطفل وشغل بمشاهدة كتاب ذى صور ، ولما إرتشفت الشاي ، حينئذ سألتنى فى خجل تام مما يبدو على الأطفال المهذبين قائلا : لماذا بكيت مع سيدى فأبكيتمونا ؟

قلت : هكذا اقتضى الأمر ، قال أنا لا أتوقع منك أن تبين لى سبب ذلك ، فعندما ذهبت حكيت لأمى ، فقالت لى أن أسألك ، فقلت الأفضل أن تسأل سيدك . قال إن سيدى لن يجيبنى ، وقلما يأتى لنا ، وحينما يتواجد فى البيت ، فإنه يجلس داخل نفس الحجرة وينشغل بالقراءة والكتابة ، قلت إذن أقول لك أنا ، إن سيدك يملك قرية اسمها «إيران آباد» وظهر بها



مرض فكنا نبكى على أحوال ساكنى تلك القرية <sup>(١)</sup> وسألت :  
أتذهب للمدرسة ؟ قال نعم أذهب الى دار الفنون الناصرية .

قلت حاول إن شاء الله أن تصبح وزيرا ، قال : حينما يتوفر  
لدى العلم الكامل فبلاشك سوف أكون ، قلت حينما يتوفر  
لدى العلم سوف تصبح وزيرا <sup>(٢)</sup> ، قال : لا قدر الله ، قلت لماذا ؟  
قال إن سيدى دائما يلعن الوزراء الجهلة ، وفى الواقع كيف  
يتولى الجهلة الوزارة ؟ فحينما يرتدى ملاما عمامة وجبة ،  
ويعتلى المنبر ، فينبغى أن يسأله شخص ما عن مسألة ، فإن لم  
يستطع أن يجيب إجابة صحيحة ، فبلاشك إنه سيخجل أليس  
كذلك ؟ فحينما يُسأل الوزير الجاهل عن شئ ولا يُجيب ، فمن  
الواضح أنه سيكون خجلا بين الناس فتعجبت من وعى هذا  
الطفل وذكائه ودعوت له ، فقلت : أحسنت ، أحسنت إنى  
سأدعو لك أن تصبح وزيرا ذا علم وفضل ، واحسرتاه إننى لن  
أرى ذلك الوقت ، وأن عمري لن يطول ، ولكن إن شاء الله  
سيدرك أولادنا ذلك الزمان السعيد ، وسيستفيدون من وزارة عالم  
مثلك ، وقال كم عمرك ؟ قلت تسع وعشرون سنة ، قال لو  
صرت عالما ، وحصلت تحصيلا جيدا ، يمكننى أن أصبح وزيرا

(١) على الرغم من أن لطفل صغيرا ، الا أن الكاتب تمكن من تبسيط وإيجاز الموضوع  
فى كلمات معدودة .

(٢) اورد الكاتب هذه الجملة : «حينما لايتوفر لديك العلم لن تصبح وزيرا» ، وهذا  
مالا يقتضيه المعنى كما يدل على ذلك بقية الحديث .

فى سن الخمسين ، والآن أنا فى الثانية عشرة ، أى بعد ثمانية وثلاثين عاماً ، ورأيت أنه شُغل بالحساب على أصابعه ، وبعد قليل من التأمل رفع رأسه وقال حيثُذ ستكون أنت فى السابعة والستين ، فلا تخف . . . . لا تخف فإن المرء قد يصل سنه إلى التسعين أو المائة ، والآن يناهز سيدى الستين من عمره ، وهو يكتب بلا نظارة ، قلت يا إلهى . . . احفظ هذا الطفل ، فإن أطفال إيران يتمتعون بذكاء خاص وفطرى ولكن ما الفائدة : فإن بيت الغفلة <sup>(١)</sup> مصيره إلى الخراب ، واأسفاه ، واأسفاه ، ورأيت أن الوقت يمر سريعاً ، ولاخبر عن «الوجود المحترم» ، كما أن الذهاب بدون استئذان صاحب البيت ، أمر مناف لرسوم الأدب ، فطلبت كوب شاي آخر ، فجئ لى به ، وارتشفته ، ثم نهضت ، وجددت الوضوء حتى أصلى واتضح لى من «ظاهر الأمر» ، إننى ينبغى أن امكث الليلة هنا ، وذهبت ثانية ، مباشرة للاطلاع ، وقد شغفت بقراءة تلك الكتب شغفا لاحد له ، وقد زال عنى حادثة وزير الحربية ، تلك الحادثة التافهة ، وضياح الساعة والعباءة وكل الشتائم النابية ، وكنت أقول لنفسى ، لو لم أر «ذلك الوجود المحترم» لكنت ذهبت من هذه المدينة بتلك الحالة الكثيبة ، ولخزنت حزناً مميتاً .

( ١ ) يقصد الكاتب هنا بيت الغفلة بملكه إيران .

**الخلاصة :** أنه بقى ساعة من الوقت على الغروب ، فرأيت «الوجود المحترم» وقد دخل من الباب فى زى رسمى .

وقال «الوجود المحترم» اسمح لى بقدر من الوقت ، فالوقت متأخر حتى أؤدى الصلاة وسأتى ، وذهب وكان قد ارتفع صوت الأذان ، ودخل من الباب وغير لباسه، وارتدى لباسا باليا أبيض ، والقى السلام، فنهضت من مكانى وقبلت يده، وقبلنى وجلس ، وقال امكث اليوم فقط ، وإن شاء الله ، لن يصيبك سوء ، فقلت هل يرى أحد سوءا فى الجنبه ؟ فضحك ، وقلت إننى من نشوة الخمر التى سقيتنى إياها ، نشوان بحيث لا أعلم ( شيئاً عن ذاتى فماذا يقول العاشق بلا رمز ) ، وليست لدى القدرة على إدراك مثل هذه النكات الرقيقة ، وكم أنا مسرور حتى أننى لا أخشى شيئاً آخر، فأنا ولهان وفى غير وعى ، فقال إننى لم ادخل أحدا فى غرفة المكتبة هذه من قبل ، ولما رأيتك فى ذروة اليأس والقنوط ، فهمت إنك تظن أنه لا أحد يعلم شيئاً عن وجود القانون فى كل أنحاء إيران ، لهذا اردت أن أبين لك أن لدينا قانوناً ولكنهم حبسوه ، ( وأخفوا مفتاحه ) ، فعقبت هل «هذا القانون» أفضل من جميع المواد المختارة والمضرة لقوانين الغرب التى جمعتها واطلقت عليها اسم «قوانين اللعنه» ؟ ، قال ياعزيزى : أن كل مالىدى الغرب من قوانين جيدة ، اقتبسوا

جميعها من كتب الإسلام المقدسة وأكثرها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة <sup>(١)</sup> .

ومن العلم الغزير لإمام المتقين أسد الله الغالب «على بن أبى طالب» كرم الله وجهه ، وكتب المسلمين الفقهية ، لأنه لم يكن هناك أحكام فى دين النصارى ، ولن يوجد ، وكل ما هو مضر بعالم المدنية والواقع ، ومناف لعوالم الإنسانية السامية وموجود فى قوانينهم هو صادر عنهم ، وفى بادئ الأمر لم يكونوا ليعرفوا عاقبة ماكتبوه ، والآن أعلم أنهم أنفسهم - أهل الغرب - قد أدركوا مساوئ هذه القوانين المتداولة ، ولكن الزمام قد أفلت من أيديهم ، ولا يستطيعون التغيير ، ولأنهم يخشون حدوث القيل والقال والفتنة والفساد ، والآن فقد تعود على ذلك الأمر العالم والجاهل ، وقد قنن القانون العثمانى بحرص شديد ، على الرغم من أنهم اقتبسوه من الأجانب ، ولكنهم لا يهتمون أحكام الشريعة الغراء فى أى جانب منها ، وغالبا ما يرجع المدعى والمدعى عليه إلى المحاكم الشرعية ، فقلت إنك لم تشرح هذه المواد ، قال إن شرحها يطول وقد كتبت نبذا بين الصفحات ، وأساس هذه المواد

( ١ ) هذه المقولة تؤخذ على «المراعى» فليس كل مالى الغرب من قوانين جيدة مقتبسة من كتب الإسلام أو القرآن والأحاديث النبوية ، وإن كنا لانكر أن كثيرا من القوانين القيمة موجودة فى القرآن وكتب الإسلام والأحاديث النبوية الشريفة .

من بنات أفكار المرحوم ميرزا تقى أمير نظام<sup>(١)</sup> ، ولكنه لم يكتب شرحا بنفسه وقد قالها بشكل مختصر ورحل .

والآن فقد ثبت من الشرح الذى كتبتة ، كم هو مفيد من أجل زيادة ثروة البلاد ، وقلت : إنك عانيت كثيرا وافنيت عمرك بجمعك هذه الكنوز الزاخر بالجواهر النفيسة ، وكم من فائدة يمكن أن تحقق من وراء هذه الحالة بما أخفى فى هذا الكنز عن الانظار من أجل سعادة إيران ونفع الإيرانيين ، وهكذا تأوهت بشدة من أعماق قلبى عند سماع هذه الاحاديث الزاخرة بالمعرفة بحيث إننى ارتعدت ، وبعد ذلك قال : إن لدى الكثير من الأعباء التى لا يقوى عليها كاهل وقد انتظرت طويلا كى تسنح الفرصة فأعرض بعض هذه الموضوعات على الملك على إنفراد ، إذ ليس معى أنيس أو شريك يمكننى بمساعدته تحقيق هذه الأهداف النبيلة ، ورغب «همايون» فى جعلها موضع التنفيذ وكنت على وشك إجراء ذلك الحكم الصادر ، ولكن فى الوقت الذى كان فيه أربعة أفراد راضون ومسرورون بهذا الحكم ، كان هناك أربعون

( ١ ) ميرزا تقى خان أمير نظام : قائد الجيش الأعلى فى عهد ناصر الدين شاه ، ( ١٨٤٨-١٨٩٦ ) ، وقد قام تقى خان هذا ببعض الجهود فى سبيل القضاء على المساوىء الإدارية المتعددة اقترنت أول الأمر بالنجاح ، وعادت عليه بعد ذلك بعداوة كثير من ذوى النفوذ كما جد من سلطة رجال الدين غير المستيرين والذين استغلوا الدين من أجل تحقيق أغراضهم الشخصية وتفضيل طبقة سواد الشعب .

- محمد استعلامى : ادبيات دورة بيدارى ومعاصر . ص ٣٢٢ .

شخصا على النقيض غير راضين ، ويحاول هؤلاء الأربعون أن يمنعوا تنفيذ هذا الحكم بكل وسيلة ، من الخداع والتزوير ، فحاولوا تشويه الموضوع لكي يصرفوا الملك عنه ، ولا يزال الحكم لم ينفذ معطلا ، وهو كالبخار الذي يتصاعد من الماء الساخن ، حيث يعلو في الهواء دون أن يعود إلى مكانه ، والملك تارة في مصيف ، وتارة أخرى في رحلة صيد ، وغالبا ما يدخل الملك المدينة ، ولكنه لا يخرج من داره لمدة أسابيع ، وفي ذلك الوقت يقوم الوزراء الجهلة غير الغيورين والذين لا علم لهم سوى النفاق والمداهنة ، يقومون بالاختلاء بالملك حيث يدبرون أمورهم ، قلت : ماذا يضير أولئك من الإصلاح ، قال هم يخافون عندئذ إن تولى الأمور للعلماء من الدولة ، ومن ثم يعزلون من مناصبهم وليست هناك فائدة من تقلدهم لمناصب الوزارة والحكومة سوى النفاق والكذب على بعضهم البعض والذي سموه شعرا ، فبعضهم من خلال هذه الاشعار المتواصلة يرفع الملك إلى السماء في رحلة معراج ، وبعضهم يخرج (دارا) ( والإسكندر ) من قبريهما ، ويعطونهما البنادق ليقوما بحراسة بلاط السلطنة .

ويعد البعض منهم «الملك» في عدل أنوشيروان ، وفي الزهد والتقوى ثاني أبي ذر وسلمان الفارسي ، وتعتبر فرقة أخرى دون خجل أو حياء أن قتل الملك للذب في الادغال مثل ضربة أسد الله الغالب في غزوة الخندق ، ومع أن الأمبراطور الألماني يصطاد



كل عام مايفوق ملك إيران بمائة مرة من الحيوانات الاليفة والوحشية والطيور ، ومع ذلك لم ينظم شاعر المانى واحد قصيدة فى مدح سهمه وقوسه<sup>(١)</sup> ، ومع إن ماسيقولونه ليس فيه شبهة .

وتبالغ مجموعة أخرى فى كتابة النثر ، فتجعل من سفره للغرب - ملك إيرن - كأنه غزو لابن فيليب ( الإسكندر ) ، والذى أخضع العالم ، فيصف الكتاب لقاءه بملكة إنجلترا كوصف قصة بلقيس وسليمان «عليه السلام» ، فهم يخدعون المسكين بهذه الكلمات الجوفاء فيشغل بها ، ومن ناحية أخرى يقومون هم أنفسهم بسلب لرعية ونهبها وتخريب البلاد ، وبالله فإن مايخربه هؤلاء بارض إيران ، لهو أسوأ من تخريب المغول وغزوهم لأرض إيران .

قلت بعد الإجهاز على هذه المملكة ماهى عاقبة ذلك ؟ قال فى الحقيقة لايزال أملنا لم يتبدد كله ، فهناك وميض من الأمل ، ولما إن هذا أمر من الأمور الطبيعية . إذ إن شوق الإنسان ورغبته فى كل شئ تبدأ من الثلاثين حتى الخمسين ، وبعد ذلك ، فإن هذه الرغبة والشوق يأخذان فى الضعف والضمور فتنهار كل قوى الملك والذى مر بتلك المراحل والتجارب ، إذ إن الأمل فى المستقبل

( ١ ) هنا يتحدث الكاتب عن شعراء إيران المنافقين المداهنين ، والذين لاينظمون شعرا إلا فى المدح والإطراء .

وفى ولى عهد الدولة<sup>(١)</sup> ولو أصبح بمشيئة الله حاكما للبلاد ، فإن إيران سينبعث فيها روح جديد ، لأن حضرة ولى العهد ذو دين ويتمتع بعدة خصال حميدة والتي يمكن أن تعد من عوامل بقاء إيران .

أولا : عقيدته النقية وخوفه من الله وإيمانه بالحشر والنشر ، ويعلم إن أمامه يوم حساب ومحكمة كبرى ، وبلاشك فإنه لن يرضى عن هذا الوضع ، فيظلم الآخرين ، فيكونوا سببا فى خسران دنياه وعقباه .

ثانيا : إنه ليس مسرفا أو مبذرا ، ولن يرضى مطلقا أن يضم فى حرمه مائة امرأة وجارية<sup>(٢)</sup> ، وحينئذ سينأى الوزراء أيضا عن الإسراف والتبذير لأنه قيل «الناس على سلوك ملوكهم» .

ثالثا : هو ليس راضيا بالوضع الحالى للبلاد ، ولأنه يعلم إن الرعاية ساخطة وهذا كله باعث على مزيد من الأمل والرجاء ، علاوة على هذا فإن حضرة ولى العهد يتخلق بحسن الخلق ، ولم يعرف الكبر أو الغرور طريقا إلى طبيعته ، ولا يحب المظاهر الجوفاء ، وهو بسيط فى لبسه ، ويحب أن يكون كل شئ بسيطا وهو على علم بوضع وزراء الدولة وأمراء الجيش وأحوالهم وهو يزن تصرفات كثير من أولئك ويقدرها التقدير الجيد .

(١) ولى العهد هذا هو مظفر الدين شاه والذى حكم من (١٨٩٦-١٩٠٧م)

(٢) يشير الكاتب الى كيف كان الملوك القاجاريون يعيشون فى تبذير وإسراف وترف

بالإضافة إلى امتلاكهم لآلاف الخدم والحشم والجواري ، وهو مالا يلىق بالملك العادل ؟

وهو على علم بكل أمورهم ، وهذه كلها من السمات والشروط المطلوبة لولاية العهد ، والتي لا تتوفر فى شخص حاكم السلطنة الحالى ولكن مما هو باعث على مزيد من الأسف فى هذا المقام ، هو حينما يتولى ولى العهد زمام الحل والعقد فى أمور الحكم فى البلاد فإنه لن يبقى شئ له من النظام الحاكم السابق والذي يمكن من خلاله إصلاح أوضاع المملكة . اللهم باستثناء قلة من الأفراد الجهله والمنافقين المداهنين والمرتشين سيئى الأخلاق ، والذين يطلق عليهم اسم وزراء الدولة ، ووجودهم هو السبب الأول فى هرج المملكة ومرجها ، وفى بادئ الأمر ، فإن المسكين «ولى العهد» سوف يفتقد أول الطريق «للإصلاح» وحينما لا يضطرب هو نفسه من هذا الوضع المتردى ، فقد فعل خيرا كثيرا ، وعلى كل حال ، فإن الأمر هنا يتطلب وزيرا محنكا ، وذا عزم حتى يدير دفعة السياسة الخارجية ، فلا تتاح الفرصة للدول المجاورة بأن تتدخل فى شئون البلاد الداخلية ، حتى يتمكن الملك الجديد من السيطرة على الأمور ، فيتولى أزمة المملكة .

قال : هذا وضع بلدنا الحالى ومستقبله والذي دار الحديث عنه إجمالا ، ولكن مع كل هذه الأحاديث الكثيرة ، فلو جئت مرة أخرى هنا ، سترى كل شئ مكتوبا على ورقة «القانون» فقلت يا صاحب السمو إن السبب الرئيسى لمختلف أنواع الخراب والغفلة وغيبة القانون هو السادة علماء الشعب ، فهم لا يسمحون للدولة بأن تقوم بتنفيذ الإصلاحات فى مدنها ، قال لا ، لا ،

إنهم يبهتون السادة العلماء ، ومن الجرم أن تصدق هذه الافتراءات على عالم من أولئك العلماء ، فأنت رأيت بنفسك إننى كتبت فى القانون أربعة وعشرين فصلا فى شأن وجوب احترام علماء الشعب ، وهذا المعنى لا يقتصر على إيران ، فرعاية أحوال العلماء والزعماء الروحيين من لوازم الأمور السياسية فى كل بلد ، وفى كل مكان ، فإن احترام طبقة العلماء الجليلة هو مهمة من مهام أمور الحكم ، فمقام العلماء رفيع جدا ، لهذا فعلماء الشعب فى أى وقت لا يقولون للملك ينبغى أن تتغاضى عن عزة الشعب وثروة البلاد وسعادة السكان . إلا علماء لا يريدون أن يعمر وطنهم ويسعد شعبهم ، فكيف لا يرضى علماء الشعب أن يتساوى كافة مخلوقات الله فى الحقوق ؟ فلعل العلماء لا يعلمون أن القانون ليس سوى تنفيذ أحكام الشريعة ، والشريعة أصل القانون ، ومعنى الكلمتين عبارة عن تنفيذ العدالة بالتساوى .

ولو قال أحد كيف أرضى بأن أتساوى فى الحقوق مع خادمى ، وهذه المساواة ، تعنى التقليل من احترامى وشأنى ، أقول لمثل هذا الشخص إنه سيحشر فى زمرة الأشخاص الذين أدخلوا بيعتهم وحادوا عن أوامر الله وحدوده ، ولا يرضى العلماء إن تسلم الرعية ضرائب الدولة وأموالها لهؤلاء ، أو يتولى أمرهم موظف خسيس وظالم ، فيأخذ منهم خمسين تومانا أو مائه باسم الرشوة أو الخدمة ، وفى بعض الأحيان يؤخذ هذا المبلغ بضرب العصا ، وكيف لا يرضى العلماء بأن يأخذ كل وريث من الورثة حقه من

ميراث أبيه وأمه طبقا لأحكام الله وشرع الرسول ، ولا يعرف السادة العلماء أن وظيفة رئيس العسس ماهى الا المحافظة على الأسواق ورعايتها ، من اللصوص والمحتالين ، وليس القاء القبض على الناس وسجنهم وتأثيرهم بهتانا ، وتجريمهم ، وأى شخص لا يرضى حتى ولو افتقد الإحساس بأن يطغى خادما أو سائس لخان خائن على بائع أو تاجر ؟ وأى مجنون يمكن أن يدعى أن الدولة فى مقابل الأموال والضرائب التى تأخذها من الرعية لاترعى أموالهم وأرواحهم وأعراضهم ؟ وأى جاهل شقى يرضى بأن يعاقب الأخ بدلا من أخيه والجار بدلا من جاره ثم يحبس ويجرم ؟

وأن يلقي القبض على عمرو بجريرة زيد ؟ وكل من يرضى بهذا ليس مسلما ولا يعد من أمة الرسول «ص» ، وإن الله ورسوله غاضبان على هذا الشخص ، بل إنه يستحق القتل ، وكل عالم لا يعرف هذه الأشياء أو عرفها وفهمها وينكرها ، فإن الجهل لأشرف له من العلم بدرجات ، وهو نفسه لا يعد إنسانا ، ولكن ماهو مناف لراى العلماء فى القانون هو مع وجود القانون فى كل مدينة «لاينبغى» أن يقام خمسون محكمة فى هذه المدينة ، حتى لا يضيع عمر المدعى والمدعى عليه فى خضم تمييز الأحكام المتعددة المتناقضة الصادرة منها ، ونظرا لاتساع كل مدينة وقصبة ، فلتؤسس المحاكم فى عدة مناطق معينة ومحدودة ، وإن يتولى إدارتها عالم يشتهر بأمانته وتدينه وزهده وتقواه ، عن

الجميع من قبل الشقات من الناس ، وكذا أن يكون أعلم من الجميع ، وإن يحدد له معاش من الدولة أو وزارة الأوقاف ، فيصبح المسجد والمنبر والإمامه والخطبة قصرا عليهم «العلماء» ، وبذا لا يمكن أن أعتلى المنبر أنا نفسى ، ومن أجل ذلك الأمر ينبغى على العلماء بهذا الشكل أن تتميز مساجدنا وتكايانا بالجمال والرونق ، حتى يكونوا أكثر احتراماً فى أنظار غيرهم ، وبلا شك ينبغى أن نعلم أن المساجد بيوت الله ، فينبغى احترام تلك الأماكن المقدسة والتي هى مكان العبادة ، وكذلك المحافظة على قدسيته ، وينبغى اختيار العديد من الخدم حتى يحافظوا عليها دائما نظيفة وطاهرة ، وينبغى توفير نفقاتها الضرورية قبل استحقاقها فإنه فرض عين وعين فرض ، إذ بدون ذلك لا يبقى مسلم أو إسلام ، وإذا حدث تقصير من الملك والدولة تجاه هذه المساجد فلن يبقى اسم أو رسم للإسلام ، لأن عزتنا وأعراضنا متعلقة بهذه المساجد ، وهذا الموضوع أحد الموضوعات السياسية الهامة للغاية ، إذ أن جميع الدول حققت أهدافها بنفس هذه الوسيلة والا لهلكت تماما ولكن إذا استقرت السلطنة على هذا ، سيمتلك العلماء حق التدخل وإبداء الرأى وسيحصل السادات أيضا على حقوقهم ، ولماذا لا ينبغى أن يكون لهم الحق فى ذلك ، فى حين أن رائدا أو عقيدا يمكن أن يحمى خمسين شخصا بقوة «العصا» مدعيا قرابته ، ويقيهم من بلاء الظلم ، فبلا شك أن



الشخص العالم يريد أيضا أن يجعل بيته عتبة وملجأ للعامة ،  
وسيعطى أولئك العلماء العامة حقوقهم بالعدل والقسطاس .

وكل عالم له الحق فى أن يخلص أقرباءه ومريديه من قبضة  
الحكام الظلمة ولو تطلب الأمر أن يكون التصدى لهؤلاء الظلمة  
فى حكم الجهاد ، فى حين لو كانت هناك عدالة ومساواة وثواب  
وعقاب ، فماذا سيقول الملا والسيد وغيرهم ؟ وماذا يمكن أن  
يفعلوا ؟

الخلاصة : إننى من أجلك أكثر من الحديث ، ولكن قلبى  
مازال عامرا فادع . . . فادع أن تنصلح وتتحسن إن شاء الله كل  
الأمور فى المستقبل ، ونادى أن أعدوا العشاء . وكم أنا سعيد  
ومسرور بحديث ذلك «الوجود المحترم» ، إذ أريد أن أرقص من  
فرحتى وسعادتى نشوة ، وجاء الخادم ، وقال : تفضلوا العشاء  
معد ، وكانت المائدة مزدانة كثيرا وحافلة بأنواع الأطعمة الشهية  
واللذيذة ، ولا ادرى هل كل ليلة هكذا ، أم إنها - المائدة -  
كانت من أجلى ، وجلست ولم يكن هناك أحد سوى ذلك  
الطفل الصغير ، فقلت اليوم تحدث مع ابن السيد وسمعت  
أحاديث معقولة جدا ، فليحفظه الله ، فلو أن لشيخنا الكبار  
عقولا وإدراكا بقدر مال هذا الطفل الصغير ، ما أصابنا مانحن فيه  
من هم وحزن ، وسأل «الوجود المحترم» لعله اتى عندك ؟ قلت  
نعم مع الخادم ، وأحضر الشاى ودار الحديث ، فقال «الوجود  
المحترم» ، حينما ترغب أن اتحدث معك قليلا فى شأن الحكم

والإدارة من باب الحكمة والنصيحة ، فعقبت إنى مشتاق اشتياق الروح ، قال يعزىزى هذا شئ معلوم لدى كل إنسان وهو معنى حقيقى ، والدولة التى اسمها الملك والسلطنة هى عبارة عن مجتمع من الهيئة البشرية ، ويلتقى هذا المجتمع البشرى بقانون خاص ، وفى نقطة واحدة ، ويرى بعض الباحثين المفكرين العالمين والذين يقفون على دقائق الحكمة النظرية والعملية والذين هم على دراية برموز طبائع الأشياء ، يرون أن حالة تجمع بنى الإنسان هى فى الواقع مثل حالة تفردهم ، إذ حينما ينظر شخص بإمعان سبرى فى كثير من أمور الحياة ، أن وضع تجمع البشر وتفردهم ، حالتان متوافقتان ومتساويتان معا ، كما وردت الإشارة فى القرآن الكريم «وقد خلقكم أطوارا» بهذا المعنى<sup>(١)</sup>.

ويقول الحكماء العلماء إن عمر البشر ينقسم إلى ثلاث فترات ، الفترة الأولى وهى عمر النمو ، والثانية وهى عمر التوقف عن النمو ، والثالثة وهى عمر الانحطاط ، وبالمثل فللدول والمجتمعات البشرية أيضا ثلاث فترات ، ولكن تختلف أحيانا إلى حد ماتلك الفترات أو الأطوار الثلاثة بسبب ضعف البنية وقوة الهياكل البدنية ، إذ أنه يحدث انحطاط الشخص الضعيف البنية قبل انحطاط وسقوط الرجل القوى ، وهذا المعنى يشاهد فى حياه

(١) نوح / ١٤ : أوردها الكاتب وخلقناكم أطوارا ، وهذا خطأ .

الدول والمجتمعات البشرية ، بهذا الشكل الذى يرى فى الأفراد ،  
أى أن هناك تفاوتاً فى عمر نمو الدول وتوقفها وانحطاطها أيضاً  
بسبب ضعف البنية لهذه الدولة وقوة تركيبها ، وذلك إن بعض  
الهيئات الاجتماعية القديمة قد انهارت بسبب ضعف البنية ،  
ووصلت أثناء مرحلة النمو إلى مرحلة التوقف ، وأثناء مرحلة  
التوقف وصلت إلى الانحطاط «المرحلة الثالثة» ، وانمحت وانقرضت  
قبل الوقت الطبيعى لاجلها ، وعلى النقيض ، فهناك بعض آخر  
« من الدول » إمتد زمن نموها وتوقفها بسبب صحة طبيعتها وقوة  
بدنها ، وتتضح هاتان النقطتان الجليتان لدى أى شخص بقليل من  
التأمل فى تاريخ الأقدمين ، ولهذه المراحل الثلاثة ذات التفرد  
والتجمع لبنى الانسان ، علامات وأسباب خاصة والتي يعلمها  
جيدا القائمون بالامور والمشرفون على مصالح الجماهير ، إذ أن  
أولئك ممثلو البنية الاجتماعية ، وقد أنيطت بهم المحافظة  
والإشراف على قوة البنية ، والذين يقومون على الفور بالبحث  
عن العلاج ، ومحاولة القضاء على المرض عند وقوع ضعف فى  
قوة المملكة وبنيتها الاجتماعية ، لأنه عند حدوث تلك الحالة ، فأقل  
إهمال منهم تحمّلهم مسئوليات جساما ، وكما أن هناك قاعدة عامة  
عند علاج الأمراض الروحية والجسمانية ، اذ ينبغى تجنب سوء  
العلاج والدقة فى أمر المداوة والعلاج ، لأنه من الواضح أن الدواء  
الذى يتعاطاه الشيخ المسن لا يمكن إعطاؤه لطفل رضيع والعكس  
صحيح ، وينبغى أن تكون المعالجة وفقا للطبيعة والإلتحوت.

الفائدة إلى ضرر ، وكما هو معلوم أن البنية الإنسانية الخاصة تتشكل من عناصر أربعة ، وزمام السيطرة عليها عن طريق القوى والحواس التى تسيطر عليها النفس الناطقة ، وقد أنيط زمام إدارة الهيئة الاجتماعية ، بالوزراء ومديرى الامور والذين هم بمثابة الحواس والقوى إلى السلطان أو الملك الذى هو بمثابة «النفس الناطقة» ، وأصبح زمرة العلماء والوزراء والتجار والرعايا بمثابة العناصر والأركان الأربعة للدولة ، وزمرة العلماء بالنسبة للهيكل الإنسانى بمثابة «الخلط المحمود» ، أى الدم الذى يصل إلى القلب والذى هو أساس الحياة الإنسانية ، لأن الروح «الحيوانية» للجسم هى جوهر لطيف ولا يمكن أن تجرى فى بدن الإنسان بالذات نظرا لهذه اللطافة التامة ، ولا جرم أن الدم الذى تعرف قوة جريانه يحمل «الروح» معه ، وتنتقل من قنوات العروق المتناهية فى الصغر حيث تستقر فى أعماق البدن حتى يصل فيضها «الروح» إلى كل الأعضاء والجوارح ، حيث يستمد البدن من جريانها الحياة ، وتبدو عليه النضرة ، وعلماء الشريعة والحقيقة هم أيضا للعلوم الشريفة بمثابة الروح الحيوانية فى الأبدان ، وهم يحملون «هذه العلوم» وفقا لمبدأ الفيض بالذات أو بالواسطة ويوصلونها فى لغة ثلاث العوام الذين هم بمثابة بدن البنية الاجتماعية ، وكما يتتفع البدن الإنسانى من الروح الحيوانية ويستمد منها الحياة ، فأولئك أيضا يستمدون الحياة والقوة من

فيض العلوم التى يحصلون عليها من قبل زمرة العلماء ، وبسبب ذلك تطول فترة بقائهم ودوامهم ويعيشون فى عزة وفخار ، والجنود ايضا فى البدن بمثابة البلغم والتجار بمثابة ( الصفراء ) والرعية والدهاقنه بمثابة ( السوداء ) ، إذ أن طبيعتهم طينيه وهؤلاء الأخلاط الأربعة<sup>(١)</sup> يتفعلون من بعضهم بتعاملهم مع بعضهم البعض بشكل متساو ، ولما أن هذه الأركان الأربعة ، هى مدنية بالطبع فهى لهذا أساس صحة مزاجه ، وهم أنفسهم يستفيدون من أعمال بعضهم البعض ، لهذا تزيد مراتب الهيئه الاجتماعية كما تستقيم طبيعة الدولة على أليق حال ، ثم يجب أن يراعى دائما حد الاعتدال فى هذه العناصر الأربعة حتى لا يحصل تفوق أو رجحان من حيث الكم والكيف لواحد على الآخر .

وحيثما لا تكون هذه النكته موضع الاعتبار ، فإن المرض يتسلل إلى صحة البدن بسبب ذلك الاختلال ، ويظهر الفساد فى كيان الدولة ، وإذا ماتفوق عنصر من العناصر الأربعة خرجت

(١) الاخلاط الأربعة : هى الدم والبلغم والصفراء والسوداء وهى أجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء ، ومفردها خلط ( بكسر الخاء ) والخلط الاصلى منها الدم ، وهو الغذاء الحقيقى الذى يقوم به البدن ، والثلاثة الأخر توابع له .  
- بطرس البستاني : محيط المحيط : ص ٢٤٨ .

الروح العذبة<sup>(١)</sup> من جسدها، وكما قلنا إن الرعايا والدهاقنة يشكلون البنية الاجتماعية للشعب في طبيعة المملكة وبمثابة «السوداء»<sup>(٢)</sup> ، وكما ثبت في علم الطب والتشريح ، أنه بعد هضم الطعام ، حينما لا يدخل الغذاء إلى المعدة ، فإن المعدة لا تخلو قط من الطعام حيث يصب الطحال قدراً من السوداء في المعدة ، حتى لاتصاب المعدة بالخلل ، ومثل خزانة الدولة مثل «المعدة» للمملكة ، فحينما تخلو من النقود فإن الرعية والفلاحين يجمعون من كل مكان بسعيهم وجهدهم النقد والعين وهما بمثابة غذاء المعدة ، ويصبونه فيها حتى لا تختل بنيه الدولة ، لهذا يجب على الدولة المحافظة على الرعية قبل أى شئ آخر ، ولهذا فإن كثيراً من السلاطين الكبار القدامى كانوا يهتمون بهذه النكتة الدقيقة ، والتي تمثل أساس دوام الملك وبقاء سلطة السلطنة ، وكانوا يسعون بأنفسهم لحماية الرعية ، وإسعادها وتحقيق رفاهيتها ، وكانوا أيضاً يسعون لتعمير القرى بكل وسيلة ، ويختارون القرويين والمزارعين من كل مكان ، ليعيشوا في ظل حمايتهم ورعايتهم ، حتى لا يهجروا أماكنهم .

ويعملون بكل جهد واجتهاد من أجل زيادة الزراعة والحراث .

( ١ ) أوردها الكاتب : (جان شيرين ) .

( ٢ ) قد تطلق السوداء على مرض المايلخاليا وهو فساد الفكر . أنظر

- البستاني : محيط المحيط . ص ٤٣٩



ويتضح أنه حينما تتغلب «السوداء» على البدن فى الملك .  
فإن ذلك يكون سببا فى ظهور بعض الأمراض النفسية مثل  
الوسوسة والجنون والسهو والأوهام وغيرها والتي تضعف من تلك  
الروح وتفت فى عضد البدن ، وأحيانا ما يحدث أن تتنازع هذه  
العناصر مع بعضها البعض ، وتتمرد على الحكام فى أداء واجبات  
الدولة ومسئولياتها ، ولما أن الأمراض السوداوية نفسها ليست  
مهلكة كثيرا ، لهذا لاينجم عن الرعية والدهاقنة أذى أو أضرار  
خطيرة تجاه المملكة ، وباختصار فإن ماء التدبير لا يخدم ثائرة  
صياحهم وشكواهم ، وعلى كل حال ينبغى أن لاتزيد الرفاهية  
والراحة لدى أولئك عن درجة الاعتدال ، وكما قلنا أن طبقة  
التجار والمتكسبين هى بمثابة خلط الصفراء فى بدن المملكة ،  
وبسبب أن الصفراء تقوم بدور طرد القاذورات والشوائب من  
مملكة البدن إلى الخارج عن طريق المجارى والقنوات الطبيعية .  
فإن وجودها سيكون سببا فى زيادة صحة البدن وقوته ولكن فى  
شكل الاعتدال . وإذا ما حدث إفراط فى طبيعة ذلك ، تسلل  
الخلل إلى مصالح الأعمال وسير المعاملات ، والإفراط فى المأكـل  
 والملبس والمظاهر المنزلية ، وزيادة نفقات الأفراد ، يؤدى إلى زيادة  
البخل والطمع واحتكار حقوق الآخرين ، وكذلك نشوء الفقر  
والسفه بين أفراد البنية الاجتماعية ، وظهور الإفلاس العام بين  
مواطنى المملكة .

وذكرنا أن الجنود بمثابة البلغم فى تكوين بنية المملكة ، فكما أن الأفراد والكثرة من البلغم ، يكون سببا فى اختلال صحة البدن ، واعتدال ذلك يكون سببا فى بقاء ودوام « الروح الحىوية » ، وبالمثل فإن انتظام البنية الاجتماعية منوط أيضا بهذه الأركان الأربعة ، وعلى الرغم من أن تحقيق هذا بدرجة معينة ليس ممكنا لكى يحدث الاعتدال الحقيقى ، إلا أنه ينبغى العمل بالشكل الذى لا يكون هناك تجاوز للحد المعين وهو حالة الاعتدال ، أى لا إفراط ولا تفريط ، بحيث لا يخرج الأمر عن الطبيعة والحد المعقول ، فتختل صحة البدن . وبعد أن يتخطى الإنسان عمر التوقف ، لاجرم فى أن يتفوق حيثئذ البلغم على طبيعة البدن بسبب الهرم الطبيعى ، ويكون ذلك باعثا على أحداث الرطوبة والبرودة فى الصحة ومن ثم يسيطر عليها البلغم . وفى كل مرة يحدث اضطراب ، يحل هذا الاضطراب محل الوضع الطبيعى ، وفى ذلك الوقت فإن سائر الأخلاط تميل بطبيعتها إلى الثورة على ذلك «البدن» ، وقد ثبت هذا بالتجربة ، ويزيد عدد جنود كل دولة فى عمر التوقف ، وبالقدر الذى يحدد عدد أولئك ، يزيد أيضا سائر صفوف البنية الاجتماعية ، وحينما يحرمون بالفعل من الدخول فى طبقة الجنود ، فلا مناص من أنهم «العناصر الأخرى»

يحاولون أن يقلدوا الجنود فى زيهم ومظهرهم ولباسهم وتحركاتهم ، ومن هنا فعلى كل ، يزيد عدد الجنود فى كل دولة بعد عمر التوقف ، وحيث أن الإنسان لا مناص من أن يقبل ويرضى بتفوق البلغم على الجسد ، أى إن «الإنسان» لا يمكنه أن يحول دون تفوقه بحكم الطبيعة ، ويناسب الدولة ، إذن والتى هى بمثابة الروح الحيوية لبدن البنية الاجتماعية أن ترضى بتفوق الجنود الذين هم بمنزلة البلغم من الهيئة الاجتماعية ، بشرط عدم وقوع ضررهم على سائر العناصر ، لأنه فى تلك الحالة يفشل السعى فى منع غلبتهم مهما عظم ( السعى ) فإن الطبيعة لن تخضع لتنفيذ ذلك الهدف . ولما إننا شبهنا الأخلاط الأربعة بأربع طبقات من البنية الاجتماعية . وقلنا إن النفس الناطقة بمثابة السلطان والقوة العاقلة بمثابة الوزير ، والقوة المدركة بمنزلة المفتى ، والمعدة كالخزانة ، والقوة الذائقة كالصراف ، والقوة «الماسكة» كصاحب الخزانة ، والقوة الهاضمة بمثابة المحاسب والمستوفى ، وباقى القوى أيضا مثل سائر القائمين بأمور المملكة ، لهذا فإن ما يدخل من الضرائب فى الخزانة والتى هى بمثابة معدة المملكة ، هو كالمواد الغذائية التى تصرف فى القوة «الماسكة» وهى توزع المواد الغذائية بقدر معين على سائر القوى ،

وحيث أن تقوم كل القوى بصرف حصتها ، وتستفيد كل عناصر البنية الاجتماعية والتي تسعى وتعمل ، من حصص أولئك ، ويشكل هذا المعنى اعتدال التقسيم والتوزيع . وحينما لا يكون هناك عدل فى التقسيم ، يحدث ضعف لعنصر وقوة لآخر ، فيكون هذا سبب ظهور النزاع والفساد . وتختل بنية المملكة ، وفى النهاية تتسع دائرة الفساد ويصيب بنية الدولة الضعف والفتور ، وعلى الرغم من أن الدولة يمكن أن تستمر حتى نهاية عمر التوقف ، إلا إنه بعد ذلك ، يصيب القوة الهاضمة الضعف والأمراض ، وشيئا فشيئا تعجز تماما «عن أداء وظيفتها» ، وتصبح عاطلة أى فى بطالة ، وحيث أن تزول كل عزة وافتخار لتلك البنية الاجتماعية ، وتنهار الدولة من أساسها وكل من يتسبب فى حدوث مثل هذه الحالة الكثيفة ، يكون يوم القيامة ملعونا ومذموما فى نظر العالم ، وسيذكر التاريخ أيضا اسمه فى صفحة أسماء الخونة والأشرار .

**الخلاصة :** إنه اتضح من خلال هذه التفاصيل أن للإنسان فى حالة التفرد ثلاث مراحل فى حياته والتي أولها مرحلة النمو ، وثانيها مرحلة التوقف وثالثها مرحلة الانحطاط ، وكل مملكة ودولة أيضا هى مثل البنية الاجتماعية البشرية ، ولها نفس المراحل الثلاث بلا زيادة أو نقصان ، ولكن مقتضيات كل طور من هذه الأطوار الثلاثة يختلف عن مقتضيات الأخرى ، وكما يحتاج الإنسان فى عمر النمو لتربية الأب وتنشئة الأم ، تحتاج كل

دولة بالمثل فى بداية الإعداد والتنظيم إلى التعصب<sup>(١)</sup> وتعاون الرجال المفكرين من ذوى الهمم ، وبعد ذلك فإن كل فرد من أفراد البنية الاجتماعية ، ينبغي عليه أن يقوم بأداء عمل من الأعمال ، يساعده فى ذلك رجال مفكرون بعيدو النظر . وتحصل الدولة بفضل قوانين العدل والإنصاف على الأموال والضرائب لتضعها فى الخزانة ، وتنفق هذه الأموال عند الضرورة فى سبيل بقاء ودوام الرفاهية والراحة ، ومن خلال هذه الوسيلة يحافظون على استقرار الحالة العامة . وكما أن كل فرد من أفراد البشر فى حالة النمو ، يكون فى رقى يوما فيوما ، فأیضا فإن كل دولة فى بدء ظهورها وفى أواسط حياتها تكون هى أيضا فى رقى يومى ، وتتقدم «الدولة» من حيث المال والأهداف والاتساع والعظم حتى تصل إلى مرحلة التوقف وحينما يكون تخطيطها فى ذلك الوقت يتفق مع أحكام العدل والإنصاف ويكون الاعتدال طريقها ، فحينئذ تمتد مرحلة توقفها وتعيش فى عزة وفخار ، وقيل : إن خير الأمور أوسطها . وفى مرحلة الانحطاط أيضا ، كما أن الهرم والضعف يصيبان الإنسان ويجعلانه عاجز ، وكل يوم تكون حواسه وقواه فى هبوط وتدهور ، فأیضا فإن الحالة الاجتماعية تنحو هذا المنحى ، وأثناء مرحلة الانحطاط يتسرب الضعف يوميا إلى أركان الدولة ، أى تقل الحرارة والرطوبة

(١) يقصد الكاتب بكلمة التعصب هنا التكتل .

الغريزيتان اللتان هما منشأ القوى والحواس ، وفى نهاية الأمر تضعف القوة الهاضمة ، ويصيب المعدة فساد ، ويختلف وزراء المملكة والذين هم بمثابة الحرارة والرطوبة الغريزيتين للبدن مع أركان السلطنة وخدمها ، فتظهر فى كم الأمور وكيفها اختلافات عن سوء تدابيرهم ، واختلاف آرائهم ، كما يظهر أيضا الضعف والاختلال فى طبائع الصنوف الأربعة للملك والتي شبهناها بالاخلاط الأربعة لبنية البدن حيث تزيد العلة وتشتد ، وكما أن يياض شعر اللحية ، وتجمعات جلد الجبهة من علامات الهرم والشيخوخة لأفراد البشر ، فأیضا فإن ظهور بلاء الزينة والمظاهر «التافهة الجوفاء» فى البنية الاجتماعية ، علامة من علامات الهرم والشيخوخة ، لأن أركان البنية تميل إلى الراحة والرفاهية بعد مرحلة التوقف ، ويحاول كل فرد منافسة الآخر فى الإكثار من المظاهر والالقباب ، وبذا يترك الأفراد افتخارهم العتيق ، وشيئا فشيئا ، تنتقل هذه الحالة لسائر الأصناف ، ويتنافس أواسط الناس أيضا فى المسكن والملبس مع الوزراء . . . لا بل مع الملوك ، وشيئا فشيئا تزيد نفقات البنية الاجتماعية العامة ، ويقلد رجال الحرب العسكريون «هذه العادة وهذا العرف» ، وبذا يفضلون الراحة والتقاعد فى الظل على عناء السفر ، ويغفلون عن مكافحة العدو والمحافظة على الوطن والبلاد ، إذن فوفق الآية الكريمة : (لكل أجل كتاب) <sup>(١)</sup> يصدر فى حقها من محكمة



القضاء كل ماكتب عليها من فناء ، ويصدق فيها مفاد الآية الشريفة «يمحو الله ما يشاء ويثبت»<sup>(١)</sup> فيحدث في أجلها المعلق ، ماكتب في حقها من زوال . وبهذا الشكل يتضح أن وقت انحطاط بعض البنيات الاجتماعية من الممكن أن يكون قبل الوقت الطبيعي ، وكما أنه حينما يتجرع شخص ما السم أو يلقي بنفسه في اليم ، فبلاشك إنه سيموت قبل حلول الأجل الموعود ، وبالمثل فالدولة أيضا التي تهمل في تنفيذ قوانين العدل والقسطاس ، فإنها تسير في طريق الظلم والجور ، وهى على كل تسعى مسرعة نحو زوالها ، والتعجيل بانقراضها واضمحلالها ، ولا مجال للشك إن أساس تلك الحكومة سينهار ويقع قبل حلول وقت الانحطاط . وحينما تتعلق المشيئة الإلهية بذلك فإن سن الشخص يصل إلى آخر مرحلة في درجة الانحطاط ، وتصونه بذلك حتى يحافظ على مقومات رعاية صحته ، أو تدله على طبيب حاذق حيث يقوم بمعالجته ، فلا يتسلل الاختلال إلى صحة بدنه . وبالمثل لو تعلق القدر والمشيئة الإلهية بذلك فإن الدولة تبقى وتدوم حتى آخر مرحلة وهى مرحلة الانحطاط «الإفول» ، ويدل القدر حاكم تلك الدولة على طريق الرشد والسداد ، ويمده (القدر) ، بوزراء مستنيرين ووكلاء أمناء طاهرين ، والذين وهم بمثابة الأطباء المهرة حتى تصل الدولة الى نهاية مرحلة الانحطاط .

(١) الرعد / ٣٩

**الخلاصة :** إن بقاء كل دولة متعلق بحسن السياسة ، وتلك السياسة قسمان : قسم عقلى ، وآخر شرعى ، والقسم العقلى عبارة عن الحكمة العلمية ويسمونها ( سياسة الملوك ) ، والسياسة الشرعية عبارة عن اتباع الأحكام الإلهية والانصياع إلى أوامر السنة النبوية ، وكما أن السياسة الشرعية تغنى عن السياسة العقلية ، لهذا يجب على الملوك المسلمين أن يضعوا دستوراً للعمل فى حسم الأمور المتعلقة بحقوق عباد الله ، وينبغى أن يقتدى بذلك كل وزير ذى تدبير حتى تظهر الإرشادات الإلهية ، وبذلك يفلحون فى الدنيا والآخرة ، لهذا فكل وزير أو أمير يتعد عن هذا الصراط المستقيم ويتبع هوى نفسه ويغوى ، إنما يسعى إلى هلاك نفسه ودمارها وكما قيل «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم»<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك قلت إن الشكر لك إن حضرة جنابك العالى ، عارف بكل الرموز السياسية وواقف على حكمة الحكومة ، وبهذا الشكل لماذا لم تقدم هذه النكات الدقيقة إلى مجلس شورى الدولة ؟ ولماذا لا تحت وزراء الدولة وممثليها على ضرورة الإصلاحات ، وتنظيم مرافق الدولة حتى تتقدم البلاد بتعاونهم وعملهم الموحد ، فتخلص المواطنين والوطن من هذا الهلاك ؟ قال لقد عانيت كثيراً بشأن هذا ، وكثيراً ماناديت وطالبت دون جدوى ، ومن ذا الذى يصغى لمثل هذه النداءات ، ويسمع كلمات هذه المقولة ؟ ولا بد من توفر شيئين لقبول مثل هذه

(١) واضح هنا أن الكاتب يشبه المجتمع الإيرانى بالكائن الحى من حيث مراحل النمو : الطفولة ، والشباب ، والشيخوخة .

النصائح والتي فى قبولها أساس السيادة والسمو ، أما الشئ الأول : فهو العلم والثانى : فهو العدل ، . . . . واحسرتاه فللاسف نحن محرمون منهما ، إذ يوجد على الأقل فى بلاط السلطنة أكثر من مائتى شخص ، وهم من أصحاب الألقاب الكبيرة ، والذين كل واحد منهم يحاول انتزاع «رئاسة الوزارة» ويحصون الأيام عدا انتظار للفرصة ويعلمون أنهم لا يمكنهم الوصول إلى هذا الغرض إلا بالمال والرشاوى ، وهم يحاصرون الرعية من كل ناحية ناهبين سالبين ، وبكل وسيلة تصل لها أيديهم ، يستولون على كثير من الأموال ، ويبدلون هذه الأموال عند الحاجة «حاجة أنفسهم» ، حتى يصلوا إلى أغراضهم بهذه الوسيلة وكل أفكارهم منحصرة فى أن يسحقوا بعضهم البعض بأى طريقة وحتى الآن لانعلم أن واحدا من وزراء إيران فكر فى طريقة صائبة فى مجال زيادة دخل البلاد ، فيدون كتبيا فى هذا المضمار ، وذلك لأن كثيرا من وزراء بلادنا لا يملكون ناصية التفوق والامتياز فى مراتب العلم والفضل ، علم حقوق الدول والشعوب والمعاهدات الدولية أكثر من معرفتهم بسائس لهم أو ساق أو خادم . ومجال امتيازهم أو معرفتهم فى الاشعار العربية<sup>(١)</sup> وذلك إن أجدادهم قد تركوا لهم ذلك المنصب وراثته ، أى أنهم كانوا خائنين للدولة والشعب أبا عن جد ، وربما يظنون

(١) ليس معنى أن يعرف علياً إيران الشعر العربى ، باعتباره أساس الشعر الفارسى أنهم خانوا بلادهم بهذا ، وهذا تعصب واضح من المؤلف .

إن العشرين كرورا من أهل إيران ، عبيد عندهم ولا يعدون من المخلوقات .

**الخلاصة :** حينما يسأل شخص ما أحداً من هؤلاء الوزراء الذين لا دين لهم قائلًا: أيها السادة الوزراء حينما يسافر فرد من أفراد الشعب إلى مكان ما فعند العودة لاشك إنه سيحضر معه هدية ، أى شئ يستفاد منه فى حين أنتم سافرتم إلى الغرب ثلاث مرات ، وأنفقتم المبالغ الباهظة من المملكة فى ذلك السفر ، فأية هدية أحضرتموها معكم للوطن والمواطنين ، فى مقابل عناء ذلك السفر والنفقات الباهظة ؟<sup>(١)</sup> ، فهؤلاء لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً .

**الخلاصة :** أقول ( إن هذه الهدية التى أحضرها السادة الوزراء معهم ) هى المساوئ والمفاسد . وأذكر ذات يوم ، ذهب وفد من الشعب اليابانى لزيارة «المانيا»<sup>(٢)</sup> وهناك ذهب «الوفد اليابانى» لمشاهدة مصنع المدافع ، وبدون أن يكون معهم قلم أو ورقة إذ أن الألمان سيئون الظن بهم ، دونوا كل صغيرة وكبيرة من هذه الصناعة فى مخيالاتهم بقلم رجل مفكر ، وعند العودة إلى بلادهم المحظوظة صمموا مثل تلك الآلة بحذافيرها ، وصنعوا الكثير من تلك المدافع وهى لا تختلف عن مدافع الألمان

(١) يشير الكاتب هنا إلى سفر ناصر الدين شاه وبعض الوزراء إلى المغرب .

(٢) كان الكاتب مبهور إلى حد كبير بتقدم الشعب اليابانى بالذات وهذا مايتضح من خلال المجلدات الثلاثة لكتاب سياحته إبراهيم بيك .

قط ، وربما قرأت هذا الموضوع ذات يوم فى صحفكم اليومية  
فماذا أقول أكثر من هذا عن مراتب الفضل والعلم والغيرة وحب  
الوطن وتقديس الملك وحب الشعب والديانة والأمانة ، لهؤلاء  
الوزراء السيئى التفكير الوضعاء والذين وصلت أنت إلى خدمتهم .  
وأنا من الخوف من وشاية أولئك لم أظهر كل ماكتبته إلا لك  
ولعدد آخر من أصدقائى الذين أثق بهم وجربتهم . وما أعلمه  
جيدا أن هذه الأفكار فى عصرنا الحالى من الممكن أن تتسبب فى  
قتل صاحبها أو عزله وكفى . فعقبت قائلا : أيها السيد ، هل  
يمكن أن يكون هناك حظ أفضل من هذا فى العالم بحيث يقوم  
المرء بعمل فى مجال حب الوطن مما يخلد اسمه من بعده فكما  
أعلم أنا أن كل طفل فى الثامنة عشرة وكل عجوز فى الثمانين  
سواء الصديق أو العدو ، كل هؤلاء يذكرون حتى وقت متأخر  
اسم الأمير بسمارك<sup>(١)</sup> وزير المانيا الأعظم بكل احترام وأكبار ،  
وعلى الرغم من أنه لم يبق شئ ذكرى للأمير الأتابك تقى خان  
المرحوم ، وذلك لسوء حظ الوطن . إذ لم يسمح بذلك الخونة  
فى البلاد وأصحاب الأفكار السيئة ، ولكن مع كل هذا لم أر  
أحدا من الإيرانيين حتى الآن سوى مؤرخ واحد لادين له منافع  
والذى يذكر الاسم السابق لذلك الرجل العظيم بدون أدنى احترام  
وهو لا يترحم على روحه الطاهرة فى حين يمدح جميع الناس  
سمو أفكاره تتأتى لهم ، اذ يستولون على مناصب منافسيهم ،

(١) بسمارك: سياسى المانى وأول مستشار أو رئيس وزراء لالمانيا (١٨٧١-١٨٩٠ )

والشيء الذى لا يفكرون فيه قط هو حب الوطن والغيرة القومية . وبناء على هذا وكما سبق قولنا يتضح إنه حينما يقوم هناك قانون لا يستطيع هؤلاء أن يحققوا أغراضهم بطريقة سهلة ، وسيحرم كل واحد «من الأشخاص السابق ذكرهم من الثلاثين ألف تومان التى يتقاضاها سنويا كرشاوى ، وبهذا الشكل ينبغي عليهم أن يتخلوا عن مختلف أنواع الزينة الفاخرة والتى يمتلكونها اليوم وكذلك ما يمتلكه كل واحد منهم من أسطبلات الخيول والأعداد الغفيرة من الخدم والحشم . فهذا هو القانون الذى لا يريدون أن يسمعوا له حتى لا يضطروا الى تنفيذه «لأنه يسلبهم المزايا السابقة» ومن جراء أضرار هذه الأموال المؤسفة ، فإن إيران أصبحت خرابا ودمارا ، بعد أن كانت روضة الدنيا ، وغدا سكانها كما نراه اليوم يتعرضون لأقسى درجات الذلة والبؤس بعد أن كانوا فى الأزمنة السالفة أعز أقوام الدنيا ، ولا أحد فى استطاعته أن يسألهم عن أسباب كل هذا الخراب والدمار فى المملكة واضطراب الرعية ، وتعلم إن الدولة الإيطالية مساحتها أقل بكثير من أرض إيران وقد كانت دخول تلك المملكة كلها خمسة مليون تومان فى أوائل القرن التاسع عشر ، ولكن اليوم زادت إلى خمسين مليون تومان ويزيد سكانها أيضا بهذا المعدل وسائر الدول على هذا المنوال ، وحينما أقول أن إيرادات مطبعة صحيفة «التايمز»<sup>(١)</sup> والتى تطبع

(١) التايمز : جريدة إنجليزية يومية صباحية تصدر بمدينة (لندن) منذ عام ١٧٨٥م أسسها (جون وولتر) باسم : ( السجل العالمى اليومى ) ثم أطلق عليها اسم التايمز أى (أحوال) . وقد لعبت التايمز دوراً مهماً فى تاريخ الصحافة خاصة فيما يتعلق بالتاريخ البريطانى . وقد اشترى هذه الصحيفة ( اللورد طومسون ) عام ١٩٦٦م . انظر : أحمد عطية الله : القوموس السياسى . ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .



فى لندن ، أكثر من دخل سنة فى إيران ، فبلاشك إن وزراءنا الجهلة لن يقبلوا والسبب فى ذلك أن هذا المعنى أوضح من الشمس ، وهو إنه لايزال وزراء مملكتنا وربما الصدر الأعظم أيضا لا يعلمون طريقة نشر العملة الورقية ، أو إنشاء بنك ، أو مجلس النواب «البرلمان» ؟

الغيورة على الوطن ، وعلاوة على هذا ، فقد سمعت هناك أنهم يقولون «المحتسب فى السوق» ، وكل مايفعله هؤلاء الظلمة الفراعنة والنماردة من ظلم بالضعفاء ، سوف يفعله الأقوياء إن لم يكن بهم أنفسهم ، فبأحفادهم وبأضعاف مضاعفة بكل وسيلة تيسرت لهم ، وصدق القائل « أولئك يحملون المظالم والآخرين يحملون الذهب» ، ولكن هؤلاء لا يفكرون فى أولادهم من بعدهم ، ولا يخشون من السؤال يوم الحساب ، ( ولما جذب الكأس بلاوعى ورأسه تتمايل من أثر الخمر ترنم ثملا بهذه المقولة ) .

ياسعدى ، ولى الأمس ، وغد ليس معلوما .

فانتهاز فرصتك اليوم بيت هذا وذاك <sup>(١)</sup>

هذا البيت المتكرر والذي يذكرونه منذ زمن الطفولة ، وكثيرا مايتغنون به حتى انتهاء أعمارهم ، ونحن نسمع يوميا ونقرأ فى الصحف اليومية أن الوزير الفلانى قد استقال ، وهذه الاستقالة لها كثير من الأسباب ، فإما بسبب اعتلال صحته وبإذن الأطباء

(١) سعد يادى رفت وفردا همچنان معلوم ييست .

درمیان آين وآن فرصت شمار امروز را

ينبغي أن يعتزل فترة من العمل لكي يسعى فى علاج بدنه وراحته حتى يمكنه أن يمارس عمله الوطنى بعد أن يشفى ويصح ، وأما هناك سبب آخر وهو الشيخوخة والعجز والذى بسببه ربما بل يجب أن لا يمارس إداء عمله ، ولكن السبب الرئيسى للاستقالة والذى كثيرا ما يحدث هو ما يتعلق بحب الوطن . فقد تجول بخاطر الوزير فكرة فى شأن مصالح الوطن أو بخصوص السلام والحرب فيقدم مذكرة لتنفيذ تلك الفكرة لمجلس الشعب «البرلمان» ، وعندما لا يستصوبون فكرته ويرفض البرلمان مذكرته ، فإن الوزير يقدم استقالته صونا لمكانته وحفظا لشرفه ، يقدم هذه الاستقالة إلى الوزارة التى يعمل بها حتى يكون غير مسئول عما سيحدث فى المستقبل ، وأسفاه فإن وزراءنا يديرون مهام الوزارة مائة عام ويعرضون المملكة لكثير من المخاطر ، فلاهم يخجلون من سوء إداراتهم ، ولا هم يستقيلون من أعمالهم ، والسبب الرئيسى فى بقاء هذا الوضع المؤسف هو الجهل ، حتى الآن فإننى كلما ناديت بأنه قبل كل شئ لابد لنا من مدرسة ولابد لنا من العلم ، وأن وضعنا لن يتحسن إلاّ بهمة الرجال الفضلاء العلماء، والذين هم على دراية بالعلوم والفنون المتداولة ، ولكن ندائى لا يصغى إليه أحد ، ألا يرى هؤلاء العمى أن السبب الرئيسى فى عزلة أهل الغرب وافتخارهم منشؤة العلم والمعرفة لديهم ، وأن سبب ذلة الشرق وهوانهم هو أيضا عدم العلم والجهل ؟؟ ، ألا يلاحظ هؤلاء الحمقى أن سبب الهرج

والمرج فى إيران ، وعدم ثبات الحكم فى أسرة واحدة فى هذا القرن الأخير والذى يتقل من حاكم لآخر كل يوم كخاتم فى أصابع اليد ، سببة الجهل وغياب القانون ، والأسباب الرئيسية التى هى وراء أنواع الخراب هو الظلم القائم أيضا على الجهل ، ولإثبات هذه المقولة ليس فى أيدينا من دليل نأتى به أوضح من سلطنه نادر والتى لم يبق لها وجود بسبب الجهل فى تلك الفتوحات والرعوننة المصاحبة لها ، فهان أمرها فلم يبق لها اسم أو رسم .

وكم عانت هذه الرقعة من أرض إيران من جرّاء الجهل والذى لم تره قبل نادر ولا بعده فكانت «إيران» موطوءة بسنابك خيول الحوادث وفتن العصر . وحينما نبحث عن أسبابها جميعا سنرى إنها بسبب الجهل وعدم المعرفة . وينبغى حقا أن نبكى على حال هذه المملكة التعسة ، وقد كتبت كتابا يقع فى ثمانمائة صفحة فى إثبات هذه المساوىء الخطيرة اى الجهل وعدم المعرفة ، ولو وفقنى الله لطبعه ونشره سأرسل لك مجلدا ، وبعد قراءته ستعرف ماهو العمل ؟

**الخلاصة :** تناولنا العشاء ، وقُضت المأدبة ، وتحدث قليلا عن حياته ، وسأل بعض الأسئلة عن أمر التجارة فى «مصر» وغيرها ، فأجبتة بما عرفته ، وكانت الساعة قد وصلت الخامسة فاستأذنت فى العودة ، فأمر أن يحضروا لى العربة . إلا إننى رفضت ذلك رفضا تاما وأصررت على موقفى ، ومن ثم أضاءوا الفانوس وكلف خادمين بأن يوصلانا إلى المنزل ، ونهضت

لكى أقبل يده ثانية فمنعنى وعقبت قائلاً : إن كل أذى أصابنى بسبب البحث عن أسباب مساوىئ الوطن قد زال عنى ، وذلك بفضل إدراك شرف لقاء جنابكم العالى . وما أصابنى من تجريح السنة بعض الأفراد السفهاء قد ذهب عنى بفضل بلسم أحاديثكم التى تبعث على العزاء والسلوى ، فأنا عاجز عن شكر هذه النعمة غير المتوقعة ، وآمل بإذن الله بعد هذا كما قلت إن تتحسن الأمور فقال : لا تحزن إن الله كريم ، وإن شاء الله سيأتى بكل خير ، وادع أن تطول حياة الابن عن الأب (ويموت أولاد كل فرد بعد أبيهم) ، وإنى لأدعو هذا الدعاء للجميع<sup>(١)</sup> وليس من أجل فرد بعينه ، ففهمت إلى أين الإشارة ؟ وعقبت بقولى إن شاء الله ، ثم ودعته وخرجت ، فقال إذا لم تذهب بهذه السرعة ، فتعال هنا ثانية، قلت إنى أفكر فى أن أذهب بأسرع وسيلة ممكنة ، فأردت أن أسير فى طريقى ، فقال : حسن . . تذكرت لدى «رسالة حلم» ، فاصبر حتى أعطيك إياها لتقرأها . وجلست ، فقال : «الوجود المحترم» إنى أعرف شخصا مثلك أسير تعصبه القومى وحب لوطنه ، وهو يأتى عندى أحيانا وذات يوم جاء أيضا إلى البيت ، وأبرز لى نفس هذه الورقة التى أعطيك إياها ، وقال : هذه الليلة رأيت حلما ، وبعد أن استيقظت كتبت ما لم أنسه من الحلم ، فهذا هو إقرأه وفسره ، ولما قرأته ، اتضح

(١) يقصد الكاتب بعبارة «إن تطول حياة الابن عن الأب» الابن هو مظفر الدين شاه والأب هو ناصر الدين شاه ، أما عبارة «أن يموت أولاد كل فرد بعد أبيهم» فهى عبارة غير محددة وإن كانت فى الغالب تدل على أبناء الحكام والوزراء الظلمة .

تفسيره ، فقلت ليست هناك مشكلة فى تفسير هذا الحلم ، فهو فى غاية الوضوح ، فذلك الذى أتى ويسقى الماء وينثر ماء الورد هو ولى العهد ، فخذة واقرأه ، فهذه صورة من الحلم الذى يواسيك فأخذت الورقة التى كان قد كتبها<sup>(١)</sup> . والليلة الماضية وقبل النوم كنت أحدث نفسى كما لو كنت فى «حرب» وتذكرت الوضع المؤسف للمملكة «فكنت أقول لنفسى» ماذا دهاك أيها الرجل المؤنب لنفسه ، إن قلة من أراذل المملكة ظلمة ، والعديد من الملايين مظلومون ، وأولئك لايتفقون ولايتوحدون فى رفع الظلم عن أنفسهم مع كل هذه الكثرة والأعداد الغفيرة من السكان ، ماذا حدث لك حتى تجعل نفسك مضطربا وتصبح حلاوة الدنيا مريرة فى نظرك بسبب تلك المنغصات والمظالم التى تراها كل يوم نلحق بأولئك «المظلومين» فتقضى عمرك فى هم وحزن ليل نهار بين الأمل والحسرة من أجل رؤية تقدم الوطن ورقيه ، وسعادة الملك والشعب واستقرار الأمور فى المملكة ، وراحة الرعية وبسط بساط العدل . إنك تفنى عمرك فى حزن وكدر ، ماذا دهاك ، يالك من رجل مجنون . وقد شهد نومي الإغراق فى التفكير . ورأيت فى النوم شيخا ذا لحية بيضاء مبعثر الشعر مضطرب الحال ذا قامة معتدلة وأعضاء متناسقة ، وكان يرتدى الثياب الفاخرة ، واخذ يسير فى شارع «الناصرية» ، وقد أمسك بيده شاب<sup>(٢)</sup> ، وأخذ يحدثه وهو يسيطر عليه الخوف والفرع الشديدان ، وكان كل

( ١ ) أصل هذا الحلم أثر من آثار ميرزا ملكم خان وهو المسمى ( نوم ويقظه )

انظر : باقر مؤمنى : تحقيق فى سياحتهامه إبراهيم بيك ، ص ١٠٥

( ٢ ) الشيخ : هو إيران .

لحظة يلتفت حوله ، وفجأة تفجرت ضجة عظيمة من أحد الجوانب ، والتف حول الشيخ مجموعة من السوقة<sup>(١)</sup> الأخصاء والأشرار ، وأخذ كل واحد منهم يسلب شيئاً منه ، وأخذ بعضهم فى ضربه على جسمه فأصيب ببعض الجروح فى وجهه ورأسه ، وأخذ البعض الآخر يمزق ثيابة التى سترت يديه وقدميه ، وراحت جماعة ثالثة تسلبه مجوهراته حتى سلبوه كل شئ ، وجعلوه عارياً من كل شئ ، وألقوا به جانباً وهو بين الموت والحياة ، فراح المسكين يصيح فى صوت حزين تشوبه نبرات الضعف والعجز قائلاً: أيها الأبناء لاخلف لكم . . . يامن تنكرون الجميل ماذنبى حتى تعاملونى بهذه الذلة على أرضى ؟ وما جزائى حتى تعاقبونى شر هذا العقاب ؟ ومن شدة الضربات التى لحقت به سقط على الأرض يتحب بكاء ، وخاطب عدد من الأشخاص الدانى منهم والقاصى ذلك الشاب فى صوت عال ، قائلين له: لعلك لست مسلماً ، خذ بيد هذا المسكين المغمى عليه ، ورش الماء على وجهه ، وأبعد الأعداء عنه ، فهو شيخ مسكين وفى ذات الوقت سقط مغشياً عليه ، وكان الشاب يتوسل فى كل لحظة إلى شخص يطلب منه العون والمساعدة فماذا يفعل ؟ «فالعريق يتشبث بكل قشة» ، ولكنه لم ير مساعدة أو عوناً من أحد ، فكان الشاب تارة يضمده له جروحه «جروح الشيخ» فى الوقت الذى يتزف فيه جروح الآخر ، وتارة أخرى راح يرفو له ثيابه ، ولما أوشك على الإنتهاء من الرفو، أخذ شخص آخر يشد

(١) السوقة الذين هاجموا الشيخ «إيران» هم بعض المواطنين الإيرانيين .



القميص من على جسده ، ومن دهشتي لهذه الحالة ، أوشكت  
روحي أن تصعد من بدني ، فأخذت أقول لنفسي يا إلهي ماذا  
أفعل ؟ ومن هذا الشيخ ؟ وما ذنبه حتى يعاملوه بكل هذه القسوة  
والظلم ، فلا أحد يحميه أو يساعده ، وسألت شخصا ما اسم هذا  
الشيخ المظلوم ؟ قال ألا تعرفه قلت كلا ، قال إن اسمه «إيران  
خان» ، وأولئك المغيرون جميعهم أبناؤه . وهم ينقصهم الشرف  
والفخار والعزة ، وذلك بسبب عدم طاعتهم «للأب» والالتزام  
بأوامره وافتقار التنشئة السليمة والآن فإنهم بددوا كل الثروات  
إدراج الرياح والتي جمعها الأب ، وأنتهى أمرهم إلى السرقة  
وقطع الطريق<sup>(١)</sup> وكما ترى أنهم عرضوا أباهم لهذه الأيام  
السوداء ، وجعلوه يائسا من حياته ، وبينما كنا نتحدث هذا  
الحديث ، إذ هب غبار فجأة من إحدى النواحي وظهر فارس من  
بعد ، وكان خلفه عدد من رماة السهام الذين كانوا يتعقبون الشيخ  
«إيران خان السالف الذكر» مسرعين .

قلت سبحان الله ماذا يريد كل هؤلاء الرجال الأقوياء  
الإشداء ، من ذلك الرجل الضعيف ؟ فإن جاءوا بغية السلب  
والنهب ، فإنه لم يعد يملك شيئا ، وإن أرادوا قتله ، فالموت  
شرف له ، ولو أنهم جاءوا من أجل تكفينه ودفنه ، فلا حاجة  
لهم بهذا السنان وذلك السيف ، ولم إذن أدوات الضرب والطعن ؟

( ١ ) هنا يشبه الكاتب إيران بالاب ، ويرى أن معظم الإيرانيين الذين أفقدوا التربية  
والتنشئة السليمين ، ما هم الا كابناء وقد ضلوا الطريق لسوء التربية .

وفى تلك الأثناء وصلنى أحد الفرسان فسأله قائلاً :  
استخلفك بشبابك لماذا جئتم هنا ، ومن أنتم قال ذلك الشاب  
الفارسى ذو الشمائل الطيبة : إن قائدنا اسمه «مظفر الدولة» وقد  
جاء بنا إلى هنا من أجل نشر العدل ومساعدة «إيران خان» ، ولم  
يتنه الحديث بعد حتى رأيت «مظفر الدولة» يقبل على «إيران  
خان» ، ونزل مسرعاً من على جواده ورفع رأس «إيران خان» من  
على الأرض ، ووضعها على ركبتيه ، وصب بعض الشراب فى  
حلقه ، ونثر ماء الورد على وجهه ، وشن الرجال الذين كانوا فى  
معيته حملة على المتمردين الطغاة كما عين الشاب عدداً من خاصته  
والذين يعتمد عليهم لعلاج ذلك الشيخ ، وأمر عدداً آخر بغسل  
وجهه ورأسه ، وتجديد ثيابه ، وظهرت على مظاهر السرور  
والبهجة عند مشاهدتى مساعدة «مظفر الدولة» ورحمته هذه بذلك  
الشيخ الضعيف ، وتقدمت لى أرى جروح ذلك الشيخ ،  
فرايت إنها خطيرة ، فبعض الجروح كانت متورمة حيث تسفل  
الفساد والأذى إلى الدم وعظام البدن لدرجة أن تلك الجروح لن  
يجدى معها معالجة طيب إلا إذا كان هذا الطبيب «المعالج» هو  
لقمان الحكيم أو تلميذ عيسى بن مريم «ع» ، ومن شدة الخوف من  
تلك الحالة كنت أرتعد فزعا ، فاستيقظت من شدة الرعدة ، وفى  
أثناء ذلك ، سمعت صوت المؤذن ، إذ كان المؤذن يقول «أشهد  
أن لا إله إلا الله» ، ولما استيقظت وجدت إنه آذان الصبح ،  
فنهضت وتوضأت وصليت ركعتين لله . وبعد ذلك صليت صلاة

الحاجة ، خاصة وإننى تمنيت من الله صحة «إيران خان» وعزته «انتهى» ، وبعد إن قرأت هذا الحلم الذى ورد بالرسالة ، قلت إن تفسير هذا الحلم واضح وضوح الشمس ، وسألت عن ذلك الشاب الذى قالوا له : لعلك لست مسلماً ، ومن هو الذى أخذ بيد هذا الشيخ الضعيف المظلوم وساعده ؟ قال إن ذلك الشاب هو نفسه من رأى الحلم ، وينبغى عليك وعلى الآخرين من أمثالك ، أن لا يخاف من قهر وغضب وزيرى الداخلية والخارجية ، ولا يخشى من ضرب وزير الحربية ، ولا يفكر فى طعن وتوبيخ الآخرين ، وينبغى عليك أن تنادى فى كل مكان وتصيح بأعلى صوتك قائلاً : إن رب العالمين قد أمر حضرة فخر الكائنات وأفضل الموجودات عليه وعلى آله أكمل التحيات بحمل الرسالة حتى يجتث جذور الظلم من على وجه البسيطة ، ويرسى أساس العدل والقسطاس ، فتحمل الرسول «ص» بأمر الله تلك الشدائد والتى لم يقو علي تحملها أحد منذ بدء الخليقة حتى إنتهائها ، وأرسى ذلك الأساس المقدس الذى اسمه العدل بالصبر حيناً وبقوة السيف والتضحية بالنفس حيناً آخر ، والآن ماذا حدث ، إن الامه المرحومة . الخاضعة لتلك العله الغائية للموجودات . أصبحت محوا وعدما من جراء هذه المظالم التى لا يمكن تحملها ، فهم يتركون الدار والديار ويقيمون فى أراضى الأجانب مشردين ، وما أكثر المواطنين الذين تشردوا عن ديارهم فى الليلة التالية لزفافهم ، وذلك لظلم الحكام الطغاة ،

فشابت زوجة الخمسة عشر ربيعا أملا في انتظار عودة زوجها ،  
وفى النهاية إن هذه ليست إيران والتي كانت روضة الدنيا ، وكان  
صخرها جنة الخلد ، فلماذا تبدو اليوم وكأنها أرض الشوك ،  
أليست هذه الأرض الطاهرة على مر الأيام هي مهد المدينة في  
العالم ؟ فماذا حدث الآن حتى يوصف سكانها بعدم التربية  
والذين كانوا «فيما مضى» معلمى التربية للآخرين؟ وحينما أشتهر  
الإيرانيون بالفضل والعلم السامى كان يعيش أهل الغرب  
«كالشياطين» والحيوانات ، والآن فإن الحكام العدول يحتذون حزو  
نظام البيشداوية العادل<sup>(١)</sup> ولا يزال صوت عدل انوشيروان يسمعه  
العالم بأسره ، والغرض من سرد هذه الحكايات القديمة هو  
مواساتكم ، ولا تحزن لما حدث لك من عدم احترام ذلك الوزير  
الجاهل ، وينبغى عليك أن تكون راسخ القدمين فى شأن هذه  
الموضوعات، وينبغى أيضا أن تتغلب الإرادة القوية على الشدائد ،  
أو تترك السير فى هذا الطريق .

«أما ان نحقق أهدافنا كاملة

أو نموت فى طريق الهمم»

وأنا نفسى أعلم جيدا أن كثيرا من الإيرانيين ، والذين فى  
الممالك الاجنبية مثل ( بومباى ، أو كلكتا ، أو مصر أو سائر

(١) واضح تعصب الكاتب الشديد لإيران والإيرانيين عما دفعه إلى المبالغة ولا نعلم ماذا  
يقصد الكاتب «بالشياطين» وهل رأى هو نفسه كيف تعيش الشياطين ليقول كان يعيش أهل  
الغرب كالشياطين .

أما البيشداوية نسبة إلى بيشداد ، والبيشداوية أسم طبقة حكمت فى إيران .

الأقاليم العثمانية والروسية ) ، قد جمعوا ثروات هائلة ، ولكن نظرا لخوفهم من سلب ونهب سفرائهم وقناصلهم وموظفيهم ، فقد اضطروا إلى أن يتركوا الجنسية «الإيرانية» لكي يحافظوا على أموالهم ومكانتهم التي تبوأوها هناك ، وكل متعصب «تعس» لم يفعل هذا ، فقد خسر كل شيء ، ولا لوم على أولئك الذين تخلوا عن جنسيتهم ، وإذا ما سأل شخص عادل ، فإن للمجرم ألف عذر عن الجرم ، إلا أن يبقى هؤلاء في الجنسية الإيرانية ، إذ أن الدولة أو المملكة لم تستفد شيئا ، ولم يكونوا سببا في تعمير الوطن «في حالة بقائهم تابعين للجنسية الإيرانية» ، وإن كل تلميذ في المدرسة ليقرأ ويعلم من خلال أحاديث السابقين ، إن السلطنة لاتدوم الا بجيش ، وإن الجيش لايجمع الا بالمال ، والمال لايجمع الا بالأمن والأمان ورفاهية الرعية ، وراحة الرعية لاتتحقق إلا بتنفيذ قوانين العدل والمساواة ، وأسفاه فإن وضع سلطتنا ومملكتنا على هذا النقيض تماما ، وعاقبة ذلك المرارة والأسف الشديدان .

فليقصر الله في أعمارنا حتى لانرى تلك الأيام السوداء .

**الخلاصة :** إننى وصلت إلى المنزل مع خدم «ذلك الوجود المحترم» ثم خلدت للنوم ، وصباح ذلك اليوم ، جاء «مشهدى حسن» وكان يحمل ورقة ، فسألته ماتلك ؟ قال إنها «صحيفة

إيران « الأسبوعية ، والتي تُطبع أيام الأربعاء وتُنشر يوم السبت ، فأخذتها متعجبا وقرأتها « وتحت عنوان » «أخبار محلية» قرأت مايلي ، بعد الحديث المفضل عن تشریف موكب همايون للصيد ودعوة الملك لعقد مجلس بلاط الدولة ثلاث مرات أسبوعيا في العمارة المباركة «خورشيد» برئاسة «فلان» ، الحمد لله فإن جميع مهام بلاط الدولة والأمور الداخلية للمملكة على مايرام ، ويرد بالصحيفة السالفة الذكر ضمن أخبار الأقاليم مايلي : إن «كاشان»<sup>(١)</sup> والحمد لله يهتم بها الحاكم فلان ، فالرعية ميسورة الحال مستريحة ، والسكان مشغولون بالدعاء ببقاء عمر همايون ودولته ، فالعلف والشعير وفيران ، وباقي السلع الأخرى رخيصة أيضا ، ويستوى في ذلك أصفهان أو كرمان<sup>(٢)</sup> أو شیراز ، وقس على هذا سائر المدن . ويرد بالصحيفة ضمن الاخبار الخارجية شئ عن جغرافيا جزيرة «كوبا» وما إلى ذلك ، فلا الكاتب نفسه يفهم مثل هذه الموضوعات ، ولا أحد من الإيرانيين يفهمها ، فضقت ذرعا من رؤية تلك الأخبار ، والقيت بالصحيفة

(١) كاشان : مدينة تقع في منطقة ماوراء النهر .

- الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٣٦ .

(٢) كرمان : ناحية كبيرة وهي ذات مدن وقرى عديدة ، وتقع غرب مكران وشرق

أرض فارس وجنوب خراسان .

- المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٤



جانبا وقلت إن الشعب الإيراني فى جميع المدن الإيرانية ليشكو من ظلم الحكام وأن شكواهم لتصل عنان السماء ، فهل شاهدَ هذا الظالم عدل أولئك ( الحكام ) ليكتب عنه أليس هناك مسلم من المسلمين يسأل كاتب هذه الصحيفة الذى لادين له (لماذا) لا يظهر فى كل ايران خمسون شخصاً يتحدثون عن جغرافيا وطنهم ، ويوضحون حدود المدن الإيرانية وثغورها .

فماذا يمكن أن يستفيد القارئ من قراءة جغرافيا « كوبا » ، فبدلاً من هذه الموضوعات التى لا طائل من ورائها ، كان ينبغى عليه أن يكتب مقالات ذات فائدة ، فيحث الرعية على طاعة الملك ، والملك على الرفق بالرعية ، ويفرد فصلاً يتحدث فيها عن مزايا العدل ، ومفاسد الظلم ، فيذم أعمال الظلمة ، ويشنى على أفعال الأخيار ، ويوضح هذا المعنى : أنه لا رعية بلا سلطان ولا سلطان بلا رعية ، وهذان العنصران مقرونان ببعضهما البعض ، فهما اثنان فى اللفظ والنطق ، لكنهما فى المعنى شئ واحد ، وينبغى أن تعتبر الرعية أن الملك هو الأب الحانى ، ويعتبر الملك أن الرعية ماهى إلا أولاده الأعزاء حتى يفلح الاثنان ، ورأى «مشهدى حسن» أن مزاجى قد تعكر صفوه ، فقال : انهض حتى نتجول فى المدينة ، قلت إلى أين ؟ قال إلى أى مكان تحب ، فقلت لعمى يوسف انهض حتى نذهب ، فخرجنا من المنزل ، وقابلنا شخصين فى السوق ، وكان أحدهما معماً ، أما الآخر فكان يناهز الأربعين من عمره ، وكان هذان الشخصان

يعرفان «مشهدى حسن» فدار الحديث بين الثلاثة عن أحوالهم ،  
ثم سألوا : أين تذهبون ؟

فقال : مشهدى حسن إننا نتجول ، وإن لم يكن لديكم عمل  
فلنذهب سوياً ، قالوا : لا مانع ، وعرف مشهدى حسن بالاثنتين  
فقال : هذا السيد اسمه آقامير حبيب الله ، أما الآخر وكان  
يرتدى معطفاً ، فهو من أهل « قراباغ » وكان يقول أنه قد أقام  
فترة فى إسلامبول وموسكو .

**الخلاصة :** لقد جينا كل مكان حتى بلغنا أحد ميادين  
التدريب العسكرى ، ورأينا أن الميدان كبير للغاية ، وقد رُش بالماء  
وكان نظيفاً وجميلاً للغاية ، وكان هناك عدد من الجنود يقومون  
بالتدريب ، ففترجنا عليهم قدرا من الوقت ، وكان مدرب هؤلاء  
الجنوب شاباً وهو يناهز الخامسة والثلاثين ، وهو من أهل المجر ،  
وقد أسفت أشد الأسف ، لأن ذلك الشاب كان يدرّب قوادا ذوى  
مناصب كبيرة من الإيرانيين ، وهم يناهزون السنة الخمسين من  
أعمارهم ، فتركنا ذلك المكان ، وكان خارج الميدان حوض كبير  
للغاية ، وكان كله صفاء وجمالاً .

ومشينا حوله ، وصعدنا حتى تمثال صاحب الجلالة « الملك »  
وهو يبرز صورة الملك وهو يمتطى صهوة الجواد ، وهذا التمثال  
من الحديد ، وهو متقن الصنعة كما لو كان الملك نفسه بالفعل  
يمتطى صهوة الجواد ، ولففنا حوله بعض الوقت ، وبعد ذلك

جلسنا وجهاً لوجه من التمثال ، وشغلنا بتدخين السجائر ، فقال ذلك الرجل القراباغى : إن هذا التمثال يختلف كثيراً عن وضع التماثيل ، ولا يوجد له نظير فى أى مكان «من حيث عدم الملاءمة فى وضعه» ، فقال «سيد» ، أى شىء لا يوجد ؟ ... فى كل مكان من الغرب أمثال هذا كثير ، وكنت قد رأيت كثيراً مثله فى روسيا ، فقال القراباغى معقّباً : لا يوجد مثل هذا التمثال فى أى مكان قط ، فقط اختلط عليكم الامر ، فأقسم «سيد» وقال : إننى رأيت كثيراً مثله فى البلاد الأجنبية ، فقال القراباغى : ليس مثل هذا ، فغضب سيد ، وقال القراباغى : جناب آغا<sup>(١)</sup> إنك حقيقة رأيت ، وأنا أيضاً رأيت ، ولكن كل تمثال - من التماثيل التى رأيناها .. كان أصحابها قد قدموا خدمات جليلة لبلادهم وشعوبهم ، وفى مقابل تلك الخدمات ، نالوا هذا الشرف بعد رحيلهم ، فمثلاً أحدهم فتح قلعة حصينة فى إحدى غزواته أو استولى على قلعة ذات منعة من عدو قوى أو حقق السعادة والرفاهية لمواطنيه .

أو كان مقنناً لقانون أو قدم خدماته لعامة شعبه أو رفع الظلم والبؤس عن مواطنيه أو وفر المقومات الرئيسية للتعمير فى بلاده ، فتجمع الدولة أو الشعب المال عن رغبة من باب الاعتراف بالحق والفضل وتقيم له مثل هذا التمثال كتذكّار له ، بحيث يكون

(١) آقا أو آغا : كلمة إذا وردت قبل الاسم دلت على الاحترام ، وإذا جاءت بعد الاسم دلت على التصغير .

تمثال مثل هذا الشخص العظيم دائما منظور نظر جميع الناس ،  
وذلك في مقابل تلك المآثر الطيبة لمثل هذا الملك أو القائد أو  
العالم أو الأديب بعد رحيله ، وليس أن يشتري شخص وهو بقيد  
الحياة تمثالاً له ، ويضعه على عمر المارة ، ويقول للناس : اعلموا  
إننى رجل عظيم ، وافترضوا الآن لو أحدثكم عن نفسى قائلاً :  
إننى مثل هذا ومثل ذاك ، فبالطبع أنكم ستحكمون علىّ فى  
غيابى بأننى رجل تافه لأننى أمجدّ نفسى ، وقد ذم الله والرسول  
والسادة أئمة الهدى والحكماء والأدباء والشعراء والفضلاء مدح  
النفس ، وأيضا فإن أمثال هذه التماثيل مذمومة فى شريعة  
الإسلام الغراء ، وقد مر ألف وثلاثمائة من تاريخ الاسلام .  
وكان قد ظهر خلفاء عظام ومع ذلك لم يضع واحد منهم مثل هذا  
التمثال لنفسه .

فى حين أن كثيراً منهم قدم خدمات جليله للإسلام والإنسانية  
وبناء على هذا فإن السلطان محمد الفاتح ، ينبغى أن يوضع له  
عشرة تماثيل من الذهب والفضة كتذكّار له ، إذ أن كثيراً من خلفاء  
الإسلام وسلاطينه العظام قد جدّوا وكافحوا خاصة فى فتح  
«إسلامبول» ، ولكن لم يوفق فاتح واحد فى فتحها ، حتى  
ضربت بعد ذلك السكة باسم السلطان محمد الفاتح . إذ أن هذا  
السلطان ذو عزم وهمّة كما ورد فى كتب التاريخ ، فقد أبحر  
بالسفن من اليابسة ، وجاذف بنفسه كثيراً من أجل تحقيق غرضه ،  
بحيث يتعذر وصف هذا الفتح مع كل التقديمات الحديثة والعلوم

المتداولة اليوم . ولكن نظرا لقوة إرادة هذا السلطان العظيم وحسن طالعته ، فقد وفق في هذا الفتح الظافر ، ولما أن الرسوص «ص» قد نهى عن الصور والتماثيل ، فمن هنا بقي المسجد الجامع العظيم كتذكار للسلطان محمد الفاتح ، والذي ستذكر السنون الطوال اسم هذا السلطان بالخير ، لهذا لم يترك أو لم يضع مسلم تذكارا له يخلد آثاره الطيبة وذلك بتنصيب مثل هذا الهيكل الحديدي في ممر المسلمين ، فهذا عيب كبير وذنب جسيم ، فهذا ليس إلا مدحاً للنفس وغرورا ، وهاتان الصفتان مذمومتان ، قلت ياوالدي دعك من هذا ، فماذا تركت لنا ، ولنسترح قليلاً ثم نواصل السير ، وسألني القراباغى الديك قلم ؟ قلت : نعم ، قال أعطني إياه ، فقطع ورقة من كتاب كان يحمله معه ، وأخذ في الكتابة ، ولما كنت أعلم ، ما يكتبه ، أخذت منه القلم ، وقلت دعك من هذا الأمر ، وتعال لنمض فيما نحن بصدده ، فقال « سيد » ، على كل حال لقد رأى شاه ايران كثيراً من أمثال هذا التمثال في الغرب ، ولو يعرف أن هذا التمثال غير مناسب ، ما وضعه تذكارا له فقال القراباغى ، لقد وضع الغرييون أنفسهم « تذكارا » لكم ، سيبقى لسنوات طوال ، قال «سيد » : أى تذكار ؟ قال القراباغى في آخر رحله لجلالة السلطان لبلاد الغرب ، كتبت صحف باريس علنا : " إن فرنسا

لا يمكنها أن تغطي النفقات الباهظة ، لهذا الضيف العزيز لأننا نعلم أن وزراء دولة إيران ، حينما يزورون بلاد الغرب ، فإنهم يقومون بالسياحة ويختلفون إلى أماكن اللهو<sup>(١)</sup> .

ونحن لا يمكننا أن ننفق ببذخ وإسراف على هؤلاء من أجل اللهو والعبث ، ذلك أن " مسيو كارنو " رئيس الجمهورية في ذلك الوقت ، كان عليه أن يدفع من ماله الخاص ، تسعين ألف فرنك ، فكتب تاريخا باسم إيران ، تركه تذكارا في العالم ورحل ، وستبقى تلك الفضيحة " ذكرى " لأحفادنا حتى يوم القيامة ، أما بالنسبة لإيران فإنها لم تستفد من بذخ هذه الأسفار العديدة سوى الخسارة المادية وتشويه سمعتها ، إذ ينبغي أن تكون السياحة كما فعل بطرس الأكبر<sup>(٢)</sup> ، إذ أنه في ظل السياحة بلغ عدد الشعب

(١) هنا يتحدث الكاتب عن رحلات ناصر الدين شاه ، ويبين كيف يقضى الشاه ووزرائه أوقات هذه الرحلات . فناصر الدين لم يقوم بهذه الرحلات من أجل غرض نبيل أو جليل ، وإنما زين له ووزرائه السياحة في البلاد الأجنبية وذلك لكي يتمتعوا أنفسهم بهذه الرحلات سواء في ذلك مصاحبتهم للشاه ، أو في بقائهم في إيران ، فهم أي الوزراء لم يصاحبوا الشاه في رحلاته من أجل مشاهدة وسائل التقدم والرقى ، أو من أجل التعرف على تقدم هذه الدول في التجارة والزراعة والصناعة أو من أجل رؤية مصنع من مصانع تلك الدول وإنما صاحبوه من أجل إنفاق أموال الشعب الإيراني في هذه البلدان على أشياء تافهة كاللهو والعبث وشراء السلع الأجنبية الكاسدة ، ولم يكن ناصر الدين شاه ليختلف عن ورائه بل كان يشاركهم عبثهم ولهوهم ، أما الوزراء الذين بقوا ولم يصاحبوا الشاه ، فقد أخذوا يعتدون على الرعية مرتكبين شتى المظالم ، وقد أخذت الرعية تن من كثرة مظالمهم ، فالسلع في ارتفاع وفي احتكار ، والطبقة الإقطاعية تعمل عملها في البلاد فكان على الشعب أن يثور لهذه الأوضاع السيئة وهذا ما حدث في الثورة الدستورية التي شارك فيها العلماء والمفكرون وطبقة الشعب الدنيا ، وكان ذلك عام ١٩٠٦ م .

( ٢ ) بطرس الأكبر : قيصر روسيا ( ١٦٨٢ - ١٧٢٥ )



الروسي الآن مائة وثمانية عشر مليوناً ، بعد أن كان عدد الشعب ثمانية عشر مليوناً فقط ، وهناك كثير من الملوك أولى العزم الذين لم يقوموا بمثل هذه السياحات ، ولكن بفضل اليقظة والمعرفة بالشئ ، أحبوا شعوبهم ، وعلى سبيل المثال إمبراطور اليابان ، على الرغم من إنه لم يرح خطوة بعيداً عن بلاده ، إلا أنه فى فترة وجيزة استطاع أن يطور بلاده ودولته ، مما أدهش الناظرين " وذات يوم خرج فجأة من وراء الستار فى كامل زينته والقى على جيرانه السلام قائلاً : كيف أحوالكم أيها الرفاق " وبمعنى أصح أنه خرج للساحة السياسية فجأة ، وعرض خدماته على الدول المجاورة وسألهم عن احتياجاتهم موثقاً عرى العلاقات معهم ، فدهشت جميع الدول من هذا التقدم والرقى غير المتوقعين ، والآن فهو ينافس جميع الدول الكبرى ، وهو يتدخل فى جميع الأمور السياسية للدول ، واليوم فإن جميع الدول الكبرى تحسب له ألف حساب ، وهنا غيرت الحديث قائلاً : من الأفضل أن نذهب لمشاهدة المسجد الجامع للمرحوم ميرزا محمد حسين خان مشير الدولة ، فهو من الأبنية الفخمة الحديثة ، فذهبنا لهذا المسجد " ومشير الدولة هو السفير الأسبق لإيران " والذى وصل إلى القيادة وصدارة الدولة " ، وقد أسس أحد المساجد العظيمة فى " إسلامبول " ، وأقام مدرسة كبيرة إلى جواره ، فليتغمده الله برحمته ، وسمعت أنه اشترى ثلاث قطع من الأرض فى قرية كبيرة وجعل ماتدره هذه الأرض وقفاً على

هذا المسجد والمدرسة العليا ، وللإشراف عليهما وكذلك المحافظة عليهما أيضاً ، كتب ميثاقاً فى غاية الإحكام بينه وبين أحد الأشخاص والذي كان يثق فيه ، ولكن وا أسفاه فإن عمر ذلك الرجل العظيم لم يطل لكى يتم أعماله الجليلة ويحقق أهدافه .

والشئ الذى أسفت له أشد الأسف هو ما سمعته اليوم . إنه لم يبق أثر لذلك الميثاق ولاخبر عن تلك الموقوفات ، وبسبب غيبه القانون فإن أساس ذلك المعبد المقدس لا يزال لم ينته بعد ، وقد تفرجنا بعض الوقف عليه رثائه الأربعة ، وقلت للرفاق عقب ذلك أن اجلسوا ، وليقرأ كل منا سورة من القرآن الكريم ، ويهديها لروح مؤسس هذا المسجد ، وفى الحقيقة أنه رجل جليل وعظيم ، ومن بين أعماله تلك السفارة التى أسسها فى اسلامبول " باسم الدولة الإيرانية " ، والتى تمثل فى الحقيقة معلما من معالم سموق الدولة الإيرانية وشعبها فى تلك العاصمة الكبيرة ، ولو أن ذلك المرحوم لم يؤسس ذلك البناء الضخم ، لظل سفراء « إيران » حتى الآن يعيشون عالة على الكتف فى « اسلامبول » ، واحسرتاه فإن أجله لم يطل حتى يستفيد شعب إيران ودولة « إيران » من وجود ذلك الشخص الغيور العالم ، وهذه علامة من علامات خيبة أمل الشعب الإيراني ، وقلت بعد ذلك " لسيد " جناب آغا : إننى أعرف شخصين من الإيرانيين فى " اسلامبول " اللذين لم تمح السنوات الطوال ذكرهما من أذهان الإيرانيين فالإيرانيون يذكرون الأول دوما بالرحمة ، فى

حين يذكرون الآخر دوماً باللعنة ، ولم أسمع قط أن إيرانيا مقيما في "إسلامبول" لم يترحم على المرحوم ميرزا حسين خان مشير الدولة عند ذكر اسمه ، وبالمثل لم أر أى شخص لم يعلن "سيرز انجف عليخان" عند ذكر اسمه أيضاً ، فهكذا مات الاثنان ولم يبق لهما إلا السمعة الطيبة أو السيئة فاعتبروا يا أولى الأبصار<sup>(١)</sup> وسأل "سيد" : إني أعرف المرحوم ميرزا حسين خان مشير الدولة ولكن من هو "نجف عليخان" فلا أعرفه ؟ ، قلت أنه كان جنرالاً قنصلاً في زمن سفارة « الشيخ محسن خان » وقد ذهب بعد ذلك للعمل في مصر وبغداد ، وكان أشقى معاصريه ولا زالت بدعه لها أثرها في إسلامبول وسائر المدن العثمانية ، ولا تزال تلك الوصمة لم يتخلص منها الشعب الإيراني من جراء تلك البدع والمظالم والتي تعجز الألسنة عن وصفها وبيانها .

" كيف أصف ذلك الكافر . . . . . إن اللسان ليعجز عن وصفة " لعنه الله عليه وعلى كل حال فقد قرآنا إحدى السور ، وكذلك سورة الفاتحة ترحماً على روح ذلك المرحوم ، ثم عدنا من ذلك المكان ، فقال مشهدي حسن : أين نذهب ؟ قلت : سق القافلة إلى " مدرسة دار الفنون " ، قال : سمعاً وطاعة ، فلو جعلتموني جمالا ، لن اعترض ، فقلت : فأصير أنا جمالا ، لكن لا أدري هل جناب الأغا يقبل أم لا ؟ ، ومزحنا وضحكنا قدراً من الوقت ، ولما وصلنا بوابة المدرسة ، كان الفراش جالسا

(١) الحشر / ٢ .

أمامها ، فقلت : يا عزيزي إننا أغراب ، وقد دخلنا المدينة سائحين ، فهل من الممكن أن نتفرج على المدرسة ؟ فقال الفراش أنه ممكن ولكن اليوم الجمعة ، ولا يوجد بها أحد ، وفي الحقيقة اننا كنا غافلين أن اليوم يوم الجمعة ، فقلت هل يمكن أن نرى وضع المدرسة ؟ فإذن لنا الفراش واصطحبناه معنا داخل دار الفنون <sup>(١)</sup> ، ورأينا كل شيء على عادته ، فخرجنا مسرورين للغاية ، وكانت قد تراصت تحت سوداء حول جدار المدرسة حيث تستخدم في امتحانات الطلاب " في الحساب والإملاء والإنشاء " ، فذهبت وقبلت إحداهن ومررت وجهي ورأسي عليهما ، فقال " سيد " ماهذه الحالة تقبيل تخته . . . ماذا يعنى ؟!

فقلت أيها السيد إن هذه المقاعد والتخت لهى مباركة . . آه لو فى كل مدينة من مدن إيران آلاف من التخت هذه ، إن هذه أساس فخرى وفخركم ، فقال " سيد " ياللعجب ، أى فخر لى ولك يمكن أن يتأتى من تقبيل تخته صماء ؟ قلت يا جناب الأغا أنا لست معك فى هذا رأى .

**الخلاصة:** إننا عدنا من هناك ووصلنا المنزل منهكين للغاية ،

(١) انشئت هذه المدرسة فى عهد ناصر الدين شاه ، وكانت تقبل حوالى ٢٥٠ طالباً كل عام معظمهم من أبناء الطبقة العليا ، وكان يُدرس بهذه المدرسة أو المعهد اللغات الأجنبية والعلوم السياسية والعلوم العسكرية والطب والطب البيطرى ، كما أرسل أكثر من أربعين طالباً من خريجي هذه المدرسة لأوروبا لإكمال دراساتهم .

- مؤسسة الأبحاث العربية : إيران ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

وتناولنا العشاء فى الحال وخلدنا للنوم ، وقد مكثنا صباح هذا اليوم حتى وقت الغداء فى المنزل ولم يأت « مشهدى حسن » بعد ، فتمنا قليلاً بعد تناول الغداء ، وعندما رأيت عمى يوسف جاء يوقظنى قلت ما الخبر ؟ قال : إن حاجى محمد حسين أمين الضرب " قد أرسل خادمه ، فهو يريدك ، قلت : قل له إننى لست موجودا ، قال : إن هذا لا يصح ، لأنه فى أول الامر ، سأل عنك فقلت إنك موجود ، فنهضت مضطراً ، ولكننى كنت أكره الذهاب إليه فعندما رأيته أول مره لم أشعر نحوه بأى قبول ، فهو شخص متطفل ، وقد حج مرتين ، كما أقام عندنا ضيفاً خلال الحجتين ، وقد عانى والدى منه كثيراً ، ومع ذلك لم يكتب لى خطاباً يطمئن فيه على بعد وفاة أبى ، وعلاوة على ذلك فهو رجل طماع ومنافق ، فياله من مسكين من يقع فى قبضته ، ولو افترضنا أن فيروزه ثمنها عشرة تومانات ، فإنه يحاول أن يبيعها لذلك المسكين ( الضحية ) بخمسين تومانا ، وبالعكس فإنه لو رأى خاتماً من الألماس فى يد شخص من الأشخاص ، وكان هذا الخاتم يساوى مائة تومان ، فإنه يحاول بشتى الطرق أن ينتزعه من يد صاحبه بعشرة تومانات ، وكل شىء عنده بثمانه ولا اعتبار لأى شىء آخر <sup>(١)</sup> ، واتضح أنه أدرك ملاحظاتى نحوه .

(١) العبارة الفارسية : " ابدأ بخاطر خدا سلام باحدى نهد "

**الخلاصة :** إننى رأيت إنه لامناص من الذهب فخرجت من الغرفة ، ورأيت أن شيخاً معمماً قد وقف وقال : إن جناب الحاجى أمين الضرب يريدكم ، فذهبت بصحبته داخل غرفة حاجى أمين الضرب ، فألقيت السلام : فرد الحاجى وعليكم السلام . ، آغا ميرزا إبراهيم بيك ، بسم الله ، بسم الله ، ذلك الرجل المدقق ، كم يوماً لك هنا ، ولماذا لم تأت عندى ؟ إذ بالأمس أخبرنى الحاجى خان عن أحوالكم ، وحزنت حزناً شديداً لوفاة المرحوم الحاجى أبيكم ، رحمة الله عليه ، والحمد لله على سلامتك وسلامة من معك ، من أين جئت ؟ قلت من المشهد المقدس قال رأيت حاجى ملك ؟ لا ، لا ، قال لماذا ؟ قلت لم أعرفه ، ولم أر أحدا يدلنى عليه ، قال ماذا اشتريت من " مشهد " ؟ قلت : لاشيء قال : حسن . . عندى بعض من فرش سلطان آباد ) والبضائع جيدة جداً ، وهى من إنتاج مصر وإسلامبول ، فأحملها معك وسأبيعها لك رخيصة ، فالبضائع كثيرة وجيدة ، فأحملها معك ، قلت : لن أشتري أى شيء قال : وإن لم يكن معك نقود فأرسلها لى بعد ذلك ، قلت : كلا لن أشتري أى شيء ، قال : لدى فيروزة قيمتها عشرة منات ( إنتاج مصر ) .

**الخلاصة :** خذ هذه البضاعة ، قلت معقياً لن آخذ أى شيء ، قال إذن لماذا جئت ، قلت جئت من أجل السياحة ، قال : حسن . . ماذا رأيت فى " طهران " ؟ قلت لا يوجد شيء فى طهران يمكن أن يراه المرء ، قال : أى شيء لا يوجد ؟ قلت : بما أنه يوجد رجل ثرى مثلك فى هذه المدينة ، كان ينبغي



عليك وعلى أمثالك أن تؤسسوا الشركات والبنوك القومية من أجل ترويج تجارة بلادكم وكذلك بغية زيادة السلع والمنتجات ، وكان ينبغي أن تقام سكة حديدية من هنا حتى " تبريز " ، فهي بالنسبة لك يمكن أن تستفيد منها كثيرا كما أنها وسيلة من وسائل تعمير البلاد ، وهي بالنسبة للمواطنين باعث على زيادة الروابط التجارية والراحة ، وعلاوة على هذا ، ففي هذه المدينة الكبيرة " العاصمة " كثير من الأغنياء والكبراء والذين لم يتعاونوا ليؤسسوا مستشفى لعلاج الأطفال الأيتام ، فيكون هذا في الدنيا باعثا على السمو والافتخار ، وفي الآخرة وسيلة من وسائل الرحمة قال : ماشاء الله يا إبراهيم بيك ؟

انك تعدد عددا من هذه المشروعات الكبرى ، فأين تلك الأموال ؟ فكل هذه المشروعات تتطلب الأموال الضخمة ، فقلت ما هذا التواضع أيها العم الحاجي ؟ إن أموال " إيران " تتدفق عليك لمدة عشرين عاماً ، وقد سمعت منك في " مصر " إنك تباع الجوهرة الواحدة للديوان ورجال البلاط بخمسمائة تومان والتي ثمنها الأصلي مائه تومان ، وعلاوة على ذلك فانظر في أسواق كل المدن الإيرانية وفي أي مكان ، فإنك تصب النقود السوداء في أجولة وأكياس ويقول الناس إنك جمعت في " إيران " خمسا وعشرين كروراً من هذه العملة السوداء ، وأن رأسمال هذه الأموال الأساسي هو ثلاثمائة ألف تومان في الغالب ، فانظر الفرق من أين وإلى أين ؟

ورأيت أن الجالسين فى كل ناحية قد ضاقوا ذرعاً بحديثى ،  
فأمرونى بأن التزم الصمت ، واتضح أيضاً أن الحاجى السالف  
الذكر سيغضب من الحديث فنهض وهو يشتاط غيظاً وقال : انت  
رجل فضولى وثرثار ، ونهض ذاهباً يجدد الوضوء ليوذى  
الصلاة ، وبتلك الحجة خرج وتخلص من سماع أحاديثى  
المريرة ، وظللت جالساً ، وكان جميع الجالسين يتحدثون مع  
الحاجى متعجبين من عدم مبالاتى ، ونظر كل الجالسين نحوى  
نظرة رجل واحد ، وسألنى أحدهم أين تقيم أيها المواطن ؟ قلت  
فى جهنم ، ونهضت واتضح أن سبب مجيئى هو أن جناب  
الحاجى ، أراد أن يبيع لى شيئاً من الفرش والفيروز ، سواء كان  
معى مال أو لم يكن ، وبذلك ابتعد عنه ، وبهذه الطريقة يؤدى  
لى حق السلام والطعام السابقين ؟

**الخلاصة :** أننا قضينا ثلاثة أيام أخرى فى " طهران " ،  
وفى اليوم الرابع عشر من الشهر أرسلت " مشهدى حسن " لكى  
يستأجر لنا عربة ذات أربع خيول من مقرها حتى توصلنا إلى  
" قزوین " ، وذهبت أنا بدورى لكى أودع الحاجى الخان ، وحينما  
بلغته ، رأيت " غلام على " ، فقلت له : قل للحاجى الخان إن  
الشخص الفلانى قد وصل ، فأتى الخان ، وقال : بسم الله ،  
تفضل ، قلت : أتيت لكى أودعك ، قال ماذا تقول ؟ قلت :  
نعم ينبغى أن أذهب ، قال متى . . وأين ؟ قلت اليوم سأذهب  
إلى " قزوین " ، ومن هناك إلى " أذربيجان " ، قال لم العجلة

يابنى ؟ قلت : ماقضيته كاف ، فقد مر الوقت كئيباً ، فعزائي فى هذه المنطقة هو لقائي بذلك " الوجود المحترم " ، وهذا كاف ، وأنى لاشكرك أنك دللتنى على ذلك الشخص العظيم ، فهو فى الحقيقة رجل عظيم ، وأنى أحبه إلى درجة العبودية ، وفى كل وقت يمر على لن أنسى أن أدعوه له ، فقال : رأيت أمين الضرب ، قلت أراك الله خبره ، فمتى أسمع خبره ، ويرى التراب الأسود نهايته .

إنه كثيراً ما كان يرجع إلى فى شتى الأمور ، وقد عانيت منه معاناة شديدة ، وذات يوم - فى مقابل هذا - أعطانى فيروزة ، وقد أثنى عليها كثيراً وحينما خرجت ، وعرضتها على الجميع ثمنوها بقران واحد ، وأنا بدورى أعطيتها لغلام على ، وقلت : هل هى موجودة معك يا غلام على ، قال : نعم هى فى جيبى ، وبعد ذلك ودعته ، وأصر إصراراً على أن يوصلنى فرفضت ، وأنعمت على غلام على بتومانين ، وفى النهاية ودعته ، وعدت إلى المنزل ، وقدم " مشهدى حسن " وقال : إن العربى معدة منذ ساعتين ، وأتى الحارس ، فرأيت حسابه ، وأعطيته خمسة تومانات ونصف التومان ، فشكرنى كثيراً ، وحزمتنا أمتعتنا وأعطيناها كلها للحمال ، وقلت ينبغى أن نشترى شيئاً نأكله ، فقال " مشهدى حسن " ، إذن فليذهب العم يوسف مع الحمال ، ولنذهب من هذا الزقاق والذى هو قريب من " مقر تأجير الجياد " ، فباعة الفاكهة فى هذا الطريق كثيرون ، وذهب

يوسف عمى مع الحمال ، ونحن أيضاً خرجنا من المنزل ووصلنا إلى زقاق ضيق للغاية ، ورأيت امرأة بلا ملاءة ، تخرج مسرعة من باب ، وتدخل من باب آخر فى هذا الزقاق ، وسألت مشهدى حسن : هل هذا حمام ؟ قال : لا ، بل بيت ، قلت : لماذا إذن هذه المرأة عارية ، قال : لا إنها ليست عارية فهي ترتدى ثياباً وملابس داخلية قلت : لا ياوالدى إنى رأيت بنفسى أنها ترتدى ثياباً لكنها عارية من الملابس الداخلية ، قال : إن نساء هذه المدينة يرتدين ملابس داخلية قصيرة للغاية ، وسراويلهن الداخلية مثل سراويل الرجال ولكنهن لا يرتدينها أحياناً فى المنزل ، ولما أن الزقاق كان خالياً من المارة ، ظنت تلك المرأة ، أنه لا أحد يمر به فذهبت كهذا شبه عارية إلى بيت جارتها ، ومن سوء حظها أننا رأيناها ، قلت : يا إلهى إلى هذه الدرجة عدم الحياء ، أنه لا يوجد لباس مماثل كهذا بين المسلمين ، ولو أن تحريم آية الحجاب كهذا « التحريم » ، لصرت أنا كافراً ، حتى ولو أن هذه الطائفة ذات دين ، فتعجبت كثيراً وقلت : لعل أزواجهن لا يرونها ، فضحك قائلاً : أى شىء لا يرونه ، ولباس جميع هذه المنطقة كنساء العلماء والوزراء والسادات والأغنياء والفقراء فى إيران على هذا النمط ، قلت أصدقنى القول : هل زوجتك ترتدى أيضاً مثل هذا النوع من اللباس ؟ قال ليس لى شأن بغيرى ، وعقبت قائلاً : إن جميع النساء يرتدين مثل هذا اللباس كما رأيت ، الخلاصة : وصلنا مقر تأجير الجياد ، ولم يكن وصل عمى أو الحمال فذهبت بنفسى وأستأجرت عربة حتى " قزوين " بأربعة عشر تومان ونصف التومان .

ورأيت رجلاً في زى تاجر إيراني كان واقفاً هناك ، ولعله كان ينتظر شيئاً ما ، فتقدم نحوي وألقى السلام ، وقال إنني أيضاً سأذهب إلى " قزوين " ومنذ الصباح وأنا أنتظر حتى الآن املاً في ظهور رفيق الطريق وحتى الآن لم يأت أحد ، فإن وافقت أن أرافقك ، أعطيتك أربعة تومانات ونصف التومان ، فيستقل ثلاثتنا العربية معاً ، ولاحظت أنه لا ضرر لنا من مصاحبة ذلك الشخص ، ولما كنت لا أعرفه نظرت نحو " مشهدي حسن " فأشار بأنه لا غبار في ذلك ، فقبلت عرضه ، فشكرني ، وفي تلك الأثناء وصل عمي يوسف ، فحزمتنا أمتعتنا وحاجياتنا وراء العربية ، وأكلنا أكلاً خفيفاً ، وجلسنا متجاورين في العربية ، وأنعمت على " مشهدي حسن " بـ"بايميرالين" ، واعتذرت له ، فشكرني ودعا لي ، وتبادلنا كلمات الوداع ... حفظكم الله ... حفظكم الله .

ومشهدى حسن هذا رجل طيب للغاية وقد عانى بسببنا كثيراً ، وعلى كل ، فقد سرنا ، وهنا خطر يبالى إن أجمل سياحة " طهران " .

### هذا إجمال ذلك التفصيل

إن ملك إيران حينما يريد أن يذهب في رحلة صيد فعليه أن ينظر في تقويم إيران ليختار أنسب ساعة في اليوم لذلك ، وفي

نفس هذا اليوم يفكر جميع الوزراء والأمراء ورجال البلاط ، والموظفين فى الحصول على لقب جديد ، ومن خلال المناصب ، والوظائف التى يشغلونها ، فإنهم يحاولون أن يحصلوا على مناصب أعلى مهما كانت الوسيلة غير مشروعة - فى ذلك - ، وبالمثل فإنهم يعزلون نظراءهم ، سبيلهم فى ذلك الافتراء والبهتان ، حتى أن الحارس يأمل فى حكم " مدينة " ، وأمثاله كثيرون ، أما طبقة التجار ، فهم بالمثل لا يفكرون فى رقى التجارة واتساع نطاقها ، فهم يحذون حذو أجدادهم ، وفى " طهران " كلها ، لم تؤسس أية شركة من أجل زيادة السلع والمنتجات فى المدينة ، ومع وجود العديد من اصحاب رؤوس الأموال الكافية ، إلا أنهم لا يأمنون لبعضهم ، فهم يتبعون الحيلة والحذر مع بعضهم البعض فى معاملاتهم التجارية ، والجميع يفكرون فى سحق الآخرين وإذائهم مثل دولتى انجلترا وروسيا ، فإنهما يتربضان لبعضهما ، وكل يراقب الآخر .

كما أن التجار والباعة يثرثرون فى مجال التكسب والربح ، فاليوم سبعون شاهيا أو قرانا ، وغدا ثمانون شاهيا ، والفقراء يفكرون على غرارهم ، فاليوم « مَنْ واحد » أو قرانان ، وغدا ثلاثة قرانات ، وسفراء الدولتين العظميين المتجاورتين هم أيضاً بالمثل ، يفكرون فى تحقيق أهدافهم السياسية ، ولا أحد يهتم بمصالح البلاد ، ولا أحد يشعر نحوها بأى حب سواء فى ذلك الحب الباطنى أو الظاهرى ، والجميع أفكارهم محدودة ، وإيمانهم ضعيف .



« إنهم أموات ولكنهم أحياء » ، إنهم أحياء ولكنهم أموات «  
**الخلاصة :** دخلت عربتنا « قزوين » وسألت رفيقى ما اسمك ؟  
فأجاب حاجى غلام رضا « ، وسألنى هو أيضاً عن اسمى ،  
فأجبتة : إبراهيم . قلت من أين ؟ قال إنى قزوینى ، فسعدت  
لأن رفيقنا « قزوینى » ويعرف ذلك الطريق ، فأخذ يصف هذا  
الطريق من « طهران » حتى « قزوين » فالطريق فى كل مكان  
مستو ومسطح ، والمنازل جميلة ومزينة ، وفى الحقيقة يمكن  
القول أن هذا الطريق هو أفضل الطرق فى إيران أى لا يوجد غيره  
مثله ، وراح حاجى غلام رضا ، يعرفنا بالقرى والمحطات ،  
واحدة تلو الأخرى ، وكنا نستبدل الخيول فى كل منزل ننزل به ،  
فلم نتعطل ، ونزلنا ليلة فى وسط الطريق فكانت كل وسائل  
الراحة مهيئة للمسافرين ، وعند وصولنا ، أحضروا السماور  
وارتشفنا الشاى ، وكالعادة تجاذبنا أطراف الحديث مع الخدم ،  
وبعد صلاة الصبح ربطنا <sup>(١)</sup> الخيول استعدادا للسير وركبناها  
وسرنا ، وسألت حاجى غلام رضا ، فى أى منزل تراه مناسباً  
يمكن أن ننزل به ، قال : يوجد فندق فى أول المدينة « قزوين » ،  
وهو مناسب ومريح لكم ، فلو تنزلان به ، ستجدان سبل الراحة  
ووصلنا الفندق ، ورأيت به بالفعل مناسبا ، فهو ذو غرف متعددة ،  
واستأجرنا الليلة بقرانين وهو رخيص للغاية ، وبه كل ما نحتاجه

(١) المقصود بعبارة « ربطنا الخيول » ، إنها تُربط فى العربات عند السير وتفصل عنها عند الراحة والتوقف .

من أثاث المنزل من أسرة ومناضد ومقاعد وغير ذلك ، وودعنا رفيقنا ورحل ، وأحضر عامل الفندق السماور ، وقال : ماذا تريدان « لحما مشويا وأرزا ؟ قلت هل عندكم مطبخ وطعام ؟ فأجاب بقوله : كل شيء موجود ، قلت : فليكن طعامنا كباب مع مرق الدجاج ، قال : لك ماتريد ، وارتشفنا الشاي وأقمنا الصلاة ، وبعد ذلك أحضروا العشاء ، وهو كالعادة تشكيلة من الأرز والمرق واللبن الحامض والجبن والخضار ، فأكلناها بنهم نظرا لنظافة الطعام وجودته ، وفي ذلك اليوم ، أقبل غلام رضا لروءيتنا وتحدثنا معه قدرا من الوقت ، ولما غادر الفندق وعدنا أنه سيأتي الليلة المقبلة ، فرحل ، وخرجنا نحن بدورنا من المنزل .

وسألنا عن الطريق المؤدى إلى السوق ، فقليل لنا أن هذا الشارع يؤدي إلى « عالي قابو » وهناك السوق فى الناحية اليسرى ، وذهبنا متجولين حتى السوق ، فهذه مدينة « قزوين » التى كانت يوما ما عاصمة ، ولكنها اليوم فقدت رونقها وجمالها فهى قدرة للغاية وخربة ، وهى إذا ما قورنت بمدن أوروبا ، لا تصل إلى مستوى القرية <sup>(١)</sup> ، لأن مدن أوروبا إذا ماشاهدتها تلمس فى أبوابها وجدرانها حساً وحياة ، ومن كثرة تردد الناس وانشغالهم بالأعمال التجارية - فى أوروبا - ، يدرك المرء لأول وهله ازدهار التجارة فى تلك المناطق ، ولا يشاهد عاطل واحد

(١) ذكرت فى غير هذا الموضع أن الكاتب قد زار أوروبا ، أنظر : - سياحتامة إبراهيم بيك ، ج ٣ ص ٢٢٦ .

فى أى مدينه ، فالجميع مشغولون بأعمالهم وهم يفكرون فى زيادة الثروة القومية وتعمير البلاد ، وبالعكس فحينما تنظر لمدن إيران ، لا تشاهد إلا الكسالى العاطلين ، والذين جلسوا فى كل ناحية على هيئة جماعات ، فجميع المدن خربة وهى كالقبور ، ولو نظر شخص ذو بصيرة ، فإنه يمكن أن يسمع من أبواب المدينة وجدرانها من يقول له فى صوت عال : ( إنى وحيدة وإنهم « الإيرانيين » لم يقوموا بعمل قط يكون فيه تعميرى ، لقد تجرعت مرارة الحسرات ، فماذا يمكن أن أفعل ؟ ) (١) .

**الخلاصة :** قلت لعمى يوسف لنذهب إلى المطعم لتناول فيه غداءنا وسألنا عن مطعم ، فدلونا على مطعم به كباب ، فذهبنا إليه ، ونظرا للقدارة الشديدة بالمطعم لم نستطع بحال من الأحوال أن نأكل شيئاً ، فعدنا أدراجنا ، ورأيت عمى يوسف يقول : إن أطباء الغرب أحرقهم الله بناره ، يكذبون عندما يقولون إن الميكروبات تنتج عن القذارة ، فلو كان هذا صحيحا ، لماذا إذن لم يمرض هؤلاء بسبب هذه القذارات كلها ؟ ، فقلت لنذهب إلى مسجد فصلينا وعدنا للمنزل لكى نتناول طعام الغداء ، وكنا قد ذهبنا إلى مسجد الشاه ، وهو فى الحقيقة مسجد عال جدا ، لكن أى فائدة من ذلك ؟ فهو يبدو من الخارج عظيماً ، لكن داخله سئ للغاية ، فالحصر قطع متناثرة فى كل ركن من المسجد ، وقطع الحجارة ملقاه ايضاً فى أركان المسجد ، وكان هناك

(١) واضح هنا أن الكاتب يشبه الأبواب والجدران بالإنسان الذى يتحدث معه .

شخصان مضطجعان بشكل مخز ، كما جلس عدد من الأشخاص يأكلون الرومان فى زاوية المسجد ، وفى زاوية أخرى جلس آخرون يأكلون البطيخ ، وكانوا يلقون بالقشر والبذر فى المسجد على نحو لا ملجأ فيه إلا لله وحده ، وليس هناك مسلم غيور يمكنه أن يمنع نفسه من البكاء إذا ما شاهد تلك الأوضاع المؤسفة ، قلت لنفسى : يا إلهى أهذا هو معبد المسلمين ؟ ، فلماذا لم يراع هؤلاء الذين لا حمية عندهم حرمة ؟ ، فهذا بيتك « بيت الله » ، والذي ينبغى أن ينتشر شرف الإسلام منه ، وكنت قد شاهدت مساجد وجوامع فى « مصر » و « إسلامبول » ، وكانت جميعها مفروشة بالفرش النفيسة الجميلة . وتفوح من الروائح الزكية داخل المساجد والتي تملأ الأرجاء بأريجها الأسر ، وتجد فى كل مسجد العدد من المؤذنين والعاملين ، وأثناء الصلوات الخمس يرتفع صوت الأذان المحمدى من جميع المساجد ، فكيف يمكن أن نسمى مساجدنا إذا ما قورنت بتلك المساجد ؟ ولا أدرى أى بلاء أصاب هذا الشعب التعس ؟ فالجميع هنا صم عمى ، وإذا ما افترضنا أن أفراد الشعب ، عوام وجهلة ، فهل يجهل العلماء والحكماء والسادات والكبراء هذا الوضع أيضاً ؟ أم لا يعرفون معنى مسجد ؟ ففى مثل هذه المساجد ، تقل صلاة الجماعة ، وفى كل ركن من المسجد ، تجد عددا من المصلين ، وقد افترشوا مناديلهم ، ويصلون فرادى بدلاً من الصلاة جماعة ، كما أن أرضية المسجد متربة وذات غبار ، وصلينا على هذا الوضع ، وخرجنا بعد إتمام صلاتنا ، ورأينا على بعد خطوات من المسجد

ضحيجاً وبعض الأصوات المرتفعة ، فارهفت السمع لتلك الأصوات ، فسمعت صوت الطلاب الخارجين من المدرسة ، فدخلنا المدرسة ، وهى ذات بناء ضخم وعظيم ، ويقال إن أحد الملوك الصفويين ، قد أقامها ، ورأيت المعلم يتوضأ على مصطبة إحدى الحجرات ، وانبعث صوت طفلين من إحدى الحجرات ، فقلت لنفسي كيف أن هذا المعلم يرى مسلمين يتشاجران ويتناحران ولا يلتفت قط مشغولاً بالوضوء ، فتعجبت من سلوكه ، ونظرت فرأيت تلميذين وقد جلسا متقابلين فى الحجرة ، وفى يد كل واحد منهما كتاب ، وكل منهما يتشاجر مع الآخر ويجادله ، فالأول يرفع الكتاب بعنف حيناً وكأنه سيهوى به على رأس الآخر ويجادله ، ويكرر الثانى نفس الطريقة .

**الخلاصة:** إن صوت « لم ولا نسلم »<sup>(١)</sup> وقد وصل عنان السماء ، وكان معركة غريبة ، ومع ذلك فالمعلم يتوضأ ، ولما أتم وضوءه ، وجفف ماء الوضوء ، سألت لماذا يتشاجران هذان التلميذان ؟ فأجاب إنها ليست مشاجرة ، قلت لعلك لا تراهما ؟ قال إنهما يتناقشان ولا يتشاجران ، قلت فى أى شىء يتناقشان ؟ قال : مناقشة علمية ، قلت : لماذا لا يتحدثان مع بعضهما أحاديث الود الهادئة ؟ قال : ألا يتعلمان العلم إلا بالضحك والالطف ، قلت لا يعنينى أن يضحكا معا ، ولكن أن يتسألا بالطريقة التى أحدثك بها ، فرمقنى بنظرة غامضة من رأسى حتى

(١) يبدو أن المناقشة كانت فى شىء باللغة العربية .

أخمس قدمي ، وقال : أنت تركي ؟ قلت نعم أذريجاني ،  
قال : هذا شيء لا تفهمه ، أغرب عن وجهي . . . . . أغرب ،  
فهذا المكان ليس مكانا للفرجة فاضطرت أن أذهب .

ولما كان التعليم على هذا النحو في كل فصل ، قلت لعمي  
يوسف فلنذهب ، فكلما أنظر في هذه المدينة يزيد همي وحزني ،  
إذ إنني لم أعرف معلما في حياتي يتبع طريقة الصياح والصراخ  
بغية تعليم العلم ، ولم ابتعد عن المدرسة عدة خطوات حتى دوى  
فجأة صوت : « ابتعد » من الناحية الأخرى ، وكان صوت  
الفراشين والسعاة ، يقول : غض الطرف . . . . . تقدم  
. . . تأخر وهو صوت يصم الأذان ، ورأيت من الجانبين  
طابورين يقبلان ، ونفس الأوضاع التي كنا شاهداها في  
« شاهرود » ، نشاهدها اليوم ، وكانت هناك عربة تتحرك بين  
صفوف السعاة ، ورأيت الناس قد أداروا وجوههم نحو الحائط  
وقد عرفت هذه المراسم والتشريفات في ( شاهرود ) ، لكننا لم  
نكن قد رأينا الالتفات نحو الجدران ، الخلاصة : أننا قلدنا  
الناس ، فأدرنا وجهينا نحو الجدران ، وكنا قد وقفنا بجانب  
العربة ، ولما إنهم أشاروا على عمي يوسف في « شاهرود » بأن  
يركع في مثل هذه الحالة أي ينحني تعظيماً ، فقد انحنى المسكين  
ووجهه للحائط ، واتضح أن ظهره كان مواجهها لامرأة ، فظن  
السعاة والفراشون أن في هذا استهزاء بها ، خاصة أن ظهره كان  
معكوسا للمرأة ، وهو قريب منها ، أما أنا فقد وقفت ووجهي



نحو الحائط ، ولم تمر دقيقة واحدة ، حتى رأيت من يقول :  
اضرب . . . . . اضرب ، وتوالت الضربات والصفعات والعصى  
فوق رأس عمى يوسف والتي يمكن أن تودى بحياة الإنسان ،  
فبكى المسكين قائلا : أيها الأبناء لماذا تضربوننى ؟ ، وأى ذنب  
جنيته ؟ فتقدمت وقلت إن عمى آخر من تفعلون به هذا ، ولماذا  
تضربون هذا المسكين الغريب ؟ قالوا أن ابن المحروق هذا أساء  
أدبه مع الأميرة الهانم . . . . . بن المحروق . . . . . بن . . . . . ، ومرت  
العربة ، وت خلف الساعة لكى يحملوا عمى يوسف معهم ، فقلت  
لنفسى يا إلهى ماذا أصنع ؟ فاستعطفتهم بقولى : يا قوم والله إن  
هذا رجل غريب ولا يعرف أوضاع هذه المدينة ، فظن أن ما فعله  
تعظيم « للهانم » ، ورأيت أن هذه الحيلة لم تجد ، وخطر  
ببالى أن فى مثل هذه الحالة ، بناء على العادات القبيحة فى هذه  
المدن ، لا يحل هذه المشاكل إلا المال ، فأخرجت خمسة قرانات  
كترضية لهم وحل للمشكلة ، وعندما رأى الساعة النقود ، «النقود  
فقط » انصاعوا لكلامى ، وأصبحوا كشمع لين هين فى يدى ،  
واختطفوا ذلك المبلغ من يدى ، ورحلوا عنا ، وتخلصنا  
منهم ، لكن عمى يوسف كان لا يزال يبكى بينما كان يسيطر على  
الخجل ، والمسكين لا يعلم أننى عانيت أكثر منه فى مدينة  
«طهران» ، وفى الحال أخذت أهدي من روعه وأروح عنه ،  
وذهبنا للمنزل ، وبدلا من أن نتناول الطعام ، طعام الغداء ،  
أخذنا ندخن السجائر دونما توقف ملتهمين الدخان وقلت لنفسى ،

لو أننى لم اعد حاجى غلام رضا الليلة المقبلة ، لخرجت من فورى من هذه المدينة ، الخلاصة : أننا لم نخرج من المنزل لمدة اربع وعشرين ساعة ، وفى اليوم التالى وعند الغروب ، أقبل خادم الحاجى وسأل عامل الفندق قائلاً : أين إبراهيم بيك ؟ فذهبه على مكانى ، وجاء وألقى السلام وقال : تفضل إن الحاجى فى أنتظاركم ، ورأيت أن يوسف عمى لا يرغب فى الذهاب ، فقلت : لا يصح هذا ، فنحن وعدنا ، وينبغى أن نذهب ، وفى الصباح سنغادر هذه المدينة إن شاء الله ، فنهضنا وذهبنا مع خادم الحاجى ، واستقبلنا « حاجى غلام رضا » عند باب المنزل ، وأدخلنا إحدى الحجرات بحفاوة واحترام زائدين ، ورأيت فى نفس الحجرة اثنى عشر ضيفاً آخر ، فالتقينا السلام وجلسنا ، وبعد التعارف تجاذبنا أطراف الحديث ، فقال : أحد الضيوف اليوم فى الحقيقة كان قلبى يقطر دماً على ما رأيته من حالة « بن حاجى نوروز على » ، فقد رأيته وقد أحضر بغلاً محملاً بالعلف لكى يبيعه عارى الرأس ، حافى القدمين ، واتضح أن قصتهم تنحصر فى هذا . . . ، فقال شخص آخر لنا ماذا نأكل هؤلاء ؟ وقال شخص ثالث : بل لهم ذنب ، فكل هذه الذنوب ترجع إلى الإمام المعلم « ملا أحمد » ، الذى بدد أموالهم ، وقال شخص رابع : يا عزيزى هذه كلها أمور يعلمها الله ، وقد اختفت أسبابها علينا ، فربما جمع « حاجى نوروز على » كل هذه الثروات والأموال ظلماً ، ومن ثم ذهبت أدراج الرياح خلال ثلاث

أو أربع سنوات ، وسأل شخص آخر غريب « عن المدينة »  
مثلنا : مَنْ هو حاجى نوروز على ؟ وماذا حدث له ؟ فأخبروه أن  
حاجى نوروز على هذا تاجر كبير من أهل « كَروس » ، وكان له  
ثلاث نساء وثمانية أولاد وثلاث فتيات ، وقد توفى « على نيروز »  
تاركا وراءه ستين ألف تومان نقدا ، وأملاكاً أخرى لأولاده  
كميراث ، فسيطر كل عالم من علماء المدينة على فرد أو اثنين من  
هؤلاء الورثة المساكين ، وتنازع الورثة فيما بينهم ، وكان  
« الإمام جمعة » - والذي كان ابنه صهرا لحاجى نوروز على -  
هو الوصى من بعده ، فاستمال الجميع نحوه ، ووصلت هذه  
القصة إلى المحاكم والمرافعات ، وصدر بصددتها حكمان من  
قاضيين واستولى كل قاض من هذين على نصيب لا بأس به ،  
من تركة ذلك التاجر السالف الذكر ، والتي هى تركة الورثة  
جميعا ، فتنازع الورثة فيما بينهم مرة ثانية ، وكان نتيجة هذا  
التنازع ، أن سُجن واحد من الورثة مرة ، وسُجن فى مرة أخرى  
اثنان منهم ، وبلغ الأمر بالورثة أنهم راحوا يبددون تلك الثروة  
هباء وفقاً لأهوائهم وأخذ اثنان منهم يلعبان الميسر والقمار دون  
تفكير فى الأمر ، يقامران على ما بقى فى أيديهما .

والآن فهم لا يملكون شيئا « من الثروة » حيث هربوا إلى  
« حاجى ترخان » ، أما اللاهون هنا فهم جوعى ، واليوم يمر على  
وفاته أربعة أعوام ، ولم يبق ستون دينارا من تلك الثروة ذات  
الستين ألف تومان ، وتحسر الجالسون كثيرا ، وجاءوا بالشأى

والترجيعة ، واحتدم الحديث ، وخاطب أحد الحاضرين ضيفاً من الضيوف والذي كان يتصدر المجلس ، وقال فى صوت مرتفع :  
ياجناب شمس الشعراء ، هل كتبت شيئاً جديداً من الشعر ،  
قال : نعم ، بالأمس كتبت شيئاً للنائب صاحب السمو بن الأمير ، وفى الغد الجمعة ، سأقرأ الشعر فى حضرته ، وحرك يده مخرجاً ورقة من جيبه وأخذ فى قراءتها ، وفى نهاية كل بيت شعرى ، يقول المستمعون : بارك الله فىك . . . . أحسنت . . . .  
أحسنت ، وقال أحد الجالسين : بارك الله فى ملكتكم الشعرية ،  
أحسنت . . . أحسنت . . . أحسنت ، فكم هو جيد ما نظمتموه ،  
ثم نظر إلى قائلاً ، مارأيك أيها المواطن ؟

قلت إنى لا أفهم فى هذه الأشياء ، فقال : أى شىء لا تفهمه ، فالكلام كله «روح» قلت لا توجد أية روح ، فقد عفا الزمن على هذا النمط القديم من الشعر ، ولم تترك مقتضيات عصرنا روحاً فى مثل هذه الترهات ، وفى أى مكان من العالم لاتساوى هذه الشعار الكاذبة دينارا واحداً ، إلا فى هذا البلد ، فتتج عنها البطالة وقلة الحياء والجهل والغفلة ودناءة النفس والتي تمدح فى الظالم ظلمه على أنه مثال للعدل ، والجاهل بالفضيلة والبخيل بالسخاء ، فيُعجب بنفسه ، بسبب مثل هذه الأكاذيب التافهة ، وهذا العصر ليس ذلك العصر الذى يُخدع فيه عالم بمثل هذه الأشعار الكاذبة الجوفاء ، فالشعر لا يعنى مدح الأفراد ، ومثل ذلك الخطاط الذى يجيد تجويف «حرف الكاف ودائرة

النون » ، فمثل هذه الأعمال لا تدخل فى عداد الفضائل الإنسانية ، فاكتب الموضوع بصدق حتى ولو انحرف تجويف « حرف الكاف » ، فكل المنصفين سيقولون إنه صحيح ، فاليوم فإن سوق الضفائر والشعر الغزلى فى كساد ، فلا وقت للتغزل بالشعر ، « فقوس الحاجب مكسور ، وعينا الغزال متحررتان من خوفهما » ، إذ ينبغى بدلاً من الحديث عن الخال والشفه ، ينبغى أن نتحدث عن الفحم ، ولا تهيم فى وصف القامة الشبيهة ، بشجرة السرو والشمشاد ، بل ينبغى أن ننظم الشعر فى طول أشجار الجوز والكاج فى أدغال مازندران ، وفى قائمة الأشعار ، ننظم شعراً يدور حول معادن الفضة والحديد ، وانظم ماشئت من الشعر حول نسج السجاد المحلى ، فاليوم عند الاستماع نسمع صوت قطارات السكة الحديد ، وليس نغم أو شذو عندليب الروض ، واترك الخمر التى تذهب بالعقل ، إلى ذلك الساقى عديم الحياء ، واعمل على رقى تجارة البلاد ورواجها ، فحكاية الشمعة والفراشة ، حكاية عفا عليها الزمن .

وانظم شعراً عن تأسيس مصنع للشمع الكافورى واترك الشعر الذى يدور حول الحديث الحلو عن الشفاه للشعراء المرضى ، وانظم شعراً عن البنجر الذى يُستخرج منه السكر .

**الخلاصة :** إن مثل هذه الافكار ، أفكار فاسدة ومخلة بالأخلاق فدعها جانباً ، وانظم شعراً عن حب الوطن وثروته ،

وكذا مقومات تعمير البلاد ، فلا فائدة لمثل هذا الشعر الذى نظمته  
سواء فى الدنيا أو الآخرة ، ووطنكم غارق فى الخراب بسبب  
مظالم هؤلاء الحكام السفهاء ، فانظم شعرا آخر يمكن أن يصور  
تعميرها ، فهذا الحاكم الظالم الذى تحدثت عنه ، واعتبرته  
كيوسف الصديق (ع) فى الصدق ، وفى جلالة الشأن أسمى من  
النبي سليمان (ع) ، هو حاكم ظالم وسفيه ، واليوم تقرن ذلك  
الغادر بالنبي يوسف ، ونقسم برأس هذا ( اليوسف ) الحالى  
(الحاكم الظالم) ، إنه ارتكب مالا يحصى من الجرائم ، فهو لم  
يتغاض قط عن أذية الناس والتكيل بهم ، مستخدما فى ذلك  
العصى والضربات والصفعات ، ولم يراف بحال أحد من  
الأشخاص ، ولم يتحر الحقيقة فى عقوبة فرد من الأفراد ، وإذا  
قتل شخصاً من الأشخاص ، لا يجرو أن يستفسر أحد عن  
السبب ، وعلى الرغم من أن الله سبحانه قد خلق العين من  
أجل رؤية الإحسان ، نرى ثلة من الأشخاص السفهاء تضرب  
الناس بعصيها ، مزهقين أرواحهم قائلين : اغمض عينيك ..  
غمض البصر ، أو أدر وجهك للحائط ، فأى شئ يعنى هذا ؟ فهل  
هذا نابع من دين الإسلام ؟ فإذا كنت شاعرا ، وتريد أن تتحدث  
عن حكمة الشعر ، فانظم شعرا عما يدور فى عصرنا ، فانظم  
شعرا حول مدينة « سمرقند »<sup>(١)</sup> ، حتى يعلم الناس ما يدور

(١) سمرقند : مدينة كبيرة ، تقع فى منطقة ماوراء النهر ، فى الإقليم الخامس دهخدا -  
لغت نامه : شماره ( حرف ) ش ، ٥ ، ص ٦٢٥ .



بأرض إيران مطلعاً مواطنيك على حقوقهم الإنسانية ، فلا يصبرون أكثر من هذا أمام ظلم هذه الطائفة الظالمة ، وقد أجمعت سائر الأمم ؛ على أن « إيران » أول شعب متحضر على ظهر البسيطة « فى ماضيها » ، وقد عاش الإيرانيون أكثر من سائر الشعوب فى عزة وجاه وفخر ، فماذا حدث الآن ؟ إنهم الآن أجهل الأقوام والشعوب ، وينظر الآخرون من هذه الشعوب إلى الإيرانيين نظرة ازدراء ، وأنا نفس إيراني ..... ، وقد جئت منذ خمسة شهور من أجل زيارة هذه المملكة التعسة ، وتفقد حالها ، كما أن قلبى يقطر دماً نظراً لهذه المساوئ التى أراها كل يوم فى كل ناحية ، وفى كل إدارة من إدارات مدن البلاد ، وقد كرهت النوم ، واللهو البرئ والسرور ، ولكنى أراكم تغفلون عن هذه العوالم ، واحسرتاه أن الدم قد تجمد فى عروقكم ، فغفلتم عما يحس به الناس .

ومن شدة تأثرى ، تشرجت الكلمات فى حلقى وسرعان ما اختنقت ، واضطرت أن أسكت ، فنظر إالى جميع الحاضرين مندهشين .

وبعد قليل من الوقت تجمعوا مع بعضهم البعض ، وهم لا يعلمون شيئاً عن مثل هذه العوالم ، وراحوا يصدقون « شمس الشعراء » ثانية ، وقال واحد من بينهم : ماضورة الفحم المعدنى أو الحجرى ؟ ونحن جميعاً نستخدم الحطب ولدينا أيضاً الفحم ؟

ونحن جميعاً نعلم مزايا هذه الأفكار الجليلة لشمس الشعراء ، وإن كنت لم تفهم فلا لوم علينا ، ورأيت أننى فشلت فى التأثير على الحاضرين ، وهم يعتبرون خطئى جهلاً ، فقلت لنفسى ينبغى اتباع طريقة أخرى مع هؤلاء ، قلت ياعزيزى إن الليل طويل ، والحديث أيضاً محتدم ، وأريد أن اضرب لكم مثلاً واحداً ، فقال تفضل فليس هناك مانع ، قلت ذات يوم قرر عالم من علماء الأفغان درساً على الطلاب فى إحدى مدارس «هراة» ، بالصدفة ألقى «مهدى بيك»<sup>(١)</sup> ، والذي تعرفونه جيداً درساً فى ذلك المجلس ، وجاء دون أدنى اكتراث وجلس بالقرب من المدرس ، فارتاب المدرس ونفر من مظهره الذى يوحى وكأنه متسول ، كما نفر من اللباس القروى الذى إرتداه ، ولكن بعد أنهى المدرس درسه سأل «مهدى بيك» قائلاً : هل فهمت الدرس الذى ألقيته ؟ فضحك مهدى بيك ضحكة يشوبها الامتعاض وقال : لماذا أفهم وما هو الدرس ؟ فأجاب المدرس : الدرس الثانى ، فقال : مهدى بيك أى درس ثان ، وفى أى شئ كان الدرس ؟ فأجاب المدرس : درس الإيهام والكناية " ، وفى الحقيقة إن الدرس كان عن ذلك الموضوع ، فقال مهدى بيك : ماذا يعنى الإيهام . . . فعرفه لئرى ، فأجاب المدرس : الإيهام الثانى ؟ فقال مهدى بيك : هذا دليل على أنك لم تفهم معنى

(١) أحد شعراء بلاط ناصر الدين شاه ، وقد كان الشاه يرسله إلى حكام الأقاليم وذلك كى يطلع على أحوالهم ، وقد ولد هذا الشاعر عام ١٢٢٤ هـ. ق - باقر موءمنى : سياحتنامه ابراهيم بيك ، ص ١٢٤ . .

الإيهام ، فلو كنت تعرفه ، تحدث عنه ، وقال مهدى بيك : إن معنى الإيهام على سبيل المثال : إنه لدى غلام اسمه مبارك وأنت لديك غلام اسمه مبارك ايضاً ، فتشاجر المباركان معا .

وضرب « غلامى مبارك » ، غلامك مبارك ، فلطخ رأس غلامك مبارك بالطين ، فى ذلك الوقت كانت حالة المدرس فى غنى عن التعريف .

والآن أقول لكم إن خيالى المبارك ، أساء إلى الخيار المبارك لشاعركم « شمس الشعراء » وقد عمّ الظلم وطنكم بسبب الجهل ، وأنتم لم تحاولوا أن تقضوا على مثل هذا الجهل ، وعلمكم وفضلكم ، هو عبارة عن نظم بعض الكلمات الجوفاء مع بعضكم البعض ، ، وكذلك نظم الأكاذيب من الأشعار فى مجلس يجمع السفهاء من الناس ، كما أنكم تسمون من يخلق هذه الأكاذيب بملك الشعر وشمس الشعراء وتجعلونه يتصدر مجلسكم ، كما أنكم تخاطبون ذلك الشخص بكل احترام وإجلال ، فتخدعونه بذلك ، فيظن المسكين ، أنه أعلم إنسان على وجه الأرض ، فى حين أنه يعجز عن الرد على تلميذ صغير فى شأن العلوم والفنون المتداولة .

والفضل الذى يحذقه هو نسج الأكاذيب وهراء الحديث ، والآن أعرف أن صاحب المنزل يخجل من « شمس الشعراء » ،

ويبدو أن شخصين من الحاضرين ، صارا فى صفى ، أما سائر الجالسين فتمنوا لو يقطعوننى ارباً ارباً ) ، وقال أحدهم : دعك ياوالدى من هؤلاء فهم ترك سذج وسفهاء ، وقال آخر قيل ( أكرم الضيف ولو كان كافرا ) ، وجاءوا بالعشاء فتناولناه ، وبعد تناول القهوة والرجيلة ، أنفض المجلس ، وأضاء خادماً صاحب المنزل الفانوس وأوصلنا حتى المنزل الذى ننزل به ، وعلى الرغم من أننى كنت أفكر فى أن أبقى ثلاثة أيام أخرى فى « قزوين »<sup>(١)</sup> ، إلا إننى كرهت الإقامة هناك نظراً لحادثة عمى يوسف ، كما أننى كنت قد وعدت " يوسف عمى " ، فذهبت فى الصباح ، ورأينا السائس ، وحزمتنا أمتعتنا ، وكان اسم ذلك المكارى السائس «إبراهيم» ، وهو من أهل « زنجان »<sup>(٢)</sup> ، واشترينا ما نحتاجه ، وتحركنا من المنزل عصراً بعد أن جمعنا أمتعتنا ، ونزلنا خارج المدينة التى كانت قد حطت بها القافلة ، وتوجهنا فى الصباح من هناك إلى المدينة « أردبيل » .

(١) قزوين : مدينة مشهورة ، تقع على بعد سبعة وعشرين فرسخاً من الرى ، واثنى عشر فرسخاً من (ابهر) ، وهى فى الاقليم الرابع .

- الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

(٢) زنجان : بلدة كبيرة ومشهورة تقع بالقرب من أبهر وقزوين .

- المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٩٤٨ . . . .

## مجل السيحة فى قزوين

إن أبواب المدينة وجدرانها تمطر هما وحرنا ، وأهلها لا يعلمون شيئاً عن الحياة الإنسانية ، وتسيطر عليهم الاوهام والخرافات ، وهم غافلون تماماً عن أوضاع عصرهم ، ويجهلون كل شئ عن عوالم الحضارة ، ويقل اهتمامهم بأوضاع المدارس والمساجد فى المدينة ، وهم لا يستفيدون من الدنيا ولن يستفيدوا من الآخرة ، ولا يهتم أحد بزيادة الثروة القومية للبلاد ، وليس عندهم أدنى ولاء لبلادهم ، ودمائهم متجمدة فى عروقهم .

« أحياء ولكنهم أموات . . . . . أموات ولكنهم أحياء »

الخلاصة : توجهنا نحو « أردبيل » وكان ذلك وقت السحر حيث تحركنا مع القافلة ، وكان الغرض الأساسى من السفر لأردبيل ، هو زيارة المقام المقدس ، للسيد الجليل الشيخ « صفى الدين إسحق الأردبيلى »<sup>(١)</sup> ، والذي مذهبه الحق المذهب الإثنى عشر الشيعى ، والذي ساد العالم « فلتكن روحى فداء روحه الطاهرة » .

(١) تنسب الأسرة المعوية إلى الشيخ صفى الدين إسحق الأردبيلى ( ٦٥٠ - ٧٣٥ = ١٢٥٢

- ١٣٣٤ م ) وهو صوفى زاهد ، عاش هو ومريدوه فى مدينة أردبيل ( آذربيجان - إيران ) . .

- الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

- بطروشفسكى : تاريخ ايران : ترجمة كريم كشاورز . ص ٤٧٠ .

وفى أثناء الطريق ، لم نشاهد شيئاً يستحق الذكر ، وتتناثر على جانبي الطريق القرى الكبيرة والصغيرة على السواء ، ولا يمكن أن تتوقع شيئاً من هؤلاء القرويين ، ويمكن القول إن جميع المواطنين سذج ومتدينون وهم مقيمون للصلاة ، مكرمون للضيف .

والجهل عندهم سعادة كبرى ، ومن حسناتهم المستحبة ، التدين ، وإكرام الضيف والصدق فى القول ، فهم تعلموا الصدق والأمانة بالفطرة ، وعفة رجالهم ونسائهم فى غنى عن التعريف ، وأنه لو اضح أن نساء مدينة « طهران » إن لم يكن نساء كل مدن إيران ، سوف يحسدون يوم البعث هؤلاء النساء القرويات على المكانة الرفيعة التى سيتبوأنها فى الجنة ، وهن فى الغالب ذوات وجوة طليقة بشوشة ، وقلوبهن نقية صافية ، وعلاوة على أزواجهن فإنهن يعتبرن الرجال الآخرين إخوة لهن ، ولا يرد على مخيلاتهن إلا كل فكرة نقية طاهرة واقسم بالله إننى لا أرى زوجه واحدة يمكن أن تخون زوجها من بين عشرة آلاف زوجة ، ويتضح من سياحتى وحدها أن أس البلاء والأذى كامن فى نساء المدينة السافرات ، وما عدا ذلك فكل قرى « إيران » تختلف عن البلاد الأجنبية « فى السفور » .

وفى اليوم السادس وصلنا مدينة « أردبيل » ، ونزلنا بمنزل حاجى محمد ، فقال يوسف عمى : ألا تذهب ثانية للحمام ؟ قلت : عمى العزيز ، لست على ما يرام ، وبدنى غير نظيف ،



وأفكر أن أطلب من الحارس ، ليأخذنى إلى بيته لكى يحضر لى ماء ساخنا استحم به ، فاذهب أنت ، أما أنا فسانام قليلاً حتى استريح من عناء الطريق ، وذهب هو ونمت أنا بدورى ، وبعد ساعة من الوقت استيقظت ، وكلمت الحارس فى الموضوع السابق، فقال : فى هذا المكان يتغير ماء الحمامات كل شهر ، وأخى يستأجر حماما ، وغداً سيتغير ماؤه ، ولم يدخله أحد بعد، فساذهب بك له ، فسعدت ودعوت له ، وفى الصباح كنا قد قررنا أن يصطحبنا أحد الحمالين بعد الاستحمام ، وذهبنا لزيارة السيد الجليل الشيخ صفى الدين ، ودخلنا خاشعين ، خاضعين ذلك المقام الطاهر ، وتقدم بنا الخادم حتى رأس ضريح حضرة الشيخ ، وقرأنا كتاب الزيارة وسورة الفاتحة ، وبعد ذلك ذهبنا حيث مقام المرحوم الشاه إسماعيل (١) ، وقرأنا أيضاً الفاتحة على روح ذلك الملك النجيب ذى الهمة العالية ، والذي يفخر به تاريخنا المذهبى والقومى ، وعندما قارنت بين أوضاع ذلك الزمان الغابر ، وأوضاعنا فى الوقت الحاضر ، أخذت فى البكاء ، وقلت يامن نفسى فداء لتربتك الطاهرة ، لقد كنت مؤسس هذه الدولة ومحافظا على مذهبها المقدس طيلة أعوامك الثلاثة عشر ، فلتكن نفسى فداء غيرتك ، فاستيقظ الآن من تربتك لترى إلى أى درجة من الذلة والهوان وصل حال المذهب والدولة العظيمة على يد غير الكفاء من الحكام .

(١) الشاه اسماعيل هو مؤسس الأسرة الصفوية فى إيران ( ١٥٠١ - ١٥١٤ م ) وهو كذلك مؤسس مذهب الشيعة فى إيران ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت إيران مقر الشيعة بين المسلمين .  
- بطروشفسكى : تاريخ إيران : ترجمة كشاورز . ص ٤٧١ .

ولم يبق من علماء المذهب الاثنى عشر سوى الاسم ،  
والكل يجرى وراء جمع الثروات وبلوغ مناصب السياسية  
والرئاسة ، ولا أحد يعمل على نشر الشريعة المحمدية ، وشغلهم  
الشاغل منحصر فى البحث عن المناصب ، والتدخل فى أمور  
الحكومة وشؤونها ، سواء كانوا فى ذلك على حق أو على  
باطل ، ولا أحد يفكر فى زيادة الاهتمام والعناية بالمذهب الطاهر  
الذى أحياه ، وكل همهم أن يتزع كل شخص من بينهم قطعة  
من أراضى القرى لكى تدر عليه ربحاً بأى وسيلة أتاحت له ،  
ومن هنا يهاجمون بعضهم البعض نظراً للفراغ الذى يعيشون  
فيه ، وكذلك فإنهم يصدرون الأحكام المتناقضة بسبب تنازع  
المدعى والمدعى عليه ، وبذا يخربون بيتى الخصمين « المدعى  
والمدعى عليه » بدلاً من القيام بالصلح بينهما ، وهم يصدرون  
بدلاً من الأحكام الثابتة والمنبثقة عن الشريعة الغراء ، أحكاماً  
مغرضة بغية التكسب والمنفعة الشخصية ، وبدلاً من إصلاح  
أحوال المسلمين يعملون على إفسادها ، عاملين بهذا « إذا فسد  
العالم فسد العالم » .

**الخلاصة :** وبعد هذه الأفكار التى تحرق الكبد ، وصلنا  
ضريح الشاه « طهماسب<sup>(١)</sup> الأول » ، وبعد قراءة الفاتحة وطلب  
الرحمة والمغفرة لذلك الملك الورع ، تجولنا فى القسم الخاص

(١) طهماسب الأول : جلس على عرش إيران من ( ٩٣١ - ٩٨٤ = ١٥٢٤ - ١٥٧٦ م )  
هو الحاكم الثانى لفارس من الأسرة الصفوية ، وهو الابن الأكبر للشاه إسماعيل الأول .

بالآثار الصينية ، والذي هو قليل من كثير مما ترك فى كل ناحية من هذه المنطقة ، وفى حقيقة الأمر ، فقد كان هناك كثير من الآثار ، وكان فى ذلك القسم خاصة ، كثير من الأوانى الصينية النفيسة والمرصوصة فى كل ناحية ، والتي لا تمل العين رؤيتها ، ولكن هناك مكان كبير خال من الأوانى ، قيل إنها سلبت أثناء الغزو الروسى ، وفى الحقيقة أن هذه الواقعة التاريخية مرت بخاطرى ، فحزنت لتذكر هذه الحادثة ، ولما أن ذكر هذه الحادثة مثير جداً للألم والحزن فقد صرفت النظر عن نقلها وشرحها ، فهذه المقبرة يجاورها مسجد كبير للغاية ، وواضح أن مؤسسة قد أنفق أموالاً باهظة عليه مما يدل على علو همة ذلك المؤسس ، ولعلهم ربما لم يهتموا بالمحافظة على تلك المقبرة وذلك المسجد ، فهما يحتاجان للترميم ، ويقال أن للمقبرة والمسجد أموالاً موقوفة من أجل الإنفاق عليهما ، ولكن لا أحد يعرف من ذلك الخسيس الذى لم يخش الله فيهما ، فسلبها وأكلها ، وهذه الأموال الموقوفة أصبحت فى إيران اسماً لا يستفاد بها ، ثم طلبنا أن يفتحوا باب الخزانة فى تلك المقبرة ففعلوا .

فرأينا لوحة بالخط المبارك لحضرة امير المؤمنين أسد الله الغالب « على بن أبى طالب » كرم وجهه ، وهى بالخط الكوفى ، وقد كُتب فى نهاية اللوحة « كتبه على بن أبى طالب » ، ورأينا لوحة أخرى بالخط المبارك لحضرة الإمام حسن ، وقد كتب أسفل اللوحة أيضاً ، « كتبه حسن بن على » ، فقبلنا الاثنتين ووضعنا

إنسان العين عليهما ، فزاد القلب والعين قوة وضياء لرؤية  
جوهرى الكونين هذين ، وسعدنا سعادة غامرة ، والحمد لله  
الذى هيا لنا مثل هذه السعادة والتي وجدنا فيها السلوى العزاء ،  
مما يريح القلب الخائف كثيرا ، وبعد الانتهاء من الزيارة أنعمنا  
على الخدم وسرنا إلى المنزل ، وفى الصباح ، ذهبنا لكى نتفرج  
على « قلعة نارين » وهذه القلعة الحصينة للغاية ، ومهما تحدثت  
عنها لن أوفىها حقها ، وكان هناك شيخ يقوم على حراسة بوابة  
القلعة ، لعله كان جندياً أو حارساً ، وكان يتكئ على حائط وفى  
يده سيف ، وللقلعة هذه خندقان متعرجان ، وقد أقيم فوق  
سطح كل خندق جسر لمرور الناس ، فعبرنا نحن هذه الجسور ،  
والقلعة فسيحة جداً ، وقصر الحاكم مستقر داخل القلعة ، وكان  
لهذه القلعة مسجد عال وحمام ، كما رأيت عشرة مدافع ، يرجع  
تاريخها إلى عصور مختلفة ، والتي تذكر من يراها بالعصور  
القديمة والتي لم تعد صناعتها تجد الرواج الذى كان لها من قبل ،  
ويمكن القول إن قيمتها ، قلّت عن قيمة الفلزات والمعادن  
المصنوعة منها ، ورأيت بجوار دار المدفعية بعض الحجرات  
الخالية ، ولعلها معسكر ، ولكن لم أر جندياً واحداً هناك ،  
فأردت أن ألقى عليها نظرة من الداخل ، فدخلت بإحداهن ،  
لأرى أن رائحة العفن تدور برأسى ، ورأيت أن جميع الغرف ،  
مشبعة بالعفن ولا تختلف عن بعضها البعض ، فأخذت المنديل  
ووضعتة على أنفى ، ومن هناك صعدنا فوق برج ، وأدرت وجهى

نحو مدينة « قم » ، وصحت قائلاً : أين أنت يا شاه عباس . .  
أيها الأمير الغيور ؟ وأين أنت يا عباس ميرزا . . . ( نائب  
السلطنة ) ؟ . . . استيقظا من القبور المظلمة ، وشاهدا كيف  
حافظ أتباعكما وأخلافكما ، الأشرار على ودائعكما ؟ فأنتما  
أقمتم هذه القلاع الحصينة والحصون المنيعة متجشمين كل معاناة  
من أجل الحفاظ على الوطن والدفاع عنه بصد العدو ، والآن  
فهؤلاء - الأتباع - جلسوا فوق أبراج الوطن العالية من أجل  
تخريب البلاد والإغارة على المواطنين وقتلهم ، وكذلك لإصدار  
الأحكام الظالمة ، فجعلوا الأماكن أو المواقع السفلى - من  
الأبراج - والتي كانت ملجأ لمجاهدى الإسلام ، جعلوا منها  
مرمى الفضلات والقاذورات ، فأين أنت أيها الأمير الشجاع . . .  
وأين أنت أيها الملك الغيور على دينك ؟ ويا من أنت فخر الأسرة  
الصفوية ( الشاه عباس الصفوى ) ويا عباس ميرزا ( نائب  
السلطنة ) . . . . . لم عجلت بالرحيل ؟

وأيها الموت « الخسيس » لم اختطفته منا بهذه السرعة ؟ وماذا  
كان سيحدث ، لو استمر ملكك مدة ثلاثين عاما أو أكثر ؟ حتى  
تصلح مساوئ الآخرين والتي حدثت بسبب جهلهم ، فتبعث فى  
إيران الحياة من جديد ، أيها السيد الغيور المعترف بحق إيران ،  
إنك لم تُنس . . ولن تُنسى ، فلقد قضيت كل عمرك لتحقيق هذا  
الهدف « تعمير إيران » ، ولكن أحدا بعدك ، لم يقتف أثرك ،  
لتحقيق أهدافك النبيلة ، وقد توارت معك فى القبر الغيرة

والحمية وحب الوطن ، وقد تحطمت إيران بعد وفاتك كما تحطمت قلوب الإيرانيين ، فشقى كل منا ، وقد ضمد خادمك ( ميرزا تقى خان )<sup>(١)</sup> جروح إيران بعدك ، فكبل خائنو الوطن يديه ، وجعلوه يثوب إلى رشده بالاغتسال فى حمام « كاشان » فخرست الألسنة ، فلم تعد تتحدث عن تقدم إيران ، فلا أحد يعير مفاسد إيران اهتماما ، فتضاعفت خيبة أمل ايران والإيرانيين ، فليتغمدكم الله برحمته ، وفى تلك الأثناء أخذ قلبى فى الخفاق ، ووصلنا المنزل ، وفى الصباح جاء الحارس وقت الظهيرة ، وقال : لماذا لم تذهب أيها السيد ؟ قلت : إلى أين ؟ قال اليوم ستقام مصارعة للثيران ، وذلك فى ميدان قلعة نارين ، إذ فى هذه المصارعة يتجمع جميع أهل المدينة فى ذلك المكان ، قلت ليس هناك مانع من الذهاب ياعم يوسف فلنذهب هناك ، فذهبنا إلى الميدان ، فرأيت بالفعل ازدحاما عجيباً ، وقد تجمع فى ذلك المكان أهل المدينة من كل حذب وصوب ، إنها معركة عجيبة ، فتعجبت : أليس وراء كل هؤلاء الناس أى عمل من الأعمال ؟ وبعد ذلك اتضح أن الثورين المتصارعين ، يملك أحدهما كبير خدم ضريح الشيخ صفى والثور الثانى يملكه نائب الصدر الأعظم ، ويعد الرجلان من علماء « أردبيل » ، وكان نصف أهل المدينة من مريدى كبير الخدم ، والنصف الآخر كان أتباعا لنائب الصدر ، وأقبل أنصار الطرفين من أجل التشجيع ،

(١) سبق التعريف بجهود ميرزا تقى خان فى ايران .



وكانوا جميعاً مدججين بأنواع الأسلحة المختلفة ، كسلاح القمّهِ والطبنجات بالإضافة إلى العصي والشوم ، وكان الاشتباك بين الثورين مقدراً ومعروفاً ، وعلى كل حال فقد ألقوا بالثورين للنزال والنطاح معاً ، وفي بداية الأمر ، نظر الثوران إلى بعضهما قدراً من الوقت ، ولعلهما تحدثا معاً بلسان الصمت ، وبعد ذلك اشتبك الثوران . . . . . القرن في القرن والرأس بالرأس ، وكانت أصوات النظارة تقول : هلم . . . اضرب . . . . . هلم . . . . . اضرب ، وسقط الاثنان على الأرض نظراً لقوة الاحتكاك بالقرون ، وأخذ الثوران يتدحرجان وكل منهما صدره نحو صدر الآخر ، وفي أثناء ذلك سمعت ضجة كبيرة كانت صادرة من المتفرجين ، وإلتف أنصار « نائب الصدر » حول ذلك الحيوان الصامت ، وقيل أحد الأنصار عيني ذلك الثور ، وأخذ آخر يربت على قدميه .

وأحضروا من جانب آخر ، عدداً من الشالات الفاخرة ، وحزّموا بها ظهر ذلك الحيوان ، كما حزموا أيضاً عنقه ، وأخذوا يطوفون به في الميدان مصفيين ، راقصين يغمرهم الفرح والسرور ، وكنت أنا نفسي مندهشاً وفي منتهى الحيرة والذهول بسبب ذلك الوضع ، وضقت ذرعاً بتلك الضجة ، وتأوهت من أعماق قلبي وقلت : يا إلهي . . . . . ماذا حدث ؟ إنني أشاهد ضجة مثيرة ومخيفة وسط الجماهير الغفيرة من الناس ، وكأنّ قائداً إيرانياً ، قد عاد إلى إيران متصراً فاتحاً ، بعد أن دافع عن

بلاده ، فأتيت لا ألقى على شئ ، إذ أن ذلك القائد قد هزم  
عدوه اللدود ، وكان يتقدم هذا القائد على سبيل المثال لا  
الحقيقة ، عدد من المدافع والمعدات الحربية وبعض الغنائم الحربية  
أيضاً ، وراح الأهلون فى مقابل هذه الخدمة الجليلة للوطن ،  
راحوا يثرون الورود على رأس ذلك القائد الظافر من الأبواب  
والجدران ، ثم استبدلوا تلك الضجة المخيفة بنغمات عذبة ،  
يتغنون بها لشجاعة جنود الوطن المغاوير ، وتلك الشالات التى  
زينوا بها ، هذا الحيوان « الثور » ، جعلوا منها سجاداً وفُرُشا  
لكى يطأه ذلك القائد المغوار ، ومن ناحية أخرى ارتفعت أصوات  
علماء الشعب مهللين مكبرين ، شكراً وحمداً لله ، على ذلك  
«الفتح» «العظيم» ، ( هنا الكاتب يبكى ..... والقراء  
المحترمون أحرار سواء ييكون أو يضحكون ) وفى اليوم الثانى  
خرجتُ من المدينة للترهة ، وكما هو معلوم ، أن مدينة «أردبيل»  
هذه من المدن القديمة فى العالم ، وهى ذات واد جميل مترامى  
الأطراف ، ولكنه يخلو من أية حديقة أو بستان ، وجوها لا  
يساعد على التنشئة السليمة ، ولا تخلو تجارة هذه المدينة من  
الأهيمية ، نظرا لأن ميناء ( استارا ) قريب من بحر الخزر والحدود  
الروسية ، ويصل أذربيجان كثير من السلع والمنتجات  
والمصنوعات الروسية عبر هذه المدينة « أردبيل » ، لهذا فبالمدينة  
منازل قوافل عظيمة وجيدة <sup>(١)</sup> ، ولكنها تخلو من التجار الكبار

(١) منازل القوافل : اشبه بالاستراحات التى يستريح فيها المسافرون فى الوقت الحاضر .

والشركات الكبرى التى يمكن أن تستفيد منها المدينة وتكون سببا  
فى رواج التجارة .

وفى اليوم الرابع رأيت الناس يهرولون يمنا ويسرة من كل  
مكان ، وارتفعت أصواتهم من كل حدب وصوب قائلين :  
ياوالدى الجهاد ؛ قلت لنفسى ماهذه اللعبة الجديدة ؟ . . والجهاد  
مع من ؟ ونهضت لكى أرى ما هذه الجلبة ، فأمسك بى يوسف  
عمى من جلبابى ، وقال : لن اتركك تذهب ، حتى لا يصيبك  
اذى أو مكروه فى خضم هذه الجلبة ، قلت : ياوالدى « العم  
يوسف » لمَ تمسك بى ؟ . . . دعنى ، وخلصت طرف جلبابى  
من قبضته وخرجت مسرعا وبعد وضوح الأمر ، قيل إن السيد  
الأمير صالح أو الشيخ صالح والذى حمل سيفه وأعد كفنا لنفسه  
قد أمر بالجهاد .

وتجمع حوله مايربو على ألفى مواطن من أهل المدينة ، ولا  
أدرى ماذا فعل أحد موظفى الحكومة بهذا الرجل ، مما أغضب  
الشيخ ، ولهذا نادى بالجهاد ، وبناء على هذا صدر أمر بالقاء  
القبض عليه حتى يحمل إلى بيته ، وكان قد ضُرب ضرباً مبرحاً ،  
حتى أغمى عليه ، فقال جمع أنه مات . . وقال آخرون إنه لم  
يمت ، ولكن سيموت ، فقلت لنفسى سبحان الله ماهذه القيامة ؟  
ألا توجد حكومة فى هذه المدينة ، أليس لها حاكم ؟ وماذا بدر

من المُلّا ، حتى يسوقه موظف الحكومة بعصاه ؟ دون أن تحرك الحكومة ساكنا ؟ ولا أعلم أن المصائب سوف تطل برؤسها في هذه السفّرات .

**الخلاصة :** إنه حكى لى بعد هذه الضوضاء ، أن هذا السيد جاء من البلاط الملكى منذ ثلاثة أعوام أو يزيد ، وطاف بجميع منازل علماء المملكة ، وهو نفسه لا يأكل شيئا خارج منزله مع أحد سوى الخبز الشعيرى والخل ، ولكنه يتناول أنواعاً شتى من النعم فى الحرملك ، ويقدم ماء الليمون الشيرازى ، بدلا من الماء والخل أجل :

« عندما يذهبون إلى الخلوة . . . . . فإنهم يفعلون ما يريدون » وبعد عشر سنين ، فلاشك أن جناب السيد « الملا » ، سوف يمتلك أجود الأرض فى قرية عظيمة ، كما فعل الآخرون - من الملات - أول الامر ، والآن جناب السيد « ميرزا على أكبر » ، هو أيضاً عالم من علماء هذه المدينة ، وهو نفسه يجوب كل القرى من أجل أخذ الزكاة ، وفى هذا الإقليم هناك على الأقل ، عشرة أشخاص من هؤلاء الملات الكبار ، وكل ملا من هؤلاء ذو نفوذ ، ومريدوه كثيرون ، ويملك كل ملا من أولئك الملات أيضا ما يقرب من عشر رؤوس من البغال والحياد الجيدة .

**الخلاصة :** بعد ثمانية أيام من الإقامة فى هذه المدينة

استأجرت من السائس ثلاث جياد بغية الذهاب إلى « مراغة » ،  
وكان ثمن أجرة الحصان ثمانية عشر قرانا ، فأعطينا السائس خمسة  
عشر قرانا كعربون ، حتى يأتى فى الصباح ليحملنا ، وطلع  
الصبح ولم يأت بعد ، ومرت وقت الظهر أيضا ولم يأت بعد ،  
وحيثُ أرسلت رجلا فى طلبه ، وعلم أن السواس قد هربوا ،  
فسألت لم هربوا ؟ فقالوا أن اليوم فيه حظر على الجياد ، فحاكم  
المدينة سوف يسير ، قلت كيف . . . كيف ؟ وماذا يعنى حظر  
الجياد اليوم ؟ قال : نعم - إنه حظر على الجياد - وإن لم تكن  
هناك مشقة عليك ، فأخرج أنت بنفسك لترى ما ذلك الحظر الذى  
يفرضونه على الجياد ، ولم أفهم الموضوع أيضا ، قلت ياوالدى  
. . . الحاكم يسير ما شأنى فى ذلك ؟ أأست جديرا بالذهاب ؟  
فقد استأجرت حصانا . . . ودفعت النقود .

عن ضمانتك ، إذ قلت أنت : إن السائس رجل طيب  
وأمين ، فقال : نعم إن السائس رجل طيب وأمين ، ولكن لم  
يعلم أحد من الناس أن اليوم سيكون يوم الحظر على الجياد ،  
فأذهب وشاهد بعينيك ، كل منزل وكل ما يتعلق بتجارة « تبريز »  
« وهمدان و » قزوین » ، ومائر الأماكن ستترى أنها مغلقة  
وجميعها خاوية على عروشها ، فهكذا إذا قدمت قافلة تجارية  
مدينة أردبيل فإن السواس يفرغون ما معهم من البضائع  
التجارية ، ويهربون خوفا على جيادهم ، فقلت حتام يستمر هذا  
الوضع ؟ قال : غير معلوم أیستمر عشرة أيام أم خمسة عشر

يوما ، فطالما الحاكم لم يذهب ، يظل الوضع على ما هو عليه ، ورأيت أنه لا جدوى من دفع أذى هؤلاء الظلمة إلا يذكر الحوقلة ففعلت ، والأسوأ من كل هذا أن الأشياء التى حزمناها ، قد فتحناها ثانية وذهبت إلى السوق فرأيت معركة عجيبة ، فمن ناحية رأيت عددا من أتباع رئيس العسس ، ومن ناحية أخرى رأيت خمسة أو ستة أفراد من السعاة وأخذوا يعدون من مكان لآخر ، وكانوا يسوقون أمامهم دون استثناء كل ما يقابلهم فى أى مكان من إبل وبغال وحياد بعد أن يكونوا قد استولوا عليها من أصحابها ، فكان لا مناص من أن يتعقبهم مالكوها مجبرين ، وأظلمت الدنيا أمامى لرؤيتى هذا الوضع ، وعدت إلى منزلى ورأسى فى دوار شديد ، وكنت فى حالة يشوبها الاضطراب والمرارة ، فقال يوسف عمى « متهكما » إنه لن يظهر حضرة صاحب الأمر ، عجل الله فرجه ، كتب علماء الدين شروحا وعلامات كثيرة ، وقد قرأناها ، ولكن لم يتضمنها أخذ جمل أو بغل أو جواد ، وهذا مالم نعلمه ، وهو فى الحقيقة أمر عجيب للغاية ؟ فالسعاة يستولون على أموال الناس فى سوق الإسلام جبرا وقسرا ، ولا أحد يسمع لشكوى مظلوم من أولئك المظلومين . . . . إنه لأمر غريب للغاية .

**الخلاصة :** إننى من شدة العناء والنصب شددت العبادة ونمت فى أحد الأركان وسرعان ما سمعت صوتا ينبعث من ضجه ،



فنهضت فرأيت ساعين يقفان على باب المنزل ، فقال أحدهما :  
أيها المواطن هل استأجرت بالأمس ثلاث جياذ ؟ قلت : نعم ،  
قال وأين الجياذ ؟ قلت لم يأت السائس بعد ، ونحن بدورنا  
تعطلنا ، قال : ينبغي عليك أن تلتزم ، فلو أتى لاتذهب ، فرأيت  
أنه يتحدث حديثاً لامعنى له ، فقلت : وماذا يعنى الالتزام ؟  
فقد دفعنا خمسة عشر قرانا ، ولم يكن بيننا عقد يحفظ نقودنا ،  
فأشتد الجدل بيننا ، فقالا : ينبغي أن نحملك معنا إلى خدمة  
كبيرة السعادة ، ولاحظت إننى لو ثبت على موقفى ، فأنهما  
سوف يحملاننى جبراً ممسكين بجيب قميصى ، فقلت بسم الله  
لنذهب ، وحملت العباءة ، وتقدمنا نحو « قلعة نارين » حيث  
مقر الحاكم .

ورأيت يوسف عمى مقبلاً نحوى ، وكلما أصررت أن يعود  
إلى المنزل ، كان يرفض وقال إننى لا أستطيع أن أصبر حتى  
تعود ، وعندما وصلنا هناك ، قدمونا فى بادئ الأمر إلى شخص  
لعله كان نائباً ، وهمس أحد السعاة بشيء فى أذنه وعاد ، ثم  
قدمنا النائب بدوره إلى شخص آخر ألا وهو رئيس السعاة والخدم ،  
وهمس ذلك النائب بحديث فى أذنه ، وكنت مضطرباً فجال  
بخاطرى أنه ليس يبعد أن يسجننا هؤلاء الأخساء هنا لمدة عام ،  
فماذا حيثئذ نفعل ؟ أو ربما حكم الحاكم بمعاقتنا ، فمن يساعدنا  
ويحمينا حيثئذ أيضاً ؟ وكل من رأى حلماً مزعجاً ، أو استولى  
عليه « كابوس » يمكنه أن يعلم كم كنت مضطرباً .

**الخلاصة :** إن كبير السعاة رفع هامته بعد فترة من الوقت بطريقة خاصة ، وقال وهو يضيق ذرعا : أيها الرجل الحقير ، ماذا صنعت بالجياذ ؟ قلت أى جواد ، قال : تلك الجياذ التى استأجرتها بالامس ، فرفعت صوتى وقلت أنت نفسك لا تعى ماتقول ، فأى شىء يمكن أن أفهمه من سؤالك ؟ وأطلت فى مثل هذا الحديث ، فنهض كبير السعاة وقال غاضباً ، أقبل ، فدخلنا دهليزا كبيرا ، واجتزنا الدهليز حين قاعة كبيرة ، ورأيت أمام نافذة القاعة عددا من الأفراد ، وقد وقفوا واضعين أيديهم على صدورهم ، فهم صامتون وكأنهم أجساد بلا أرواح ، وقد جلس الحاكم فوق أحد المقاعد ، وجلس بعيدا عنه عدد من الأشخاص المعتمين ، وجرتنا كبير السعاة إلى الحاكم ، فانحنينا له معظمين وظللنا واقفين ، فقال كبير السعاة والخدم : إن هذين استأجرا جوادا ولكنهما ينكران ، فقال الحاكم : أين الجياذ ؟ قلت أيها الحاكم لا نعلم « وأضفت بعض الكلمات الأخرى » ، فقال يوسف عمى : أيها الحاكم : علاوة على ذلك ، فنحن مسافران ونتبع الرعية الأجنبية ، ولو أصابنا مكروه من جرائكم ، فأنى سأذهب الآن إلى مقر المبرقة فى « طهران » لكى أخبر ممثلنا الوزير الإنجليزى عن هذه الأوضاع ، وفكر الحاكم قليلاً من الوقت ، وبدا عليه الاضطراب ، ولما لم يتفوه بكلمة واحدة ، قال : انصرفوا .. انصرفوا <sup>(١)</sup> ، وتجرات وقلت : أيها الحاكم سواء كنا

(١) هنا يوضح الكاتب كيف يخشى الإيراني الحاكم الأجنبى ، أما الإيرانيون فلا أدنى احترام لهم فى وطنهم .

نتبع الرعية الأجنبية أم نتبع الرعية المحلية ، فهذا لا يغير فى الأمر شيئاً ، ونحمد الله أننا مسلمان ، ولكن أقول لكم إنه فى الماضى كان ملك إيران حينما يريد أن يسير جيشاً إلى مملكه أخرى ، كان ينشر دعوته المذهبية بين الناس وكان يتخذ من المذهب ذريعة للحكم ، ولكن اليوم كل دولة تريد أن تعتدى على أرض الدولة المجاورة .

فإنها تعتدى على تجارتها وحريتها واللتين هما أساس الرفاهية والراحة بالنسبة للرعية وهما أيضاً أساس تعمير المملكة ، وينفق فى مجال ترويج التجارة الأموال الطائلة ، بل وتسفك الدماء أيضاً ، والشئ العجيب إنكم توصلون أبواب التجارة فى وجوه الشعب ، وبدلاً من إنشاء الطرق الحديدية وصنع العربات ، فإنكم تحولون دون تقدم وسائل النقل فى هذه المملكة ، وتقصرونها على الحصان والبغل ، مما يكلفكم الكثير من العناء ، وتفرضون الحظر على الجياد باسم « السخرة » وتؤذون عباد الله ولا تخافون من الله ، فقال الحاكم أيضاً فى صوت جهورى : مسموح لكم . . وأغربا عن وجهى ، وأعاد كبير السعاة الإشارة إلينا إيذاناً بعودتنا ، فرجعنا إلى النائب ، فقال : إنكما أحضرتما لنا الرزق الوفير ، وقال لنا لا عليكم . . . اذهبا ، وأقربنا من بوابة القنعة ، فرأيت ساعيين يعدوان نحونا ليقولا : نريد أجرنا فقلت ماذا . . . ماذا ؟ فقال البقشيش فقلت أيهما الملعونان : أى شئ

فعلتاه لنا لتأخذا عليه بقشيشاً<sup>(١)</sup> ؟ فقال أحدهما لقد خدمناكما ،  
 فهل يجوز أن نعود خالين الوفاض ، فمن اين ننفق إذن<sup>(٢)</sup> ،  
 فقلت وماشأني بكما . . . . . أغربا عن وجهي يا أتباع فرعون  
 وشداد ، وليجتث الله جذوركم وأمثالكم من على ظهر  
 البسيطة ، أتريدان أن أعود ثانية أمام ذلك « النمرود » ، وأن  
 أسأل ماذا يطلب منا أبناء الشياطين أولئك ؟ فقال الخادم  
 الثاني : عد بنا يا « مشهدي رضا » فهذان الرجلان يتبعان الرعية  
 الأجنبية ، والأجانب كلهم ملاعين ومجانين .

**الخلاصة :** إننا تخلصنا من برائن أولئك الذئاب ، وفي أثناء  
 الطريق قلت ليوسف عمي : لماذا كذبت نحن لسنا من الرعايا  
 الأجانب ؟ فربما طلب منا تذاكرنا ، فماذا كنا نفعل حينئذ ؟ قال :  
 كان الكذب في مصلحتنا ، وأين لهوءلاء بالفطنة ، حتى ترد  
 التذاكر على خواطرهم ؟ وقد حاك هؤلاء أكياساً لجمع الأموال  
 من الإنعامات والرشاوى وهذا لاينبغي فعله ، وحينما يتحدث  
 أغلب حكام إيران مع الرعية ، فإنهم يضعون أيديهم على شعر

(١) هنا يعرض الكاتب إلى موضوع « الأنعام » والذي يعتبره بعض الإيرانيين حقاً من  
 حقوقهم ، فمن المعلوم أن كل من يتعامل مع الخدم والسعاة لابد وأن ينعم عليهم بشيء ، ولو  
 افترضنا أن إيرانياً قد ذهب إلى مقابلة أحد الأمراء ، فلا بد أن ينعم هذا الإيراني على خدم  
 الأمير ببعض التوماتات حتى عند إنصرافه حتى ولو خرج هذا الإيراني خاسراً بعد المقابلة - أنظر:  
 - مغامرات حاجي بابا أصفهاني : طبعة فيلوت الثانية ، ص ١٣١ ، كلكتا ١٩٢٤ م .

(٢) العبارة الفارسية : يابستان مادر را خواهم مكيد ، خرج داريم ؟ أي هل سنرضع ثدي

الأم لننفق .



على أكثر مائتى تومان من المكارين الفقراء ، ولم يتفوه تاجر واحد من تجار المدينة بكلمة واحدة ليقول ماهذا الظلم ؟ وكان الله سبحانه قد خلقهم معاذ الله لتحمل كل هذا الظلم والجور ، وعلى كل حال فقد أقبل السائس فى اليوم الرابع عشر والذي كان قد اختفى فى أحد الأماكن ، وحزمتنا أمتعتنا « للمرة الثانية » وسرنا ، وأثناء الطريق قال يوسف عمى : ألا تتذكر تلك الحكاية التى كان يحكيها « أحمد أفندى التبريزى » فى مصر ؟ قلت : أيه حكاية ؟ قال : حكى أحمد أفندى أنه ذات يوم مرض « قائد » أمير الخمسة ، فأرسل الخادم ليلاً إلى أحد الأطباء المشهورين ، لكى يأتى ليعالج الخان ، فنهض الطبيب ليلاً من الفراش الدافئ ليذهب إلى الخان المريض ، وبعد فحص المريض ، وإعداد الدواء ، خرج الطبيب ليعود إلى بيته ، فأمسك خادم جناب الخان بتلابيب الطبيب ليقول له : أعطنى الإنعام « البقشيش » ، فقال له الطبيب ، ياعزيزى : إننى نهضت من بيتى فى الليل الحالك حتى أتيت هنا ، وعالجت سيدك ، ولم يعطنى شيئاً مقابل مجيئى هنا ، فكيف أعطيك شيئاً ؟ فقال الساعى : لا تهذ . . ألم أقدم لك خدمة ؟ . . . فينبغى عليك أن تعطينى الإنعام ، فأضطر الطبيب إلى أن يعود إلى سيده الخان ، وقال الطبيب : أيها الخان إن الساعى يريد منى انعاما ، وأنا نفسى لم أخذ شيئاً منكم ، فقال الخان ( ياحكيم باشا هؤلاء سعاة ملاعين ، فاذهب لحالك . . وأعطه شيئاً وأرضه ) ؟ ، فحيثئذ أنت شمت « أحمد



أفندى « المسكين واعتبرته غير غيور ، والآن اتضح أن ذلك  
الرجل كان صادق الحديث ، واليوم رأيت بعينيك أنهم أرادوا  
منك بقشيشاً بنفس الطريقة .

فقلت اسكت . . . . . اصمت بالله عليك فإن هذا الالام  
كافية .

### مجل السباحة فى مدينة اردبيل

فى هذه المدينة الأهلون مشغولون بالحديث عن الملات ، ففى  
كل مكان وبيت هناك حديث عن المجتهد فلان وشيخ الإسلام كذا  
أو الإمام ، والبعض مشغول بمصارعة الثيران ، فكان يقول أحد  
الأشخاص إن سبب هزيمة ثور السيد ، هو أنه أثناء النطح كانت  
الشمس تشرق نحوه ، وما إلى ذلك من الأحاديث التافهة ،  
وهم غافلون تماماً عن الدنيا والآخرة ، وكذلك عن زيادة الثروة  
القومية ، وعن علم الاقتصاد وحب الوطن .

« أموات ولكنهم أحياء . . . . . أحياء ولكنهم  
أموات » (١)

(١) جعل الكاتب هذه المقولة خاتمة لكل مدينة تجول بها ، وتفقد أحوالها . .

واستقل ثلاثتنا العربة - وأنا والعم يوسف والسائس -  
واتجهنا نحو مدينة ( مراغة ) ، وكان الطقس قارس البرودة ،  
ووقت الغروب وصلنا قرية ( نر ) حيث تقع فى هذه الناحية  
« كتل ساين » ، وشيئاً فشيئاً سقط الثلج ، وأتينا إلى منزل أحد  
القرويين ، وطلبنا منزلاً ، فدلونا على مصطبة أسطبل المنزل ،  
فقلت : إن العيش يصعب هنا مع الحيوانات ، فأعطونا غرفة  
وسنعطيكم ما تريدونه من أجر ، فقال : ليس لدينا غير هذا  
المكان ، فاضطرننا إلى النزول هناك ، وعلى السائس بعض الماء  
فى إناء واعد شايا ، فأرتشفناه ، وطها دجاجة أيضاً فتناولناها فى  
العشاء ، وظل الثلج يسقط حتى الصباح ، وارتفع الجليد على  
الأرض عن نصف الذراع ، ولما لم أكن أرى الجليد فى مصر  
وهذه أول مرة أرى فيها الثلج فى « إيران » ، تعجبت كثيراً ، إذا  
كانت الطرق موصدة ، فمكثنا ذلك اليوم ، واتضح ليلة ذلك  
اليوم أن التجار لم يعثروا على الممر الذى يمرون عبره ، وذلك  
لكثرة الثلج والجليد عند قمة (كتل) ، فالتقوا بالبضائع التجارية ،  
وقفلوا راجعين ، وتخلف رجلان واللذان كان يسيران مع  
القوافل ، تخلفا مع عشر رؤوس من الدواب أو يزيد تحت الجليد  
فهلك الجميع .

**الخلاصة :** معلوم إننا عشنا والحيوانات ، أملاً فى تحسن  
الطقس ، وذلك لمدة أربعة عشر يوماً فى ذلك الإسطبل ، وأن

لسانى ليعجز عن وصف مدى ضيقى فى تلك المدة . وبقليل من الملاحظة ، سيدرك المطلعون المحترمون كم نحن عانىنا ؟

لأن الشخص الذى لم ير قط الثلج ولم يشعر ببرودة الجو ، وفى سفره يجلس دائماً فى الدرجة الأولى فى البواخر والقطارات ، ومنزله دوماً بأفضل الفنادق فى المدن المتحضرة ، معلوم أنه سيضيق ذرعاً بالإقامة الاضطرارية مدة أربعة عشر يوماً فى مثل هذا المكان « الإسطنبول » ، وحينما تقام سكة حديدية بين « أردبيل » و« مراغة » ، فإن هذه المسافة لن تستغرق أكثر من ست ساعات على أقصى حد ، . . . . . وأسفاه فإن هذا لم يحدث ولن يحدث؟<sup>(١)</sup> .

**الخلاصة :** بعد أربعة عشر يوماً من العيش مع الدواب ، وصلت قافلة من تلك الناحية ، وأخبرونا أن الطريق مفتوحة ، ويمكن المرور عبر « كتل » وعلى الفور ركبنا العربة وسرنا ، ووصلنا ( كتل ) مترجلين ، ويصعب وصف المعاناة التى عانىناها عند اجتيازنا للمرتفعات والمنخفضات ، وقد تعود الإيرانيون المساكن على مشاق هذا السفر « مضطرين » ، وإذا ما قدر لفرد من الدول الأجنبية أن يمر بتلك الطرق ، فإنه سوف يشفق على الإيرانيين ، ويعجب لغفلة الدولة وحكام المملكة ، وكما هو معلوم فإنه اليوم تقام السكك الحديدية ، وقد استفاد من هذه

(١) واضح أن الكاتب متشائم لأنه يحكم على المستقبل هذا الحكم .

النعم زنوج الحبشة والسودان ، كما استفاد منها أيضاً سكان أفريقيا البدائيون ، إلا الإيرانيون التعساء وحدهم ، فقد حرموا من تلك النعم مما لا تستطيع الدولة والشعب القدرة على ذلك ؟ ولماذا لا يعتمد الإيرانيون على سائر الشركات غير المغرضة <sup>(١)</sup> ، حتى يخلصوا عباد الله من ويلات تجشم كل هذه الطرق الوعرة ، ويحفظوا أرواح المواطنين الإيرانيين كل عام ، حتى لا يتردوا في مهالك هذه الأسفار ، وبالله يمكن القول أن أى شعب من الشعوب النامية فى أى منطقة من العالم ، لم يتعرض لمثل هذه الذلة التى يتعرض لها الإيرانيون ، وعلى سبيل المثال يقال : بالأمس تخلف عدد من قمة الجبل الفلانى ، أو صحراء الوادى الفلانى ، وهلك عشرة أشخاص ، وعشرون رأساً من الدواب من احدى القوافل ، بسبب الجليد ، ألا يظن المسئولون أن كل شخص من هؤلاء الأشخاص العشرة يعول خمسة أو ستة أشخاص ؟ ومن لا يحترق قلبه شفقةً على حال أولئك

( ١ ) وقعت ايران فريسة التنافس الاستعمارى بين روسيا وانجلترا ، وقد أثر هذا التنافس إلى حد كبير على سياسة إيران وتجارتهما ، ذلك إن الملوك القاجاريين وعلى رأسهم ناصر الدين شاه ، قد منحوا كثيراً من الامتيازات إلى هاتين الدولتين ، إذ أن هاتين الدولتين كان يمثلهما بعض الشركات والأشخاص ، فمن الأشخاص والشركات المغرضة التى حاولت أن تحصل على امتيازات تضر بل تستعمر الدولة الإيرانية نذكر : امتياز البارون جوليوس دو روتير عام ١٨٧٢ م ذلك الامتياز الذى يحتكر ايران لمدة سبعين عاماً ، فى مجال السكك الحديدية وخطوط التلغراف ، أنظر :

- Commerce Establishment : Iran Philosophy behind the Revolution, P. 31-32, ( London, 1971 ) .

الأشخاص ، فهو فى الذنب شريك أولئك المسئولين ، إذ أن نفوق الدواب ، سبب فى قلة ثروة البلاد ، والآن ينبغى أن نقول إن سقوط هذا الجليد وإغلاق الطرق لم يكونا فى موسمها ، لأن الشتاء لم يحن بعد ، لهذا فقد كانت مدة الأربعة عشر يوماً سبباً فى تأخرنا ، فالملجأ لله وحده أثناء السفر شتاء .

**الخلاصة :** أننا وصلنا قمة ( كتل ساين ) بعد أن تجشمتنا الكثير من المشاق خلال ست ساعات ، سرنا خمس ساعات أخرى تارة كنا مترجلين ، وتارة أخرى راكبين ، ودخلنا أحد المنازل ، وكان هذا المنزل من توابع قصبه « سراب » ، وتضم القصبه المذكورة قرى متتجة كبيرة ، ولكن ماء هذا المنزل وهواءه كانا سيئين للغاية ، وواصلنا سيرنا بعد قليل من الراحة ، ووصلنا فى اليوم الثالث منزل ( صارى قيه ) المشهور ، وقال السائس : هنا مقر إقامة موظفى جمرك ( مراغة ) ، وينبغى أن نقدم هنا الماء والشعير للجياذ ، ونريحها ساعتين وبعد ذلك نواصل السير ، ونزلنا بالقرب من حافة الماء الجارى وجلسنا ، ورأيت ثلاثة أشخاص وقد خرجوا من كوخ حقير يقبلون علينا ، وألقوا السلام وجلسوا ، واتضح أن هؤلاء موظفو الجمرك ، وسرعان ما رأينا قافلة من الجمال ، وقد وصلت ذلك المكان آتية من ناحية ( مراغة ) ، ونادى موظفو الجمرك على الجمال ، وقالوا له : أين التصريح ؟ ارنا إياه ، فاخرج الجمال قطعة من الورق كانت تحت إبطه ، وكان عُرِضَ هذه الورقة ثلاث أصابع وطولها خمسة

أصابع ، فأعطاهما إلى أحد موظفي الجمرك ، وأمعنت النظر ،  
فرأيت أن الرجل الذى هو موظف الجمرك لا يقرأ الورقة ، ولكنه  
ينظر إلى عدة أشكال على ظهر الورقة ، فتعجبت لهذا الأمر ،  
وبعد ذلك ورد على خاطرى المضمون الذى يقال فى الأشخاص  
الأمينين ، أن فلانا يقرأ بياض الورقة ولا يقرأ سوادها ، « فقلت  
أيها المواطن : أعطني تلك التذكرة لأرى ما كُتِبَ بها ، فقال :  
هذه ليست تذكرة ، ولكنها تصريح ، قلت لتكن ما تكون ،  
فأعطاني إياها ، فأخذتها منه وقرأتها ، فكان مضمونها هو : « تم  
التصريح بحمل ما يعادل ثلاثة وأربعين حملاً من الفواكه الجافة  
من أملاك الشخص الفلانى ، فالرجاء تيسير هذا الأمر » ، وكان  
قد وضع على ظهر الورقة أيضاً ثلاث وأربعون علامة تحمل شكل  
الحلقة (٥٥٥) ، وبعد ذلك اتضح أنه لا أحد من موظفي الجمرك  
الثلاثة هؤلاء ، يجيد القراءة والكتابة <sup>(١)</sup> ، فكان هذا الأمر باعثاً  
على حيرتى ، وأردت أن أتحدث فأقسم يوسف عمى أن أصمت ،  
إذ كان يخشى المسكين أن أتفوه بكلمة نائية أثناء الحديث معهم ،  
فتكون سبباً فى النزاع وعدم احترامهم إياى .

**الخلاصة :** أننى لم أتحدث من أجل يوسف عمى ، وسرنا  
فى طريقنا ، وأثناء الطريق سألت السائس : لماذا اختار مدير  
الجمرك هؤلاء الرجال الأمنيين للعمل فى الجمرك .

(١) فلننظر كيف أن الدولة الإيرانية لا تهتم بمصلحة الجمارك والتي تعتبر من أهم  
المرافق فى البلاد ، إذ أن من يعملون بها لا يجيدون القراءة والكتابة كما ذكر كاتبنا .



وكيف ترضى الدولة بهذا الأمر السيئ ، فقال : إن الجمر ك  
لا يأتى بدخل للدولة ، وقد استأجره المدير « السالف الذكر » ،  
وهو يعين كل من يريده موظفا ، وعلاوة على ذلك فكل المصالح  
الحكومية فى دولتنا مؤجرة كالجمارك ورئاسة العسس فى المدن وما  
إلى ذلك ، وكثيرا ما يكون مديرو هذه المصالح المؤجرة أميين ،  
ومن ثم فإنهم يستأجرون كاتباً لكى يقوم بأعمالهم ، وكل من هو  
ذو جاه وسلطان ، فإنه يفعل ما يشاء فى إلحاق الأذى بالرعية ،  
ولا يسأل إلا عن أجر المرفق الذى يستأجره من الدولة ، فقلت :  
هل جنت ياوالدى ، فهل تؤجر إدارة البوليس ؟ فقال : قسما  
بروحك الغالية غداً كل من دفع أكثر من مائة تومان كأجر فإنه  
سوف يكون رئيس العسس فى « أردبيل » بعد غد ، ولكننى لا  
أعرف ماذا تعنى وظيفة « مدير البوليس » ، قلت حسن جداً ،  
فمن أين يدفع أجر المرفق الذى أستأجره ؟ فقال : إنه يتقاضى من  
كل دكان شهرياً قرانا واحداً تحت اسم أجر « العسس » ، ولكنه  
لا يحصل على ربح وفير بجمعه هذه القرائات الشهرية ، إنما  
يحصل على الأموال من المتشاجرين المتناحرين ومن أبناء التجار ،  
فهو كل ليلة يلقي القبض على شخص أو شخصين ، بتهمة  
معاشرة البغايا ومعاقرة الخمر ، ولدى رئيس العسس سجن خاص  
به أغلال وسلاسل ، وهو غالباً ما يستولى على الأموال  
بإيذاء الرعية .

ولم يستطع يوسف عمى ضبط نفسه ، فقال : أيها العم العزيز هذا كاف ، ولتحدث عن شئ آخر غير هذا الحديث ، وقال لى أيضاً ، يا حضرة الببك لا يمكننى أن اصبر على شئ ، أريد أن ابوح به لك ، فيانور العين ، ينبغي عليك أن لاتحدث بهذا الحديث مع أمثال موظفى الجمرى أولئك ، وسط هذه الوديان والبيد ، فأخشى أن لا يحترمك أولئك الرجال السيئه أخلاقهم ، فحيث من يحمينا ويساعدنا ؟

**الخلاصة :** أن هذه المملكة يدير شئونها حكام عديدون ، فمنهم من يدير شئون السلطنة ، ومنهم من يدير شئون المدن ، ومنهم من يتولى إدارة الأقاليم ، فأية قيمة لاعتراضك على هذا النظام ؟ أو فى أى شى سيفيد نزاعك ؟ ، فقلت : إن الحق معك ياعم يوسف ، وأنا ايضا أعلم هذا ، ولكن ماذا أصنع فلا يمكننى أن أجلس ساكتا ، ولا أستطيع أن أغض الطرف عن كل هذه المساوئ والمفاسد ، فى حين أنك تريد أن تخرسنى . . . فماذا أفعل ؟ ، وبعد ثمانى ساعات من السير ، وصلنا حيث « تبة الله أكبر » ، ومن ذلك المكان تراءت لنا مدينة « مراغة » ، وانحدرنا من فوق التبة ، فرأينا مابين خمسة أو ستة أشخاص ، كانوا يجلسون على قارعة الطريق بغية التسول .

وكانت أعين هؤلاء المتسولين ، وأفواههم جميعاً بها أعوجاج ، كما أن أنوفهم وشفاههم مترهلة بشكل يثير الشفقة ،

ولا يستطيع المرء أن ينظر إلى وجوههم ، فأعطيتهم شيئاً من المال ومررنا ، وسألت السائس : من هؤلاء الأشخاص ؟ وماذا يفعلون هنا ؟ ، فقال : إنهم مصابون بمرض الجذام ، وقد طردوا من مساكنهم جميعاً ، حتى لا تتقل العدوى للآخرين ، وأسكنوهم هنا ، وقد أشار إلى جانب التبة ، فرأيت قرية صغيرة ، وقال : إن كل من يقطن هذا المكان مصاب بمرض الجذام ، ومنهم الأفراد الأغنياء وذوو الأملاك ، وكل يوم يجلس ما بين خمسة أو ستة أفراد من أولئك الفقراء في هذا المكان ، حيث يطلبون الصدقة من المسافرين الذين يمرون من هنا ، واحترق قلبي حزناً عندما سمعت بهذا الموضوع ، وانهمرت دموعي متأثراً به ، وقال السائس : لعلك لم تر أمثال هؤلاء في « أردبيل » ؟ قلت : كلا ، قال : هناك أمثال هؤلاء كثيرون ، وشعرت بمرارة شديدة ، وكان هذا أول الأحزان التي تصادفنا ، عند دخولنا مدينة « مراغة » .

**الخلاصة :** أننا غادرنا ذلك المكان ، ووصلنا بوابة المدينة علي جناح السرعة ، وكانت هناك قلعة بالمدينة ، وقلت للسائس : اليوم لاجدوى لتلك البوابات والقلاع بالنسبة للمدينة ، وقال السائس : لقد كانت هذه المدينة ذات قلعة منذ فترة من الوقت ، وشيئاً فشيئاً تسرب الخراب والدمار إلى هذه القلعة ومن ثم فقد نعت بواباتها ، إذ تمرد الشيخ عبيد الله الكردي حيث سيطرت عليه فكرة الغزو ، وهاجم قصبة ( میان دو آب ) بجموع

غفيرة من الأكراد ، وقتل عددا كثيرا من قاطنى ذلك المكان الضعفاء ، من الرجال والنساء دون رحمة أو شفقة ، وبعد ذلك يمم وجهه شطر هذه المدينة هو ومن معه من الرجال الذين كانوا يشبهون النمل والجراد فى كثرتهم وعددهم ، وفى ذلك الوقت حُصنت هذه البوابة تحصينات لا بأس بها ، فقلت لعل تلك المدينة لم يكن بها مستحفظ آنذاك ، قال : رحم الله والدك ، ومتى كان لهذه المدن مستحفظون ؟ ، إذ أخذ سكان المدينة أنفسهم يحولون دون تقدم العدو ، وقد أمتد دفاع أهل المدينة لمدة شهرين فحافظوا عليها ، وبعد ذلك بشهرين تولى « محمد حسين خان » ، قيادة المدينة ، فشنت جموع الأكراد .

**الخلاصة :** وصلنا المدينة ونزلنا بمنزل يعرف بـ (سراى بزرک) أو القصر الكبير ، ولما كنا فى حاجة لشيء من السجاد وبعد اللوازم ، قلت للبواب : نحن أغراب عن هذه الديار ، وليس معنا لوازم المنزل ، فاستأجر لنا من السوق شيئا كالسجاد وغير ذلك بأية قيمة لإقامتنا عدة أيام .

قال هنا الوضع يختلف ، إذ أنهم لا يؤجرون هذه الأشياء ، وإننى سأحضر لكما من بيتى كل ما هو لازم لكما ، وفى الحقيقة فقد أتى بكل ما يلزمنا ، وأعطيت السائس ما يستحقه من أجر الجياد ورحل ، ورأيت أن وقت الصلاة قد حان ، إذ أن الشمس قد أوشكت على الغروب . فجددت الوضوء على عجل وصليت وبعد ذلك ارتشفنا الشاي ، وتناولنا قليلاً من العشاء ونمنا .

ونظرا لعناء الطريق فقد استرحنا مدة خمسة أيام ، إذ إننا كنا قد سرنا مسافة طويلة ، استغرقت منا عشرين يوما ، واسترحنا تلك الليلة ونمنا ، وعندما استيقظنا كانت الشمس قد أشرقت ونحن نيام فقلت ليوسف عمي اشعل " السماور " حتى يغلى الماء واشتر لنا بعض الخبز والجبن لكي نسد رمقنا ببعض الطعام ، وذهب عمي يوسف ، وبعد فترة أحضر الخبز لكنه لم يأت بجبن ، وقال كل محال المدينة موصدة ، باستثناء المخبز . ولا أعلم ماذا يوافق اليوم ؟<sup>(١)</sup> وناديت أحد حمالي المنزل وسألته لماذا المحال مغلقة ؟ قال إنها موصدة لأن اليوم الجمعة ، فحمدت الله كثيراً ، لأن أهل هذه المدينة يحافظون على شريعة الإسلام ، فنعم الإسلام إسلام أهل هذه المدينة ، وارتشفنا الشاي مع الخبز بلا جنب ، وكان لأحد مواطني هذه المدينة غرفة في منزلنا ، ورأيت يفتح غرفته ، ولكنني بعد قليل من الوقت رأيت ما بين شخصين أو ثلاثة ، وقد أقبلوا عليه ، ونهض حيثذ وأغلق باب الحجرة لكي يذهبوا سويا ، وبعد عدة خطوات ، أخذوا يتحدثون فيما بينهم ، وتوقفوا دفعة واحدة ، وألقوا السلام ، وقال أحدهم في أدب جم : نريد أن نقترح عليكم اقتراحا ، فليتكم تقبلون ، قلت فلتأمر بما تريد . قال : واضح إنكم غرباء ولا تعلمون شيئا عن أحوال هذه المدينة ، وفي أيام الجمع تغلق

(١) هنا يتساءل العم يوسف : ماذا يوافق اليوم ، لأنه عندما كان في " أردبيل " ، كان هنا حظر على الجياد ومن ثم تعطل هو وإبراهيم بيك مدة أربعة عشر يوما .

جميع محال هذه المدينة ، لهذا ليس هناك أحد فى المدينة ، ونحن  
لا نريد أن تبقوا وحدكم فتشعرون بحالة الغربة هنا ، ونود أن  
تتكرموا وتضيفونا اليوم حتى نخرج من المدينة لتتفرج على ما بها ،  
ورأيت أن رغبتهم فى الضيافة خالصة وبلا رياء ، وقلت : لكم  
ما تريدون ، وإنى لاشكركم على حفاوتكم بالغريب ونهضنا  
نتحدث معا ، وخرجنا من بوابة المدينة ، ورأيت خارج البوابة  
هذه مجرى نهر كبير ، وكانت المياه تنحدر فى كل مكان من  
الارتفاع ، نحو الانخفاض من الأرض فى ثورة وهدير شديدين ،  
وكانت المياه ترتطم بصخور كبيرة كانت موجودة وسط مجرى  
النهر . وكان هدير المياه الذى يرتطم بالصخور ، يسمع ليلا من  
نصف فرسخ يبعد عن المدينة ، وسمعت على ضفتى النهر جلبة  
صاخبة ، فرأيت أهل المدينة وقد جلسوا جماعات من كل الأعمار  
متفرقين فى كل مكان .

وتجولت أكثر فرأيت أن هذه الجماعات أخذت تدخن النرجلية  
وترتشف الشاي ، ورأيت فى إحدى النواحي أوانى الأرز والحساء  
العامرة ، وألقى كثير من أفراد تلك الجماعات ملابسهم والتى  
بُطن معظمها بالجوخ الخالص ، ألقوا بها على الأشجار ، وجلس  
هؤلاء الأفراد فى حرية وراحة كاملتين ، وفى ناحية ثانية رأيت  
المغنيين والمطربين وفى ناحية ثالثة رأيت السباحة بالزوارق ، وفى  
ناحية رابعة رأيت أنواعا من اللعب واللهو ، فكل أهل المدينة  
مشغولون باللهو واللعب .



**الخلاصة :** أن هذا كان مشهدا طيبا جداً وفى نفس الوقت غريباً<sup>(١)</sup> ، وكانت كل جماعة نمر بها كانت تدعوا أصدقاءنا لمشاركتها بهجتها ومرحها قائلة : بسم الله تفضلوا " ، وكان أصدقاءنا يكتفون بقولهم صحبتكم السلامة ، وينصرفون ، وقد تم هذا التعارف بين الطرفين فى معظم المناطق التى مررنا بها ، ولعل هذا إحدى عادات المدينة ، وقد وصلنا حافة حوض صغير ، بعد أن طفنا بكل المشاهد السالفة الذكر وكان هناك عدد من الأفراد يجلسون بجوار ذلك الحوض ، ولما رأونا نهضوا وألقوا السلام ، وتعرفوا علينا بواسطة الأصدقاء ، وتم التعارف الرسمى بين الطرفين وسألونى : من أين أنت ؟ فقلت إننى إيرانى ، وأقيم خارج البلاد ، فقالوا : هناك كثير من المناطق الأخرى الجميلة غير تلك المنطقة ، وأهل هذه المنطقة أناس مهذبون ومخلصون ، فقلت : أليس هناك أطباء كثيرون ، ليعالجوا على الفور هذا النوع من الأمراض ، فقال أحدهم متعجباً ... وكيف ؟ قلت : يوجد فى هذه المنطقة نوع من الأمراض ، لا ينتشر فى بقية أنحاء العالم ، فقال : لعلنا نحن مرضى ، فقلت : نعم " هذا المرض " نوع من الجنون ، ورأيت أننى عكرت على بعضهم صفوفهم ، فقلت أيها السيد العزيز كل ما ترونيه فى وتسمعونه منى خذوه

(١) الذى رآه الكاتب ليس شيئاً غريباً ، كما قال : بل أن مارآه يتشر فى كل شواطئ العالم خاصة فى فصل الصيف .

بتوءدة وروية فأنا غريب عن هذه المدينة ، وأرجو منكم أن  
تجيئوني بصراحة ، فبالأمس دخلت مدينتكم ، فرأيت عند دخولي  
المدينة أن المصايين بمرض الجذام قد شكلوا قرية وتدركون أن  
أحوال أولئك المصايين تبعث على الشفقة ، وإنى لالجا إلى الله  
من رؤية أولئك ، وواضح أن هؤلاء المصايين من أهل المدينة  
وأخوانكم فى الدين ، إذن ينبغى عليكم فى بادئ الأمر أن  
تقيموا المستشفيات وتأخذوا بأيديهم من أجل معالجتهم ، إذ أن  
علاج المرض فى أول نشأته شىء سهل ، فينبغى عليكم أن  
تؤسسوا المصحات من أجل معالجة إخوانكم ومواطنيكم فى ذلك  
المكان ، فلا يعيشون فى تلك الحالة المضطربة مثل وحوش  
الصحراء فى الكهوف والجبال ، فى حين إنتى أظن أن الجماعات  
التى تلهو حول الماء الجارى الذى جعلوه مكانا للترهة والمشاهدة  
لا يقل عددها من الأحوال عن ثلاث آلاف جماعة ، وكل منها  
لاتنفق أقل من قران واحد فى اليوم ، إذن مجموع ما تنفقه هذه  
الجماعات هو ثلاثمائة تومان .

وبذا تنفق تلك الجماعات ما بين خمسة أو ستة آلاف تومان  
خلال ستة أشهر ( فصلى الربيع والخريف ) ، حيث تكونون فى  
هذين الفصلين ، منغمسين إلى آذانكم فى اللهو والعبث ،  
فيذهب هذا المبلغ أدراج الرياح ، والشئ العجيب إنكم لاتبالون  
بهذا الإسراف والبذخ ، وتعدون ذلك لذة ومتعة ، إنه لخسران  
مبين ، ورفع أحدهم رأسه فقال : " أخى الضيف لاتعكر علينا

صفو مجلسنا " ، وأخذ الآخرون يعضون شفاههم بأسنانهم ضيقا وغضبا ، وأنا بدورى تمالكت نفسى وصمت عن الحديث بعد تلك المقولة ، وقلت : إنى أشكركم ، فمثل هذه الموضوعات لا ينبغى طرحها في مثل هذا المجلس وغيرت حديثى ، وكانت الشمس قد أوشكت على الغروب ، فرأيت فجأة أغطية أوانى ( الكباب ) والأرز ، قد هلت من كل حذب وصبوب ، وبلغ صوت مغارف الطعام على ضفتى النهر اليمنى واليسرى عنان السماء ، ولم يُسمع هدير ماء النهر من تلك الضجة ، وقد بلغ طول هذا المتزة حوالى ميلين ، حيث كان يجلس أهل المدينة متجاورين ، وكشفت أطعمة الموائد من قبل الطرفين ، وجلست كل مجموعة على رأس مائدتها ، وشغلوا جميعها بتناول الطعام ، وبعد الإنتهاء من تناول الطعام إتجه كل فرد إلى ناحية ، وقد مكثوا على هذا الوضع حتى الغروب ، وشيئا فشيئا تفرقت صفوف المصطافين ، وعادوا إلى المدينة فى شكل جماعات ، وإتجهنا نحن بدورنا إلى منزلنا ، وبعد الوصول إلى المنزل ، بحثنا فى هذا الأمر ، فأتضح لنا أن أهل هذه المدينة قد تعودوا على هذه العادة منذ زمن بعيد ، لم يفكروا فى رواج تجارة مدينتهم ، نظرا لأن أفكارهم محدودة وعقولهم قاصرة ، فهم هكذا يقضون أعمارهم على هذا النحو من الغفلة ، وربما كان أهل المدينة جميعهم مشغولين منذ يوم الخميس بغية الإعداد لهذه التزهة فى يوم الجمعة ، وهذا كله إن دل على شئ فإنما يدل على الغفلة والبطالة ، وتمر أيضاً أيام السبت فى التحدث

عن خروجهم وتجوّالهم فى يوم الجمعة قائلين : أن المجموعة  
الفلانية " هكذا أتت ، وهكذا رحلت " ، ..... " وكان  
أيضاً هناك الشخص الفلانى ، وكنا طبخنا ( كباباً ) الطبخة  
الفلانية ، ولم يطبخ إلا أولئك وحدهم طبخة الأرز الفلانية ،  
وفى الصباح ذهبنا وقت الظهيرة إلى " مسجد الجمعة " والذى  
كان يقع بالقرب من منزل القافلة وهو قريب أيضاً من منزلنا ،  
وذلك لكى نصلى هناك وهذا المسجد بناء ذو دور واحد ، حتى  
أن دوره كله مدرسة للتلاميذ ، ويوجد وسط الفناء ينبوع ماء  
صاف ، وجددنا وضوءنا ودخلنا المسجد ورأيت أنهم قد خزّنوا فى  
أحد أركان المسجد العالى بطيخاً ، فبدت الدنيا سوداء أمام ناظرى  
لمشاهدتى هذا الوضع ، ونظرت إلى ناحية أخرى فرأيت شخصين  
جالسين ، ودنوت من أحدهما ، فسألته : إيهما العم لمن هذا  
البطيخ ؟ قال : لى ، وسألته لمن هذا المكان (١) ؟

قال : لعلك أيها المؤمن ألا ترى أن هذا المكان مسجد وليس  
دكاناً ؟ ثم أين ذلك الدكان الذى هو بهذه الضخامة ؟ فقلت لمن  
المسجد ؟ ، فقال : لا يملك المسجد أحد من الناس ، فهو بيت  
الله ، فقلت كم من الأجر تدفع ؟ قال : لا شئ ، قلت هل يرضى  
الله أن تخزن البطيخ دون أجر فى هذا المكان الطاهر المقدس  
لتبيعه ؟ فقال : وأى شئ فى هذا ؟ قلت : أيها العم ألا تخشى الله ؟

(١) أن الكاتب يدرك أن ما يسأله عنه هو مسجد وليس دكاناً ، ولكنه يسأله من باب  
التهكم والسخرية .

فقد جعل الله هذا المكان مقراً لعبادته ، واحترامه أمر واجب على كل فرد ، إذ ينبغي على كل مسلم أن يدخل هذا المكان وفقاً لقواعد معينة ، وعند خروجه منه عليه أن يلتزم بنفس هذه القواعد ، فى حين إنكم اليوم تجعلون منه مخزناً للبطخ ، فى مثل هذا العمل هتك لحرمة المسجد والمذهب والشرعة ، فهل رأيت مرة أو سمعت أن المسيحيين يبيعون البطخ فى كنائسهم ؟ إلا تخجل من الله ورسوله ؟ فقد جعل الإسلام هذا المكان لى يجتمع فيه عامة المسلمين ليوحدوا فيه الخالق سبحانه وتعالى ، ولكى يقيموا الصلوات ، ويتعبدوا فيه ، فيعظ علماء الإسلام الناس ويسدوا لهم النصائح ، وليفقهوهم فى شئونهم الدينية العامة ، ويطلبوا المغفرة من الله من أجل أموات المسلمين ، ويدعوا الله لى يزيد فى قوة الإسلام ، وأن ينصر خليفة المسلمين على أعداء الدين ، وأن يوفق المسلمين ويوحد صفوفهم فى شأن إعلاء كلمة الله ، وأن يجنبهم النفاق والشقاق فإما لا يوجد عالم فى مدينتكم أو أن علماء هذه المدينة لا يخشون الله ، فلماذا لا يمنع هؤلاء العلماء هذه الأوضاع المؤسفة ، والتى فيها هتك لقدسية الإسلام ، وخلاف مذهبى بين المسلمين ، فبماذا أذن سيجيبون على الله يوم البعث والحساب ؟ هل سيقولون : يارب من أين لنا بالدواء لمثل هذه الأمراض المستعصية ؟ ولا أعلم أننى فى يوم من الأيام شغلت بالتفكير فى أمر جلل كما شغلت فى مثل هذا اليوم الأسود ، إذ كنت أحس بألم جديد فى كل

خطوة أخطوها ، فأى إسلام هذا الإسلام . . . . " آه لو كان بعد  
اليوم غد " ؟؟

وتجهم الشيخ الجاهل من شكواى ، وقال للاعتذار عن هذا  
الخطأ وإرضائى ، ايها السيد إن هذا الوضع لا يدوم ، وخلال هذا  
العام ، وخلال هذا العام سأترك البطيخ فى خلال شهر  
أو شهرين .

**الخلاصة :** يتضح مما سمعته أن بهذه المدينة أكثر من مائة  
مسجد وتكية وهذه المساجد والتكايا مفتوحة فقط فى شهر  
" المحرم " حيث أيام التعزية فى حضرة سيد الشهداء " كرم الله  
وجهه " ، وتنظف هذه المساجد والتكايا فى شهر المحرم فقط ،  
وتقام بها ضروب التعزية ، ويصاحب هذا فى كل مكان . إطعام  
الفقراء والمساكين .

وينبرى العلماء الأعلام ، وذاكرو مصائب الإمام " كرم الله  
وجهه " ، لنصح الناس بالمواعظ الحسنة ، وذكر النوائب التى  
لحقت بآل بيت النبى (ص) وهذا أمر مألوف جداً ومستحب ،  
لكنهم " الإيرانيين " يغلقون أبواب هذه المساجد والتكايا فى  
الأشهر الأحد عشر المتبقية ، وفى هذه الفترة يحط التراب والغبار  
على المساجد والتكايا مما يسئ إلى مظهرها ، وهذا فى الحقيقة أمر  
باعث على مزيد من الحزن والأسى ، وقد يقول قائل إن السبب  
فى هذا الوضع المؤسف هو علماء المدينة ، ويلقى آخر التبعة على



حاكم المدينة ، وتقول جماعة ثالثة إن هذا ناتج عن أخطاء الشعب ، ولا يمكن للعلماء والحكام أن يجبروا الناس على دخول المساجد ، وينبغي عليهم أنفسهم ( أفراد الشعب ) أن يحيا الإسلام ويعتبروا أنفسهم أصحاب هذه المساجد ، وينبغي عليهم أن يتجمعوا فى المساجد ليصلوا جماعة بدلا من الصلاة التى يصلونها فى البيت فرادى ، وبذلك يحصلون على ثواب الجماعة ، والآن من الذى يلقى بتبعة ذلك عليهم ؟ أقول أنا بنفسى إن الثلاثة آثمون " العالم والحاكم والشعب " ، ولهذا فهم غافلون عن وظائفهم وواجباتهم ، وهم يغفلون أيضاً عن مزايا المحافظة على حقوق الوطن وحبه ، وكذا الحقوق الإنسانية ، فلا تحترم الطبقة الجليلة من العلماء بلادهم ، ولا يوقر الحكام الرعية ، ولا تطيع الرعية أوامر الحكومة ، ومن ثم لا يمكن إصلاح هذا الوضع .

**الخلاصة :** لا يوجد فى هذه المدينة شىء من الأبنية والآثار الهامة ، يمكن ذكرها ، باستثناء بعض الآثار والتى تعود إلى عصر " هولاكو " وغير ذلك ، والتى عفا عليها الزمن نظرا لعدم الاهتمام بها ورعايتها ، فلم يتبق منها اليوم سوى مخزون الأرض . ويمكن القول عموما ، إن مدينة " مراغة " هى أول مدينة متجه فى آذربيجان ، وضواحي آذربيجان زاخرة بالحدائق والبساتين التى تمتد حتى الفرسخين من الجهات الأربع للمدينة .

والمحصول الرئيسى الذى تزرعه مدينة " مراغة " أنواع شتى من العنب والفواكه الأخرى ، وهى تحصل على أموال كثيرة نظير ما تصدره سنوياً من هذه المنتجات ، وأساس التجارة فى المدينة يقوم على المنتجات السالفة الذكر ، ولكن للأسف فإن السكان حتى الآن لم يشرعوا فى زيادة البساتين ، ولم يتبعوا الوسائل المتقدمة للنهوض بالمنتجات الزراعية ، وهى على حالها منذ تركها أجدادهم ، وهم غافلون تماماً عن اتباع العلم فى الزراعة والحراثة ، وأخيراً تنبه عدد من الأرمن سكان المدينة ، وكذلك الروس إلى هذا الأمر ، فى غفلة من أهالى هذه المدينة ، وقد أتوا إلى تلك المدينة بقليل من رأس المال وفى أقل مدة زمنية أصبحوا يمتلكون الكروورات وذلك من الإتجار فى الفواكه ، وصار أصحاب الأملاك فى المدينة ، أجراء عندهم ( عند الأرمن والروس ) .

والأسوأ من كل هذا ، هو شيوع مرض مستعصى بين المواطنين فى تلك المنطقة ، ألا وهو تعاطى الأفيون ، وقد أبتلى كثير من الأفراد من كل طبقة بذلك المرض المستعصى ، كما أرتد بعض الأفراد غير الغيورين عن الإسلام ، وذلك للتخلص من فروض الصلاة والحج والزكاة لدين الإسلام الحنيف ، وأتبع أولئك المرتدون مذهب ( البائية )<sup>(١)</sup> بدلاً من الإسلام ، ذلك المذهب

(١) تعرضت لهذه الحركة بالتفصيل فى الخلفية الاجتماعية .

الذى هو الشرك المحض ، وتقديس العجل ، فخسروا دنياهم  
وآخرتهم معتقدين إن الإسلام هو السبب الرئيسى وراء كل أنواع  
الخراب كالبطالة وعدم المعرفة والجهل ، ولو لم يجد المرء إلا لقمة  
الخبز وقسطاً من العلم ، فإنه لا يمكن أن يسير وراء هذه الجماعة  
( البابية ) والى هدفها تحقيق أغراضهم الشخصية وتخريب  
العالم ، وفى هذا المضمار قلما يفعل أولئك الحكام الأخساء  
الظلمة والعلماء الذين يتظاهرون بالعلم ، أي الذين لا يعملون  
بعلمهم ويفعلون المنكرات وقلما يفعلون الخير . وكما  
هو معلوم ، فقد تصور متزعم هذه الطائفة إحياء مذهب  
ملاحدة ( آلموت )<sup>(١)</sup> ، وقد ساعده فى ذلك ظلم الحكام وغفلة  
المواطنين وجهلهم باتباعهم الخرافات والأساطير ، وفى بادئ الأمر  
أختار ( الباب ) للدعوة لمذهبه العوام من المواطنين ، وبعد ذلك  
عمل على التقتيل فى الناس ، فحرب البيوت وراجت دعوته أكثر  
من ذى قبل ، وصاح دون خجل كثور السامرى<sup>(٢)</sup> قائلاً :

( أنا ريكم الأعلى )<sup>(٣)</sup> . ولسوء حظه فقد غفل عن الوطن  
وحبه وكذا حقوق المواطنين وذلك من أجل إرضاء أهواء نفسه  
ومعاداته لبعض الظلمة ، وبث بذور التفرقة بين الناس ، ولحرصه

(١) آلموت : عبارة عن قلعة جبلية وهى تعنى ( ملجأ العقبان ) وتقع فى ناحية ( رودبار )  
على مسافة ستين فرسخاً إلى الشمال من قزوین ، وكان يتحصن بهذه القلعة فرقة الحشاشين  
( القرن الحادى عشر الميلادى ) أنظر : تاريخ الشعوب الإسلامية : كارل بروكلمان : ترجمة :  
نية أمين فارس ، ومنير البعلبكي : ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، الطبعة التاسعة ، بيروت ١٩٨١ م .

(٢) السامرى رجل من بنى اسرائيل معاصر لموسى (ع) .

(٣) النارات / ٢٤ .

الشديد على طلب الرئاسة ظن أن فى تفرقة مواطنى المدينة والتي هى موطنه ومدفن أجداده ، ظن أن فى هذا قد حقق أغراضه القدرة ، وبدأ فى تحقيق سعادته ، وذلك بحرق مواطنيه فى النار التى كان قد أشعلها بنفسه ، ومع التفوق النسبى الذى حققه فى بادئ الأمر ، إلا أنه كان دائماً بسبب هذا الأمر فى عذاب وقد عجز عن علاجه ، فانبهرى لدعوة الله من خلال الهيكل المنحوس ، والذى كان ينفر الشيطان من رؤيته ، وأطلق على نفسه " الجمال المبارك " والأعجب من كل ذلك ، أنه سمع من رجال ثقات أنه كان يقول لأتباعه وخاصته متفاخراً إننى لعبت فى " إيران " دوراً تمثلياً وصنعت لعبة عجيبة فإن خسرت ولم تجد هذه اللعبة فقد لعبتها وكسبت الرهان ، وأحسن تنفيذها ، وكان ناصر الدين شاه يقتل الإيرانيين بتهمة إتباع " البابية " .

وهكذا يتصور ( ناصر الدين شاه ) إنه قتل الباب والواقع إنه قتل الإيرانيين ، فهل سيعود علينا شئ من وراء ذلك العايب ( الباب ) ؟ وبالله عليكم أن تنظروا إلى قسوة القلب ، فلعل هذا الحيوان ( الباب ) رجل أمريكى أو أفريقى ، ولعله أيضاً مخلوق من نار وسائر الإيرانيين من طين ، إذ إنه يقتل مواطنيه ، ويتباهى بتلك الفعلة النكراء ، وحينما يمعن المرء النظر فى كتبه المذهبية فإنه يرى عددا من الألفاظ المبهمة العربية والفارسية على السواء مثل " أمر أعظم " أى الأمر الأعظم ، و " قلم عز " وجمال قدم " أى جمال القدم ، و " هياكل مقدسة " ، أى الهياكل المقدسة ،

والأغصان والأفنان ، " وغصن أعظم " أى الغصن الأعظم ،  
ولا يوجد في كتبه المذهبية سوى هذه الكلمات ، ولما علم أتباع  
الباب بفساد أحكام مذهبهم فقد اضطروا إلى تغييرها ، واليوم  
نرى أن مذهب البابية عبارة عن خليط من مذهب زراوشت  
والمسيحية والمزدكية ( نسبة إلى مزدك ) ومذاهب الملاحدة والتي  
أساسها طلب الرئاسة والعلمانية والاباحة ، وفى إيطاليا نصب  
الإيطاليون تمثال " كولومبس " مكتشف أمريكا ، والذي يكن له  
الجميع كل احترام فى كثير من المدن ، وقد كُتب تحته التمثال  
المقدس ، وقد اعتبره الإيطاليون رمزا لتقديس الوطن ، ومن ثم  
فإنهم يمدحونه ، وقد أطلق هذا السيد ( الباب ) على نفسه هذا  
اللقب الرفيع أى رئيس البابية ، وذلك لتخريبه بلاده و سفك دماء  
مواطنيه ، وبعد ذلك انتبز مكاناً قصياً فى إحدى البلاد الأجنبية ،  
وراح يومياً يستولى على أموال مواطنيه السذج مستخدماً فى ذلك  
الحيل والمكر والخداع ، وذلك تحت اسم الصدقات والندور ، فى  
حين راح يصدق على الموظفين الأجانب المال الكثير ، فربما يمكنه  
بذلك ، أن يستريح نفسياً ، ( فانظر إلى الاختلاف من أين الى  
أين ؟ ) إذ يظن هذا الشخص ( العزيز ) أن بتلفيقه بعض  
الكلمات العريية المسجوعة والمقفاة ، إنه أتى بكتاب من الكتب  
الساوية المنزلة وقد أنزل عليه ، والمسكين غافل عن هذا :

" ليس كل من كتب بعض الكلمات المسجوعة والمقفاة " (١)

" قد أقام سلطنة ومذهباً للسرور والسعادة "

**الخلاصة :** أن هذا كله ، دليل على خيبة أمل إيران والإيرانيين ، وكنت كل يوم فى " مصر " أسمع أحاديث مفصلة عن أحوالهم ، فهذا المسكين لا يستريح فى مكان مطمئن القلب ، فهو مثل عقرب ساعته ، وعندما يحدث تغيير فى الموظفين هناك ، أو كان يأتى حاكم جديد ، فإن هؤلاء ( الموظفين الإيرانيين ) لا يستريحون لفترة من الوقت ، حتى يقدموا الهدايا والرشاوى ، وإذا ما تباطأوا قليلا ، فى تقديم الرشاوى والهدايا ، فإنه بشكل أو بآخر ، تحدد أسماء المتباطئين وتؤخذ الأموال منهم قسرا ، على الرغم من أنهم فى الظاهر يطلقون على " هذا الحاكم " اسم " شيخ العجم " ، ويعملون فى الباطن جيدا حقيقة هذا المذهب الذى يعتنقه لكنهم لا يحاولون كشف حقيقة هذا المذهب ، طالما أنه يأتى بربح للموظفين ، وذكر هذه التفاصيل ، تخرج عن موضوع السياحة ، وليس لى شأن بدين الفرد ، ومذهبه فالله عالم وحدة بالضمائر .

(١) نه هرکه طرف کُله کج نهاد وتُندنشست

کُلا هنادى وآین سرورى داند

کُله مخففة من کلاه = قبعة أو قلنسوة .

کج نهادن : يعوج - تند = سریع .



" فان كفرت جميع الكائنات " ..... " لن يحط الغبار على طرف كبريائه<sup>(١)</sup> ولكن " المرض " المستعصى لتقديس الوطن قد دفعنى إلى القول : لماذا ينشر خواص مواطنينا مثل هذه التفرقة بين أفراد الشعب بسبب طمع النفس ، والوصول إلى الرئاسة ، وهؤلاء الخواص قلة من الأفراد الجهلة والذين لا يميزون الطيب من الخبيث ، وواضح أن سبب كل هذه الأوضاع السيئة ، هو غفلة الحكام وعلماء البلاد .

**الخلاصة:** أن قلبى قد سئم التجوال والطواف فى "مراغة" ، وقد جعلنى وصفها المضطرب أكثر اضطرابا ، وكما تحدثنا عن أحوال سكان المدينة ، إنهم قانعون من الدنيا بالقوت اليومى ، ولا يريدون أن يتقدموا خطوة واحدة نحو الأمام عن تلك النقطة التى وقفوا عندها ، وقد استقر كل من الخمول والبلاده فى نفوسهم فأنت ترى مواطنا قد هجر البيت بسبب الابتلاء بمرض الجذام ، وترى فى نفس الوقت أخا هذا المواطن راح يلهو على شاطئ النهر فى بهجه وسرور مع الآخرين .

كما ابتلى بعض المواطنين بمرض آخر مستعص ، ألا وهو تعاطى الأفيون والذى هو أسوأ من مرض الجذام ، والجميع غافلون عن هذا الأمر وهو أن " حب الوطن من الإيمان " ، وأنزوت جماعة أخرى فى زاوية من الزاويا ، وأطلق أفراد هذه

(١) كَرَّ جملة كائنات كافر كَرَّد

بر/دا من / كبرياش نشيند كَرْد

الجماعة على أنفسهم اسم " العارفين " ، وذلك بتأويل الكلام ،  
وقد عبروا عن كلام أئمة الدين المبين والذي هو النصيحة العامة  
والإدراك العام ، عبروا عنه بتأويلات صوفية معقدة والتي هي أس  
خراب كل شئ في الحياة ، وانبروا يقولون : يا بني إن المقصود  
بهذا الوطن الظاهر هذا ، وليس ذلك الوطن " مصر ؛ والعراق  
والشام " ، فذلك الوطن مدينة ليس لها اسم ، والغرض من  
الوطن غرض معنوى ألا وهو الآخرة ، وعلى هذا النحو فإنهم قد  
فهموا كل شئ خطأ ويتحدثون عن كل شئ حديثاً خاطئاً ، فلم  
يتحدث الرسول الكريم (ص) عن الدرع حول جسده الطاهر من  
أجل المحافظة على الوطن وحب الوطن الأخرى ، ولم يتمنطق  
جسده الطاهر بالسيف بغية حب الوطن الأخرى ، وفي يوم فتح  
مكة لم يخطب ذلك الخطاب المقدس والذي يعنى " حب الوطن  
من الإيمان " ليتحدث به عن حب الوطن الأخرى أيضاً ، وقسما  
بالله الواحد الأحد إنه كان يخطب بفضاء مكة الحقيقى ، بين  
أبوابها وجدرانها والتي هي الوطن الأسمى ومقسط رأس حضرة  
النبي (ﷺ) وإنه لدليل واضح أن تلك التربة ( مكة ) قد  
الهمته إلهاماً ، والجدير بالذكر أن المسلمين الغيورين الأطهار  
يتعلمون معنى حب الوطن من نبع الفيض الإلهى ، ويعلمون أن  
الوطن الذى هم مكلفون بحببه كالأرض المقدسة التى  
تسرعرعوا بها ، وإنه لأمر واجب وفرض عين علينا أن نحافظ  
على نفس هذا الفضاء والباب والجدار الطينى ، إذ أن هذه الأرض  
سكن أبنائنا وهى شرفنا ومدفن أجدادنا ومحل نشأتنا وترعرعنا .

## مجلد السیاحۃ فی مراغة

وقد ذكر مجمل من تفصیل الحديث عن وضع هذه المدينة ، وكما هو معلوم أن أوضاع المدن الإيرانية متشابهة ، فليس هناك أثر في أي مكان لرقى التجارة ، وليس هناك مصالح مشتركة ذات فائدة للدولة والشعب ، ولا أحد يحب وطنه أو مواطنيه ، كما أن سكان هذه المدينة أيضاً غافلون عن أي نوع من الرقى والتحضر ، سواء الوضع مناهم أو الشريف ، الضعيف منهم أو القوى .

"أموات ولكنهم أحياء . . . . . أحياء ولكنهم أموات"

**الخلاصة :** أننا تحركنا وقت الظهر من هناك نحو "بناب"<sup>(١)</sup> ، ووصلنا هناك عصرا ، ونزلنا بإحدى الحجرات في أحد المنازل والذي خصص للمسافرين ، وبعد أداء الصلاة وارتشاف الشاي ذهبنا من العم يوسف للتجول في (قصبة بناب) ، ولهذه القصبة سوق ومفرق طرق ، ولكن لا يوجد بها سرادقات من أجل إقامة التجار ، وخرجنا من السوق ، وعلى الرغم من أن هذه القصبة من أعمال "مراغة" لكنها مكان كبير وقصبة عظيمة ، وقد شُيدت منازلها من الطوب اللبن ، ولم يشيد بها جدار منزل واحد بغير الطوب اللبن ، ولا يرى أي بناء من الأبنية

(١) - بناب : اسم قصبة جنوب شرق إيران .

- دهخدا : لغت نامه ، ج ١٠ ، شماره حرف (ب) ، ص ٢٩٢ .

الخراسانية ، وعماد ثروة السكان ومعيشتهم هناك مثل مدينة  
" مراغة " ، أى من الإتجار فى فواكه البساتين ، وليس لديهم ماء  
جار ، إذ يسقون جميع البساتين من الآبار .

ومع ذلك فسكانها حرفيون وقانون بالقليل ، وليسوا  
مُسرفين أو مبذرين ويقال إنهم أمناء لأنه لا يرى بينهم أى أثر  
للخسارة والإفلاس ، ومع هذا فأغلب المواطنين جهلة لا يقرأون  
ولا يكتبون وأيضاً فهم ليسوا بالفاسدة أخلاقهم وهم ليسوا  
أشراراً ، كما أنهم يتميزون بخصال حميدة كالكرم  
والحفاوة بالغريب .

كما أننى سمعت أحاديث مفصلة خارج إيران عن الخصال  
الحميدة والتقوى وحب الوطن ، تلك الخصال المتوفرة فى شخص  
" السيد على القاضى " فى هذا المكان .

وقد رأيت أن جميع الناس هنا راضون عنه ، ويتفق جميع  
المواطنين هنا على ذكر اسم العالم الجليل بالخير ، ومما كان يحكى  
أنهم يذكرون فساد " الشيخ عبيد الله " وتمرده ، والذي سيحشره  
ربه مع " عبيد الله بن زياد " ولما لم يكن هذا الشخص عظيماً ،  
فإن الأكراد والأشرار الذين ناصرُوا هذا الشيخ الضال الشرير قد  
خربوا هذه القصة أيضاً مثل ( مياندواب ) وجعلوا من السكان  
طعمة السيف والظلم ، والحمد لله إنه بعث هذا الرجل الغيور  
للناس للتصدى لتلك الشرذمة الشياطين والذين كانوا فى كثرتهم  
كالجراد والنمل ، وسعى هو بنفسه برجولة حتى يحول دون

دخول تلك المنطقة من القصبة ، فليحشره ربه مع " النبي " (عليه السلام) وآل بيت النبي الأطهار وسمعت أنه لقب بلقب سيف العلماء من قبل الدولة في مقابل هذه الخدمة ، وكان صاحبه جديرا بهذا اللقب في " إيران " ، وبعد ذلك تعلم أن أحد العلماء في آذربيجان قد سلك مسلكا مغايرا لهذا العالم الغيور ، وفتح أبواب المدينة الكبيرة على مصاريعها دون مقاومة مستسلما للعدو ، فهذا فتح الباب للعدو ، وذاك أوصد الباب أمام العدو ، وسيقرأ على مر الأيام موقف هذين الشخصين ، ولكن سيذكر هذا بسوء وذاك بخير .

**الخلاصة :** أننا عدنا إلى المنزل بعد قليل من التجوال ، وأثناء العبور من الميدان رأيت حشدا من الناس وقد تجمعوا في مكان واحد ، وأخذوا يرددون في صوت عال ... ( يا على ) ، فقلت لنذهب يا عم يوسف لنرى ما هو الخبر في تلك الناحية ، وتقدمنا أكثر ، فرأينا جمعا غفيرا من السوقة والقرويين وقد جلسوا في هيئة حلقة ، وكان وسط هذه الحلقة اثنان من الدراويش وطفلان من أطفالهما ، وكانوا جميعا مشغولين ببعض الأذكار والأوراد ، وقال أحد الدراويش : فليقل كل شخص منكم ( يا على ) ثلاث مرات أعلى من هذه الصيحة " مولاي على في قبرة المؤنس " وقد وضع يده على فمه " وصاح في صوت عال يا على " ، وصاح كل الحاضرين وراءه ، وكان هؤلاء

الحاضرون يقتربون من المائتين وقد صاحوا جميعاً يقلدونه فى صيحة واحد " يا على " ، ورأيت بعد ذلك أن الدرويش قد أخرج من تحت عباءته لفافتين وأخذ تارة يدمدم دمدمة الساحر ، وتارة ثانية راح يفتح اللفائف الأخرى ، وخرجت حيات ذات ألوان مختلفة أبرزها اللونان الأحمر والأسود ، خرجت من إحدى اللفائف وأخذ يترنم بنغمات مختلفة .

وكان يقول : " دمدمت فأخرجى بحق الحيدر ممزق الصفوف ، أخرجى أيتها الحلوة . . . أيتها الحلوة . . . أيتها الحية العظيمة ، وهكذا أخذ يردد هذه الكلمات كثيراً ، بلا توقف حتى كان يرغبى ويزيد وفى تلك الأثناء قال للناس دفعة واحدة : لترفعوا أيديكم جميعاً ، وأطاعه الجميع فرفعوا أيديهم حتى أنا نفسى وعمى يوسف رفعنا أيدينا ، ثم قال بعد قراءة بعض الأدعية ، ضعوا أيديكم فى جيوبكم ، ففعل الجميع وفعلنا نحن بدورنا أيضاً ، ودعا ببعض الأدعية وقال : ألقوا كل ما بأيديكم فى "ساحة المولى " ، فرأيت النقود السوداء من فئة نصف الشاهى والشاهى تتساقط كالطر من الجهات الأربع فى الحلقة أو وسط ساحة المولى ، وأنا أيضاً ألقيت نصف قران ، ورأيت يوسف عمى يضحك ، ولكنه ألقى هو نفسه قطعة عمله صغيرة أى عباسيا واحدا ، وهكذا أخاف الرجل الدرويش ، هؤلاء العوام من الناس بشكل مثير ، وهكذا ظن العوام أنه إن لم يفعلوا ما



يأمرهم به الساحر ويلقوا النقود فإن دنياهم وأخراهم لن تستقيما ،  
وبعد جمع المال الوفير بهذه اللعبة وتلك الحيلة أخرج من جيوب  
الناس ما يقرب من مائة ورقة من الورق المطبوع ، والذي  
كان قد كتب عليه بعض الأشكال والأدعية وقال : هذا الاسم  
الأعظم ولا يمسه " ولد الزنا " ، وهذه ميزة من ميزات الاسم  
الأعظم ، وكل من يذهب هو بلا شك ابن حرام ، ولن أظهره  
لأحد منكم إلا لابن الحلال ، ولم يغادر المساكن العوام مكان  
العرض حتى لا يقول عنهم الحاضرون إنهم أبناء حرام ، وقال  
صبي الدرويش أيها الدرويش هؤلاء جميعهم شيعة خلص ،  
ومحبو آل الرسول ، والحمد لله أنه لا يوجد بينهم ابن حرام  
أو منافق ، فأظهر للناس الاسم الأعظم ولا تحرمهم من فيضه ،  
فأحضر صحيفة ، ورأيت من بعد صورة ذي الفقار<sup>(١)</sup> وقال إن  
قيمة كل ورقة من هذه الأوراق يزيد ثمنها على مال العالم ،  
ولكنني سأبيع كل واحدة منها بألف تومان ، وقال رفيقه  
الدرويش : لا يا حاجي درویش هذا كثير وليس في وسع جميع  
الأفراد القدرة على ذلك ، فينبغي أن تترفق بهم ، لهذا فقد  
انخفض ثمن كل ورقة من ألف تومان إلى خمسمائة ، ومن  
خمسمائة إلى مائة تومان ، ومن مائة تومان إلى تومان واحد ،  
وشيئاً فشيئاً استقر ثمن تلك " الهدية " على شاهين من النقود ،  
وباع كل هذه الأوراق الملونة ، وكان يتعهد أن يكون لدى كل

(١) ذو الفقار هو اسم سيف على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

شخص هذا الدعاء حتى يمكنه أن يسد ديونه آخر العام ، ويكون نصيبه زيارة الرسول وسائر الأماكن المقدسة .

وعلاوة على هذا فإذا ما رغب المرء في حاجة شرعية فإنها ستلبى له ، وكل بيت يحفظ فيه هذا الدعاء ، فإن ملائكة الصباح والمساء سيزورونه ، وإذا لُف هذا الدعاء في كفن شخص ، فإنه سيُبعد عنه الملائكة الخلاظ الشداد .

**الخلاصة :** أن هذين الدرويشين الشيطانين قد عطلا العوام المساكين ، مدة ساعتين أو ثلاث عن أرزاقهم وأعمالهم تحت حرارة الشمس الحارقة ، واستوليا على كل ما يريدانه منهم ، فأحترق قلبي أشد حرقه لحال أولئك الناس البسطاء السذج ، وقلت لنفسي : سبحان الله إنه لعالم عجيب ، عجباً هل كل كبراء هذه المدينة عمى وصم؟؟ أم لا يعرفون معنى الحكومة ؟ فالغرض من تشكيل الحكومة ، ليس إلا هذا وهو أن نحمى هؤلاء المساكين العوام ، من شرور هؤلاء الغيلان الأشرار .

**الخلاصة :** أن أحزاني وآلامي القديمة قد تجددت ، وقلت ليوسف عمى : هذا كاف وقد سئمتنا السياحة هنا ، ولنذهب إلي المنزل ، فذهبنا ، وبعد الصلاة وتناول العشاء ، نمنا واستيقظنا في الصباح ، وركبنا عازمين السياحة في مدينة ( أرومية ) ، وتوجهنا نحو شاطئ بحيرة أرومية ، وكانت بساين العنب وسائر الفواكه تنتشر على جانبي الطريق ، وهذه المحاصيل أساس الزراعة

هناك ، وأثناء الطريق كانت تظهر القرى الكبيرة فى كل مكان ومن كل جانب .

وبينما كنا نسير شاهدنا حشدا متزاحما ، ولما اقتربنا ، رأينا أنهم جنود بالفعل ، وبعد أن تبينا الأمر ، أتضح أن فوج "مراغة" قد أتى من "تبريز" وقال السائس : من الأفضل يا سيدى أن نبتعد شيئا لأن الجنود يريدون أن يشتروا كبريتا ودخانا ومن ثم فإنهم سيعطلوننا ، وإذا اقتربوا لاتسمح لهم أن يعوقوا الحصان ، قلت : حسن ، ورأيت أن هؤلاء الجنود يسيرون بلا نظام ، وقد وضعت كل مجموعة مكونة من عشرة أشخاص أو تزيد قليلاً ، وضعت بنادقها على بغل يحملها ، وقد ساروا فى بساتين الناس جماعة ، جماعة ، وأخذوا يحملون العنب جوالا ، جوالا ، وكومة ، كومة ، وأخذ أصحاب البساتين وخفراء المحاصيل ينظرون فى حيرة من أمرهم نحو أولئك ( الجنود ) ، ولم يسأل أحد من الأشخاص كيف هذا ولماذا ذلك ؟ نعم :

« لو أكل الملك تفاحة من بستان الرعية . . فإن غلمانہ يجثون تلك الشجرة من جذورها »

« أن السلطان الذى يظلم من أجل خمس بيضات . .

يشوى جنوده ألف دجاجة بسيخ» (١)

(١) اگر دباغ رعیت ملک خورد سیبى . . . . . برآوردند غلاما نش آن درخت آریخ  
به پنج که سلطان ستم روا دارد . . . . . زنند لشکریانش هزار مرغ بسیخ

وقال السائس : أرأيت أن هؤلاء جميعهم لصوص ، فكل من مال من أهالى هذه المنطقة إلى السرقة والخداع ذهب وانخرط فى الجنود ، أو جنود فعية ، ولما كانوا لا يلتزمون بنظام ، فإنهم فى كل وقت ، يزاولون السرقة والاختطاف ، ولا يكفون أيديهم كغيرهم ، عن السرقة مطلقاً ، وها هم يغيرون على أموال الناس على الملأ دون مبالاة فى غاية الطمأنينة .

**الخلاصة :** أننا مررنا من هنا سالمين ، ووصلنا شاطئ بحيرة أرومية مساء . وكانت السفينة معدة ، لكن لا يمكن أن نسميها سفينة فهي قارب كبير يتحرك بواسطة المجذافين ولكن أطلق على هذا القارب اسم السفينة وهم يستخدمونه للحمل والنقل ، وحمولة هذه السفينة ، عبارة عن القمح والغنم ، وتُنقل هذه الحمولات من هذه الضفة إلى تلك ، ولعل هذه السفن قد مضى عليها أكثر من خمسين عاماً ، ولعل (ملك قاسم ميرزا المرحوم) ، وإلى أرومية والذي كان من الأمراء العلماء المطلعين فى إيران هو الذى بنى هذه السفن وألقى بها فى الماء وسيلة لتيسير نقل البضائع ، وهى لا تزال على نخطها القديم منذ أن صنعت لأول مرة ، وتوجد وسط هذه البحيرة جزيرة والتى أسس بها المرحوم الأمير عمارة صغيرة ، ويسمون الجزيرة بالمصطلح التركى " آوا " وليس يبعد أن تظهر فى تلك الجزيرة بعض المعادن لكى حقيقة حتى الآن لم يفكر أحد فى هذا الأمر ، ولم يتم أى شئ بشأن

البحث والتنقيب عن المعادن ، إذ أن حكومة " إيران " لاتهتم مطلقاً بمثل هذه الأمور ، والتي فيها حياة الدولة والشعب " ومن ذا الذى يقضى أوقاته العزيزة وينقب فى الأرض أملا فى العثور على المعادن ؟ " ، لقد تركوا غابات مازندران ، والتي يقل مثيلها فى العالم فى مقابل ثمن بخس من المال<sup>(١)</sup> ، تركوها فى أيدي الشياطين الأجانب ، والذين يخربونها بمعول الظلم ، وليس هناك من ينادى من أجل استرداد ذلك الكنز والذى هو هبة من الله . فختام يصل الإيراني إلى تلك المعادن والتي اختفت فى باطن الأرض ؟

ثم تحركت السفينة نحو الجزيرة ، ووصلنا الجزيرة وقت الغروب ، وأخرج القبطان حمولته والتي كانت كلها غنما ، ونمنا نحن بدورنا بعد أداء الصلاة وتناول العشاء ، واستيقظنا وقت السحر ، ووجدنا أنفسنا عند شاطئ البحر ، بالقرب من مدينة (أرومية) وخرجنا دون توقف ، وكانت المسافة من هنا حتى المدينة فرسخين ، واستأجرنا بغلين وتوجهنا نحو المدينة ، ووصلنا المدينة بعد أن قطعنا مسافة استغرقت منا ساعتين ، ونزلنا فى خان يسمى " كلشن " أى الروض ، وفى ذلك اليوم لم نذهب إلى

(١) يشير الكاتب فى هذه الفقرة إلى الامتيازات ، خاصة امتياز البارون روتير ويقوم هذا الامتياز على الاحتكار الشامل للبلاد من سكة حديدية إلى معادن وغير ذلك ، وكان هذا الامتياز عام ١٨٧٢ م .

أى مكان ، وبعد الغداء قال عمى يوسف إنى ذاهب إلى الحمام ،  
فقلت لنفسى أذهب فإنك تعرف هذا الحمام ، فذهب وأخذت أنا  
بدورى أتجول فى فناء الخان .

ورأيت عند صدر حجرتى أناسا ينظفون خضرة وزيبا  
أصفر ، لتعبثتهما فى سلال حيث يرسلون بها إلى الأراضى  
الروسية ، ووقفت بعض الوقت أتفرج على ذلك ورأيت مشادة  
قد وقعت بين هؤلاء الكادحين الذين شغلوا بملء السلال ، وقد  
وصل الأمر إلى تبادل الضربات والصفعات ، فأصغيت جيدا ،  
فرأيت أحد الأشخاص يقول : هؤلاء ( النعمتيون ) جميعهم  
ليسوا غيورين ، فقال شخص آخر ليس هناك أقل شرفا فى الدنيا  
من ( الحيدريين ) ، ولعلكم نسيتم أنكم هربتم أمامنا كالثعالب فى  
المشاجرة الفلانية ، وحيث تذكرت حينما كان يحكى لى المرحوم  
والدى أن هناك خلافا كبيرا بين " الحيدرية والنعمتية " فى كثير  
من مدن إيران الكبرى ، وبسبب الانضمام إلى هاتين الفرقتين  
واللتين تفوقان مثيرى الفتن ، فإن الدماء تُسفك سنوياً ، وكثيراً ما  
يعتدى المنتصرون على محال المنهزمين ودكاكينهم ولا يكفون قط  
عن مهاجمتهم لخصومهم وسلب أموالهم ، فسألت صاحب مخزن  
الزبيب لماذا لا تُسكت هؤلاء ؟ وما كل هذه الخصومة التى بين  
هاتين الكلمتين أو هذين الاسمين المجهولين ؟ أليس هؤلاء سكان  
مدينة واحدة وأخوان الآخرين فى الدين والوطن / وأجاب المسكين  
متأوها تأوها ينبئ عن حزن وحسرة شديدين ، وقال : يا أخى



العزیز لیس واجبى نصیحة هؤلاء الجھلة ، فاسداء النصیحة لهؤلاء من واجب علماء المدینة وحکمائھا ، واحسرتاه فمن السهل أن ینصح هؤلاء غیر أهل النصح فیکونوا طرفا فى إذکاء نار هذه الفتنة ، لأن هؤلاء أنفسهم بعضهم یؤید الحیدرین وبعاضدهم ، والبعض الآخر یساند النعمتین ویریدون بمناصرتهم للفرقتین أن یجعلوا أنفسهم موضع اهتمام العامة من الجھلاء ، لاسیما أن قراء ( التعزیه ) غیر المنصفین یساعدون علی إثارة هذه الفتنة ، ویحثون هؤلاء الجھلاء علی ذلك ، وهکذا زرعت بذور هذه الخصومة فى قلوب جھلاء الناس ، بحیث تظن الفرقتان أنهما تفلحان فى الدنیا والآخرة من خلال معاداتهما لبعضهما البعض ، وإنهما ستدخلان الجنة بعد الموت دونما حساب ، وبمعاداتهما لبعضهما فإنهما تملآن جیوب قراء التعزیه الذین یقومون بالثناء ، إذ یتسابقون فیما بینهم ، فى تزیین التکایا ، ضاربین الصدور بالسلاسل ، شاجین الروءوس وغیر ذلك مما یخالف کله الشریعة تماما ، کالریاء خاصة والذى یحرمه اکثر الفقهاء العظام والعلماء الأعلام ، وترى أن مساجدنا جمیعها خربة وغارقة فى التراب والغبار ، وهى دائماً فى حالة إغلاق تام ، وقد أغلق هؤلاء غیر المنصفین والضالون المعابر فى وجه الناس ، وذلك فى الأحياء والأسواق والمنازل والشوارع ، والتى هى من حق الشعب وسائر الناس من حیث العبور والمرور .

لیقوموا بقراءة التعزیه فى تلك الأماكن ، وبطریقة بلهاء یثبتون لبعضهم البعض أن الفضل الأعظم لحضرة سید الشهداء (ر) ،

غافلين عن هذا ، وهو أن حضرة سيد الشهداء لا يرضى عن تمثيل مصائب آل البيت الأطهار من الأسر والشهادة على هذا النحو ، فهذا ما يفعلونه بدعة كبرى فى الدين ، ولهذا لا ينبغي أن تتسرب البدع إلى الدين النقى والذي جاء به جده الأعظم أنهم أذلوا عظيماً بهذه البدعة فى الدين ، فأغلقوا شوارع المدينة ليقرأوا المراثى ، والتى هى أيضاً من حق اليهود والنصارى أن يمروا بها ، ويسمون ذلك عبادة ولا يخلجون من سيد الشهداء وجده الأعظم (عليه السلام) الشفيع يوم الحساب ، ليس هذا فحسب ، بل ويبسط قراء التعزية هؤلاء بساط التعزية فى بعض الأماكن المخصصة لربط الدواب والمواشى ، ولت الأمر ينتهى عند هذا الحد ، وتوجد جماعة أخرى هم ( المتشبهون ) يقولون : إننا نستعيد بالله عند ذكر اسم تلك الفرقة ، وهؤلاء ينسبون أنفسهم إلى حضرة سيد الشهداء أيضاً ، وجمع أفراد كل فرقة من تلك الفرق السالفة الذكر جمعا من الأشرار حولهم ، وأطلقوا على كل فرد منهم اسما شريفا من اسماء آل البيت الأطهار من الذكور والإناث ، ولا تعلم ماذا يفعلون فى مقابل " خمسة قروش " من حطام الدنيا ، وقسما بالله فإن أى مسلم غيور ليضيق ذرعا من حياته عند رؤية أوضاع أولئك الذين يتسترون وراء ستار أنواع شتى من الفسق والفجور ، والأعجب من كل هذا أن سكان هذه الأقاليم المترامية الأطراف يفضلون هؤلاء السفهاء مع كل ما يفعلونه من بدع ، ولا ينظرون مطلقاً إلى أمجادهم أنفسهم ،

ونتيجة لذلك تتناقل أحوال أولئك الفسقة أنفسهم بعد شهر المحرم ولعدة أشهر أخرى ، تتناقل وتُحكى هذه المجالس وكأنها مجلس لأعيان المدينة وأشرافها وما خفى كان أعظم ، ونظرا لسيطرة هذه الأفكار السيئة فى هذه المنطقة ، كاد أن يجول بخاطرى حديث الكفر وأن يجرى على لسانى ، فأستغفرت الله لهذا ، وشغلت نفسى بشئ آخر ، وبلسان الإكبار والإجلال قلت : أيها الحسين ليكن جسدى وروحي قربانين فداءك ، ومع كل جلال قدرك ، فإن الكائنات هى فيض وجودك الطاهر<sup>(١)</sup> ، وبالنسبة لدوام الدين المبين فإنه لم يقدر لك أن ترى البدع وقد ظهرت فى شريعة خير المرسلين ، وقد حملتم أنفسكم ( الكلام موجه للحسين وآل البيت ) والذريات الطاهرة صغیرها وكبیرها ، حملتموها كل تلك المصائب التى لاتطاق والتى لايقوى على حملها الجبال الشاهقة ، والآن افتح عين الحق المبين نحونا ، وانظرا اليوم فإنهم يطلقون على البدعة اسم العبادة ، وكم من الحيل التى يستخدمها سادة القوم لكي ينفذوا البدع السالفة الذكر ، وقد جعلوا من هدم أساس الشريعة وسيلة لتثبيت رئاستهم ، وبدلاً من أن ينصحوا عوام الأمة بأوامر جدك الأعظم بتحصيل العلم والمعرفة والوحدة ، فإنهم يحشونهم على الجهل والنفاق ويلقون بقلع الظلم أحجار التفرقة بينهم ، فهم يناصرون جمعا باسم الحيدري

(١) الكاتب يتحدث هنا عن انتشار البدع ، وفى نفس الوقت يأتى لنا ببدعة ويقول ( أن الكائنات هى من فيض وجود الحسين ) ، فمن هو الحسين هذا حتى تكون الكائنات من فيضه ؟

والنعمتى<sup>(١)</sup> ، ويعاضدون بعضا آخر باسم المشرع والشيخى ، وهم مشغولون كل يوم بتقطيع أوصال وحدتهم بأيديهم وذلك باتباع مختلف الحيل والسبل ، ويعتبرون أن تفرقة الشعب فيها وحدتهم واتحادهم ، ونظرا لاهتمامهم بمصالحهم الشخصية تلك المصالح المشبوهة والقدرة ، فإنهم يعتبرون كل من يؤدي خدمة للوطن والبلاد ، يعتبرونه ظالماً ، ويحثون الناس على مقاطعته ، ويسمون كل شخص قصر ثيابه قليلاً متفرنجا ، فلا يردون عليه سلامه ، ويعتبرون المسلم فقط من يرتدى الخرقه والدلق " ولا يعرفون أن هناك إبليسا فى ثياب إنسان "

(١) يعد النزاع بين طائفتى " الحيدرية والنعمتية " من الامور المؤسفة فى تاريخ إيران وقد سقطت المدن الإيرانية فترة طويلة من الزمن ضحية هذا النزاع بين الطائفتين المذكورتين ، وقد أنقسم المواطنون فى كل مدينة إلى قسمين : فهذا حيدرى ، وذاك نعمتى ، كما كانت كل طائفة تعادى الطائفة الأخرى لاتفه وأوهن الأسباب . لهذا نرى كثيراً ما يهلك بعض الأشخاص عند تنازعهما .

ويمكن القول أن هذا النزاع كان موجوداً منذ عهد الصفويين ، وشيئاً فشيئاً بدأ يخمد فى العديد من المدن الإيرانية ، إلى أن ظهر مرة ثانية فى العصر القاجارى " عصر ناصر الدين شاه خاصة ) ، وقد أدى هذا إلى ظهور الفتن ، وانتشار الأحقاد بين المواطنين .

ومن المدن الإيرانية التى ظهر فيها هذا الصراع ( قزوین ) ، ويقول أحمد كسروى فى هذا الصدد : ( لقد ذهب فى عام ١٣٠٢ هـ إلى خورستان ، فرأيت هناك أن المدينة عبارة عن فريقين أحدهما نعمتى والآخر حيدرى ، وكل منهما يناصب الفريق الآخر العداء ) ، ويذكر ( كسروى ) زعماء أو أئمة الطائفتين فيقول ( إن ميزرا على أكبر أغا من كبار النعمتية ، وحاجي ميزرا إبراهيم من كبار الحيدرية ، ولعل الحكومة الإيرانية قد فطنت مؤخراً للفتن التى كانا يسبباها هذان الرجلان فى المدن الإيرانية حتى إنها أخرجتهما من تبريز إلى أردبيل بغية القضاء على بعض الفتن فى مدينة ( تبريز ) أنظر :

- أحمد كسروى : تاريخ مشروطة إيران . ص ١٩٥ - ١٩٧ .

الخلاصة : أنهم نصبوا كمائنهم فى كل مكان لصيد هذه الفئة من العوام التعساء ، ووضعوا شراكهم بشكل لا يخطر على عقل بشر ، فماذا أقول أكثر من هذا ، إنه من الأفضل أن أصمت .

قلت يا أخى تقدم واسمع لى أن أقبل شفتيك وفمك المبارك ، فأنت أول شخص محترم أراه فى إيران مهتماً بهذه النكات الدقيقة ، ومتألماً لآلام الوطن وخلال سياحتى التي قضيتها ، كنت أنادى فى كل مكان على أذن صاغية تسمعى فلم أر أحداً قد أدرك هذه المساوئ من بين جموع المواطنين ، ولم أسمع من أحد مثل هذه الكلمات الدقيقة وكأن لك نفس المسيح ، وفى الحقيقة أنك أحييتنى من جديد ، أطال الله عمرك ، وأخيراً أرى أن هذا الوضع من التعزية والرثاء ، قد بالغوا فى بدعة كل المبالغة ، فهل السادة العلماء الأعلام والذين يقطنون مدينة النجف الأشرف ، والذين أيضاً تنفذ أوامره ونواهيهم فى كل إيران ، لا يرون هذا ولا يعلمون به ؟ وأن كانوا يرونه ويعلمون به فلماذا لا يمنعون هذه البدع المخالفة للشريعة ، حيث تضرب الأجساد العارية بالسلاسل علانية حتى تسيل الدماء من مواضع الضرب ؟ ولماذا لا ينهاون مهما كانت الأسباب عن شج الرؤوس والتي فيها هلاك للنفوس ؟ ولا يمكن أن يدعى أحد ويقول أن الإمام راضٍ عن أساليب هذه التعزية ، وكيف نسمح لأنفسنا أن تغلق مساجدنا بهذه القذارة ؟ فتارة يضرب الناس صدورهم وظهورهم بالسلاسل ويشجون رؤوسهم وذلك فى الشوارع وسائر الأماكن ، وتارة



أخرى يعتلى أحد الملات سواء كان جاهلا أو متعلما تختا خشيا ،  
ويُزين المجلس بالألحان المثيرة للطرب ، وذلك بمساعدة شخصين  
أو ثلاثة أشخاص من الشباب ذوى الشعور الطويلة ، ويسمون  
هذا المجلس مجلس تعزية ولا يخجلون من الله والرسول ، وأن  
كان ولا بد من التعزية ، فينبغى أن يكون فى تعزية سيد الشهداء  
شعور بالغربة وتتم فى وقار تام .

وينبغى أن يلتزم الناس الصمت ويستشعرون الحزن ، مرهفين  
السمع لوقائع تلك المصيبة ، فلا يكذب ذاكر تلك الحادثة ،  
ولا يتحدث هراء ، وعليه أن يلتزم حدود الأدب ، على أن تقام  
هذه التعزية فى حدود نطاق أحكام شريعة الرسول (ﷺ) ،  
حتى يجزيهم الله أجورهم ، فيرض الأمام " كرم الله وجهه " عن  
تعزيتهم وطريقتهم فى الرثاء ، ومن ثم فإنهم يطفثون بدموع  
التعزية هذه ، نار معاصيهم ، ويعلمون يقينا أن دموعهم  
وبكاءهم ، هى أول وسيلة للنجاة من نار جهنم يوم الحساب<sup>(١)</sup> .

وقال ليس ببعيد إن السادة العلماء الأعلام ربما بل ويجب أن  
يكونوا لا يعلمون بهذه الأوضاع المؤسفة ، ولكننى أعلم هذا ،  
فلو أن أحدا عرض لمثل هذه الأوضاع فلإن الأنصار والأتباع  
سينبرون للدفاع عن بدعتهم ، وبذلك لن يسمحوا بأن ينصلح  
الأمر ، خاصة قراء التعزية الذين سيحاولون جاهدين أن يدبروا  
حيلة لمثل هذا الأمر، فتسبب هذه الطائفة فى إدخال العالم جهنم،

(١) أن دموع الرثاء فى تعزية الحسين سيد الشهداء لن تنجى من نار جهنم ابدا .



فى مقابل ما يعود عليها من ربح تافه قدره عشرة تومانات ،  
ويغتطبون لهذا حتى ولو كان مصيرهم هم أنفسهم نار جهنم .

فقلت لماذا لا تتدخل الحكومة ؟ قال رحم الله والدك " ، إن  
الحكومة لايهمها إلا يُشغل الشعب بنفسه ، وتتضرع الحكومة  
بالدعاء أن يبقى هذا الوضع على ما هو عليه ، إذ أن سياسة  
الحكومة نفسها تقتضى هذا الوضع ، أى أن تكون الرعاية دائماً  
فى تنازع وتناحر ، حتى تصرفهم عن التفكير فى أنفسهم  
وأحوالهم ، وتترك الحكومة جيداً من خلال أوضاع العصر  
ومقتضياته أن فى هذا تشويقاً وترغيباً لهذه الطائفة التي تشغل  
الناس كثيراً عن التفكير فى أنفسهم ، ومن ثم فإن الحكومة تمنح  
الألقاب والنياشين الرفيعة لأفراد هذه الطائفة ، فعلى سبيل  
المثال ، تلقب شخصاً منهم باسم صدر الذاكرين وآخر سلطان  
الذاكرين وفخر العلماء وصدر العلماء وما إلى ذلك ، وهنا ينتقل  
لقب حسام العلماء من شخص لآخر ، وإذا ما قُدر لشخص ما أن  
يصطبَح حسام العلماء هذا ، يدرك إلى أى درجة بلغ به الفسق  
والفجور ، وبالله إن الأحاديث التي يتحدثها (حسام العلماء)  
فى مجالسه الخاصة ، ليخجل من سماعها السفلة السوقية ، وكل  
من قابل ذلك اللص سيصدق ما أقوله ، وهذه هى سياسة هذه

المدينة ، فقلت أخى العزيز استودعك الله ، فحينما أتحدث عن مثل هذه الأمراض المستعصية مع أحد من الناس فإن الهم والحزن ينقشعان عنا ، ولكن لسوء الحظ غالباً ما يكون مَنْ نلتقى معه باعثاً على الهم والحزن .

وعدنا إلى المنزل بعد أن ودعنا ذلك الشاب ، وعموماً فإن سكان هذه المدينة على قدر كبير من طلاقه الوجه وحسن المظهر ، وهم يختلفون عن سائر المواطنين فى المدن الإيرانية كلها ، وذلك بإطلاقهم للشعور الطويلة ، ولما كان هذا الوضع يعد عادة شائعة ، فمن هنا لا يعتبر عيباً يؤخذ على المواطنين .

وقد مر من الوقت أربع ساعات منذ ذهاب عمى يوسف إلى الحمام ، ولم يأت بعد فقلقت ، فذهبت أتفرج على المحال والدكاكين بالقرب من المنزل ، وأتى عمى يوسف قبيل الغروب ، وسألته لماذا تأخرت كل هذا الوقت ؟ قال : أنت قطعت عهداً على نفسك أن لاتذهب إلى أى حمام فى إيران ، وكان السبب فى عدم ذهابك إلى حوض الحمام ، هو أن ماءه آسن ويدخله كل إنسان ، فهنا الوضع يختلف عما سبق ، فلن تدخل الحمام ، فهنا للحمامات مظهر غريب ، وينبغى أن نذهب سوياً فى الصباح وذلك من أجلى ، لأنك لن تدخل حوض الحمام ، ويمكنك أن تغتسل بماء بارد ونظيف ، قلت وما هدفك من وراء هذا الإصرار ؟ قال : أنت أتيت للسياحة لكى تكتب كل ما تراه ،

ويوجد بحمام هذه المنطقة أشياء كثيرة جديرة بالمشاهدة والتدوين ، قلت إنك تدرك مصلحتنا ، ولا ضرر من الذهاب فغدا نذهب معا ، ولحسن الحظ أن صباح ذلك اليوم يوافق يوم الجمعة ، فذهبت إلى الحمام بالاتفاق مع عمى يوسف ، وكالعادة خلعنا ملابسنا ودخلنا الحمام ، وما كدنا نخطو عدة خطوات حتى رش رجل فجأة إناء ماء على قدمي ، وفعل شخص آخر نفسى هذا الأمر مع عمى يوسف ، فنظرت مندهشا نحو يوسف عمى ، وسألته : بالإشارة عن معنى رش الماء ؟ فقال : تعال نجلس فى ركن حوض الماء البارد حتى أقول لك ما معنى ذلك ، ووصلنا هناك فجلسنا ، ورأيت أنهم قد كسوا ما يقرب من أربعين مكانا من الحمام بالقماش حتى يسترخى المستحمون فوقها ، كما خضب المستحمون أيديهم وأرجلهم ولحاهم وشواربهم وشعورهم بالحناء وكانت جماعة منهم تدخن الغليون ، وكانت جماعة ثانية تدخن النرجيلة وكانت الجماعة الثالثة ترتشف الشاي ، فقال يوسف عمى ، أولئك الذين رشوا الماء على أقدامنا هم الدلاكون وعليهم خدمة غسل المستحمين ، وبالحمام عدد من الدلاكين ، وهؤلاء الذين رشوا إناء الماء على أقدامنا صرنا ملكا لهم ، وليس من حق دلاك آخر خدمتنا ، فضحكت ويعلم القراء أنفسهم ( سبب ضحكى ) .

**الخلاصة :** كان علينا أن ننتظر طويلاً حتى يحمل الأستاذ الدلاك الصابون واللوقة للمستحمين والذين جاءوا قبلنا ، فرأيت

أن هناك أربعين شخصا من المستحامين ، بينما كان الدلاكون أربعة أفراد ، فكان علينا أن ننتظر مدة ثلاث ساعات حتى يحين دورنا على الأقل .

وقال عمى يوسف إنى احضرتك هنا لكى تشاهد هذا الوضع حتى تعرف لماذا تأخرت أنا بالأمس ، فقلت: عجباً هل كل يوم على هذا المنوال ، إن ذلك بمناسبة يوم الجمعة والذي هو عطلة أسبوعية ، ومن ثم فإن المواطنين يتدفقون على الحمام ؟ ، فقال لقد كان الحمام بالأمس على هذا النحو من الازدحام ، فسألت بنفسى ، فقل لى إن جميع حمامات المدينة يومياً على هذا المنوال كما ترى ، فقلت لماذا خضب هؤلاء الرجال أيديهم وأرجلهم بالحناء كالنساء ؟ قال : يقال أولاً إن الحناء تجعل يدي المرء وقدميه على قدر كبير من الرقة والنعومة ، وثانياً : إن هذه سنة سنية وعليها ثواب ، فقلت : هذا دليل على البطالة والخمول ، فهل اتمتم كل حسنة وثواب وبقي لكم أن تحفظوا بثواب الحناء ؟ وهؤلاء لا يعلمون قدر الوطنية ، وهم غير مستفيدين من ثمار خدمة الوطن ، ونظراتهم قاصرة وهمهم واهية ، وإن إشباع جوف جائع واحد لفيه ثواب أكثر ألف مرة من التخضيب والاسترخاء فى الحمامات .

**الخلاصة :** أخذ شخصان يستعملان خضاب الحناء فى أحد أركان الحمام ، وراح يدخنان النرجيلة ، فسألت أحدهما : أيها

السيد هل أنت من أهل هذه المدينة ؟ فقال نعم ، فقلت : ما هو هدف المواطنين من تخضيب أيديهم وأرجلهم بالحناء ؟ فرمقني بنظرة متجهمة بعد تعجب طويل ، وقال : أولاً : إنها ثواب وثانياً : إنها تكسب الأيدي والأرجل رقة ونعومة ، فتأوهت حزناً ، وقلت : سيدي العزيز أبحث لك عن دواء حتى ترقق به قلبك ، حتي تفكر ولو قليلاً في رقي البلاد والمحافظة على حقوقها ، فأيتها المواطنون الغافلون ، إن مدينتكم قد وقعت في مكان حساس وخطير للغاية ، فإذا ما اقتضى الزمان ، وحدثت فتنة أو تمرد من الخارج ، فإنه بإمكان خمسمائة من جنود الأكراد ، أن يخربوا هذه المدينة في يوم واحد فقط ، في حين إنكم لاتفكرون في الدفاع عن وطنكم مطلقاً ، وليس لديكم مثلاً قلعة أو حصن يُتخذ مكاناً استراتيجياً ، تستطيعون من خلاله أن تدافعوا ضد أعدائكم البرابرة في هذه المدينة ، وليس عندكم أيضاً من وسائل الدفاع الأخرى كالبندقية والمدفع ، ولا يمكن لأي زمان أن يوقظكم من غفلتكم ، إذ بالأمس أحرق " الشيخ عبيد الله " الأخضر واليابس في ضواحي هذه المدينة ، وجعل ذلك رماداً ظلماً وعدواناً ، في حين اليوم أراكم مشغولين بترقيق أيديكم وأرجلكم المزينة ، وتقضون نصف اليوم ، مشغولين بهذه الأمور في الحمام كعادة النساء ، وقال ذلك الرجل مجيباً ، واضح إنك عربي ، والأمر العجيب هو إعجابك بنفسك . وقد قيل : إن الإعجاب بالنفس والتكبر غالباً ما يكونان في الغربة .

فالى أى شعب تنتمى ؟ فإما أنك تعيش فى صحراء ، وإما  
إنك تعيش فى منفى عن العالم ، ومثلك حينما يموت يحتار المرء  
فى أن ينسبك إلى أى مذهب أو أى شعب ، ويا ترى بأي طريقة  
يدفنونك ويكفنونك ؟ فليست هناك أية علامة فى كل أعضاء  
جسمك تبين أنك مسلم ، فلو كان لي سلطة على الحمام ، لم  
أسمح لك بدخوله ، ورأيت أن الأمر قد أتخذ طابعاً مغايراً ،  
وقلت أن لدى برهانا على إسلامى ، فقال : إن اليهود لهم نفس  
ذلك البرهان ، وهنا فقط طويت بساط الحديث وأخذت أفكر ،  
وضقت ذرعاً ، وناديت الدلاك ، وسمعت رده بعد قليل ،  
فرايت إنساناً ضخماً وقد وقف أمامى ، وحقيقة لم أكن أرى شيئاً  
من كثرة البخار عند دخولى الحمام ، وقلت : أيها " الأستاذ "  
أعطني شيئاً من الصابون لكى أنظف جسدى بنفسى ، ومع ذلك  
سأعطيك حقك كاملاً غير منقوص ، وأيضاً لن أستهلك كثيراً من  
اللوف والصابون ، فذهب وأحضر قطعة من الصابون ،  
وأغتسلت بالماء البارد مع الصابون ما يقرب من ثلاث مرات ،  
وجاءوا بالترجييلة ، فلم أدخن ، وذهب يوسف عمى لحوض  
الحمام ، وعاد بعد أن اغتسل وخرجنا سوياً وقضينا اليوم كله فى  
الحمام ، وصباح ذلك اليوم ( السبت ) ، خرجنا عازمين التجوال  
فى سوق المدينة ، ورأى يوسف عمى أمام منزل القافلة دكاناً يبيع  
الجوارب ، فقال عمى يوسف ، ليس لدى جوارب ، فسأذهب  
لأشتري زوجاً أو زوجين من الجوارب ، فقلت أنت نفسك



تحسن الاختيار ، فشغل يوسف عمى بشراء الجوارب ، وجلست أنا على مصطبة الدكان ، وكان فى مواجهتى دكان للعطارة ، وقد جلس شاب وسيم للغاية يناهز السابعة عشرة من عمره فى ذلك الدكان ، وتجمع المشترون حوله كالذباب ، فما يكاد يذهب واحد حتى يأتى اثنان بدلاً منه ، ولم يكونوا ليشتروا أشياء كثيرة ، وكان أقصى شرائهم ، لايتجاوز عباسيا واحدا ، أو شاهيا واحدا ، أو شاهيين ، واتضح أن هؤلاء مرضي ، وكان الشاب يلاطف كل شخص منهم ، بأسلوب خاص ، وكان دائماً بشوش الوجه أثناء معاملته معهم .

**الخلاصة :** كان يتزاحم المشترون على دكانه ، وقلت لنفسي واضح أن من يبيع الحلوى يقبل عليه كثير من المشتريين ، ورأيت شخصا وقد جلس بجوار دكان بائع الجوارب ، وكان يمسك بقلم وورقة ، وكان ينظر فى وجه الصبى ويرسم شيئا ، فتصورت أن هذا رجل رسام . إذ أنه راح يرسم وجه الشاب ، كما يرسم الرسامون المشاهير وجوه الحسان فى الغرب ، ويبيعون بعد ذلك ما يرسمونه بأقلامهم الحاذقة بمبالغ باهظة ، وتحدثت مع نفسي قائلاً : حسناً هكذا الرسم هنا موجود ، فسررت سروراً لآحد له ، وسألت بائع الجوارب والذى كان شيخاً : أيها العم ما هذا الرسام الذى أشير لك عليه ؟ فقال يا بنى أين الرسام ؟ فقلت هذا الرجل الذى يرسم وجه ذلك الصبى العطار ، فضحك وقال : أيها الابن العزيز هذا الرجل الذى تراه وتظنه رساما ، ليس

رساما ، بل ربما كان شاعرا ، ويتغزل فى هذا الصبى ، وقد شغلنى هؤلاء الشعراء السفهاء عن رزقى وعملى وجعلونى أضيق ذرعا به ، وفى كل ساعة يذهب شخص لىأتى آخر بدلا منه ، بحجة اللهو برؤية هذا الشاب ، ولا تخلو مصطبتى دقيقة واحدة من هؤلاء المشترين سيئى الأخلاق والذين لا فائدة من ورائهم ، فهؤلاء الرجال لا ينجلون قط ، فقلت من هذا الشاب ؟ فقال اسم هذا الصبى " غلامعلى بيك " ونظراً لوسامته فقد أصبح وجهه لا يفارق أهل المدينة الخاص منهم والعام وذاع صيته فى كل أنحاء المدينة ، ولعل جميع أهل هذه المدينة مفتونون بحسن هذا الصبى ووسامته ، فتعجبت كثيراً وقلت وكيف حال الصبى ، هل هو سئ الخلق ؟ فقال حاشا لله ، فإن الصبى غيور على كرامته ومشغول بعمله ، ولدى أسرة الصبى ثروة كبيرة ، وليس فى حاجة إلى شئ ، قلت لماذا إذن هذه الجلبة ؟ فقال : إنها مجرد سفالة وبطالة عن العمل ، فحيثما تذهب يتحدثون عن هذا الشاب ليل ونهار ، وذات ليلة تجمع عدد من الأفراد من كل حذب وصبوب ، وأخذوا يتسامرون وهم يتحدثون حديث هذا الصبى فى مجلسهم ، وما كان من الصبى إلا أن مكث فى بيته واستراح ، على الرغم من إنه لم يكن يخشاهم ، فقلت أيها العم العزيز ، نحن أغراب عن هذه المدينة ، فأين تلك المدينة الجديدة بالمشاهدة ، والتى يمكننا أن نقوم بالسياحة فيها ، فقال يا بنى إن داخل المدينة هكذا كما ترى ، أما الأماكن السياحية فى هذه

المدينة فهي خارج البوابة ، حيث تكثر بها البساتين والخضرة ،  
وهي تبعث على السعادة وصفاء النفس ، لاسيما أثناء الربيع ،  
حيث تفتح الورود الحمراء ، وحول المدينة بساتين ورياض هي  
كالجنة بعينها ، ولكن الآن لا يوجد من هذه البساتين شئ قط<sup>(١)</sup> ،  
وذلك بسبب غزو جيش بهمن ، وهذه الحدائق والبساتين التي  
تحيط بنا ، يوجد مثلها في الأحياء السكنية ، و ( بازار جاى )  
أو سوق الشاى والعمارات الأخرى هي أيضاً جديرة بالرؤية ،  
فقلت أين ( بازار جاى ) ؟ فقال : اذهب مباشرة من هذا السوق  
حتى تخرج منها ، وستريان ساقية جارية ، فأتجها نحوها ، إذ أن  
آخرها ينتهى بمحلة الأرمن ، وتلك المناطق لا تخلو أيضاً من  
الجمال ، وعندما توقفت عن الحديث مع بائع الجوارب المسن .

دفع يوسف عمى ثمن الجوارب ، وتوجهنا نحو تلك المنطقة  
متفرجين كسائحين حتى وصلنا إلى شارع كبير ، فسرنا حتى  
آخره ، فرأينا هناك مقبرة ، فقرأنا الفاتحة وسرنا فى دربنا ، ثم  
رأينا حيا سكنيا آخر ، فدخلناه ، ووجدنا أن معظم المترددين علي  
هذا المكان من الأرمن ، واتضح بعد ذلك أنه محلة الأرمن ،

(١) نرى أن فى هذه الفقرة تناقضا فى الحديث ، ولا ندري هل هذا التناقض من الكاتب أم  
من الشخص الذى نقل عنه هذا الحديث ، " فهو يقول أن البساتين والرياض والخضرة خارج  
المدينة تبعث على السعادة ... ألخ ، ثم يقول " ولكن الآن لا يوجد من هذه البساتين شئ قط ،  
وذلك بسبب غزو جيش بهمن ، ومن الممكن أن نقول أن الكاتب يريد أن يعرض لتاريخ هذه  
المدينة بهذا الحديث .

وتقدمنا أكثر ، فرأينا لوحة صغيرة وقد كتب عليها باللغة الإنجليزية ( *printing* ) أى الطباعة وقد علقت هذه اللوحة على باب غرفة صغيرة فى إحدى العمائر ، وكانت المطبعة ، وعند رؤيتى لهذه اللوحة المكتوبة باللغة الإنجليزية ، وبقراءتى اسم المطبعة ، غرقت فى بحر من الحيرة ، وقلت لنفسي ( أهذه مطبعة ... من أين هذا التطور ؟ ) ولم أصدق نفسي ، وأغمضت عيني ، وأمسكت شيئاً بإصبعي ، وفتحت عيني ثانية ، فرأيت أنها المطبعة والسلام ، وتقدمت وسألت شخصاً من الأرمن ممن كانوا هناك ، ماذا يعملون هنا ؟ فأجابني هل أحضرت الورق ؟ فرأيت أن هذا الشخص قد ظننى شخصاً آخر ، فقلت : نعم أحضرته ، فقال : إنه نفسه خرج وسيعود بعد قليل ، ولكن خادمة موجود ، فسأناديه ليحضر لك المفتاح ، وذهب وأتى بصحبته شخص أرمنى آخر ، فقال هذا الشخص أيضاً هل أحضرت الورق ، قلت : نعم ، وبعد ذلك اتضح لى أن هؤلاء ظنوا أننا تجار وقد أحضرنا الورق من ( تبريز ) لنبيعه ، إذ إنهم كانوا فى حاجة إلى الورق ، وعلى كل حال فقد فتحت لنا أبواب المطبعة على مصارعها ودخلناها ، ورأيت فى أحد الجوانب كثيراً من الكتب المجلدة ، وفى جانب آخر لُفت كتب لم تجلد بعد ، ولم يظن الرجل الأرمنى أننى مسلم وأتحدث اللغة الإنجليزية ، ومن ثم فقد أمسكت ببعض الكتب ، وأخذت أنظر فيها متجاهلاً مَنْ حوالى ، وهكذا أخذت أتصفحها ، فرأيت

أن كل الكتب بروتستانتية المذهب ، وقد كُتبت للرد على معظم الأديان خاصة شريعة الإسلام الغراء ، ولعل هذه الكتب السالفة الذكر قد فُسر كلام الله بها من أجل تضليل العقول غير الناضجة ، كما ترجموا بعضاً من الكتب الإسلامية ، واتضح أن هدفهم من وراء هذا هو تضليل الناس ، وعلى الرغم من أن هذه الكتب لاتضلّل المسلمين عن شريعتهم الغراء بهذه الأعمال التافهة وكذلك فهي لاتضلّلهم عن الفضل الإلهي ، ولكن لا أدري لماذا تسمح الدولة الإيرانية لهؤلاء الأشرار والذين هم أس جميع أنواع الشر والفساد بالمجيئ إلى البلاد ، وقد منحت الحرية لجهلاء البلاد من المسلمين والنصارى ، حتى يتدفق الأمريكيون والإنجليز هنا ، وبذلك ينشرون بذور الفساد في قلوب عوام الشعب ، فهم استقروا في البلاد الإسلامية لكي يؤلفوا الكتب المعادية لشريعة الإسلام الحنيف ، وكان هذا الألم أكثر وقعاً على نفسى ، من كل الآلام المستعصية السالفة الذكر ، فأظلمت الدنيا أمام ناظري وقلت لم يأت حتى الآن المستلم للورق ونحن لدينا أعمال أخرى لذلك سوق نأتى فى وقت آخر .

وفى تلك الأثناء تقدم نحوي نفسى الرجل الأرمنى ، وهمس فى أذنى قائلاً أن المطبعة معطلة منذ أسبوع ، وليس لديهم ورق فكن يقظا ولا تتهاون فى الأسعار ، وأريد منك تومانا واحدا بعد إتمام هذه البيعة ، نظير هذه الخدمة ، فقلت : أنى شاكر ، وسوف أنعم عليك بالكثير ، وعدنا من هناك وأتينا إلى المنزل ، وفى تلك

الأثناء رأيت الحارس وقد دنا منى ضاحكاً ، وقال : أحسنت صنعا ، يا سيدى ، فقد أنهيت المهمة على جناح السرعة ، فقلت أى شئ أنهيته بسرعة ؟ فقال : لعلنى لم أر أنك جلست ساعة بحجه شراء الجوارب فى دكان محمد قاسم الكريلانى بائع الجوارب ، وقد فُتنت بجمال " غلامعلى بيك " فلا عيب يا سيدى ، " فنحن أيضاً ممن يكتمون السر ويخفون العيب " ، فرأيت أن كل ما يقوله هذا الرجل الأحمق ليس له أساس من الصحة ، فتأوهت وقلت لنفسى . . . . . إنه عالم عجيب ، وجميع سكان هذه المدينة مجانين ، فحيثما تذهب تسمع حديثاً عن هذا الصبي البسيط ، فجميعهم مشغولون بذلك الصبي الصغير منهم والكبير على حد سواء ، والجميع أيضاً غافلون عن الدنيا وما فيها ، فهم لم يقرأوا شيئاً عن علم الاجتماع ، ولا يعلمون أن الله جلت عظمته قد خلقهم من أجل التعاون والتآلف معا وقد كان للتغزل فى النساء وضع خاص ، ولم يكن بالرجال ، ولا أدرى لماذا لا ينجل هؤلاء الرجال سيئو الفطرة من هذه الأفعال القبيحة ، وعلى الرغم من أنهم يجهلون عاقبة ذلك الأمر إلا أنهم بلا خجل يلقون بأنفسهم فى بدعة مهلكة ، ومن ثم فعلينا أن ننأى بأنفسنا حتى لا ينزل البلاء بنا بعيداً عن أتباع قوم لوط هؤلاء لكى لا يحترق الأخضر مع اليابس ، ومن هناك حزمنا أمتعتنا قاصدين ( تبريز ) من أجل السياحة .



## ”مجل السياحة فى أرومية”

لا يهتم سكان هذه المدينة بشئ سوى إظهارهم لأنفسهم وتزيينهم لها ، وذلك بسبب جهلهم الشديد ونظراتهم القاصرة ، أما عملهم فهو العبث والهراء بعينه ، وهم غافلون تماماً عن وسائل رقى التجارة ، وزيادة الثروة القومية والتي أساسها إنشاء الشركات وإنجاز الأعمال الكبرى ، وليس للوطن وحبه أدنى اهتمام عندهم ، وهم غالباً منساقون وراء أهواء أنفسهم ، ويتسابقون بغية تحقيق كل أمر لاه وعابث ، ويجهلون تماماً الوضع الراهن لعصرهم ، وكذا ما يقتضيه زمانهم ، وهم لم يحظوا بشئ قط من غذاء تحصيل العلوم والفنون المتدولة والتي هى غذاء الروح .

**الخلاصة :** أننا كنا صباح ذلك اليوم على أهبة الاستعداد ، إذ ننوى السياحة فى ” تبريز ” وذهبنا حتى نستأجر الجياد لنواصل سيرنا ، فرأينا مكاريا فطلبنا منه جوادا ، فقال ينبغى أن تصبروا أربعة أيام أخرى ، إذ أن هناك عشرة أشخاص مسافرين أيضاً ، ولنذهب بصحبتهم سوياً ، واضطررنا أن ندفع العربون ، ورجعنا ، وفى اليوم المحدد جاء السائس وقد أحضر معه رأسين من البغال ، وحزمنا نحن بدورنا أمتعتنا ، وتوجهنا نحو ( تبريز ) وكانت القافلة تسير فى طرق وعرة وصخرية أثناء مرورها وقطعها للمنازل ، وقد سرنا مدة ثمانية أيام ، ودخلنا ” تبريز ” فى اليوم

التاسع ، ولم ير أثناء سيرنا شئ جدير بالذكر ، ولكن بدخولنا " تبريز " فقد بدا وضع المدينة مثيرا للدهشة ، وكانت هناك همهمة بين أفراد القافلة ، وقال أحد الرفقاء والذي كان من أهل أرومية لأبد وأن هناك حادثة عظيمة قد وقعت اليوم في هذه المدينة ، إذ أن جميع المحال والدكاكين مغلقة ، وبلاشك أن امرا جلالاً قد حدث ، إذ أن الأحياء خالية من المارة ، وفي الحقيقة لم يظهر أحد من الأشخاص لسأله ، حتى اقتربنا أكثر من المدينة ، فرأينا عددا من الأفراد ، وذلك من مسافة بعيدة حيث مروا مسرعين ، فسأل الشخص الأرومي واحدا من بينهم قائلاً : يا أخى أي حادثة وقعت في هذه المدينة حتى توصلد محالها وتبدو عليها آثار الخراب والدمار في كل مكان ؟ قال واضح أنكم لاتعلمون أن الأهالي قد أغاروا على بيت ناظر المدينة ، والآن فقد ولى هو هارباً ، فقلت من هو الناظر ؟ فقال : الحاكم ، فقلت كيف .. كيف .. بيت الحاكم ؟ فقال الرجل الذي أخذ يعدو ( إني أموت فكف عني )<sup>(١)</sup> ولما لم أكن قد سمعت هذا اللفظ من قبل ، فلم التفت لقبحه ، وقلت أستحلفك بالله أجبني حقيقة ماذا حدث ؟

قال يا والدى أن أهالي المدينة قد أغاروا على بيت الناظر أى الحاكم فقلت إننى حتى الآن رأيت وسمعت أن الناظر وحاكم

(١) العبارة التى وردت فى النص هى : من أو لوم قمش قوياً ، وهى مصطلح يستخدم فى مواضع مختلفة ، والمصطلح هنا يعادل المصطلح الفارسى ( من بميرم دست بردار ) .  
- باقر مؤمنى : سياحتنامه إبراهيم بك ، ص ١٥٩ ، طهران ، ١٣٥٣ ق .

المدينة هما اللذان يغيران على منازل الأهالي ، والآن كيف حدث  
أن الأهالي يغيرون على بيتهما؟؟ فقال : " هكذا نظام الفلك  
القاس " .

" حيننا تعلى السرج ، وحيننا آخر يعتليك السرج " (١)

إن الزمان يتغير من حال إلى حال يومياً ، وكل شئ في وقته  
وأوانه حسن ، قالوا هذه الكلمات ومروا ، وقد دهش السائس  
والمسافرون ، وكنت أنا أيضاً أفكر فيما أصنعه ، فصديقي ومن  
أعرفه في هذه المدينة ، لاشك أنه قد أغلق دكانه ، بسبب هذه  
الأوضاع ، فأين أذهب ؟

**الخلاصة :** أن الجميع خائفون ومرتعدون ، وقد أنزلنا  
السائس عند منزل القافلة ، أى في نفس المكان الذي يسمونه  
محلة " هفت كجل " ، ودخل هو نفسه (السائس) من بويب لمنزل  
القافلة ، وبعد ذلك نادى الحارس ، فأتوا وفتحوا الباب ، ودخلنا  
نحن أيضاً ، ثم أغلق الباب ورائنا على جناح السرعة ، ودلونا  
على إحدى الحجرات لنقيم فيها ، وحططنا رحالنا في ذلك المكان  
الذي سنقيم فيه ، ولكن يوسف عمى كان يرتعد من الخوف  
كشجرة الصفصاف ، وقال باكياً فلنعد يا بيك من هنا إلى " مصر "  
مباشرة ، فانا أيضاً ليست لدى القدرة على تحمل مصائب هذا  
السفر وهذه السياحة ، وإنى أخشى من سوء عاقبة هذه الرحلة ،

(١) چنین است این جرخ درشت ... کهی بُشت زین وکهی زین بایشت

إذ أنه منذ بدء هذه الرحلة ، لم يمر علينا يوم واحد ولم نتعرض فيه لأحد الأخطار فى هذه المنطقة ، ولا أعلم ماذا سيلحق بنا فى هذه البلاد ، فقلت إننى فكرت أن أذهب لمدينة ( خوى ) من أجل السياحة ، والآن أعدك لو تخلصنا من هنا سالمين ، فلإننا سنصرف النظر ، ونعود إلى " مصر " مباشرة ، وبعد ذلك سنختار مكان السياحة معاً ، وسنذهب إلى أى مكان تشده .

وقضينا تلك الليلة فى قلق وفزع ، وحتى وقت السحر لم نكن نسمع أخباراً جديدة وكانت السوق ودكاكين المدينة مفتوحة كلها ، ومع ذلك كان الصمت يخيم على المدينة ، وتغاضينا عن تلك الحادثة ، وسرنا فى طريق السوق ، حيث كان يقع هناك دكان صديقى ، ووصلنا الدكان بعد أن سألنا عنه فى مكان أو اثنين ، وألقينا السلام ، وبعد أن عرفت بنفسى لذلك الصديق العزيز ، نهض وراح يقبلنى ، وسألنى فى حنو بالغ عن أحوالى ، وقال : لقد كانت جاريتك<sup>(١)</sup> تسألنى عن أحوالك ، وذلك كل أسبوع فى خطاب كانت ترسله لى ، فلعل والدتك كانت قلقة جداً ، وقد كتبت لى فى آخر خطاب مؤكدة على بأن أبعث تلغرافاً أخبرهم فيه بمجيئك ، ثم طلب ذلك الصديق من خادمه أن يكتب تلغرافاً بهذا المضمون " وصل إبراهيم " ، وأوصى خادمة قائلاً : أحمل هذا التلغراف وأعطه للشخص

(١) ذكر الكاتب فى الجزء الثالث أن اسم هذه " الجارية " هى ( محبوبة ) ، أنظر : - زين العابدين المراهى : سياحته إبراهيم بك ، ج ٣ ، ص ١١ .

الفلاتى فى المكان الفلاتى ، وأبلغه سلامى ، وقل له أن يكتب هذا باللغة الفرنسية ، وبعد ذلك احمل التلغراف إلى مقره وعد سريعاً ، وبعد هذه ( الوصايا ) سألتنى أين أمتعتك ؟ فقلت لقد وصلنا الليلة الماضية ، وكانت المدينة مضطربة ، ومحالها كلها مغلقة ، فاضطررنا أن ننزل بمنزل ( هفت كجل ) ، وسألت هل حقيقة ما فعله أهل هذه المدينة بالأمس ؟ فقال : يا عزيزى هذه " تبريز " وسكانها يفعلون ما يريدون ، وسوف أحكى لك تفصيل هذا بعد ذلك ، فقلت : لم أسمع أنا نفسى قط ، أن الرعية تغير على بيت الحاكم فى أى مكان ، فقال أن مالا يرد بخاطرك ، يحدث هنا فى تبريز ، وفى تلك الأثناء عاد خادمة من مقر التلغراف .

فأرسله مع يوسف عمى حتى ينقلا أمتعتنا من منزل القافلة لبيت ، وأغلق دكانه عصرا ، وذهبنا إلى البيت ، وأثناء الطريق ، مررنا بحى من الأحياء فرأيت أمام إحدى العمارات عددا من الجنود ، وقد وقفوا متسلحين بالبنادق من أجل الحراسة ، فسألت لمن هذا البيت ؟ فقال هذا بيت رجل تاجر ، وقد أتى لتوه من السفر ، وقد أرسلت الحكومة الجنود لحراسته ، تقديرا واحتراما لشخصه ، فقلت حقيقة لم أفهم ، فقال مكررا ماسبق أن قاله ، فقلت وماذا يعنى هذا يا والدى ؟ ومن رأى أو سمع أن يرسل الجنود متسلحين بالبنادق لاحترام تاجر من التجار ؟ وماذا يعنى أن يأتى تاجر من سفر من الأسفار ؟ ولماذا يقوم بعض الأفراد

بحراسته بالبنادق ؟ فمثل هذا الشخص لم يأت من أجل الحكومة ، كما أنه ليس من الأمراء وأصحاب المناصب العسكرية ، وبيته ليس وزارة من الوزارات ، إنه حقا لأمر عجيب ، فقال على أيه حال هذه عادة المدينة ، وحيث عقت حزينا : الآن فقط اتضح أن ألم هذا الشعب لم يعد له دواء ، إذ أن الرعية والتجار قد سارا في طريق السوء ، وبالنسبة لهذا التاجر فمن السهل أن تحصل الحكومة على نفع من ورائه ، أما المواطنون فلا اكتراث بهم ، لأن سياسة الحكومة خصوا هؤلاء ( التجار ) بامتياز الاحترام اللائق بهم وحدهم ، وسوف يضر هذا بالمصالح الحكومية ، ومن ثم ستخسر الطرفين في أقل فترة زمنية بسبب هذا النوع من المظاهر الجوفاء ، فهؤلاء الحكام الظلمة يعاملون هذه الطبقة من التجار بكل احترام وتقدير في حين أن المواطنين المساكين يعملون معاملة الذل والهوان<sup>(١)</sup> .

فقال : منذ عامين أو يزيد ، يقال إنهم ( الحكام ) ، كانوا يخصصون " مشهدي محمد التاجر المشهور ، بنفس هذا الامتياز ، وفي خلال مدة قصيرة ، ضاغت منه ثروة كبيرة ، بل أنه فقد كل ما يمتلكه ، وفي نهاية الأمر ، لم يكن بإمكان العودة للوطن فأسلم الروح في الغربة ، ولم يكن ليترك شيئا لورثته ، في حين إن المسكن قد ذاع صيته ، وسترى في هذه المدينة

(١) من يقرأ هذه الفقرة ، قد يظن أن الكاتب لا يتمي إلى مهنة التجارة ، في حين إنه كان تاجرا ومن أسرة كلها تجار ، لكن هذا لم يمنعه من لوم الحكومة الإيرانية لاهتمامها الزائد بطبقة التجار وإهمالها للطبقة الدنيا من المجتمع الإيراني . أنظر :  
- سياحنامه إبراهيم بيك ، ج ٣ ، ص : ١٠ ، ١١ .



من هذه الأشياء الغريبة والتي هي في نظر العقلاء وذوى الفكر الناضج فيها ما يبعث على المزيد من العظة والعبرة ، والأنكى من ذلك أنه قد يرى كثير من الأفراد ، هذه العجائب الباعثة على العبرة ، ومع ذلك فإنهم لا يهتمون بهذا الأمر .

ولما وصلنا البيت ، رأيت عمارة عالية جميلة ، وهى ذات عدة غرف خارجية ، فجلسنا ، فقدموا لنا بعضاً من أنواع الحلوى والفواكه ، وشغلنا بالحديث ، فقال المضيف أثناء الحديث لقد كانت جاريتك تكتب لى عن أحوالك فى " مصر " بما ينم عن غيرة وتعصب قومى لديها أكثر من الإيرانيين أنفسهم ، كما كتبت لى أيضاً عن هدفك من وراء هذه السياحة ، ولكنها كانت تقول : ليتك لم تذهب ، ولم تر إيران ، . . . . " فماذا أعلم الآن ؟ إنه سوف يعانى كل المعاناة " ، فقلت ماذا يمكن أن أفعل . . . ينبغي أن نرى بلادنا ، وفكرت فى أن اشتري منزلاً لأعيش فى وطننا الأصلي ، لو وجدت مكاناً مناسباً فى " مشهد " أو " طهران " ، فقال وماذا حدث هل أعجبك أى مكان ؟ فتحسرت وقلت : لا ، فقال لماذا تتحسر ؟ قلت : لقد تحسرت عفويًا . وإن لم يكن هناك باعث على الحسرة والحزن ، قال : حسن ، وماذا رأيت ؟ قلت : لقد رأيت كل ما هو جدير بالرؤية ، وما هو غير جدير بها ، ومع ذلك لم أر شيئاً واحداً يتحقق به هدفى من السياحة ، فقال وما هدفك ؟ قلت رؤيتى مدرسة فيها كل بهجتى وسعادتى ،

ويكفى أن اليوم : قوة الدولة وعزة الشعب وتعمير البلاد . أمور كلها منوطة بوجود مدرسة . وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث وإذا بهم يخبرونا أن العشاء معد ، فذهبنا حيث وضع العشاء على المائدة ، وبعد أن انتهينا من العشاء جاءوا لنا بالشاي فارتشفنا كوباً منه ، وبعد أن تحدثنا قليلاً ، قال صاحب البيت ، أنتم لاتزالون لم تستريحوا من عناء الطريق بعد ، فلتناموا على الفور قليلاً من الوقت ، حتى تنالوا قسطاً من الراحة ، وكان قد أدرك جيداً إننا مرهقون ، فأعدوا لنا مضاجعنا وثننا .

وفي الصباح استيقظنا وذهبنا إلى السوق ، بعد أن تناولنا الشاي بصحبه ذلك الصديق المحترم ، وجلسنا قدراً من الوقت في الدكان ، فقال لى : هل ترغب أن نسير متجولين قدراً من الوقت ، قلت ليس هناك مانع ، وذهبنا حيث متاجر التجار ، فكانت أماكن كثيرة وعظيمة ، ويميل الناس هنا بفطرتهم إلى التجارة ، ولكن ما الفائدة ، إذ أن جميع المنتجات أجنبية مستوردة ، ولا يرى شيء من المنتجات المحلية قط ، باستثناء بعض السلع التي كانت موجودة في أماكن منعزلة مثل الطباق والحناء وشيت " همدان " والملاءات اليزدية والخيوط القطنية ، وحيث استغرقت مفكراً : كم من الأموال يحصل عليها شياطين الغرب عن طريق العلم والصناعات سنوياً من هذه المدينة ؟

وسألت الصديق قائلاً : يا أخى على الرغم من أننى لم أر  
مديتكم كما ينبغى لكنه يتضح من ازدحام السوق وعدد المترددين  
أن المدينة كبيرة .

والآن أخبرنى هل سارى فى هذه المدينة أية شركة من  
الشركات الكبيرة أم لا ؟ قال ليست هناك أية شركة مطلقاً ، فقلت  
إنه لأمر عجيب ، كيف لاتوجد شركة واحدة فى مدينة بهذه  
الضخامة ؟ واليوم أن البيع والشراء لايتعدى أنواع البقالة ، فمتى  
تصل هذه المعاملات التجارية إلى درجة التجارة على نطاقها  
الواسع ؟ وهل لم يستفد هؤلاء التجار من الشركات الكبرى مع  
كل هذه الروابط والعلاقات التجارية مع الأجانب لآى سبب من  
الأسباب ؟ فقال أنت لاتعرف أهل تبريز ، فهؤلاء كلهم ( من  
واحد )<sup>(١)</sup> ، ولا يظهر بينهم ( نصف من ) ، فإذا اجتمع خمسة  
أشخاص فى مكان ، انتخب عليهم رئيس منهم ثم يستلبون عمله  
يعاون بعضهم بعضاً ، فلا يتمكن واحد منهم من الآخر ، وهذه  
ميزة واحدة من ميزات الأعمال العظيمة<sup>(٢)</sup> ، وهم أنفسهم  
محرمون منها فليس غريباً إذن أن تعجز البلاد أيضاً عن الرقي  
والتقدم ، وذات مرة إتحد عدد من الأفراد وأسسوا شركة كبرى ،  
فأخذ كل منهم يفكر فى مصلحته الشخصية للوصول إلى منصب

(١) المقصود بعبارة : كلهم مَن واحد ، أى أن طبيعتهم واحدة .

(٢) هذه ميزة من ميزات الأعمال العظيمة : عبارة تهكمية .

الرئاسة والقيادة ، فأدى هذا الأمر إلى حدوث الاختلافات ، وبعد أربع سنوات تصدع اساس الشركة ، فأدعى أحدهم إنه بإمكانه أن يشتري كل أسهمهم فى هذه الشركة ، ولم يمض قليل من الوقت حتى تبيس هذا الشخص فى مكانه عاجزا ، إذ أنه من الواضح أن شخصا بمفرده لا يمكنه أن يتحمل مسئولية عشرة أشخاص .

**الخلاصة :** أننا عدنا إلى الدكان بعد قليل من التجوال ، وأحضروا الغداء فتناولناه وقلت كيف حال التجارة ؟ قال لا تسأل مطلقاً فهى سيئة ومضطربة للغاية ، فقلت لماذا ؟ قال إن لذلك ألف سبب ، ولكن أسوأ الأسباب كلها هو وجود العملة السوداء<sup>(١)</sup> ، وتذبذب قيمة هذه العملة فى الأسواق ، مما أضر بالتجار الصغار والفقراء من الشعب ، الأمر الذى أدى إلى تخريب البيوت ، وعلاوة على ذلك فإنك ترى أربعة تومانات ونصف التومان من العملة الفضية ، تساوى اليوم ليرة واحدة ، وغدا سترى أن خمسة تومانات منها سوف تساوى نفس القيمة بشق الأنفس ، وهذا من شأنه أن يسبب على هذا النحو أضرارا وخسائر لا يعلم إلا الله مداها ، خاصة بالنسبة إلى الأشخاص الذين يتعاملون مع ( إسلامبول ) وسائر المدن الأجنبية ، وهم أكثر الخاسرين ، فتاجر أصفهاني واحد ، قلب موازين كل إيران رأسا على عقب ، جازاه الله .

(١) العملة السوداء : المقصود وبها العملات الأخرى غير الذهب والفضة .

قلت ينبغي أن يكون في " تبريز " كثير من التجار الكبار ، قال لماذا إنهم موجودون ، ولكن ليس معلوماً أن كان بإمكانهم أن يثبتوا في مواجهة كل هذه الضربات أم لا ؟ وعلاوة على ذلك ينتشر مرض الاعجاب بالنفس والمظاهر الجوفاء بين كثير من تجار " تبريز " ذلك المرض الذي يصعب علاجه . وهناك بعض من الأفراد والذين التبس عليهم الأمر ، وذلك بسبب مدهانة الآخرين ونفاقهم ، فظنوا أنفسهم من كبار الموظفين ، فجمعوا السعاه والفراشين إمعاناً في هذه المظاهر الجوفاء ، واعتبروا أنفسهم من ذوى السطوة والنفوذ في بيوتهم ، ومعلوم أن هذا الوضع لا يليق بالتجارة ، كما أن التجارة بهذا الشكل لن تتقدم ، وكثيراً ما تنتشر الشائعات إن أصاب أحدهم إفلاس ، وبمجرد أن تشيع مثل هذه الأخبار . فإن جميع التجار الذين كانوا يتعاملون مع ذلك الشخص المتضرر أو الضحية منذ قليل ، تراهم اليوم يتعدون عنه ويقاطعون ولا يردون سلامه ، ومن بين مظاهر الإسراف والتبريز ، أن التاجر من هؤلاء التجار قد ينفق على ضيافة ( ملا ) كبير خمسين تومانا على الأقل ، وكل تاجر من هؤلاء التجار إذ رأى في حوزته مبلغ عشرة آلاف من التومانات فإنه ينفق مبلغ أربعة آلاف تومان على بناء عمارة له ، فكيف يمكن الرجاء في تجارة أولئك على هذا النحو ؟ والآن فقد ابتدعوا بدعة جديدة ، فكل تاجر منهم رأى في حوزته قليلاً من التومانات فإنه يسعى جاهداً لكي يشتري الأملاك من الأراضى ، لكي يستولى على القرية التى فيها أملاكه السالفة الذكر ، وإذا ما رأى أحد

أحدا قد اشترى قطعتى أرض إحدى القرى ، فإن نار المنافسة فى قلبه لاتخمد<sup>(١)</sup> ، حتى يصبح هو صاحب القرية ، والآن أوضاع هذه المدينة وطبائع أهلها لايمكن مقارنتها بأية مدينة أخرى خاصة فى مثل هذه المنافسات التافهة .

فقلت : حسن جداً ، طالما أن لديهم الثروات ، فلماذا لايشتركون فى تأسيس الشركات أو مصانع الغزل والنسيج فى وطنهم حتى يستطيعوا تكفين موتاهم<sup>(٢)</sup> أو يقيموا مصنعاً لإنتاج الأقمشة الملونة ، أو يؤسسوا المصانع لإنتاج السكر والشمع الكافورى ، حتى تستفيد القرى من هذه المشروعات البناءة<sup>(٣)</sup> ولماذا

(١) يشير الكاتب هنا إلى تزايد أفراد الطبقة الاقطاعية فى إيران .

(٢) واضح أن الكاتب يستخدم السخرية والتهكم فى حديثه ليعين كم كان الإيرانيون يعيشون فى غفلة عن العالم ، وهذا يؤثر فى القارئ والسامع إلى حد كبير .

(٣) واضح من الفقرة السابقة أن الكاتب يخلص لبلاده ويأمل أن يراها فى عداد الدول المتقدمة ، فهو يريد أن يرى فى إيران تجارة على نطاق واسع قوامها الشركات الكبرى وليس بعض الحوانيت والمحال المتفرقة ، هو يريد أن يرى فى إيران مصانع الغزل والنسيج سواء الحرير أو القطن ، حتى لاتكون إيران دائماً فى حاجة إلى الاقطار الغربية مما يعطل تقدمها ورفقها ، بل وقد يصل الأمر إلى استعمار البلاد سواء كان هذا الاستعمار مباشراً أو غير مباشر ، استعمار غير مباشر عندما انتهز الروس الاحوال السيئة التى كانت تمر بها إيران وأغرقوها بالقروض القائمة على الفوائد فسيطروا بذلك على جمارك إيران ، وفى نفس الوقت انتهز البريطانيون الفرصة أيضاً وراحوا يحصلون على امتيازات البترول واحتكاره ، وغير هذا فإن امتياز ( البارون جوليوس دو رويتر ) فى غنى عن التعريف ، أما الاستعمار المباشر فذلك عندما تحالف هذان العدوان المتنافسان ( الروس والإنجليز ) وقسما إيران إلى مناطق نفوذ وكان عام ١٩٠٧ م ، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على يقظة الكاتب واستنارته . أنظر :

- Marlowe (John) ; Iran a short political Guide , p . 30 . London ,

1963 .



تركوا كل هذه الصناعات المفيدة قاصرين أمرهم على منافسة بعضهم البعض حيث يستنزفون دم فقراء الشعب ، وبهذا الشكل يكسبون الثروات والأموال الطائلة ؟ هؤلاء الذين تسميهم تجارا قد رأيت بنفسى معاملاتهم التجارية ، فهم ليسوا تجارا بل عبيدا للغرب ؟ وربما أعداء لوطنهم ، لأنهم جميعها يحملون أموال الوطن سنوياً ، حيث ينفقونها فى البلاد الأجنبية ، وفى مقابل هذه الأموال التى يحملونها معهم يحملون أنفسهم العناء والتعب عائدين إلى وطنهم بمنتجات مستوردة تافهة وغير ثابتة ، ولو كان هناك إحصاء لما يُنفق كل عام لاتضح أن هؤلاء الإيرانيين ينفقون آلاف الآلاف من أموال الوطن وثروته والتى تعد العمود الفقرى لحياة المواطنين ، ينفقها هؤلاء الأخصاء بأيديهم فى أشكال شتى من المداينة والنفاق على الأجانب ، فيشترون بدلاً من المنسوجات الحريرية لوطنهم الأعشاب الصحراوية دون أن يعلم المواطنون بذلك .

ولا يكاد يمر عام واحد على تلك المنتجات المستوردة حتى تنقرض آثارها تماماً ، وقال : مَنْ فى إيران يمكن أن يلتفت إلى هذه النكات المقدسة بخصوص حب الوطن ؟ ولا يوجد أى

تضامن أو اتحاد بين هؤلاء المواطنين ، وما أسهل أن ينشغلوا يومياً بنصب الكمائن ووضع الشراك فى الطريق ، وذلك للقضاء على بعضهم البعض ، ولهم مهارة عجيبة فى الإفساد وتخريب بيوت بعضهم البعض أيضاً ، وشغلهم الشاغل منحصر فى تتبع العيوب والتجسس على معاملات هذا وذاك ، ولو خسر أحدهم عشرة تومانات فى مكان ما ، فإنه يستخدم شتى أنواع الحيل لكى يسترد العشرة تومانات ألفى تومان ، وإذا ما حصل شخص ما بعد عناء ومشقة على فائدة أو منفعة تجارية خارج منطقة التجارة المعروفة فى هذه المدينة ، فإنهم ينقضون عليه دفعة واحدة ، ويقطعون هذه المنفعة التجارية من جذورها حسداً وحقداً منهم ، ويسعون فساداً فى إضرار ذلك الشخص فى تجارته .

**الخلاصة :** أنك لاتعلم الوضع هنا على حقيقته ، وما يقال فى هذا الصدد حديث لن ينتهى ، وما قيل قليل من كثير حول أعمال وأفعال طبقة التجار فى هذه المدينة ، وقد فسدت أخلاق هؤلاء إلى الحد الذى لايرجى صلاحها ، ولعل الله يتغمد العالم بلطفه العميم فيسير فى جادة الصلاح والاستقامة ، ومن ثم فإنهم يسرون فى الطريق القويمة كما فعل أسلافهم من قبل ، ومن ثم يصبحون رحماء فيما بينهم ولا يبحثون عن تحقيق مصالحهم الشخصية ليضروا الآخرين ، فقلت لقد انتهينا من هذا الحديث ،

فما هو سلوك حاكم المدينة مع الرعية جمعاء ؟ قال : لاتسأل قط عن ذلك الموضوع ، إذ سواء كان الحاكم صالحاً أم طالحاً ، ليس له بقاء أو استمرار ( حتى لا يمكنوا الأحكام )<sup>(١)</sup> من دستورية العمل أو تنفيذ القانون ، وهو لا يعلم أنه تابع لأحكام ذلك ، ومكلف بتنفيذ ذلك كله ، وهو لا يملك لنفسه من عمله الصالح أمل الثواب ولا يأمن الخوف من العقاب ، وذلك لسوء تصرفه فكيف تتوهم الخير فيه ؟ ولافتراض أن الحاكم صالح معه ، فهو يعمل لمدة يومين وبعد ذلك يذهب لحالة مصطحباً عمله الصالح معه ، وصباح ذلك اليوم الثالث يحل شخص آخر مكانه ، وحيث الملجأ لله وحده ، إذ ينبغي أن يكون في أيدي حكامك قانون أو كتيب أو برنامج عمل أو بعض التعليمات ، أو قل شيئاً منظماً مكتوباً على ظهر ورقة ، حتى يتصرف أولئك الحكام مع المواطنين ، وفقاً لتلك المواد المدرجة بها في الأمور المتعلقة بالجنح والجنايات والحقوق<sup>(٢)</sup> ، ومن ثم تنصلح الأمور تدريجياً ، وتختفى المفسد من بين الناس ، ويستقيم كل اعوجاج وانحراف بمرور الزمن ، وبدلاً من أن يقولوا أن الملك أو الحاكم

(١) المقصود بعبارة ( حتى لا يمكنوا الأحكام ) ، من يرأس هؤلاء الحكام .

(٢) واضح أن الكاتب يريد تطبيق القانون في إيران وهو يوجه دعوته هذه إلى كل حاكم أو

ملك بأن يلتزم بالقانون .

سجن المجرم ، يقولون سجنه القانون ، وأعدمه القانون أيضاً ، فلا يصبح اسم الملك الرفيع رمزا للسم واللهو ، ولا يلتبس الأمر على الحكام أنفسهم ويعتبرون أنفسهم مطلقى الأيدى بين الرعية ، وحيث لن يعترض معترض على حكم القانون ولو كانت هناك مشكلة تخص القانون فليحسمها القانون نفسه ، ومن هذا المنطلق يختفى اسم الظلم بين المواطنين وتشيع الألفة والمحبة بين الرعية والسلطان نفسه ، فيعتبر الملك الرعية أبناء أعزاء لديه ، وتعتبر الرعية الملك بدورها الأب الحانى فتعزه ، وتضحى فى سبيله بكل ما تملك ، ومن ثم تصبح الدنيا مملوءة بالعدل والإنصاف فيكون سوق المنافقين وأصحاب الفتن فى كساد تام ، وقد رأيت ماذا فعل هؤلاء المواطنون فى غيبة القانون بالأمس القريب .

ثم دعانا صاحب المنزل باحترام إلى أكثر من مكان معتبر أعدّ لنا بمجالس الضيافة ، ووفقا للاتفاق كنا نذهب كل ليلة إلى مكان ما ، وكانت منازل هذه المدينة عالية جداً ، وكانت غرف هذه المنزل مزينة وجذابة للغاية ، إذ زينوا كل موضع فيها بالبللور ، وإذا ما دخل شخص ما إحدى الغرف وجد أن نور المصابيح وبريق البللور قد خطفا عينيه ، وقد عُلّق بسقف كل غرفه قناديل كبيرة ونفيسة رمز الملك ورمز الأسد والشمس ، كما عُلّق أيضاً بالجدران أكواب ذات ألوان متنوعة ، ويبعث مظهر منازل تجار ( تبريز ) على الخيال ، وهناك أيضاً العديد من الأواني الصينية

والنراجيل الذهبية والفضية وآنية السفرة التى لانظير لها ،  
وحقيقة أن العقل ليحتار فى الإحاطة بجميع هذه المظاهر والتى  
تسبب فى المنافسة بين تجار المدينة منذ عدة سنين ، والواضح أن  
هذا الوضع المترف ليتنافى والتجارة تماماً ، وهذا المظهر المترف  
ليستحق اللوم واللعنة من الجميع ، لأننا نرى أن المصاييح لدى  
آية أسرة تجارية لاتطفأ إلا فى منتصف الليل وغالباً ما تظل حتى  
الصباح .

**الخلاصة :** أئننى قلت ذات يوم لصديقى ( صاحب المنزل )  
: يا أخى لا أصابك مكروه ، لا يمكننى أن أسكت عن صوت  
الحق ، فأهل هذه المدينة ( تبريز ) والذين هم فخر آذربيجان كلها  
أجن من جميع أهالى مدن إيران كما رأيت ، قال لماذا ؟ وما  
برهانك ؟ قلت إن أهل الغرب قد خدعوا شيوخ هذه المدينة  
واعتبروهم أطفالاً صغاراً ، فأهل الغرب يصدرون لأولئك المساكين  
النقوش والرسوم الخزفية البالية فى مدنهم وصناعاتهم والتى مضى  
عليها اثنا عشر عاماً .

وقد أخذ الغربيون زجاج النراجيل ورؤسها ،  
حتى الأوانى الصينية ، وراحوا يرسمون فوقها صوراً  
للملك ، بل إنهم تجاوزوا ذلك ورسموا صورة الملك فوق كل  
شئ تافه ، فى حين أنه ينبغى علينا أن نزين مجوهراتنا

النفيسة بتلك الصورة ، بل وينبغي أن نبالغ فى تزيين مجالسنا بتلك الصورة ( المقدسة ) (١) ، وليس أن نرسمها على أوانى القهوة والرجيلة والشاى أو نلقى بها دون تمييز فى غرف المقاهى وفوق النيران وتحت أيدى الناس وأرجلهم ، وللإنصاف نقول : إن أى شخص مهما كان وضعياً لا يرضى أن يرى صورته مرسومة بهذا الوضع المهين ، فما بالنا بالملك والذى طاعة أمره ونهيه أمر واجب علينا ، وعلاوة على ذلك فإن الغربيين الأذكىاء يحصلون على أموال طائلة من وراء ترويج تلك المنتجات ، ورؤوس أموالهم فى هذا الأمر هى التفكير وتحريك رؤوس الأناامل ، ومن ثم تدفقت أموال بلادنا على تلك البلاد الأجنبية ، تلك الأموال التى تمثل العمود الفقرى لتقدم بلادنا ، وأيضاً فمن استهزائهم وسخريتهم بنا فإنهم يستخفون بعقولنا عندما يصدرون لنا هذه المنتجات ، ونحن لانحرك ساكناً ، وينبغي احترام صورة الملك وتوقيرها فى المحاكم ومجلس النواب ومجالس المحاكمات أيضاً وينبغي احترام علامة الأسد والشمس (٢) ، والتى هى رمز

(١) صورة الملك لاتعتبر مقدسة بحال من الأحوال ، ويبدو إن الكاتب يقصد أن تكون هذه الصورة موضع احترام .

(٢) يحمل العلم الايرانى علامة ( الأسد والشمس ) يرمز الاسد إلى السلطان غياث الدين كيخسرو الذى جلس على عرش السلاجقة فى القرن السابع الهجرى ، وترمز الشمس إلى زوجته الجورجية الأصل المسماة ( تامار ) الجدير بالذكر أن ( كيخسرو ) قد وضع الشمس على العملة الايرانية آنذاك تخليداً لزوجته السالفة الذكر ، أنظر :

- حسين مجيب المصرى : فارسيات وتركيات ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٧٥ ، ٧٩ .



دولتنا ، بعد احترامنا لصورة الملك ، وعلينا أن نحترم هذا الرمز إلى حد بعيد ، فمثله يضحى عظماء الممالك بارواحهم في سبيله ، ويعتبر وضع هذا الرمز فوق أشياء تافهة أمراً منافياً للاحترام ومنافياً أيضاً لأسلوب تقديس الدولة ، أليس من العيب أن يستغل كل تاجر ويقال هذا الرمز بدون أى ترخيص من الدولة من أعمالهم الشخصية ؟ كما أنهم يرسمونه فوق أوراقهم وأكياسهم التجارية ، ويتذكروا هذه المساوىء بلغت بى الحيرة مداها ، ولا أعلم أى شىء قلته ، وأحسست بآثار التعب والنصب ، فصمت عن الحديث ، وقال صاحب البيت : إن كل ماكتبته جاريتك من ( مصر ) بشأن تعصبك القومى لهو أقل بكثير مما آراه ، وقال : الآن يا أخى العزيز يمتلئ قصر السلطنة نفسه ومنازل وزراء الدولة والأمراء ورجال البلاط بهذه الأوانى وهذه الأشياء المزركشة التافهة ، ولا أحد يذم هذا الأمر ، فما شأننا نحن ؟ وأى ذنب لأهل " تبريز " فى هذا الصدد ؟ وإنى أشاركك رأيك والحق معك ، فى أنهم ( أهل تبريز ) يسرفون كثيراً فى هذا ، وهم فى سبيل ذلك يكلفهم شراء مثل هذه الأشياء الكثير من الأموال ، إذ أن مايدفعونه للحصول عليها يفوق ثمنها الأسمى .

فهم ينفقون سنوياً المبالغ الباهظة لكى يشتروا هذه الواردات ، وكان المضيف قد أعد هذه الليلة مجلساً عظيماً لضيافتى ، وأغلقتنا المحل عصراً وذهبنا إلى البيت ، وبعد أداء الصلاة وارتشاف

الشأى ، أخذوا فى أضواء مصابيح المجلس ، فأضاءوا المصابيح  
البللورية والفوانيس والمصابيح الكهربائية أيضا ، وأخذت المصابيح  
من كل صنف تتلأأ فى كل مكان كالبرق ، وغدت غرف المنزل  
كالיום المشرق ، وبعد نصف الساعة من الغروب أخذ الضيوف  
المحترمون فى المجئ إلى المجلس ، على فترات متقطعة ،  
وبعضهم لم يأت إلى المجلس إلا بعد ساعة من الغروب ، ولعل  
التأخر بهذا الشكل فى مجالس الضيافة كان يدل على علو شأن  
من يتأخر ، ولكننى لم أكن ألفت إلى هذه النكتة ، فتعجبت  
لتأخر بعض المدعوين ، وبعد ذلك فهمت السبب فزاد تعجبى  
وحيرتى على حد سواء .

**الخلاصة :** أن المجلس قد أمتأ وأن المدعوين جميعهم قد  
حضروا ، وقد اتضح من وضع الحاضرين وتبرمهم ، أن المجلس  
كان مكتظاً بالحاضرين ، وكانوا يتحدثون بنغمات خاصة والفاظ  
غليظة ، ولكن من نطقهم ورفع أصواتهم اتضح أن مدى علمهم  
وثقافتهم كان محدوداً ضيقاً ، وكان حديث الجالسين فى الغالب  
حديثاً بالكناية ، وبلا ربط بين عباراته ، كما أنه خال من روح  
الأنس والمحبة ، وكان كل شخص منهم يتحدث إن صدقاً أو  
كذباً عن صداقته بالخان الفلانى والعالم الفلانى ، ويعتبر هذا  
الأمر موضع فخره ومباهاته ، فكان يقول أحدهم : نعم لقد  
حضر بالأمس جناب ملك التجار فى منزلى . . . . . وهكذا

كانوا يتحدثون ، وأخذ يقول شخص آخر : أخذت بالأمس ثلاثة آلاف ليرة ، عن القيمة الفلانية المستحقة على حوالة إسلامبول ، وكانت كلمات ضيوف المجلس تحمل أرقاماً خيالية ، فكان الحديث يدور مثلاً عن خمسين ألفاً ، ومائة ألف تومان ، وقال أحدهم أيضاً لو كانوا باعوا لى معظم القرية الفلانية بثمانية عشر ألف تومان لم أشتريها ، واحسرتاه فالآن سمعت أنهم باعوها بمبلغ ثلاثين ألف تومان ، وفى تلك الأثناء دار الحديث عن القمح ، فقال شخص من الحاضرين : إن الشخص الفلانى قد خزن ثلاثمائة ألف حمل من القمح ، فى حين أنه ينكر هذا الآن تماماً ، وأيضاً فإن العالم الفلانى يمتلك عشر قطع فى قرية من الأرض الخصبة ، وماشاء الله لدى فلان ثروة كبيرة ، وعن قريب سيمتلك ثمانين قطعة من الأرض فى إحدى القرى .

فضقت ذرعاً بهذه الأحاديث التافهة ، وكلما حاولت أن أصبر ، نفذ صبرى ، وبالفعل فقد أفلت زمام صبرى من يدي دفعة واحدة .

وقد أثارتنى هذه الأحاديث الفضولية فقلت أيها السادة إن لدى اقتراحاً ، فقال أحدهم تفضل ، فالحق معك ، فأنت لم تتحدث قط ، قلت جناب السيد هذا الذى تقولون إن لديه سبعين أو ثمانين قطعة أرض فى إحدى القرى ، ماذا يعمل ؟ قال إنه من علماء " تبريز " الأجلاء ، فقلت لقد أدركت أنه من علماء تبريز

الأجلاء ، ولكن ما أعنيه ماذا يعمل وماهى مهنته ؟ فضحك  
سخرية منى وتعجب لعدم فهمى ، فأدركت ذلك ، وقلت إن  
هذه الثمانين قطعة تصل قيمة كل قطعة منها إلى حوالى خمسة  
عشر أو عشرين ألف تومان ، قال هذا صحيح ، قلت بحسبة  
بسيطة حسبتها تخميناً فإن قيمة هذه الأرض ستصل إلى مايقرب  
من ثلاثة كروورات ولا أعلم كيف حصل على كل هذه الثروة ؟  
نعم فعندما يحصل شخص ما على مثل هذه الثروة ، لا بد وأن  
بعض الفلزات المعدنية النفيسة قد ظهرت فى قطعة أرض يملكها ،  
أو كأن يحصل شخص ما فى بلاد الغرب على ثروة طائلة بقليل  
من المال وذلك من خلال ألعاب الحظ واليانصيب من قبيل لعبة  
اللوتارى <sup>(١)</sup> أو كأن يكون من أسرة قديمة فيرث . أو كأن يحصل  
عليها بالتدريج من خلال تجارة كبيرة ، يراها ويعلمها الجميع ، أو  
بمفهوم الإيرانيين يكون صاحب " كيمياء " ، وما أعنيه هنا ،  
بأية طريقة من هذه الطرق التى عرضت لها ، حصل جناب هذا  
السيد على كل هذه الثروة ؟ وكما هو معلوم لاينبغى أن تنتمى  
ثروة السيد السالف الذكر إلى أى ضرب من الضروب التى  
عرضت لها ، لأن الجميع يعلم حقيقة أسرة جناب السيد ، إذ أنه  
قدم هذه المدينة بعد أن فرغ من تحصيل العلم والإجازة ، وكلكم  
تعلمون أنه لم يكن يمتلك أكثر من العصا والعباءة التى يرتديها ،

(١) لاتارى : بمعنى بخت آزمانى .

فلا شك أنه جميع هذه الثروة من الشعب بأى شكل من الأشكال ، والآن : ألا ترون أن هذا السيد المحترم قد جمع كل هذه الأملاك والعقارات من الشعب وفى غضون مدة قليلة ، فماذا يحدث لو أنه أنفق ربع عائداتها السنوى من أجل خدمة هذا الشعب ؟ كان يؤسس مدرسة من تلك الثروة من أجل تعليم وتنشئة الأطفال الأيتام والفقراء لهذا الشعب ، ويجعل أيضاً عائد قطعتين من أرض هذه القرية وقفاً على نفقة تلك المدرسة ورعاية أولئك الأطفال الفقراء الأيتام ، فيحى بذلك بعضاً من النفوس المتعطشة للعلم والأدب ؟ أو كأن يؤسس مستشفى من أجل الغرباء وفقراء الشعب حتى يمكن أن يجد فيه المرضى الفقراء حاجتهم من الرعاية والعلاج . فلا يموت هؤلاء الغرباء والفقراء فى ذلة وهوان شديدين تحت أنقاض منازلهم المتواضعة .

وهل يليق بشأنك أن لاتوجد مستشفى فى هذه المدينة الكبيرة ، والتي تطلق عليها دار السلطنة ؟ وقسما بالله لا يوجد فى أى شيء ثواب قدر ما يوجد فى هاتين الخدمتين ( المستشفى والمدرسة ) ، وهاتان الخدمتان ضرورتان لك كأداء سائر الواجبات ، وحقيقة فأنكم بعيدون كل البعد عن السداد فى الرأى ، إذ لا يرى أى مرفق خيرى عام من ذلك القبيل فى هذه المدينة الكبيرة ، وكل غريب يدخل هذه المدينة يظن أنكم لاتعرفون شيئاً عن الحياة الإنسانية ، ولن يخرج بأى انطباع عن هذه المدينة سوى ذمكم ، ولنضرب صفحاً عن عدم اهتمامكم

بالأمور القومية للبلاد ( نرى ) أنكم أيضاً لم تؤسسوا شركة واحدة من أجل ترويج التجارة ، وكذا توسيع نطاق معاملتكم التجارية ، على حين أن كل المواطنين هنا يعملون بالتجارة ، كما أنكم محتاجون إلى الغرب فى كل شىء من ورق القرآن إلى أكفان موتاكم ، وإذا مامتع الغرب مستقبلاً عن بيع الملابس لكم بدافع من العداوة ، فحيثئذ سوف يظل أحياءكم عراة بلا ملابس وموتاكم بلا أكفان .

فى حين أنكم تتفاخرون بهذه المصاييح والفوانيس ( علامة الملك ) ، وتباهون بهذه المظاهر المترفة ، وعندما تنظرون إلى تلك الزينات الزائلة والتافهة تغلبكم المباهاة وتظنون أنكم وحيدى عصركم ، ولانظير لكم فى العقل والإدراك والشراء وأثاث المنزل ، فى حين أنكم تعلمون أن حديث هذه الضيافات ذات الأبهة والثناء على كل هذه المظاهر التافهة سيعفو عليه الزمن ولن يبقى له أثر أو رسم بعد شهر واحد فقط ، وحينما تكونون يداً واحدة ستدركون أن هذه النفقات المترفة الباهظة أمر يستحق الزجر واللوم من العقلاء فى الدنيا وفى ذات الوقت هو أمر سترتب عليه عسير الحساب فى الآخرة ، ولو انفقتم فى كل عام نصف هذه النفقات على المرافق الخيرية ، وذلك من خلال معالجة فقراء الشعب ومغتربيه وإنشاء دور الصناعات والمدارس ، وذلك من أجل تنشئة أبناء الشعب الأيتام وتعليمهم ، لاشك سيكون هذا موضع



سموكم فى الدنيا والآخرة ، وقسمأ بالله لو أنكم واطبتم منذ أربعين عاماً على تنفيذ هذه الاعمال الخيرية التى عرضت لها بالتفصيل لكان اليوم وطننا المقدس هذا أعمر البلاد ولكان مواطنونا أعز شعوب العالم .

ولبلغوا الذروة فى مجال العلوم والمعرفة ، واحسرتاه فإن عصوركم انقضت فى الغفلة ، وانتهى كل شىء قومى يمكن أن نفتخر به ، وأصبحنا اليوم عاجزين وتحت سيطرة الآخرين ، ولو كنتم فتحتم تلك المدارس التى أعنيها وأتحدث عنها منذ أربعين عاماً ، لما سيطر اليوم علينا هوس المظاهر الخرفية وما دار حديث فى مثل هذه المجالس إلا عن وسائل رقى الدولة والشعب ، وعندما وصل طرف الحديث إلى نقطة الملاحظات التافهة حيث كان يتوقع أن ينفض المجلس ، استمر مجلس ضيافة هذا المضيف المحترم ولم ينفض حتى مر من الوقت ساعة ونصف الساعة فقلت : لانتظر الضيوف حتى يأتوا مجلسك وبالنسبة لى فإنى أذهب فى أى وقت اشاء ، ومكانى فى صدر المجلس .

وهنا التفت وإذا بصاحب المنزل يخجل من مقولتى وتصيب المسكين عرقاً فأوماً لى برأسه مامعناه أن هذا سبب لى حرجاً وخجلاً شديدين ، وفى تلك الأثناء قال أحد الضيوف لصاحب المنزل : أن ضيفك المحترم فلانا هذا رجل عجيب ، وهو يثرثر كثيراً ، فأجاب صاحب المنزل ، إنه شديد التعصب لوطنه

وشعبه ، وهو يسوق كل هذه الأحاديث نظراً لحبه الزائد لوطنه ومواطنيه ، فهو يتصرف عن غير إرادته بسبب تقديسه لوطنه وحبه لشعبه ، فماذا يفعل ؟ وتحدث شخصان آخران وقالوا : قسما بالله إن مايقوله حقيقة ، وكل من رأى الممالك الأخرى وشاهد همم الشعوب الأجنبية بصدد تقديس الوطن يعلم جيداً ماذا يقول هذا الشخص ، وكل مايقوله حقيقة وواقع ، ونحن مازلنا نجهل حب الوطن ، ولم نستفد بعد من منافع الوحدة ، وفى تلك الأثناء أخبرنا أن العشاء معد ، فدعانى الجميع قائلين : بسم الله ، بسم الله ، فضحكت وتقدمت حيث صدر المأدبة ، ولكن أية مأدبة متنوعة . . . . . وأية أطعمة مختلفة <sup>(١)</sup> وأثناء تناول الطعام دارت بعض الأحاديث المتفرقة ، ومضت ليلتنا على هذا النحو ، ومكثت فى " تبريز " مدة ثمانية عشر يوماً ، ولم أر من المواطنين هناك سوى إبراز الذات والاهتمام بتوافه الأشياء ، مما لاينفع فى الدنيا أو الآخرة ، ولكن المدينة نفسها لا تخلو من الأهمية ، فأسواقها عظيمة ، ومنازل القوافل بها ومتاجرها عظيمة أيضاً . ولكن وأسفاه ، فليس هناك شىء من السلع والمنتجات المحلية يمكن مشاهدتها فى تلك الأسواق والمتاجر باستثناء " اسم القمح الذى خزنه حضرات السادة فى مخازن مظلمه وأغلقوا على هذا المحصول بالأقفال فألقوا المفاتيح فى نهر ( أرس ) <sup>(٢)</sup> ويقولون

(١) أورد الكاتب هذه العبارة ( كل كيغم كل ) بمعنى أقبل يامزاجى أقبل .

(٢) يعنى الكاتب بهذه الفقرة حول محصول القمح ، أن الغذاء الرئيسى للمواطن الإيراني محتكر ، وأن من يحتكره هم الإيرانيون الأثرياء من الإقطاعيين .

للفقراء لن نبيع لكم مثقال ذرة منه ( القمح ) حتى ولو دفعتم فيه  
ثمنا دماء قلوبكم ، وهكذا يرد الفقراء قائلين : أيها السادة لم يبق  
دم في قلوبنا ، وأن هذا الجسم الذى ترونه خال من الروح  
والدم ، ولم تعد له قيمة .

**الخلاصة:** أننى كنت أفكر فى الذهاب إلى ( جلفا ) والتى  
تقع على ساحل نهر ( أرس ) <sup>(١)</sup> ، والتى تمثل أيضاً الحد الفاصل  
بين ايران وروسيا ، وقد أصر المضيف المحترم على أن أمكث عدة  
أيام أخر ، فاعتذرت ورفضت ذلك ، ثم أرسلت خادماً فى طلب  
جوادين من مقر تأجير الجياد ، إذ اننى أردت رسولا لكى أرحل  
عن هذه المدينة فلا أرى تلك المساوىء ، ومن ثم أظفر بغرض  
على جناح السرعة .

(٢) أوردهما الكاتب ( جولفه ، وارس ) .

## مجل السباحة فى تبريز

وأهل هذه المدينة معجبون بأنفسهم فى الغالب ، ومصابون بهوس المظاهر التافهة وجميعهم على استعداد للنفاق وهم غافلون عن منافع ومزايا الوحدة والاتحاد ، كما أنهم مشغولون دوماً بالفتن بين بعضهم البعض ، وقلوبهم تغتبط كثيراً لذلك ، حتى يحدث اختلاف أو خصام بين شخصين من بينهم ، حتى أنهم غدوا فرقتين ، وكثيراً ما تهب فرقة منهما لمناصرة أحد الطرفين المتخاصمين لذا يعقدون الاجتماعات ويتبادلون الرشاوى ، فهم يثيرون الفتن بين الطرفين المتنازعين حتى ينهار الطرفان فى النهاية ، ولا يحدث أحد من باب الإصلاح فى مثل هذه النزاعات ، فالكل ينتظر ساعة الإنتقام حتى يسحقوا كل من تزل قدمه من الآخرين ، وهذا هو شغلهم الشاغل ، وهم غافلون عن أوضاع عصرهم ، فلا دنيا لهم ولا آخرة ، ومنتهى آمالهم أن يعلق يسقف كل غرفة مصباح ماركة ( الملك ) وعدة زينات أخر ويعتبرون ذلك ذروة فخرهم ومباهاتهم .

( أحياء ولكنهم أموات . . . . . أموات ولكنهم أحياء ) .

الخلاصة : أحضر ذلك الصبى الرسول الجياد ، وفى نفس اليوم ودعنا المضيف ومن هناك توجهنا نحو ساحل ( أرس ) بقلوب ملوؤها الحزن والألم ، ولما خرجنا من المدينة شددنا ركاب

الدواب وسرنا حتى بلغنا منطقة لانرى منها ضواحي المدينة ،  
ورأينا هناك عدداً من الأشخاص وقد جلسوا على يمين الطريق  
ويسارها ، وأخذوا ينظرون نحونا ، وسألت الرسول لماذا جلس  
هؤلاء على يمين الطريق ويسارها ؟ ولماذا اختاروا هذه المنطقة  
البعيدة عن العمران ليجلسوا بها ؟ فقال سيدى العزيز ربما هؤلاء  
من سادات القرية ، وهم ينتظرون مجيئكم هنا ، قلت لماذا ؟

قال لاشك ان السادات ينتظرون منكم شيئاً ، وينبغى عليك  
أن تعطى هؤلاء حاجتهم حتى تمر سالماً ، فقلت : لا غبار ، أعد  
يا عم يوسف خمسة قرانات حتى إذا ما وصلناهم أعطها لهم ،  
ورأيت الرسول يضحك عفويا ، فقلت لماذا تضحك يا عزيزى ،  
قال لإعدادك الخمسة قرانات ، ففهمت أن التعامل مع السادات قد  
بدأ وشيكاً ، فقلت كم نعطيهم إذن ؟ فأجاب الآن نصلهم  
وسترون بانفسكم .

**الخلاصة :** لم يمر وقت طويل حتى بلغناهم ، فرأيت أنهم  
بين عشرة أو خمسة عشر شخصاً ، وتبدو عليهم سمات السيادة  
وذلك من عماماتهم وشالاتهم الخضراء والزرقاء ، وتقدموا من  
جانبى الطريق ووقفوا أمام جيانا ثم ألقوا السلام ، فرددنا نحن  
بدورنا السلام ، وقالوا فى صوت واحد أعطونا عطاء السلامة ،  
فأعد يوسف عمى النقود وأعطاهما لهم ، وقال ليس معنا نقود

أخرى فقسّموا هذه فيما بينكم ، وعندما سمعوا هذا الحديث غضبوا جميعاً ، ونثروا النقود فى وجه عمى يوسف ، وقالوا اشتر بهذا المبلغ عصيراً وأمسح به رأسك ، وقال شخص آخر أن لم يكن معكم نفقة الطريقة أعطيناكم عدة قرانات ، . . . . . يالك من رجل ليس عنده أدنى خجل ، أتظن أنك تتصدق علينا دون مقابل ؟ وبيننا نحن كنا فى خضم هذا النزاع رأيت شخصين من بينهم وقد أمسكا بقدمى يوسف عمى من الجهتين ، وأرادا أن ينزلاه من على جواده ليجراه على الأرض ، ومن ناحية أخرى لف عدد من الاشخاص عباءاتهم على سواعدهم وأمسكوا الهراوات تأهباً واستعداداً للعراك والهجوم ، فرأيت ضجه عظيمة ، فقلت سيدى العزيز ليس لك شأن بهذا الشيخ فأقربوا أكثر حتى نرى ماذا تريدون منا ، فقال أحدهم اننا نريد أموال جدنا ليس غير ، فقلت : نفسى فداء جدك ، فأى دين لكم عندنا ؟ وماهى حقوقكم ومطالبكم منا ؟ قال إن ماتلكونه كله لنا فيه خمس ، حتى أصابع يدك الخمسة ، للسادات واحد منها كحق لهم ، قلت سيدى العزيز أولاً : كيف علمتم أننا أثرياء ونملك أى شىء ؟ ثانياً كيف علمتم أن لدينا شىء كخمس وحق للسادات ؟ ثالثاً : كيف عرفتمونا ؟ وما أدراكم بمذهبنا وشريعتنا ؟ رابعاً : كيف نعرف أنكم سادات وأولاد الرسول ( ﷺ ) ، خامساً : متى أمر رسول الله ( ﷺ ) حتى تقطعوا الطريق على



المسافرين الأغراب فى الصحراء وتطلبوا منهم المال تحت تهديد  
الضرب بالهراوات ؟

وقال أحدهم : يالك من رجل فضولى كن حكيما وفكر  
جيداً وحيثئذ تحدث ، فأولاً كيف تأتت لك هذه الجراءة فتريد  
منا بيّنة على أننا سادات ؟ ثانياً : أننا نعرفك جيداً ، فأسمك  
إبراهيم بيك ، وتقيم فى " مصر " ، وقد ترك لك والدك مائتى  
ألف تومان نقداً كميراث ، ولك أيضاً أخت ، وقد أتيت فى هذا  
السفر من زيارة جدى الإمام الرضا ( عليه السلام ) إلى  
" طهران " ، ومن طهران إلى تبريز ، والآن أنت بصدد العودة  
إلى مصر ، ورحم الله والدك ، فقد كان ينعم على السادات  
بالشئ الكثير ، وقد كان صاحب حسنات وصدقات ليس  
مثلك ، والآن هل أدركت أننا عرفناك جيداً ولم نحتجرك دون  
معرفة ؟

لذا فلا تعطلنا أكثر من هذا فيلحق بك الضرر ، إذ لو جاء  
عشرة أفراد من السادات الآخرين سوف يصبح عبؤك ثقيلاً ،  
وتعلم أنت أربعة عشر شخصاً من أولاد الرسول (ص) ، وقد  
انتظرنا قدومك متجشمين حرارة الشمس الشديدة فى هذه المنطقة  
النائية عن العمران ، فأعط كلا منا خمسة تومانات على الفور  
ومر سالماً ، وتعلم أن هذا المبلغ التافه الذى نتقاضاه فى مقابل  
وقوفنا هنا لأداء مثل هذا العمل هو ظلم لأنفسنا ، فإذا انتظرت

لن يبقى معك شيء<sup>(١)</sup> ، وسوف يضربونك ضرباً مبرحاً ،  
ويسلبونك أيضاً كل أموالك ، فرأيت أن مايقوله أمر حقيقى ،  
وفى النهاية سوق ينتهى الأمر إلى مايقوله ، فأضطرت إلى أن  
أشير إلى الرسول " السائس " لكى يتوسط بينى وبينهم ليخلصنى  
من قبضة هؤلاء الأشرار وكان الرسول رجلاً محنكاً ومجرباً ،  
فتقدم بعد أن فهم إشارتى وصرخ السائس قائلاً : أيها السيد  
لا تعطلونا أكثر من هذا ، فنحن ينبغي أن نصل إلى المنزل فى  
ساعة محددة ، وبعد أن أخاف السيد زعيم السادات انتحى بلطف  
جانباً وعاد إلينا بعد حديث طويل ، وقال : أعطوهم عشرة  
تومانات فقلت لـ يوسف عمى على الفور أعطهم لـيرتين  
عمثانيتين ، فأخرج المسكين النقود وقال للسيد خذ هذا الحساب  
ويوم البعث سيجمع بيننا الحساب ، فى حضور جدك ، فأخذ  
السيد النقود وقال فى عدم إكتراث لاتنسى هذا الموضوع ، ولو  
أردت اكتب الرسول السائس شاهداً على ذلك ، فرفع يوسف  
عمى رأسه صوب السمراء وقال فى تضرع تام ( وكفى بالله  
شهيداً )<sup>(٢)</sup> .

**الخلاصة:** إننا تخلصنا من براثن هؤلاء الأوغاد بعشرة  
تومانات ، والآن فإن الشيء العجيب أن . الرسول ( كان مبتهجاً  
لـلغاية ، إذ قال : لقد تخلصنا بلا مقابل ، وأخذ يقول أشكروا

(١) أورد الكاتب هذه العبارة حرفياً : سوف تأكل بصلاً آخر الأمر .

(٢) النساء / ٧٩

الله أنكم مررتم سالمين ، فهو لاء لا يكفون أيديهم عن جيوب الخلق بسهولة ، فقلت : ما هو الباعث على الشكر يا والدي ؟ لقد قبضوا علينا نهائراً عند بوابة مدينة كبيرة ، وأخذوا منا أتاوة ، ونشكر الله أيضاً ، فقال سيدي ، ياميدي أكرر القول ، اشكروا الله . إن أي زائر أو مسافر من التجار وغيرهم لا يمكنه أن يعزم على السفر نهائراً من " تبريز " خوفاً من هذه الجماعة ، ولهذا يتخفى البعض في زى القرويين ، ويتخفى البعض الآخر في زى الجمالين وبياتعي الفحم ، ويسافر جُمع سالكا الطرق الوعرة والتي بها آلاف المخاطر ، وكل من قدر له وسقط ضحية في قبضتهم يحاولون ضربه بالعصى والشوم ، وهؤلاء نوع من قطاع الطريق والذين لا ينالهم أي عقاب . فقلت لعل حاكم المدينة لا يعلم بهذا الموضوع ، قال ( رحم الله والدك ) لماذا لا يعلم ؟ أن أعمال هؤلاء لا تخفى على أحد ولكن ماذا يفعل ؟ إنه عاجز عن معاقبة هؤلاء ، وإذا ماتعرض أحد السعاه لواحد من هؤلاء السادات بسبب انحرافاتهم ومفاسدهم ، فإن القيامة تقوم لهذا الأمر ، وعلى الفور ستري أن ألف شخص من الطلاب والسادات في المدينة سوف يتجهون نحو هذا الساعي مباشرة ليضربوه ضرباً مبرحاً حتى يفارق الحياة ، ولن يستطيع أحد أن يحيمه ، فقلت لماذا لا يمنع السادة العلماء فضائح هذه الطائفة ، ولماذا لا يمنعون هذا الأمر المخالف للشريعة والدين ؟ ولماذا لا يمنعون أيضاً هؤلاء

من ارتكاب مثل هذه الأعمال المشينة والأفعال المحرمة بأية وسيلة من الوسائل ؟ والآن فإن الله ورسوله لضائقان بهذه الأعمال المخالفة للشريعة ، فى حين أنهم ينسبون أنفسهم إلى رسول الله (ﷺ) ، من خلال هذه الأعمال الشريرة والتي يندى لها الجبين . ويقولون نحن سادات وأولاد الرسول (ﷺ) .

( هذا الشبل من ذاك الأسد . . . فقل هل تشبه أنت الرسول ؟ ) <sup>(١)</sup> فأى خلق من الأخلاق لهؤلاء اللصوص والمحتالين يمكن أن ينسب إلى خصال الرسول (ﷺ) وذريته الأطهار ؟ قال الرسول : يا عبد الله إن هؤلاء السادة العلماء أنفسهم والذين تتحدث عنهم هم السبب الرئيسى فى جراءة هذه الطائفة ، فهم فى حمى العلماء ، وقد منح العلماء أنفسهم هذه المهنة ( قطع الطريق ) لهذه الطائفة .

وهؤلاء ( السادات ) أيضاً سعاة العلماء وجنودهم ، ويحميهم العلماء من أى أذى قد يلحق بهم ، حتى يستخدموهم عند الضرورة ، ولعلك لم تر أى عمل قام به هؤلاء السادات منذ أسبوعين ، إذ أنهم أغاروا على بيت الحاكم فى خلال ساعة واحدة بإشارة من اليد ، وخربوا العمارة من أساسها حتى أنهم سرقوا أمتعة حديقة المنزل ، فهؤلاء يحتاجهم العلماء فى مثل هذه الأمور والمهام ، وقد أصبحوا يفعلون ما يريدونه فى الناس

(١) شيررا بجه همى ماندبدو . . . تو به بيغمبر جه ميمانى بكو .

سلباً ونهباً ، وهم ينفذون كل مانيط بهم من حرية ولا مبالاة  
كاملتين .

**الخلاصة :** أنني رأيت أن كل مايقوله هذا الرجل أمر  
حقيقى ، فقلت لنفسى ماذا عساي أن أفعل ؟ إذ ينبغى ( الهدم  
والبناء ) فى آن واحد ، وعلى كل فقد جزنا هذه العقبة ، ولكن  
أطالب قراء هذه السياحة أن لا يتركوا قراءة هذا الفصل حتى  
يكونوا على بينة حقيقية لما يدور فى هذه المدينة ، وإلى أى حد  
بلغ الهرج والمرج بها ، وإلى أى درجة ديست حقوق الشعب ،  
 وإلى أى حد بلغ حال الحكومة من الضعف والغفلة ، وكم ابتعد  
علماء الشعب عن جادة الطريق ، والذين هم المحافظون على  
الشريعة ، وقد صدق من قال ( إذا فسد العالم فسد العالم ) ،  
فى حين أنه ينبغى أن يقصر السادة العلماء أسم السيادة عليهم  
دون غيرهم ، حتى يخلصوا هذه الشرذمه الأوباش من كل عمل  
غير صائب ومخالف للشريعة ، وينبغى عليهم ( العلماء ) أن  
يعاقبوهم حتى لا يطفئ الأشرار على الأخيار ، حتى لا يصل  
الأمر كما هو اليوم ، إذ أن كل طائفة شقية تظن أن شخصاً ما  
سيذا فتسلم نفسها له ، وتريد أن تخفى نفسها فى جحر فأر حتى  
ولو أن ذلك السيد ليس كما تتوقعه وترجوه ، وتجد فى كل  
المساجد وعلى كل المنابر أن مواعظهم منحصرة فقط فى فضيلة  
( الخمس ) وتشجيع الناس على ادائها ، ولم أسمع ولم أر أن  
أى واعظ أو ناصح ينصح السادات بالابتعاد عن ذلك الطريق ،

إذ أن التسول محرم على ذرية النبي (ﷺ) ، كما أن ابتزاز الناس خارج المدينة وضربهم بالعصى يعد جرمًا كبيراً ، وهو مخالف للشريعة وعمل مشين ، وينبغي على السادات أن يجعلوا سيادتهم الرفيعة مقدمة على كل شيء آخر ، وينبغي على السيد أن يعلم إلى أين تنتهى سلسلة نسبه ، نعم إنه ذنب خطباء الشعب الذين لا يذكرون هذه الجماعة بالنصائح القيمة لعظمة سلسلة نسبهم .

وهم لا يتركون هذه الأعمال المخالفة للشريعة ، وعلى العكس فإنهم يحثون الناس على الأذى والظلم والذلة والبطالة ، وكيف يمكن أن يرضى رسول الله (ﷺ) ، أن يعيش بنوه عاطلين وهم أصحاب ليسألوا الناس حاجتهم ؟ أجل إن كل من كان من أفراد الشعب متعباً أو عليلًا ، وليست لديه القدرة البدنية على العمل سواء كان سيداً أو مسوداً يستحق العطف والحماية من أغنياء الشعب ، أما فيما يتعلق بموضوع الخمس فهو أمر مرتبط بعدل الإنسان ومدى التزامه بأوامر الدين وليس بضرب العصي ، ومعلوم أنه حينما يسعى هؤلاء السادات العاطلون فى طلب العمل والصناعة فلا شك أن أبواب الرزق لن توصلهم أمامهم .

وحينئذ سوف يصونون عزة أنفسهم وسوف يستفيد من سعيهم وعملهم الدولة والشعب بل وسائر المواطنين .



وحيثما يقال أنه لا يليق بالسادات أن يمارسوا كل عمل متواضع ، أقول إن ادعاءهم هذا واه . فقد كان جدّهم الطاهر حجة الله على العالمين ، ومن ثم وجب على الأمة الإسلامية أن تحذو حذوه في مستقبلها ، إذ كان يثنى على كدح الآخرين وعلى أية حال ينبغي على الشخص الذى عليه الخمس أن يتوجه إلى سيد المدنية ليقابله ويقبل يديه وقدميه ويطلب منه أن يأخذ الخمس ليتخلص من دينه وليس أن يصول ويجول السادات جماعة جماعة في البلاد الأجنبية ، ويجبروا الناس في الأراضى المسيحية على طلب الخمس بشكل فاضح ، حتى بلغ الأمر اليوم أن الدولة الروسية حظرت دخول أى شخص إلى بلادها ممن يرتدون العمامات الخضراء والزرقاء على رؤوسهم ، وأخيراً نقول من باب الإنصاف إن طريقة التسول هذه تعد من الأفعال المحرمة التي يرثها أبناء السادات أبا عن جد ، وستظل أبواب هذه الذلة حتى يوم البعث مفتوحة أمامهم ، ومن ثم سوف يعود وبإل هذا الأمر نكالا على من كانوا سبياً في تحريض هذه الطائفة وتشجيعها ، وفي اعتقادي أن أى سيد صحح النسب لا يعرض نفسه لمثل هذه الذولة حتى ولو يموت جوعاً والسلام .

**الخلاصة:** أننا ابتعدنا عن الموضوع ، ولم تكن هذه الأحاديث قد انتهت جميعها ، حتى تراءت عن بعد قصبة

( مرند ) <sup>(١)</sup> ، فشددنا بدورنا ركاب الجياد ، ودخلناها بعد أن  
سرنا ساعة من الزمن ، فترجلنا في بيت الرسول ، فقال الرسول  
واضح إننا بهذا الشكل ستعطل هنا عدة ساعات ، كما أنه  
يتواجد في هذا المكان رسل وسواس كثيرة ، ومن ناحية أخرى  
يكثر تردد المسافرين من ( أورتق وانزاب ) <sup>(٢)</sup> إلى تبريد وجلقا .

ومن هنا قلما يكون جواد معد في مقر الجياد ،

**الخلاصة :** عندما نزلنا قلت فليعدوا قدرا من الشاي ،  
وارتشفناه ، ونظرا لعناء الطريق فقد استرحنا قليلاً من الوقت ،  
ثم رأيت مابين ثلاثة أو أربعة أفراد آخرين قد دخلوا لتوهم مثلنا  
وقد حزموا مالمديهم من حاجيات السفر ولوازمه ، ورأيت واحدا  
من أولئك ذا قامة طويلة وقد صبغ لحيته باللون الأسود ،  
و خضب يديه بالحناء ، فكانت أصابعه كخواتم عقيقه ، وقد  
وشح رأسه ( بوشاح الرضا ) . كما وضع ذلك الرجل المميز  
عمامة سوداء على رقبتة ، وجلس غارقاً في بحر من الحزن  
والكدر ، وبعد ارتشاف فنجانين في الشاي ، قلت انهض ياعم  
يوسف لنذهب ونتجول قدراً من الوقت في هذه القصبة ،

(١) مرند : قضية من أشهر قصاب آذر بيجان -

الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠٣ .

(٢) انزاب : إحدى قرى اردبيل

دهخدا : لغت نامه ، شماره ( حرف ) : " ا " ، ص ٣٩٤ .

وسألت أولئك المسافرين قائلاً : أيها السادة من أى طريق يمكن أن نذهب إلى سوق القصبة ؟ فأجاب ذلك الرجل المعمم والمميز قائلاً : إن كنتم ستشترون فاكهة وما إلى ذلك فاذهبوا من هذه الناحية . قلت : لن نشتري شيئاً نحن ذاهبان بغية التجوال والتطواف ، فقال إن كان غرضكم التجوال فلا تذهبوا مطلقاً ، إذ أنك لن ترى أو تسمع شيئاً فى هذه القصبة سوى أعين المواطنين الباكية وشكوى النساء ونواحهن ، ( فكل محال المدينة حزينة ثكلى ) ، قلت لعل واقعة حدثت فشملت مصيبتها كل المدينة ؟

قال : لقد نزل وباء الجدري من السماء بأرض هذه المدينة لمدة شهر كامل ولم يسلم من هذا الوباء ( الإلهى ) بيت واحد إلا وتوفى منه طفل ، وليس هناك أبوان إلا وفجعا فى أحد فلزات أكبادهما ، ومن بين هؤلاء أنا نفس أحد الضحايا التعساء ، إذ أن قلبى مكلوم لموت ابنى المحبوبين فى غضون أسبوع واحد ، وعلاوة على حزنى لوفاة ولدى وبكاء أمهما ونواحها عليهما ليل نهار حرمت على نفسى كل شىء فى الحياة ، وهذا الذى جعلنى أنوى السفر هائماً على وجهى فى الصحراء ، ولا أدري أين أذهب وماذا أفعل ؟ وفى تلك الأثناء راح المسكين يتمثل بعض أبيات الرثاء التى تعبر عن حالته فى صوت عال ، ثم أخذ فى البكاء والنواح ، ولما أخذ يبكى بدموع

غدار من عينيه احترق قلبى حزناً لحالته ، فقلت لعلكم لم تطعموا أنفسكم بمصل ضد وباء الجدرى ؟ قال يا هذا أى مصل للجدرى هذا ؟ هذا كله من أقوال الغربيين ، فقد كانت المشيئة الإلهية وراء هذا الأمر .

وقد ردد هذه الكلمات كثيراً ، قلت ياسيدى ما اسمك ؟ قال حاجى ملا . . . . وقارىء تعزية ومن أهل مرند ، قلت أيها الحاجى المعلم ، كم توفى من الأطفال فى هذه المدينة بسبب هذا المرض ، قال بحساب المتعامى ، حتى أمس وارى بالتراب ستمائة شخص ، وقد أصيب أكثر من مائة طفل هم بين عليل ومشوه وأعمى ، قلت ياسيدى العزيز أن ذنب كل هؤلاء الأطفال الأبرياء فى عنقك وفى أعناق كل من أعتقد أن التحصين ضد مرض الجدرى من أقوال الغرب ، آلام هذا الجهل وما هذه الأحاديث ؟ إذ أنه بسبب هذا الاعتقاد الخاطيء توفى كل هؤلاء الأطفال الأبرياء ؟ الا يكفى انكم تريدون أن ترجشوا هذا المعنى بلا خجل إلى المشيئة الإلهية ؟ وأنى لألجأ إلى الله لاعتقاداتكم الباطلة هذه ، فكل هذه النتائج المشؤومة من غفلتكم وجهلكم ، أترجىء هذا الأمر إلى المشيئة الإلهية وهى التى سوت كلاً منا من قطرة ماء وطن فى أحسن صورة وأحسن تقويم ؟ وذلك لكى يكون هذا الإنسان ناطقاً ومميزاً للخير من الشر ، وبالعقل فإن القدرة الإلهية تبدع فى عقل الإنسان هذا وقلبه وتعلمه العلم ،

ولهذا فهو يوحد الله ويعبده من باب المعرفة فلم يخلق الله أى شىء عبثاً ، وقد خلق لكل داء دواء ، وكثيراً مايوجد فى هذه النباتات والورود والأعشاب فى الصحراء الدواء لمثل هذا النوع من الأمراض ، وقد ترك لنا أجدادنا كثيراً من الحكم ، فقالوا ينبغى على المريض أن يذهب إلى الطبيب ويطلب منه العلاج ، ولعلك لم تسمع أن الله سبحانه وتعالى قد أمر موسى بدرر الوصايا بقوله سبحانه : يا موسى إننى لأشفيك بدون وسيله وسبب ، إذ ينبغى أن تذهب إلى الطبيب أولاً ، وتصف له مرضك ، ولعلك لم تقرأ أن حضرة خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وعلى آله قد قال : حينما يظهر الطاعون أو وباء فى مدينة ما فلا تدخل هذه المدينة ، وحينما تدخل عند ظهور المرض فلا تخرج منها حتى ينتهى هذا المرض ، وقد عمل الغرب بنفس وصية رسول الله الغراء ، وأطلقوا على ذلك اسم ( كراتين ) ، وهم يعملون بقول الرسول ( ﷺ ) ، ولكن والأسفاه فنحن لانزال لانعلم - أنا وأنت - نظراً لعدم العلم والخبرة مع وجود القدوة فى شريعة الإسلام الغراء وفى أقوال أسلافنا ، أما الغربيون فإنهم يدركون هذا مع أنهم أجانب وفى ذات الوقت فإنهم يعملون بما يفهمونه من الشريعة الغراء ، فانظر إلى اختلاف وجهات النظر من أين وإلى أين ؟ ، واليوم فإن عدد سكان المانيا مائة كرور ، ومع ذلك لا يموت ستمائة فرد من أطفال تلك الدولة

فى عام أى اثنى عشر شهراً بسبب مرض الجدري هذا .

لكنكم نظراً لكسلكم البالغ وضعف همتكم وجهلكم قد أعدتم سبعمائة طفل برىء فى خلال شهر واحد فى هذه القصة الصغيرة ، والذين كانوا السبب الأول فى زيادة عدد السكان ، وتنسبون ذلك بكل وقاحة إلى المشيئة الإلهية .

ولو كانت المشيئة الإلهية قد تسببت فى ذلك حقاً ، لماذا إذن تبكى وتئن ؟ ولماذا كل هذه التأوهات المحرقة ؟ فينبغى أن تكون سعيداً ومبتهجاً ، الخلاصة : أن صبرى قد نفذ بسبب هذه الأحاديث الطويلة وتغيرت حالتى ، ورأيت أحد المسافرين وقد التفت إلى متفحصاً ومدققاً فى كلانى ، فسأل : من أين أنت أيها المواطن ؟ قلت من هذا المكان قال أى مرندى ؟ قلت ، لا بل إيرانى ، قال أن الإيراني لا يقول مثل هذا الحديث ، قلت إيرانى ولكنى مقيم فى ( مصر ) ، قال أرايت أننى لم أخطئ وقد صدق ظنى ، يا أخى العزيز لاتسرع فتزيد من همنا ، فهذا السيد قارىء التعزية فى هذه المدينة ، وما به من ألم يكفيه ، فلماذا تجادله وتؤذيه : قلت لم أقصد مجادلته وأذيته ، وإذا ما سمعت مثل هذه الكلمات التى لا يقرها عقل ، فلا يمكن أن أصبر عليها ، فكن منصفاً فى حكمك على ، فلانى لا أتحدث بسوء ، قال بادىء ذى بدء قد التفت لكلامك ، وكل حديثك



صحيح وقد قلت الحق ، ولكن ينبغي أن تراعى الزمان والمكان ،  
أجل ففي تلك البلاد الأجنبية ، كما رأيت يقومون بالتحصين  
ضد مرض الجدري ، ويسمون ذلك ( كراتين ) ونفع هذه  
الأمور ( التحصين وغير ذلك ) وبالنسبة لعالم الإنسانية واضح  
كالشمس ، إذ أن المعاملة في تلك البلاد بين الحكومة والشعب  
كمعاملة الأب لابنه ، إذا مات وفى طفل واحد من الشعب ( بأجل  
أو بدون أجل ) ، فهكذا تظن الدولة أنها المسئولة عن وفاة ذلك  
الطفل ، ولا تبخل بجهد فى البحث والتقصى عن أسباب وفاة  
ذلك الطفل حتى تدرك سبب وفاته وتقضى فى المستقبل على  
أسباب هذا المرض ، وأنا نفسى كنت فترة فى " إسلامبول " فكنت  
أرى كل يوم أن أطباء الدولة يجوبون البلاد حياً حياً ،  
ومحلة محلة ، منزلاً وذلك ليحصنوا الأطفال مجاناً ضد مرض  
الجدري ، ولو حدث ولم يحصن شخص طفله ضد مرض  
الجدري ، ويعتقد مايعتقد به جناب السيد المعلم فعندئذ يصبح  
هذا الشخص موضع المعاقبة ، وينفذ هذا الأمر فى كل المدن  
والقصبات حتى فى القرى المنعزلة والساحلية ، وينبغى أن يقيد  
المواليد باسمائهم وأوصافهم فى سجلات الأفراد ، ويحدث نفس  
الأمر بالنسبة للوفيات ، وفى كل أسبوع يعلن عدد الوفيات عن  
طريق الصحف فيقال توفى هذا الأسبوع عدد كذا من أهل  
المدينة .

ويحدد مرض كل شخص متوفى ، إذا ماظهرت الأمراض

المعدية فحيثئذ تستخدم الوسائل اللازمة لوقف ذلك الوباء من الانتشار وتقوم الإدارة الصحية بالمواظبة التامة متخذة فى ذلك بعض الإجراءات التى من شأنها عدم تفشى هذا المرض ، والآن تعالى وانظر إلى حال مدينتنا التعسة هذه ، إذ أنه لو يموت فى ليلة واحدة نصف ساكنى المدينة لسوء الوقاية فلن تهتم الدولة أبداً بالسؤال عن أحوالهم ، ومن السهل جداً أن تحجم الدولة عن أى عمل لدفن الموتى ، طالما كان سبب وفاة المتوفين مرض الجدرى أو الحمى ، وتعتبر حياه الرعاية والضعفاء ، خاصة من أتفه الاشياء وكفى .

ولو مات أهل هذه المدينة من القحط والغلاء فإن حاكم المدينة لن يتأخر دقيقة واحدة عن الذهاب للصيد ، وفى المدن الكبرى فى إيران تجد أن كل درويش ذاهل وكل عطار يبيع الدواء للمواطنين بمثابة طبيب وكل امرأة عجوز قروية تجدها قابلة ، كما أن الدلاكين قد ينوب عنهم ( الدراويش والعطارون ) وتجد دواء كل مرض عندهم ، ويتجول هؤلاء المتطيبون كل يوم جمعة ولايسأل واحد من هؤلاء نفسه أين تعلم مهنة الطب ؟ ومن أى مدرسة طبية حصل على الإجازة ؟ وقد كان والدى أيضاً حكيماً وبعد وفاة المرحوم ، تجمع حولى الأقارب والأصدقاء والمعارف وقالوا ، لاينبغى أن تطفىء مصباح والدك ، فالحمد لله إنك متعلم وهذا كتاب الطب لايبك وقد دون فيه جميع الإدوية ، فاحمله وعالج به الناس ، فتطبيب هذا الملك مقصور على

أسرتكم ، قلت أين والدي وأين مهنة الطب؟ فاستحلفكم بالله  
أن تبتعدوا عني ودعوني وشأني ، فأى علم تعلمته لأمارس مهنة  
الطب بما فيها من مرض وعلاج ، ولاتصفطوا عليّ للاشتراك في  
القضاء على المسلمين ، فأنني لى ولأجدادى بمزاولة مهنة الطب ؟

**الخلاصة :** كلما أصرروا عليّ في هذا الموضوع كنت أرفض ،  
لأمناس من أننى تخلصت من كتاب الطب الذى ورثته عن  
أبى ، وذلك بأن بعته للسيد " صمد العطار " بأربعة عشر توماناً  
ولكن أغا صمد أصبح الآن بفضل ذلك الكتاب أغا ميرزاً عبد  
الصمد الحكيم وذاع صيته ، وغداً سيصبح كبير الأطباء ،  
وسيحظى من الدولة بلقب ما ، وحينما يستبدل الابن بدلاً من  
الأب قسراً وجبراً كما هو واقع فى " مرند " وسائر المدن  
الإيرانية ، فحيثذ واحسرتاه على حالى ، وكما أعلم أن والدى  
قتل بسبب علاجه ودوائه المخالف والمضر مايربو على المائتين من  
المسلمين ( قبل آجالهم ) .

وكان يصف المسكين ( والد المتحدث ) الغائر من الماء لكل  
مريض ، أما الغذاء فكان يصف عصير الأجاص الأصفر ، وكان  
يأمر بالقصد والحجامة لكل مريض ، وذات يوم جاء بعض  
الأشخاص برجل شيخ ، إذ كان مريضاً منذ أكثر من عام ،  
جاءوا به إلى والدى لمعالجته ، وكنت موجوداً ، فقال والدى :  
يلزمه حجمة ، وبعد ذهاب المريض قلت ياسيدى لو فعلت

الحجامة لأخراج الدم ، فواضح من هيئة المريض أنه ليس فيه مثقال ذرة من الدم من كل عروقه ، ولو كان الغرض هو ( كأس الحجامة ) ، فقد أضاع هذا الرجل الطاعن في السن حياته أدراج الرياح وهو نفسه يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وفي تلك الأثناء نظر إلى والدي وهو في قمة الغضب وسألني ماذا قلت للمريض ؟

قلت ماذا سأقول له ؟ قال الآن لاتعلم ، ... لاتثرثر ، وهنا انتهى الحديث وفي الحقيقة أنني لم أرقط أى إيراني بهذا الإنصاف ، فقد كان رجلاً على خلق كريم ، خفيف الظل يميل إلى المزاح ويبدو من حديثه أنه على دراية بالثقافة الأجنبية وقد قضيت وقتاً طيباً بصحبته وقد أهديته بمناسبة تعرفني به عليه سجائر البقية الباقية معي من " مصر " ، وكانت بها مائة سيجارة ، فقبلها شاكراً ، وعلى هذا النحو تعارفنا وقد أعطيته بطاقة دعوى للزيارة وسألت عن اسمه وعنوانه ودونته في كتيب معي ، وقد ودعنا ذلك الصديق الجديد بعد أربع ساعات في مقر الجياد .

**الخلاصة :** أننا تركنا ( مرند ) ، وصباح ذلك اليوم دخلنا ساحل " نهر أرس ؛ ظهراً ، ثم حططنا ركابنا ، ورأيت شخصاً وقد وقف في مواجهتنا ، وقال في لهجة الأمر : إن الخان يريدكم ، قلت أى خان ؟ وما اسمه وما شأنه بنا ؟ قال إنه الخان أمين التذكرة ، فهو يريد أن يرى تذاكركما ليعتمدها ، قلت إذن

قل إنه يريد التذاكر ولا يريدكما ، قال : نعم ، فأعطيته التذاكر فحملها ، وبعد عدة دقائق ، طلب أربعة عشر قراناً ثمن التصريح على التذاكر فأعطيته ما أراد ، وقال نحن أيضاً خدمناكما ، فأعطيته قوائين فشكرني ، وقال : مرحباً بكم ولتصحبكم السلامة وذهب لحاله ، وبعد أن فرغنا من هذا الأمر ، أخذن أنظر من حولى رأيت مايقرب من مائتين من المواطنين المعدمين المضطربين ممن رأيت منهم الكثير فى ( باطوم ) ، و ( بادكوبه ) ، وهناك وقفوا جماعات تحت وهج الشمس وقد تجمع حولهم أمناء التذاكر الذين شغلوا بتحصيل ثمنها ، وكانوا يأخذون من النقود مايفوق ثمن التذكرة خاص من الأفراد الذين يدركون جيداً أن لديهم مالا .

وكانوا يسبون من ليس معه نقود بل ويضربونه بالصفعات والركلات ، فهى جلبه وهمهمة غريبة ، وقد احترق قلبى حزناً لأحوالهم ، وفى تلك الأثناء رأيت فى ناحية أخرى جمعاً من الناس ، وقد وقفوا ممسكين الدفوف والطبول وبعض القروود الراقصة ، كما رأيت عدداً اخر من الأطفال الصغار ذوى شعور طويلة ، وفى زى أشبه بزى النساء ، وكان أولئك أيضاً يتنازعون ويتشاحنون مع أمناء التذاكر ، فسألت من هؤلاء ؟ ولماذا هذا الصياح وهذه الشكوى ؟ قالوا أن هذه الجماعة تريد أن تعبر نهر الأرس . إذ أن عمل أولئك فى الأراضى القوقازية هو رقص

هؤلاء الصبية مع هذه القروء بغرض سؤال الناس والتسول ، وهذه الجلبة لأن الخان أمين التذكرة يريد أن يأخذ ثمن التذاكر على القروء ، فرفض هؤلاء الأفراد أن يدفعوا وقالوا أن هذا بدعة وقد تعطل هؤلاء ثلاثة أيام بلياليهن ، وترى أن هذه الجماعة كل يوم على هذا المنوال ، فى نزاع مع أمناء التذاكر ، فصار هذا المشهد باعثاً على المزيد من حيرتى وتعجبى .

**الخلاصة:** أننى أردت أن اترك تلك الناحية منذ الساعة الأولى ، حتى لا أرى هذه الأحوال الباعثة على الهم والكدر ، وائيت إلى ناحية معبر النهر ، فرأيت أن وسائل النقل على هذه الضفة تنحصر فى القوارب ، ولعلها لقدمها تنسب إلى " سفينة نوح عليه وعلى نبينا السلام " <sup>(١)</sup> ، وهذا القارب ينقل المسافرين للضفة الأخرى من النهر أى أول الحدود الروسية ، وأنعمنا بقرانين على شخصين وجلسنا فى القارب ، ولما ابتعد القارب قليلاً عن الشاطئ ، نظر يوسف عمى نحو إيران وقال : ألف حمد لك يارب ، أننا تخلصنا من هذه المملكة الخربة سالمين وعلى الرغم من أن يوسف عمى قد أظهر هذا الشكر للتعبير عن سلامتنا ، ولكنه تحدث كثيراً دون أن يلاحظ ذلك ، فماذا يعلم أن هذه الكلمات كانت تتنافى تماماً مع حبى وعشقى للوطن ، وقد حزّ فى نفسى كثيراً حديثه هذا غير المتوقع والذي لم يكن ليلاحظه ، وقد تأثرت تأثراً شديداً بشكل لايمكن وصفه ، وكان

(١) هذه جملة تهكمية ساخرة من أحوال وسائل النقل خاصة البحرية منها .



ذلك أناء ماء فائر وحارق وقد صُب على رأسى فتصاعد منى  
الدخان وقلت أيها الرجل الظالم ماجرم هذه الأرض الطاهرة ؟  
فأنت تغادر أرض الوطن ، وبدلاً من أن تقرأ دعاء الوداع وتطلب  
من الله أن يهيس لك العودة ثانية ، فإنك على النقيض تظهر  
الفرح والشكر فعجبا لك إن قلبك لقاس ، وقلت هذا ولم أتمه  
بعد حتى اغرورقت عيناي بالدموع فلم أستطع أن أسيطر على  
نفسى .

واشتد نحيبى ونواحى وقلت : أيها الموطن العزيز أن جسدى  
وروحى فداء ترابك ، فأنت فى مذهبى واعتقادى أفضل من جنة  
الخلد ، فتراك أساس الحياة ، وهواؤك هواء جنة الخلد ،  
وا أسفاه فإن أشخاصاً قطع الله خلفهم قد قللوا من شأنك  
السامق ولم يرعوا جلال شأنك ، وجعلوك فى نظر الأجانب  
تافهاً وحقيقراً ، أهملوا حبك الذى قرنه رسول الله (ﷺ)  
بالإيمان ، غافلين عن أنه فى النهاية سوف يؤول أمر هذه المذلة  
والهوان عليهم أنفسهم وعلى أحفادهم و فأياها الوطن المقدس قد  
ترك أبناؤك الجهلة قدرك مجهولاً لفترة طويلة .

وكل جاحد يخرج عن حضن تربيتك بدلاً من أن يبكى دما  
لفراقك ، أو يشق جيب الصبر فى ذكرى حبك ، نراه يعيش  
متنعماً سعيداً وهو بعيد عنك ولكننى الآن مكلوم السفؤاد  
لفراقك ، وعيناي تذرفان الدموع دوماً وفى مذهبى أن تركك  
أصعب من ترك الروح .

( إنى ذاهب وأنظر إلى الوراء لشدة الحسرة ولا أعلم قط أنى  
أودع الأرض ) (١) أجل إن على لسانى ألف شكوى ، ولكن  
شكواى كلها بسبب المواطنين الجاحدين الذين لم يؤدوا لك حق  
التنشئة بل يظلموك ، وأى ذنب للبستان أن يكون صاحبه ضعيفاً  
كسولاً فيخربه بيديه ؟ أيها الوطن العزيز على الرغم من أننى  
أشكو من أولادك الجفافة ، والذين هم أخوتى ، لكننى أعلم أنهم  
غير راضين عنى ، وبعد ذلك سوف يشكون منى فى المجالس  
والمحافل وسيلحقون بى كل نقيصة ، وليس ببعيد أن يدونوا  
اسمى فى سجلاتهم على أننى كنت ثرثاراً وعابثاً ومختل العقل ،  
ولو ذكر تاريخ إيران لهم إننى مجنون فلا حرج عليهم طالما أنهم  
غافلون عن حب الوطن وتقديسه ، وشيئاً فشيئاً اشتد بكائى ،  
واختنقت أنفاسى ، واصيب لسانى بالخرس عن الكلام ، وأدرك  
يوسف عمى أنه أخطأ وتحدث بما لاينبغى الحديث عنه ، وأراد أن  
يحدثنى فيخرجنى من تلك الحالة الكثيبة ، فقال : يا حاضرة  
البيك لاتؤاخذنى فيما تحدثت عنه ، ومعلوم أنه كان نادماً كل  
الندم وخجلاً أشد الخجل على ماقاله .

وبعد ذلك تأثرت بدورى من تلك الحالة ، ووصل قارب من  
ناحية الساحل والذى هو الحد الفاصل بين إيران وروسيا ، وخرج

(١) ميروم أزر حسرت بقفا من نكرم خبر آزيای ندارم كه زمين مى سبرم .

كلانا ، وأخرجنا أمتعتنا وفي نفس الوقت جاء موظفوا الجمرك ( على الحدود الروسية ) ، ورأوا جوازات السفر وصرحوا لنا بالدخول ، وبعد ذلك رأيت مؤجر الدواب ، فطلبت حصانا فأحضره لنا وركبنا وسرنا ، وأثناء الطريق لم نر مكاناً جيداً بالاهتمام باستثناء مدينة ( نخجوان ) ومررنا من هناك ، وبعد أن طوينا مسافة طويلة وصلنا مدينة ( إيروان ) والتي هي من بلاد القوقاز المشهورة وبسبب كثرة تردد المسافرين هنا لم يكن هناك حصان جاهز في مقر تأجير الجياد ، وقد تعطلنا مدة ثلاث أو أربع ساعات لانتظار حصان ، لهذا تجولت هناك قليلاً من الوقت وفجأة رأيت ساعياً قد وضع على رأسه قلنسوة ( ماركة الأسد والشمس ) وقال ياسيدى ينبغي أن تبرزوا تذاكركم فأريناه إياها ، وقال أدفعوا اثنين من المئات فدفعت على الفور فأخذ النقود وذهب وقال أحد مؤجري الجياد لماذا دفعتم نقوداً ، فهؤلاء ليس لهم حق فيها ، فهم يأخذون نقوداً من المسافرين بهذه الحجة . ولكن من يرفض أن يدفع لهم وكثيراً ما يحدث هذا فلإنهم يضربونه ضرباً مبرحاً ، باستثناء بعض الأشخاص العاجزين والمشردين والذي لا يملكون شيئاً ، فقلت لاضير فنحن أيضاً من زمرة العاجزين والمشردين .

وبعد أربع ساعات من الانتظار أحضروا جوادا وأعدوه ، وتوجهنا من ذلك المكان إلى ( أخسقة ) ، وقد كان برفقتنا شخص إيراني ، فسألت من أين أنت ؟ قال من أهل ( خوى )

قلت فى هذه الرحلة السياحية ، كان فى نيتى أن أذهب إلى ( خوى ) ولكن يوسف عمى منعنى ، وأسفاه أننى لم أر تلك المدينة ، ثم سألته عن وضع تلك المدينة قائلاً : كيف حال المدينة ؟ فحدثنى الرفيق عن ذلك وسألت عن تجارتها وزراعتها ، فقال كل شىء موجود ، ولكن تجارة " إسلامبول " انتهت بالمرّة ، والأفراد الذين كانوا يتعاملون مع إسلامبول جميعهم أفلسوا ، وضاعت أموالهم ، فتحسرت أنا أيضاً قائلاً لماذا لم اتجلد بالصبر وأقوم بالسياحة فى تلك المدينة ؟ فقال وأسفاه ليتك أتيت ورأيت ، فقد جاء إلى ( خوى ) قارىء تعزیه جدید وهو من تلامذة ( الشيخ حسين الجنى ) ، وعلى الرغم من وجود شاب كان يقرأ المراثیه كأستاذہ ، إلا أن ( طائفة الجن ) كانت تتحدث معه ( من تحت إبطه ) ليتعلموا منه المراثيات الجديدة ، والتي لم تسمعها أذن قط .

وكتاب الرثاء الذى كتبه الجن لايمكن لأحد أن يقرأه غيره ، وفى المجالس التى يقرأ فيها المراثیه ، لايرى مكان لأحد من ازدحام الناس ، ( ويبكى الناس دماً بدلاً من الدموع ، فأصبح سوق قراء التعزية جميعهم فى كساد ، وعلا أمره علواً كبيراً ، فقلت أريد أن تغيروا نمط هذا الحديث ، فليس فى وسعى سماع أكثر من هذا ، ولم أذهب إلى ( خوى ) وقد أتممت سياحتى ، وأدركت جيداً أى مرض ذلك الذى ابتلى به أهل تلك المدينة ؟ وقلت سيدى العزيز هذا أمر مخالف للشعائر الإسلامية ، إذ

كيف تعلمُ الجن الانسان الرثاء من تحت إبطه أو ثيابه ؟ وبعد ذلك طويت بساط هذا الحديث تماماً واستغرقت فى التفكير ، وعندما أدركت أننا وصلنا إلى المنزل جلسنا فى ذلك المكان أربع ساعات منتظرين تحرك قطار " باطوم " ، وبعد ذلك توجهنا نحو باطوم ، وحتى هذا المكان كنت أكملت كتاب " سياحتى " والنتيجة التى خرجت بها من سياحتى فى كل تلك المدن التى رأيتها فى " إيران " : أنه لا يبدو أى اثر للرقى والحضارة فى أية مدينة يمكن أن يكون فيه سرورى وبهجتى ، وماتعلموه ( الإيرانيون ) عن أجدادهم بشأن أساليب الزراعة والتجارة القديمة مكتفون به ، والأمر العجيب الذى يفتخرون به أن أسلوب أسلافهم لا يزال يُمارس بينهم بحذافيره ، ومن ناحية أخرى فقد تقدموا فى المظاهر التافهة . وهم على دراية وعلم واسعين بخصوص أدوات الزينة المنزلية إلى الحد الذى لم يبلغه أجدادهم مطلقاً ولو حتى فى الأحلام ، وبدلاً من أن يشتروا الأوانى النحاسية التى هى من منتجات الوطن العزيز والتى تكفى الأسرة الكبيرة لسد حاجتها مائة عام ، وتقدر بمائتى تومان ، اليوم هم يشترون بمائة تومان نجفه أو قنديلاً من القناديل ليلقوها فى أسقف بيوتهم ، ولو سقط قنديل من هذه القناديل على الأرض لن يتبقى لصاحبه سوى الحسرة والندم ، ومن الواضح أن أجدادهم لم يفكروا قط فى مثل هذه الأشياء .

ولم يفكر أحد من المواطنين كلهم والذين هم فى الغالب من

ذوى الاملاك لم يفكر أحد منهم فى أن يستورد من البلاد المجاورة آله لحصد المحاصيل أو آله ذات مناجل لحصد الغلال ، أو آله لعزل القمح عن القش كنموذج مما يشترونه .

وذلك لكى يستخدمونها فى مزارعهم وقراهم حتى يروا مزاياها رأى العين ، ففى جميع هذه المدن الكبيرة من المملكة حتى القصبات والقرى ، لا ترى مدخنة آله أو مصنع واحد حيث يتصاعد منها الدخان ، ولا يسمع فى أى مكان صوت أو صفارة لحركة قطار سواء فى الذهاب أو الإياب ، ولا توجد مرافق حكومية ذات أبنية ضخمة وشاهقة فى أية مدينة من المدن ، ولا أثر للمدارس الحكومية أو المستشفيات فى أى مكان قط ، ولا يشاهد فى أى بقعة من بقاع المملكة شركة أو بنك مما يدل على الرقى والتحضر ولا يهتم أحد بوضع المساجد وأضرحة السلاطين الأولين كالصفويين وغيرهم ، فجميعها خربة ، ولم تذكر كلمة واحدة عن أعمال نائب السلطنة المرحوم عباس ميرزا ، أو عن منجزات المغفور له ميرزا تقى خان أمير كبير تلك الأعمال والمنجزات التى قدماها من أجل خدمة الدولة والشعب . ولم يذكر أحفادهما من الإيرانيين شيئاً من هذا مطلقاً ، فهم لا يترحمون علي الأخيار ولا يذمون الأشرار وشغلهم الشاغل هو إهمالهم لحقوقهم ، وقطع صلة الرحم والتكاسل والظلم وأذية الآخرين ، ومع هذا الوضع السيئ ، إذا اجتمع عدد من الأفراد فإنهم يقولون : يابنى الدنيا رحلة قصيرة ( خمسة أيام ) وينبغى



التفكير فى دار الآخرة ، لكنهم جميعاً يكذبون وينكرون هذا بالفعل ، فالسؤال عن يوم الحساب هو مالا يدور بأخلاقهم ، وهم يفعلون الخير لكنه فى غير موضعه ، إذ أنهم يطعمون الأغنياء بدلاً من الفقراء ، وأعمالهم كلها مغرضه أى فى سبيل الحصول على المناصب والرئاسة والتى قوامها الطمع ليس غير ، وهم دائماً يضمرون سوء النية ، فهم لا يقدمون شيئاً إلا ويتنظرون مقابل هذا الشيء أو هذه الخدمة ، وقد فسدت أخلاق المواطنين كثيراً إلى الحد الذى يشكّل إصلاحها ، ونقول لمجرد الترويح عن أنفسنا ( هكذا لم يبق شيء ولن يبقى أيضاً ) ، وإذا ما قُدِّر لك أن تمر بطريق من الطرق ، ترى أن كل مكان من الأرض صالح لأى نوع من الزراعة والحراثة ، ولكن ما الجدوى فقد بارت الأرض ولم يُزرع أغلبها ، وهكذا بعض المدن الكبيرة والصغيرة تشبه من قلة السكان ( وادى الموتى ) ، وما أكثر الأهالى الذين اضطروا للهجرة للمدن الأجنبية ، وهكذا تبدو المدن خالية من المخلوقات تماماً ، وأشقى سكان هذه الدولة هم طبقة الكادحين والفعلة والحمالين فينبغى على المساكين أن يشتغلوا يوماً ويتجولون يوماً آخر وراء رغيف الخبز من دكان إلى آخر حتى المساء ، فلعلهم يمكنهم أن يحصلوا على رغيف خبز يقتات به أطفالهم الصغار ، ومع وجود الأرض الخصبة والإيرادات السنوية إلا أن هذا القحط موجود على الدوام وليس لعام أو لعامين ، إذ يخزن كثير من ذوى الأملاك والذين هم فى سفك

الدماء أبرع من أتباع جنكيز خان ، يخزنون محصول القمح ويفسدونه فى حين ، لا يترفقون بالمواطنين الكادحين والله وحده سيقبض للفقراء من أولئك الظلمة البخلاء .

واليوم ليس هناك شعب أتعس من الشعب الإيرانى على وجه البسيطة ، وقد حصل زنوج السودان والحبشة على حقوقهم الإنسانية ، وهم يوماً فيوماً يسرون نحو التقدم ، فى حين أن الإيرانيين التعساء لا يتقدمون خطوة واحدة وكل يوم يمر عليهم هو أسوأ من سابقه ، وحينما نقول أن هذا الأمر مشيئة الله فقد أخطأنا بل كفرنا ، فالله عالم عادل ورحيم ، ولماذا يريد الذلة والهوان لهذه القلة ألا وهى الشعب الإيرانى ؟ ولو قلنا إننا ضللنا الطريق فهذا فى اعتقادى أيضاً باطل ، إذن علينا أن نقول إن سبب هذه الذلة وهذا الشقاء هو نتيجة أعمالنا المشينة والتى كلها نابعة من الكسل والغفلة وعدم المعرفة والجهل ، وإذا ما نظرنا بعين العلم والإنصاف ، سنرى أن جميع مالدى الغربيين وما يفتخرون به اليوم هو من عندنا (١) ، نحن قد علمنا وفهمنا أننا نتهاقت على وسائل الراحة والمظاهر الجوفاء التافهة ، ولكن الغربيين جمعوا الأمرين ( التقدم ورفاهية الحياة ) .

إذا اهتموا بالأمور الحياتية التى تخصهم وسعوا فى طريق

(١) هذه دعوى خاطئة ، فليس مالدى الغربيين كله من عندنا أو من تراثنا ، وإنما هناك مالدتهم قد يكون موجوداً عندنا .

التقدم والرقى ، وتلك الأمور هي نفسها قوانين شريعة الإسلام  
الغراء ، وأحكامه ، فالعدل والمساواة وحب الوطن والوحدة ،  
ووجوب إطاعة الملك وأخوة الشعب والإنصاف والمروءة والأخذ  
بأيدي المطحونين ، كل هذا من الأحكام المقدسة للقرآن الكريم ،  
ومن الأحاديث النبوية الشريفة لخاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ)  
ومن وصايا أئمة الدين ، والتي نصدقها قولاً ولكنهم يصدقونها  
فعلاً ، ويعلم جميع عقلاء المسلمين إن كان لقوانين الغرب من  
مزايا فهي جميعها مأخوذة عن شريعة الإسلام الغراء <sup>(١)</sup> حيث  
سرقوها في غفلة منا ، عندما سنحت لهم الفرصة بذلك ،  
ولكن والأسفاه فنحن الآن ننظر إليها في أيدي الغربيين نظرة  
المتعجب ونحسداهم عليها ، ولانعلم أن هذه القوانين كانت  
مصدر سعادتنا ، ولكن في غفلة منا سقطت في أيدي الآخرين  
وطمسوا معالمها ونحن ننظر إليها عن بعد بعين الحسرة .

### وما كان لديه أخذ يتمناه من الأجنبي

هذه إيران التي نشرت أسس الحكم والعدل النابعة من  
تلك ( الأرض الطاهرة ) حتى أواخر أيام الساسانيين في هذه  
المملكة وكانوا منبع التعمير وأساس العدل ، فأذهل ضوء حضارة  
تلك المنطقة سائر سكان العالم ، والآن فأقاليم إيران أفضل أقاليم

(١) ليست كل القوانين الغربية مأخوذة من شريعة الإسلام ، كما يدعى الكاتب .

العالم من حيث الماء والهواء والأرض الخصبة والثناء على هذه النعم واجب علينا ، ولكن ماجدوى هذا ، فأرض إيران الحالية والتي فى حوزتها ضعفا اتساع أرض " فرنسا " ومع ذلك ليس لدى ايران من السكان ما هو ربع أرض فرنسا ، وكما هو واضح فاليوم يقدر تعداد " فرنسا " حسب الإحصائيات الموثوق بها بخمسة وثمانين كروراً ، ولكن إيران ليس لديها هذا العدد من السكان ، ويكتب بعض الجغرافيين الأجانب فيقول : أن عدد سكان ايران خمسة عشر كروراً ويرى البعض الآخر أن بها عشرين كروراً ولو سلمنا لكى نرضى أنفسنا بالإحصاء الثانى ( العشرين كروراً ) ، سنرى أيضاً أنه لدينا من السكان ربع ما هو موجود بأرض فرنسا ، وحينما تسألون ماذا حدث لهذه المملكة المترامية الأطراف ( إيران ) حتى قل سكانها إلى هذا الحد ، نقول إن نفس الجواب قد ذكر فى مواضع عدة ، فما أكثر المواطنين الذين هاجروا إلى البلاد الأجنبية نظراً لتعدى الحكام ، فاضطروا إلى ترك الوطن ، ومن ثم انقرضت ذرياتهم وانقطع تناسلهم وتناكحهم ، إذن ينبغى أن نبكى دماً على هذه الأحوال وقد حصر بعض الجغرافيين سكان إيران فى أواخر عهد دولة نادرشاه فوجد مع كل تلك الضربات المتتالية من الحرب والنزاع فى ذلك الوقت أن عدد الإيرانيين ما بين أربعين أو ستين كروراً ، والآن وبعد مائة وخمسين عاماً باع هؤلاء الحكام الظلمة العشرين كروراً من سكان هذه المملكة للأجانب ، وهاجم نفس هؤلاء الحكام

العشرين كروراً الأخرى فأجبروهم على ترك البلاد ، ولا توجد حسرة أشد على النفس من هذا خاصة عندما نبحث عن أسباب هذا الاضطراب ، فحينما كان بإيران العلم والفضل والحضارة كان الغرب لا يملك شيئاً من التحضر وقيمه الإنسانية ، وبعد ذلك ماذا حدث ؟ فقد انقلبت الموازين ، وماذا أصاب هذه الأرض التعسة والتي يرجع أصلها إلى ذلك الشعب النجيب القديم حتى تحتاج في كل شيء إلى الخارج بل غدت فريسة لسيطرة الأجانب ، ونحن محتاجون إلى الغرب إبتداء من الحذاء إلى القبعة <sup>(١)</sup> ، وحينما كنا لانتعامل تجارياً مع الغرب ماذا حدث لنا ، هل توقف سعينا نحو التقدم ؟ ولماذا تغلبوا علينا في تعاملهم فجعلونا محتاجين لهم في كل شيء ؟ وواضح أن سبب جهلنا هو تفكيرنا المحدود والفاصر ، إذ فُتْنَا بمنتجات الغرب الزائفة فتونا وانصرفنا عن تحسين وتطوير منتجاتنا ولم نكتف بها .

ومن جراء هذه الغفلة أصبنا اليوم ( بمرض ) الحاجة إلى الغرب ، وصدق السابقون حينما قالوا :

( تزينك بشيابك القديمة .. أفضل من أن تستعير ثياب غيرك ) <sup>(٢)</sup> أى لو عقدنا العزم ، وتخلصنا من قيد الحاجة

(١) واضح أن الكاتب يريد أن يقول إن شعبنا مستعمر ، لأن من لا يملك قوته

وفي حاجة إلى الغرب في كل هذه الأشياء فهو لا يملك استقلاله .

(٢) يدعو الكاتب الإيرانيين إلى ضرورة الإنتاج من أجل التقدم ومن أجل الحفاظ

على استقلال البلاد .

للأجانب اليوم ، لما ملأت ثروات مملكتنا سنوياً جيوب الأجانب بسبب هذه الحاجة لهم .

**الخلاصة :** فقد وردت على بالى حكاية وقد سمعتها من رجل موثوق به صادق ولا أرى أن ذكرها وقصها هنا يخلو من المناسبة حتى نلفت بها أنظار حكام المملكة ، وقد حكى القائل العظيم إنه ذات يوم كان يتجول أحد أباطرة الروس متخفياً فى سوق ( موسكو ) ، فرأى فى أحد المتاجر الخاصة بتلك المدينة بعضاً من قماش الجوخ السميك حيث طوى وألقى جانباً ، فتعجب الإمبراطور من عدم مبالاة صاحب المتجر ، فدخل المتجر وسأل صاحبه من باب اللوم والمعاتبة قائلاً : لماذا ألقى هذا القماش الجيد بهذا الشكل من عدم الإكتراث والاهتمام وسط الغبار والتراب ، وهذا إن دل على شيء فلنما يدل على عدم مهارتك فى أمر التجارة : فقال صاحب المتجر : أيها السيد لا تجد لى ألى الاخير ولا تستخف بجرح قلبى القديم ، ودعنى وشأنى ، فألمى يصعب علاجه ، فأصر الإمبراطور على موقفة وقال : تحدث عن ذلك الضرر حتى لا يصيبك الأذى ، لأرى ماذاؤك ؟ فقال صاحب المتجر : هذا القماش الذى يبدو فى نظرك جيداً تسبب فى خراب بيتى ، إذ قبل هذا الوقت كان معى ثروة لا بأس بها ، فذهبت إلى ( لندن ) من أجل التجارة ، فرأيت هناك بعض الآلات لغزل قماش الجوخ ، ففكرت فى أن أجلب لبلادى مثل هذه الآلات وذلك لكى أخلص بلادى من احتياجها لهذا القماش ، وقضيت وقتاً طويلاً فى هذا الأمر ،



وأنفقت أيضاً أموالاً طائلة حتى جلبت آلات تصنيع هذا القماش فى بلادنا ، والآن كل من أتى يعيب على فعلتى ويستنكرها وقد ضيعت كل ثروتى ونصف عمرى فى هذا الامر ، والآن ضيعت نفسى ولا أدرى ماذا أفعل ؟ فقال الإمبراطور فى الواقع إنك محق فيما تقول ، لكن لا تيأس فالله قادر على إصلاح هذا الامر ، والآن أعطني عشرين ذراعاً على الفور ، فأعطاه صاحب المتجر ما أراد ، وأخذ ثمن القماش ونشر الإمبراطور إعلاناً صباح ذلك اليوم فى الصحف بتوقيعه قائلاً : ( يوجد فى المتجر الفلانى قماش جوخ محلى جيد ، وأنا نفسى أخذت منه وحكت لى ثياب وارتديته ، وهو جميل وجيد للغاية ، وللآخرين حرية الاختيار ) .

ولكن قبل هذا الاعلان ينبغي أن نرى أنه لم تتوافر لدى أحد من الوزراء والأمراء وكبار المملكة الجراءة ليفعل هذا الامر ، إذ أن هؤلاء الوزراء والأمراء يرتدون ملابسهم من الجوخ الأجنبى المستورد ، لهذا فقد تدفق الناس على ذلك المتجر من الجهات الست ، والجوانب الأربع ، وفى خلال فترة قصيرة ، بيع ما كان موجوداً من القماش ، بل وراج بعد ذلك رواجاً كبيراً وأنشأ هذا الرجل عدة مصانع وحتى اليوم ، فقد أقيم فى هذه المنطقة خمسة وأربعون مصنعاً لغزل الجوخ ، وذلك بفضل هذا الإعلان نفسه ، فالكل يعمل ويستنفع ، وهذا الأمر يختلف عن مصابيحكم البللورية ( ماركة الملك ) وسائر زيناتكم البللورية الأخرى .

**الخلاصة :** إننا ابتعدنا عن الموضوع إذ أن الإيرانيين وفقاً لإجماع العلماء فى كل الشعوب لديهم استعداد فطرى وأذكىاء ، ولديهم كل مقومات الرقى والتحضر ، ولما أنهم على استعداد للتهذيب والتعليم فيمكنهم أيضاً أن يقدموا خدمات جليلة لوطنهم ، ولإثبات مانزعم يمكن أن نأتى بأدلة واضحة ، أولها : على الرغم من الابتعاد عن العلوم والفنون المتداولة نرى أن جزءاً من منتجات إيران هو من نتاج بنات أفكار الإيرانيين وإبداعهم وأثر من آثار أيديهم الماهرة ، مما يبعث على الحيرة ، والاستحسان لدى الصديق والغريب ، وحينما نزين هذا الشعب النجيب ذاته بزينة العلوم والفنون الحديثة ، فحيثذ سوف يكون هذا الشعب أحد الشعوب المتحضرة المتفتحة والفاضلة من العالم ، وهكذا الحال فى تحصيل العلوم ، ونعرف عدداً من أمراء إيران والذين التحقوا بالمدارس الروسية المتعددة وكذلك المدارس الفرنسية والإنجليزية وذلك من أجل تحصيل العلوم ، ومع كل الصعاب التى واجهتهم من غربة ووحدة فى أمر التحصيل إلا أنهم تفوقوا على الطلاب المحليين من أهل البلاد ، ولكن مع كل هذا الاستعداد الوراثى ، سوف يسأل القراء لماذا تخلف الإيرانيون فى كل شىء عن الآخرين ؟ نقول إن السبب فى هذا أمر واضح فهو افتقاد المربى ، افتقاد المربى ، افتقاد المربى ، وكما هو معلوم فإن نظام الحكومة الإيرانية لم يهتم فى أى عصر من العصور بهذا الموضوع ( العلم والفضل ) ، وينبغى على الإنسان الذى يريد أن

يصل إلى المراتب العليا عليه أن يكون قد اعتمد على نفوذ قوى  
جداً ، وأن يكون ذا مال وفير ، وحينما لا يستفيد المرء من هاتين  
الوسيلتين ( النقوذ والمال ) ، لن يكثرث به أحد حتى ولو كان  
في العلم والفضل والخبرة وحيد زمانه ، وهناك عنصر ثالث من  
أجل الوصول إلى المراتب العليا ، ولكنني تركته واستنكفت أن  
أذكره استحياء ، وهكذا فإن الإنسان الذي لا يمتلك عنصراً واحداً  
من هذه العناصر الثلاثة ، يجب عليه أن يجلس كأحد المصابين  
بالأمراض المعدية في منزله وأن يغلق الباب على نفسه .

ولهذا فأى علم وفن يجدى طالما أن الشخص ( يرث ) فضل  
أبيه وشهرته ؟ فهذا نفسه كاف ، في الوقت الذي يُولى فيه  
الإيرانيون الرئاسة لابن الرابعة عشر وينادونه بلقبه الرفيع ، ومن  
ثم كيف يمكن الرجاء في الرقي والتحضر لتلك الدولة ، إذ أنه  
مع وجود الاستعداد الفطري لدى ابن الرابعة عشر بخصوص  
منصب وزير الحربية والذي هو من حق رجل في سن الأربعين ،  
إلا أن كثيراً من العقبات التي يصعب اجتيازها سوف تقابله ،  
لهذا ينبغي علي الشخص أولاً أن يدرس في إحدى المدارس  
الحربية المشهورة ، وأن يحصل على الإجازة منها بتفوق ، وبعد  
ذلك يختار من هو أول الأفواج العسكرية ، شيئاً فشيئاً وبعد  
إثبات حسن الخدمة ، فإنه يرتقى سلم المناصب ويصل إلى  
منصب ( العقيد ) و ( العميد ) و ( اللواء ) و ( الفريق ) ،  
و حين يصدق لدولته وشعبه ، ويتفوق على الجميع في علمه  
وشجاعته فإنه يرتقى منصباً أعلى ، ومن ثم يصبح أهلاً لذلك

اللقب المحترم عن جدارة واستحقاق ، ولو كان الحصول على المناصب بهذه الطريقة ( المنظمة ) لبحث المواطنون عن العلم والفنون أملاً في الوصول إلى المناصب الرفيعة في الدولة ولكانوا جديرين بخدمات الدولة ومناصبها ، وحيث قد تستقيم جميع الأمور والأعمال ، وتصبح الدولة ذات قوة ومكانة ويعيش الشعب أيضاً في فخار وسموق ، وحيث يسود التعمير البلاد ، ولما شوهد أى اثر لهذه الذلة وهذا الاضطراب ، على حين نجد اليوم أن أعظم فضل لمنصب وزير الحربية هو أكل رواتب الضعفاء وحقوقهم ، والتقليل من عدد الأفواج وسلب نفقات الجيش من ملابس ومأكول وغير ذلك ، ففى حين يمنحون الجندى سيفاً ، تراهم يمنعون عنه الزى العسكرى ، فأى فضل سوف يبقى لهذا الجندى ؟ وكل ما يمتلكه هذا الإنسان شىء عرضى وثانوى ، فهو لا يمتلك أية كلمة ولا يستطيع أن يعبر عن شىء ، ويشير التاريخ نفسه إلى أمثال هؤلاء الأشخاص ، أصحاب هذه المناصب الرفيعة والذين بلغوا هذه المناصب العليا بدون أدنى جدارة أو استحقاق ونذكر على سبيل المثال ( سيرة آل برمك ) أنفسهم ، إذ أن " جعفر البرمكى " قد أنفق خلال حياته ما يقرب من ثلاثين مليوناً ذهباً من خزانة الدولة ، وفى يوم واحد كره الخليفة جعفر البرمكى ، فأشعل ناراً بالنفط والحصير ، وألقى بجعفر فى تلك النار وتخلص الخليفة من آل برمك جميعهم ، وظل أولاده لفترة طويلة جوعى ومتشردين ، وهكذا أورث العطاء الذى لاحدود له مثل هذا العقاب الشديد ، فالعطاء

المسرف والشح يؤديان إلى نتيجة واحدة ، والأمر العجيب أنه الآن يريدون أن يمدحوا كل وزير في " إيران " فيقولون إن هذا مثلاً في السخاء والكرم هو حاتم الطائي الثاني .

وإذا أرادوا أن يذموا وزيراً فإنهم يقولون إن هذا الوزير رجل طيب ولكنه خسيس ، وإنه لمن الاجحاف أن نلقب هذا الرجل بهذا اللقب الرفيع ، والآن فإن حسنات الأول هي أنه يستولى على ما يملكه الناس جبراً وقسراً ويعطى الآخرين رياء وإسرافاً ، وعيوب الوزير الثاني ( المذموم ) أنه لا يتعدى على شيء ظلماً ولا يعطى أحداً مسرفاً أو مبذراً .

والاختلاف بين هذين العالمين يبين كيف يفكر كل منهما ،

**الخلاصة :** فقد ذكر مجمل القول بخصوص وضع التجار والمتكسبين والرعية وخلاصة أحوال حكام المملكة هو أنه ليس في إيران صدر أعظم قط يمكن أن يتصف بالأمانه فيكون مستقبلاً وأهلاً لإدارة المهام الجسام في الدولة ، ولا يوجد بين حراس قصر السلطنة حارس يمكن أن يكون جديراً بالصدارة ، فالجميع مشغولون باقتناء الجياد والخدم والحشم ، أما قدسية الوطن وتعمير المملكة وتأمين مستقبل أحفادهم ، والعمل على تطوير البلاد وتقوية نفوذها وما إلى ذلك أمر لا يفكر فيه أحد في إيران ، ( ينام الناس فإذا ماتوا انتبهوا ) .

( الجميع غافلون عن الآخرة

وتصدق حين تشبههم بالموتى النائمين )

( إنهم ييذرون ضرر الغفلة

وعندما يموتون حينئذ يعلمون ذلك (١) )

أجل فقد بلغت سيطرة الدول المجارة لإيران ، رؤوس  
الإيرانيين ، وسوف يندمون غفلتهم اليوم ، ولكن وأسفاه فحينئذ  
لن يجدى الندم شيئاً .

وهنا مر بذهنى بعض الأشعار والتي هى من شعر المرحوم  
والمغفور له ( أبى نصر فتح الله خان الشيبانى ) فاللهم أسكنه  
جنة الخلد ، وكما هو معلوم فقط طبعت مختارات من أشعار  
ذلك الشاعر الحكيم طبقاً لأوامر جناب ميرزا رضا خان ، وذلك  
الجنرال القنصل الإيرانى والمقيم فى تفليس ، طبعت هذه الأشعار  
فى " إسلامبول " ، وحينئذ فقد أرسل لى أحد الأصدقاء ،  
نسخة من ذلك الديوان كهدية منه ، وأنا أيضاً نظراً لتعصبى  
المعروف ، قد لعنت الشاعر والناشر لذلك الديوان ، واعتبرت  
كلاً من هذين العظمين ، إنساناً غير غيور ، والآن فقط رأيت  
بنفس الأوضاع ، وإنى لاعتذر لكليهما بكل تواضع ، وأسأل

(١) همى غاقلند آر عقى .... راست كوى بخفتگان مانند

ضرر غفلتى كه ميو رزند ... چون بمير ند آنکهى وافند



الله أن يجعل تلك التربة الطاهرة لذلك الحكيم البليغ مهبط  
الأنوار المتألثة برحمته ، على مانظمه من جيد الشعر ، وأن هذا  
الشعر الجميل ليناسب أحوالنا اليوم ، فى رسالتنا المضطربة .

( البستان مضطرب والسرو والصنوبر مضطربان )

الملك مضطرب والعرش والتاج مضطربان )

( اللهم العن النزاع والخصام اللذين حدثا

فأمرُ بلاط السلطان من النزاع والخصام مضطرب )

( واحسرتاه على الملك الذى اضطرب

فالدخل مضطرب والاستهلاك مضطرب )

( لا يرى راعى الأغنام خيراً فى أغنامه من دهنها وصوفها ،

لأن نتاج كل قطيع خربُ )

( ولا بد من طيب حاذق للمملكة

التي أعلنت صحتها )

وهكذا اعتذر بكل تواضع لجناب مؤلف ( كتاب أحمد ) ،  
ذلك الرجل الحكيم والمستنير ، إذ إنه بسبب بلاد هذا التعصب ،  
ظننت سوءاً بذلك الكاتب الفذ ، والآن أفهم جيداً نكات شعر  
ذلك الرجل العظيم والحكيم ، وأنى على يقين من أن أصل هذه  
النار كانت تشتعل فى روحه ووجدانه ( ليهلك كل من ليست

لديه هذه النار ( ١ ) ، ومع كل هذا الاضطراب ليس معلوما ، كيف تكون كل القلوب خائفة وجللة ، فعسى الله أن يرسل طبيباً حاذقاً فى حين لا يوجد أى تكاتف بين وزراء المملكة ، فهم يفكرون فى ايداء بعضهم البعض ، ويحاول قسم آخر ( من الوزراء ) الدفاع عن أنفسهم ، وفى خضم هذا التنازع ( من المد والجزر ) كيف يمكن أن تدار أزمة الحكم ، وكيف يمكن أن تنظم أمور المملكة وراحة الرعية ورفاهيتها ؟ وأى رجاء فى رقى ذلك الملك فى الوقت الذى يكون فيه السخاء والخسة مقياس لحسنات الوزراء ومساوئهم ؟ إذ أن هاتين الصفتين بعيدتان عن أمر وظائف الوزراء وواجباتهم ، وينبغى أن نمدح الوزير الذى يتفوق فى العلم والمعرفة ويتفانى فى العمل ويكون أميناً ، وليس يمدح لسخاء مصطنع ، وينبغى علينا أن نذم الآخر للخيانة فى العمل وسوء السلوك ، وليس بخسة الطبع سواء كان خيراً أو شريراً ، فهاتان الصفتان متعلقتان بشخصه وليس بوظيفته وواجباته .

أجل ينبغى على الوزير أن يقوم بممارسة أمور مهته ، وأن يكون لديه عدد من الخدم وأن يعد مجالس الضيافة اللائقة إذا

( ١ ) مقطع من بيت شعري من المثنوى المعنوى لمولانا جلال الدين الرومى المشهور

باغنية الناي والمقطع الآخر من هذا البيت هو " أن صوت هذا الناي نار " أنظر :

- جلال الدين الرومى : المثنوى ، ترجمة محمد عبد السلام كفافى ، البيت

التاسع من أغنية الناي . ص : ٧٣

اقتضت الحاجة ، وينبغي أيضاً على الدولة أن تقدم النفقات اللازمة والتي يحتاجها ، وينبغي على الوزير أن يشكر الدولة على هذا ، وحينما لا يقنع الوزير بهذا ، فبلا شك أنه سيبدد ما فى حوزته أو يعتدى على الرعية والضعفاء من الشعب ظلماً ، أو يمد يده إلى خزانة الدولة ، ونتيجة هذا أمر لا يحمد عقباه ، ونجد الوزراء يبيعون حقوق الدولة والشعب للأجانب غير مبالين فى مقابل بعض الأموال ، غروراً منهم بالتمتع فى الدنيا أياماً معدودة ، فى حين أنهم يجودون بالقليل من المال تضليلاً منهم للشعب ، ويعتبرون أنفسهم فى أنظار عوام الشعب أنهم من أخيار الشعب ، وهم يظلمون أنفسهم ، وإذا ما أقبل عليهم الزمان بضعة أيام فأنهم لا يهتمون إلا بالمصالح الشخصية ، ولا يفترض أنه لا يوجد أحد من هؤلاء فلا يمكن أن تكتم أفواه المؤرخين وتحطم أعلامهم .

وهذا لا يتمشى مع منصب الوزير الذى يطمح إلى السموق والسمعة الطيبة ، أن يُنعم بمائة تومان أو أكثر على قصيدة شاعر كسول منافق مغمور ، يحاول أن يتملقه بشعره وهذا الشاعر يتملقه كما يتملق الآخريين ويجرؤ عليهم والوزير المحنك هو الذى يجعل مثل هذا الشاعر وغيره من الشعراء يتخلون عن

الكذب والنفاق والخداع ، ويحث على نظم الاشعار الممزوجة بالحكمة مما يكون باعشاً على تهذيب الأخلاق العامة واصلاح اللغة واللهجات الشعبية ، لقد كانت وعود السلطان محمود الغزنوى بمكافأة الفردوس السطوسى على جهوده - أسكنه الله جنة الخلد سبباً فى طمع شعراء ذلك العصر ولكن أولئك الشعراء لا يعلمون هذا ، وهو أن اليوم قد انقضى ذلك العصر ، ففى ذلك الزمان كان ملوك إيران يغيرون على الهند ويغنمون الأبل بالقطعان وكذلك الذهب والفضة والجواهر النفيسة ، أما اليوم فتلك الدولة ( إيران ) أصبحت فى فم تمساح ( روسيا )<sup>(١)</sup> ، وذلك لغفلتنا نحن ، وحينئذ فقد استحق الفردوس كل تلك الجوائز عن جدارة ، بل وكان جديراً بأكثر من هذا ، لأنه أحياناً لغة شعبه المهجورة ، وقدم خدمة جليلة لشعبه وليس مثل شعراء هذا الزمان والذين يخلو شعرهم من النصائح والحكم ، بل ويستحق اللعنات والاستنكار التام .

(١) واضح أن الكاتب مطلع على تاريخ إيران فى الماضى وكذلك سياستها فى ذلك الوقت ، كما أن هذه الفقرة توضح اطلاعه على سيرة الفردوس والخدمة الجليلة التى قدمها هذا الشاعر لإيران من خلال شاعناته .

**الخلاصة:** أن ابراهيم بيك المسكين قد أتم في هذا المكان ما أعدّه في سياحته خلال تجواله وتطوافه بين مدن إيران ، ويقول حينما ينتقد أحد القراء هذا السياحة ويسأل لماذا لم احدد وأكتب عدد سكان هذه المدن الإيرانية فإننى أرد قائلاً :

إن كل إنسان سيعترض علىّ في هذا الموضوع والحق معه ، ولكننى أقول بمتتهى الأسف إننى أردت أن أكتب فلم استطع ذلك ، إذ لم يتوفر لدى أى مصدر ، وليس فى إيران نظام متداول للحصر ، وليس لديهم سجل سنوى فى هذا الصدد كسائر الشعوب والذى عن طريقه يمكن الاطلاع على مثل هذه الأمور ، وكل من يتحدث فى هذا المضمار هو من باب التخمين والقياس ، وعلى سبيل المثال سألت أحد الاشخاص فى مدينة ( أردبيل ) قائلاً كم عدد سكان هذه المدينة ؟ فأجاب بشكل عشوائى : بها أكثر من مائتى ألف شخص ، فضحكت ضحكة مقتضبة ، فغضب قائلاً : لماذا تضحك ؟ فقلت له . لأنك تجهل الحساب ، فاضحك لأنك لاتعرف ماهو الألف ، فقال متسرعاً

لماذا لا أعرف قلت ياوالدى العزيز لا تجادل فمائتا ألف كثير فكن عادلاً فى حسابك ، فقال إن كنت لاتصدقنى فاذهب صباح الغد إلى سوق بائعى الخطب ، وانظر سترى أنه من العسير العبور أو المرور وذلك لكثرة أعداد الناس .

ثم سألت شخصاً آخر ماعدد سكان هذه المدينة ؟ قال إن بها ثلاثين ألفاً ، وعلى الرغم من أن جوابه كان تخميناً وقياساً ، لكنه إلى حد ما قريب من الحقيقة والصواب ، وكنت أسأل الدليل كل يوم عن مسافة المنازل والتي كانت بطريقنا فى هذه السياحة قائلاً : كم فرسخاً طول مسافة منزلنا هذا ؟ فكان يقول ستة فراسخ فى حين أننا سرنا مايقرب من ثمانى ساعات ، وفى بعض الأحيان كنا نسير مدة عشر ساعات حتى نصل المنزل ، وواضح أن أولئك قد سمعوا هذا من السابقين ، وليس هناك حساب دقيق ، وهذا كله أمره هين ، ولكن هناك كثيراً من الأهالى والذين يجهلون تاريخ حياتهم وأعمارهم ، والتي هى فى الغالب وقائع هامة فى تواريخ ولادتهم ، فيقولون على سبيل المثال إننى ولدت أثناء الزلزال الفلانى أو الوباء أو الحرب الفلانية ، أو اثناء وفاة العالم الكبير الفلانى أو فى عصر حكم الحاكم الفلانى ، وكأنه لايعرف شيئاً اسمه القلم والورقة ، مصدر تواريخ حياتهم هو الوقائع الكبرى والهامة ، وقلماً يرى شخص يحدد تاريخ عمره ، وعلى سبيل المثال رأيت كثيراً من



جوازات السفر والتذاكر ، فوجدت فى يد رجل يناهز السبعين عاماً تذكرة باريعين عاماً و والعكس صحيح وكل شىء مر بأخلاقهم يحتفظون به مكتوباً فى أيديهم ، وعلى هذا النحو أصحاب جوازات السفر ، ولا يوجد عندهم مقر لتقصى الحقائق وإمعان النظر طالما أن همهم هو أخذ الأموال وعدم النظام فى العمل .

وهكذا يظن التعساء أن سائر الدول تهتم بعمل التذاكر ، وذلك من أجل الحصول على الرشاوى ( فليجتث الله اسمها المشثون من على وجه البسيطة ) وهم يغفلون أن سائر الدول والشعوب ترفض رشاوى هذا النوع من الأعمال ، كما أن الغرض الأساسى من عمل مثل هذه التذاكر فى أى دولة وشعب هو تنظيم العمل من أجل الرائح والغادى ، وكذلك المحافظة على الرعية حتى تحيط هذه الشعوب علماً بما يقع لرعاياهم من أحداث ، فمثلاً فى أية منطقة يكون قد حكم على شخص بحكم معين ، فمن المتعذر أن يحصل هذا الشخص على تذكرة بالمرور والعبور ، وذلك بالنسبة لسائر رعاية الدول ، وتقوم السفارات بإجراء التحقيقات المستفيضة بالنسبة للفرد الذى يريد تذكره للخارج ، وفى " إيران " يعتبر مقر التذاكر شيئاً جديراً بالمشاهدة ، فأولاً وبطبيعة الحال يستطيع أى مقر للتذاكر فى إيران أن يطبع مايشاء من التذاكر دون أى مساءلة ، طالما أن هذا الشخص يريد أن يحصل على الأموال وليس هناك ثمن محدد

لهذه التذكرة ، وكان يحكى لى أحد الأصدقاء قائلاً : رأيت فى ميناء ( جده ) أكثر من عشرة أنواع من التذاكر فى أنواع مختلفة فى ايدى الحجاج الايرانيين ، وقد رأفت أحد الحجاج الايرانيين ، وكان هذا الشخص من أهل " مازندران " الأشراف ، وكان قد دفع النقود من أجل التصديق على التذاكر فى الذهاب والإياب ، وقد دون كل شىء فى كتيب وأراني اياه ، وقد دفع من أجل التصديق على التذاكر مبلغ خمسة وأربعين تومانا ونصف التومان ، وكان يحكى لى نفس هذا الشخص فيقول : إن كثيراً من القرويين لا يفهمون معنى القدرة واليسر ، فهم إذا رأوا فى جيوبهم مائة تومان أو مائة وخمسين تومانا فإنهم يعزمون على السفر " للحجاز " وذلك بتحريض العلماء لهم ، فيخسر المساكين هذا المبلغ فى بدء الأمر مما يضطرون إلى التسول وسؤال الناس ، ولهذا فقد توفى اثنان أو ثلاثة من الحجاج الايرانيين ، إذ لم يتحملوا شدة العسر وقلة المال ، وذلك عند العودة من ( جدة ) فتوفوا إما فى الباخرة أو أنهم القوا بأنفسهم فى البحر ، وقد رأيت عدداً من الأشخاص فى الكرائتينة فى ( طور سيناء ) ، وقد أخذوا يتسولون هناك ووصلوا وطنهم بين موت وحياة ، وحينما اجتهدت رابى وحكمت بهذا وهو : إن كل شخص قل ما يملكه كنفقة طريق عن سبعمائة تومان لايجوز له الحج ، فقلت يا أخى لقد صدقت فانك لم تجتهد فى بداية الأمر حتى تحرم حلالاً ، وقال لاتصق بى أيها المواطن إذا كنت قد ثرثرت كثيراً وذلك

لشدة حزني ، كما أنك لم تعلم ولو رأيت أحوال هؤلاء  
بنفسك ، وعانيت الشدائد التي عانوا منها في " مكة " و  
" المدينة " ، بسبب النقود ، لكنت تحدثت أكثر مما تحدثت عنه  
أنا نفسي .

وليجعل الله لك نصيباً حتى ترى بنفسك وحينئذ ستفهم  
ماقلته ، كما أن هلهلة ملابسهم وأمر حياتهم ، يجعلان الإنسان  
يخجل من أولئك الأعراب العراة الحفاة .

**الخلاصة :** لما أنه ينبغي أن انتظر مجيء السفينة في  
" باطوم " مدة أربعة أيام ، ولما لم يكن لدينا أي عمل نقوم به  
رأيت أنه من الأفضل أن أدون بعض هذه الكلمات في ذيل  
سياحتي ، على الرغم من أنها تخرج عن موضوعات السياحة ،  
ولما أن الغرض الأساسي هو نصيحة المواطنين بتحصيل العلوم  
المتداولة فإن ذكر هذه النصيحة الموجزة لا يخلو من الفائدة  
والنفع ، وفي إيران رأيت أن الحصول على المنصب واللقب  
وحكم أي اقليم متاح لكل شخص بالمال من أية طبقة أو فئة .  
وأن المشاكل كلها نابعة من كثرة الرشاوى ، وكل من يعترض  
على هذا الحديث فليذهب إلى " إيران " فهي موجودة وشاهدة  
على ما أقول ، ولا يمكن أن ينكر أحد هذا المعنى ، ولكننا نستثنى  
منصباً أو مهنة واحدة ، تشذ عن هذه القاعدة وفيها لا يأخذ أحد  
مالاً أو رشوة أو ثمن وساطة ، وذلك لأن الحصول على ذلك  
المنصب منوط بالعلم ، وبناء على هذا فالمنصب المذكور مصون

بفضل العلم من أى نوع من تجاوز جامعى الأموال الجاهلاء ،  
وإذا لم تعرفوا ذلك المنصب ، أقول لكم إنه مهنة مكاتب المبرقة  
فى إيران .

وذلك لأن أساس تلك المهنة متعلق بوجود العلم كما سبق  
القول ، وإذا ما اجتمع فى " إيران " فى يوم من الأيام عشرة  
وزراء أو مائة أمير من أمراء الجيش كالعقيد والعميد وما فوق  
ذلك ، فإنهم يثرثرون حتى المساء باستثناء موظفى المبرقة ، إذا لو  
ابتعدوا عن أعمالهم مرة فى اليوم فإن الاتصالات ستعطل  
برمتها ، ومن ثم سيظهر الهرج والمرج الواضح فى شئون  
الملكمة ، إذ أنه ليس كل شخص على دراية بفن وعلم  
التلغراف ، على الرغم من أن معرفة هذا العلم فى البلاد  
الأجنبية ميسر لكل طفل ، أى أنه من أسهل العلوم المتداولة ،  
وليس له أهمية بين الناس ، ولا يمكن للمرء أن يتدرج فى مناصب  
هذا العلم الرفيع إذا كان هذا المرء يجهل هذا العلم حتى ولو قدم  
رشوة مالية قدرها مائة ألف تومان ، وحتماً سيرفضون أن يسندوا  
لهذا المرء مهنة رجل التلغراف ، فدرجة شرف العلم وجلالته  
أرفع من ذلك ، وعليه أن يأتى بالأدلة ليثبت أنه على دراية وعلم  
بهذه المهنة ، وحينما تتحسن أوضاع مدارس البلاد بالشكل الذى  
نعرفه ويحصل المواطنون العلوم والفنون المتداولة ، فأى شىء آخر  
يلزمهم من أجل الحصول على أرزاقهم ؟

فى حين أن أولادهم أنفسهم يكذبون أو يرضون بالأضرار الأخرى ويخونون الدولة والشعب والوطن ، والكيمياء المزعومة والتى يعتقد فيها أهل الشرق هى جزء من العلم ، وكما هو معلوم فقد خرب كثير من المنازل الكبيرة وذهبت أدراج الرياح ، وذلك من جراء هذه الكيمياء المزعومة ، وقد اتجه كثير من المشعوذين إلى إيران ولقب هؤلاء المشعوذون أنفسهم بلقب الكيمياءيين وراحوا يخربون بيوت المواطنين ، وذلك بسبب جهل الناس ، فى حين لم يجد واحد منهم أذنا صاغية لأحاديثه البلهاء الكاذبة فى أى مكان من العالم ، وذلك بفضل العلم والمعرفة ، وراح هؤلاء الدجالون يجبرون الناس المحترمين من بدء الليل حتى تنفس الصباح على النفخ فى الكور ، ويحرمونهم من لذة رؤية أولادهم وأطفالهم ، ومن السهل أن يتقل ذلك المرض المعدى أيضاً لأحفادهم ، وما أكثر المنازل العظيمة التى أراها فى إيران ، وقد غدت حطاماً ورماداً محروقة بنار الإكسير ، وحينما يكون الشخص على دراية بالعلوم والفنون المتداولة ، سيعلم بلاشك أنك لايمكن تغيير ماهية الشئ ، وأن تغيير اللون الظاهر لايعد دليلاً على جودة أصله .

( لو لونت الدمع بلون الدم ... )

لن يتغير لونه إلى لعل بدخشان اللامع ( ١ )

( ١ ) گرد اشك رنكى قانيله ملون ايده سن . . رنكى تغيير تابار لعل بدخشان اولز

وهناك بالفعل علم الكيمياء وهو علم جليل للغاية ، ولا أحد ينكر ذلك ، ولكن ليس كما يشيع بين أهل الشرق ، أن مصدره ( هكذا قال الشخص الهندي الفلاني ، وهكذا ذكر فلان المغربي ؟ ) ، إذ ينبغي تعلّم هذا العلم الجليل في المدرسة من المعلم ، وليس من الدرويش الإيراني الفلاني أو الدرويش النوراني ، ولو تعلم الشعب هذا العلم الجليل في المدارس من الكتب وتلقين المعلمين ودروسهم الحكيمة ، لاكتشف أفراد الشعب اليوم العديد من المعادن النفيسة في بقاع هذه المملكة ، ولكانوا خلّصوا بلادهم من كل ما تحتاجه من الخارج إلى حد ما ، ولخلصوا كثيراً من البيوت التي أحرقتها الدجالون والذين يزعمون أنهم كيميائيون ، خلصوها من تلك النار المخربة للبيوت ، ولصانوا قاطني هذه البيوت من كوارث الذلة بعد العزة ، ولبلغوا أعلى درجات الرقي في تعمير وطنهم ، وحينما أقول إنه بفضل المدارس وشرف العلم يعمل في مطبعة واحدة زهاء أربعة آلاف عامل يومياً وذلك في البلاد الأجنبية لن يصدقني مواطن واحد من مواطني المحترمين ، وفي إنجلترا وحدها يعمل وفقاً للإحصاءات ما يقرب من ثلاثمائة ألف عامل يومياً في المطابع ، ولكن مواطني نظراً لجهلهم فإنهم يجتاحون البلاد الأجنبية بالآلاف ويشغلون لدى الشعوب الأجنبية في أعمال حقيرة .



وثمرة هذا الإكسير هو ما يطلق عليه اسم ( المدرسة ) ، إن شباب المملكة بعد الحصول على شهادة التفرغ من العلوم والفنون فإنهم يأتون بالآلات من الخارج ويعملون بقوة العلم فى أدغال مازندران التى هى اليوم فريسة مطامع الأجانب ويقطعون ما بها من أشجار عتيقة ، ومن ناحية أخرى فإنهم يصنعون الورق من قشرها والذى أمامى نموذج الآن منه ( الورق ) ويدرس علم الهاتف فى تلك المدارس ، ولو تهيأت مقومات ذلك الآن ، أى لو كان هناك هاتف ، لكنت اتصلت اليوم من هذا المكان بذلك ( الوجود المحترم ) فى طهران ، وكنت سألته عن بعض الموضوعات التى كنت نسيتهـا آنذاك ، وعلى سبيل المثال كنا تحدثنا مع ذلك السيد النجيب فى مكتبته ولما رفعت صوتى أكثر من هذا ، أو كنت اتصلت بوالدتى المقيمة فى مصر ، وتجاوزنا أطراف الحديث إذ أنها الآن قلقة على ، إن العلم هو أن تضاء المدينة الكبيرة فى الليل الحالك وفى ثوان بلا زيت أو فتيل ، ويصبح الإكسير أفضل من العلم لو أن الرجل الغربى يبيع الفولاذ بقيمة الذهب فى تلقين العلم ، والإكسير الحقيقى هو ليس باطلاق الشباب للشعور الطويلة وفى أى مكان من العالم إذا سألت عن المدرسة دلوـك عليها ، أما المكان المجهول والذى لايعرفه أحد فهو إيران ، وهذا كاف ولا أعلم لماذا هذه الدولة القديمة والعريقة وهذا الشعب النجيب الذكى لماذا لايبحثان عن ضالتهما ( المدرسة ) وكما يقال :

( الحكمة ضالة المؤمن أخذوها حيث وجدوها )

والشيء العجيب أن كثيراً من الناس يثرثرون شفاهة قائلين إن الأدوار الفلكية تقتضى هذه الحالة ، غافلين عن أن الفلك نفسه فى حيرة أمام افتراءاتهم هذه ، وقد أمهلكم الفلك المسكين مهلة خمسين عاماً<sup>(١)</sup> كاملاً وقد عاصر كثيراً من الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، وقد جلست أنت أيها المواطن خلال هذه المدة الطويلة فى بيتك فى ظلام حالك ، وشاهدت من بعد ضياء بيوت الجيران ، ومع ذلك لم تطمع أن تستفيد من ذلك الضياء ، فما هو ذنب الفلك وغير الفلك ؟ فى حين أن الفلك يقول بلسان الحال : ليس لى أى ذنب فانا لازلت محكوما كحكم رؤساء عسسكم وكبار سعاتكم وواضح أن لخالق هذه الأفلاك حكمة خفية من ذلك الخلق .

كما أن الله لم يخلق أولئك شعباً ضعيفاً منكوب الطالع ، وحينما يعمل أى شعب وعلى الأخص الإيرانيين ، يعملون وفقاً لأحكام الله وأوامر رسوله بحيث يتقنون أعمالهم فإن الشعب لن يمسه أى أذى .

وحينما يسعون فى طريق العلم والمعرفة ويتألمون لألم الدين وحب الوطن والغيرة القومية فحيث يوفقهم الله فى أعمالهم وأحوالهم ، ويسعدون فى الدنيا والآخرة ويعيشون حياتهم فى

(١) اشارة إلى حكم ناصر الدين شاه الذى اقترب من الخمسين عاماً .

عز وفخار ، وحيث لن تبقى هناك شكوى من الفلك أو الملك ، وهم أنفسهم سيعلمون أنه منذ بدء بزوغ شمس الإسلام أن الفلك لم يساعد أى شعب من الشعوب مثل شعب ايران . وحينما يغفلون عن إصلاح المدارس والبحث عن وسائل الرقى والحضارة ، ويتصرفون بالرؤية السالفة الذكر فمن السهل أن تظهر الكوارث والمصائب من بلاد الشمال من ناحية ، وسوف تهيج أمواج بحر عمان الهادرة من ناحية أخرى <sup>(١)</sup> ، فتشمل الوطن ، ولن تترك أثراً لقوميتنا وشرفنا واستقلالنا على ظهر البسيطة ، وحيث سوف يجتاح الأعداء بلادنا ، وقسما بالله ، عندما يحدث مثل هذا ، سوف يتجمد الدم فى العروق الإنسانية .

كما أن سائر الشعوب على الرغم من أن لديها الملايين من الجنود المدربين ، وهم موزعون بالآلاف على المهام القتالية بما فى هذه المهام من أسلحة مختلفة كالمدفع والبنديقية وغير ذلك ، إلا أن مثل هذه الشعوب تزيد أرباح بلادها على المليارات ، ومع كل هذا فهم لا يتوانون لحظة واحدة عن زيادة قدراتهم وكفاءاتهم ، بل ويعملون ليل نهار ، ودائماً يفكرون فى توسيع رقعة بلادهم ، فنجد وزير المالية مشغولاً بضرورة زيادة الدخل ، من

(١) يقصد الكاتب بالخطر المقيم من الشمال هو الخطر الروسى ، أما الخطر الجنوبي فهو الخطر الإنجليزي وقد صدقت نبوءة المراهى هذه بالفعل ، إذ قسمت كل من روسيا وإنجلترا إيران بينهما كمناطق نفوذ فى عام ١٩٠٧م أى بعد الثورة الدستورية بعام واحد .

- Elwell : Modern Iran, p. 61 .

ناحية ، ومن ناحية ثانية فوزير الحربية مشغول بإصلاح مساوىء  
المعسكرات ، ومن ناحية ثالثة نجد وزير التعليم مشغولاً بافتتاح  
المدارس الجديدة وإصلاح أوضاع المدارس الموجودة ) ، ولا يتدخل  
واحد من هؤلاء فى شئون الآخر ، فالجميع يتمنطقون بنطاق  
الهمة وذلك لإخلاصهم ، وهم يخدمون الدولة والشعب  
بأرواحهم ، وهدفهم جميعاً هو أن يُظهروا وطنهم فى مظهر  
محترم فى نظر الغير ، ومن ثم يهيئون مقومات العزة والفخر  
لأحفادهم .

**الخلاصة :** أنهم يعتبرون الوطن بيتاً لهم وأن مواطنيهم هم  
أولادهم ، وتعتبر تنشئة الأطفال وتعمير البيوت من الواجبات  
الإنسانية الأولى ، ومن ثم يخلصون بلادهم عن الجملة المنحوسة  
ألا وهى ( وما شأنى ) ، حتى لا يسمع أطفالهم هذه الجملة  
المشثومة ، فيتحدثوا بها فى الكبر .

وحيثما تنزل بالشعب نازلة أو يصيبهم مكروه ، كالحرق  
والغرق ، فينبغى أن تقدم فى كل مكان الإعانات ويساعد الجميع  
المنكوبين عن طيب خاطر بما يليق بهم ويأخذون بأيدي  
العاجزين بمختلف الوسائل والأساليب . ويفهم كلماتى هذه  
جيداً من هو مثلى قد امتزجت طبيعته المكونة من الماء والطين  
بحب الوطن ، والآن فلانى فى حيرة من أمر الأشخاص الذين  
كانوا يعارضوننى دائماً فى ( مصر ) فيماذا أجيب ؟ فحينما  
أتحدث بصدق على كل ما شاهدته فقد صدقت أقوالهم ولا يرضى

قلبي بذلك ، ولو كذبت فقد خالفت ما أوصاني به أبى ، إذ قد نصحنى بترك الكذب ، وينبغى أن اتضرع إلى الله بالدعاء أن يسلبنى هذه الخصيصة أو يميتنى ، وأن يهيب مقومات تعمير إيران وسعادة الإيرانيين ، والموت أسهل من تحقيق مثل هذه الآمال ، ( ولكن أمى المسكينة ليست لها بين الناس سوى ) ، ومع هذا فإن الآمال تحدونى ، إذ أن حكام الدولة الإيرانية قد سافروا عدة مرات للسياسة فى البلاد الأجنبية وقد راوا بأعينهم وسائل رقى شعوب بلاد الشمال والغرب ، ولاشك أنه بسبب هذه الأسفار المتوالية قد تحركت دماء الحمية فى عروقهم ، ومن ثم سيحاولون أن يعملوا على تطوير البلاد وتقدمها ، وإصلاح هذه المملكة المترامية الأطراف محتاج إلى وقت طويل ولاشك فى هذا ، وهذا الأمر ليس كطبخ الحلوى طالما يشرعون فى العمل والإصلاح ، وقد شُغلت اليابان مدة عشرين عاماً كاملاً فى إصلاح أمورها ، ولم يعلم أحد أنها أغلقت الأبواب على نفسها وبعد ذلك أصلحت أمورها ، وانفتحت ثانية على العالم ، وحيث رأى جيرانها أنها استبدلت الظلام بانوار الرقى والحضارة ، فمحووا الجهل وعدم المعرفة من هناك ، واستبدلوا ذلك بالعلم والبصيرة ، وربما يفكر حكام دولة إيران هكذا أن وراء كل عسر يسراً ، وإلا فانظر إلى أهل الحبشة والزنوج العراة والذين افترشوا الحصى فى الصحراء ، سترى أنهم يقفون أمام دولة كبرى كإيطاليا ، ولا يسمحون لتلك الدولة الكبرى أن تتقدم خطوة

واحدة نحوهم ، ولما بدأ من هذه الأفكار ما يبعث على الترويح  
عن النفس كأنتى كنت فى غير وعى وأفقت ثانية ، قلت لنفسى  
يا إبراهيم كفى أم ستحدث ثانية واجبت على نفسى قائلاً : لا  
بل هدفى هو أن يكون لدينا من المدارس الحديثة والسكك  
الحديدية والطرق المرصوفة فى بلادنا .

وأن نقيم المعسكرات المنظمة فى المناطق الرئيسية من البلاد ،  
واللائقة بسكان الوطن واتساع المملكة ، وأن نتوسع فى علاقاتنا  
التجارية حتى لا يطمع جيراننا فى بلادنا ، وأقرب جارة لنا عاجزة  
عن المحافظة على بلادها ، فلا ينبغى أن نسمح لسائر جيراننا  
بالتعدى على حقوقنا الصريحة ، ولانسمح لأحد أن يطمع فى  
ملكنا ، ويقنع بما يغتصبه منا ، وإذا لم يحدث هذا لا يمكن أن  
نحفظ وطننا وديننا وكذلك النواميس المقدسة لشريعتنا ولو أن  
أجدادنا المتأخرين رحمهم الله كانوا يقولون مثلنا اليوم  
( ماشأنى ) وعلى هذا النحو كانوا يتصرفون ، لما بقى لنا هذا  
البيت الحقير ، ومعلوم أن الإنسان الذى يريد أن يعد بستانا  
ويزرع أشجاراً مثمرة ، هدفه من وراء ذلك هو انتفاع أولاده من  
بعده بالتمتع بالورود وأعشاب ذلك البستان وثمار هذا البستان أن  
أسلافنا قد اشتروا هذا الوطن العزيز بدمائهم كثرمن له ، ثم  
صانوه وحافظوا عليه من أجلنا ، وحينما ننعم النظر فى تراب  
وطننا لانجد حفنة من هذا التراب لم تمتزج بدماء أجدادنا  
الاعزاء ، وكم من الأرواح الغالية سفكت فى سبيل الدفاع



والمحافظة على هذه الحفنة الرملية ، وعندما حاصرنا الأعداء الأقوياء من كل مكان تنازع أجدادنا النجباء مع كل أولئك الأعداء ليل نهار حتى طهروا ساحة الوطن بعد توضحيات عدة مع الأجانب الأقوياء المهاجمين ، والذين كانوا عدو كل شىء عندنا ، والآن فإننا لم نتقدم خطوة واحدة نحو الأمام ، وذلك بسبب الكسل وعدم التفكير وهل يجوز أن لانعمل من أجل المحافظة على الشىء القليل من أرضنا والذي حفظه لنا الزمان ، خاصة وأنا خسرنا جزءاً كبيراً من بلادنا ؟ أم ندوس على ديننا ووطننا بالأقدام ، ولانشكر الله على هذه النعمة الكبرى إن خصنا بالمساجد والمعابد ؟ وهل يجوز أن لانحافظ عليها بالشكل اللائق لشأن الإسلام السامى ؟ وأخشى من الله أن يحاسبنا حساباً عسيراً جزاء للكفر بنعمه ، فيطيح القدر الإلهى بأسس كل عزة لنا وهذا ما أعنيه ، ولا فلو أن اليوم احترقت ايران كلها ظلما فلست بينهم ، وربما يحزن قلبى وأنا بعيد عنهم فقط ، ومن ناحية أخرى فلو علقت سلاسل العدل فى كل ناحية من تلك الدولة كعهد الملك ( أنور شيروان ) العادل فلن يعود على شىء من بين الناس سوى الفخر والغبطة لهم فقط ، ولو أن مواطنى المحترمين يقولون ماذا أصاب هذا الشاب الفضولى حتى ينصح أهل المملكة بما يتصل بالعقل والمنطق .

أرد عليهم يمتُهى التواضع أن تلك الذرة التى لاتقدر هى " أنا " ولكن اعملوا بقول العظماء ، إذ يقولون ( أنظروا إلى ما قال ولا تنظروا إلى من قال ) .

( إن شرف القائل وخسته

لايؤثران قط في كلامه ) (١)

( فانظر أنت إلى الحديث ماحاله

ولانتظر إلى صاحبه )

وأترضع إلى الله بالدعاء أن يمد في عمري إلى اليوم الذي أرى فيه بعيني أيام السعادة التي وعدني بها (ذلك الوجود المحترم ) في " طهران " وأول مقومات تلك السعادة منوط بحدوث وحدة واتحاد بين كافة وزراء المملكة وحكام الشعب ومن ثم يتركون جانباً برجولة أهواءهم الشخصية ليتكاتفوا ويهبوا لمساعدة بعضهم البعض لإصلاح مفاصد الوطن ، ويعتبروا أنفسهم مثل وزراء سائر الدول ، وذلك في خدمة الوطن وتقديس الدولة . وبينما كنت بصدد هذه الأفكار حدثني يوسف عمي فجأة قائلاً : يا حضرة البيك : لعلك لاترغب في الغداء ؟ فلأني جائع ، وقد مر على الغداء كثير من الوقت ، فرأيت أن مايقوله صواب ، فنحن على وشك العصر ، فقلت لامانع ولنذهب نأكل شيئاً ، وحتى نشترى ساعة من السوق بدلاً من ساعتى التى ضاعت فى " طهران " وقال العم يوسف حقاً يا حضرة البيك ، فكم أردت أن أسألك أين ساعتك ، فلم أجد

(١) شرف قائل وخسامت او ... نكند در كلام هيچ اثر توسخن را نگر كه حالش چيست ... بر كذار نده سخن منكر .

الوقت المناسب لسؤالى ، والآن أنت بنفسك أثرت الموضوع ، فذكرتنى حقيقة بالموضوع . . . فماذا حدث لساعتك ؟ فقلت لاتسألنى لأننى لن اتحدث فقال لماذا ؟ قلت لأننى بالفعل لايمكننى أن أتحدث عن تلك الحادثة ، وأنت تعلم أنه ليس من عادتى الكذب ، فخفض المسكين الرأس وصمت تماماً ، وخرج الاثنان من أجل تناول وجبة الغداء وشراء ساعة ، وأقبل شخص إيرانى فى نفس المكان ، فسألت هذا المواطن : أ يوجد هنا مطعم لطهى الارز ؟ قال لا ، وإن أردتم الغداء ، فهناك مطعم كباب ، قلت لاضير ، فلو تدلنا على مكانه فلك جزيل الشكر ، فقال لكم ماتريدون ، ودلنا على مطعم كباب ، بل وأوصلنا إلى المطعم نفسه ، فقممت بالواجب قائلاً : تفضل معنا لتناول الغداء سوياً ، فقال لقد تناولته . . . صحبتكم السلامة ، ورحل .

ودخلنا نحن بدورنا مطعم الشواء ، وطلبناه وانتهينا من الأكل ، وبعد ذلك دخلنا محلاً لشراء ساعة ، فتقدم صاحب المحل وكان رجلاً يهودى الأصل ، فسألته عن قيمتها ، فأجابنى باللغة الروسية ، إذ أنه لايعرف التركيه فحدثته باللغة الفرنسية والإنجليزية لقضاء طلبى فلم يفهم ، واتضح أنه يعرف الروسية فقط ، فأردنا أن نعود ، لكنه سرعان ماأتى بتشكيله من الساعات وأشار إلينا قائلاً تعالا ، فأدركت أنه يبحث عن مترجم ، وكان فى الدكان سلم ، فأعتلاه ، ودخل فى أحد الأماكن فتعقبناه ، حتى وصلنا أحد المنازل ، فطرق باب أحد الغرف ، فارتفع صوت ( ادخل ) باللغة الفرنسية من داخل المنزل على غرار

الفرنسيين ، ودخل بائع الساعة ، واتبعناه نحن بدورنا ، فرأيت ثلاثة أفراد إيرانيين يتناولون وجبه الغداء ، فalcينا السلام ، فلما رأونا دعونا قائلين تفضلوا على بركة الله قلت : شكراً ، فمئذ قليل تناولنا الطعام ، فعرض صاحب المحل اليهودى الموضوع عليهم قائلاً : يريد هذان المواطنان أن يشتريا ساعة ، وذلك باللغة الروسية .

**الخلاصة :** أننا اشترينا ساعة بواسطة ترجمة أولئك الأشخاص ، ثمناها اثنا عشر منا ، وأخذ اليهودى حقه ، وذهب لحاله ، ولما أن الشاى كان معداً دائماً فى المنازل والبيوت بالأقاليم الروسية ، فقد دعينا لتناول الشاى فارتشفناه ، وبعد ذلك دار الحديث ، واتضح أن صاحب المنزل أحد التجار الإيرانيين ، حيث يقيم فى " باطوم " بصفة دائمة ويزاول التجارة ، وهو فى أغلب الأحيان مشغول بالاتجار فى الشاى ، فسألنا عن الاسم والموطن فقلت : إتنى إيرانى ومقيم فى " مصر " وابن فلان ، فسعد للغاية ورحب بنا ثانية بعد أن سألنا عن غربتنا وعن أخص أحوالنا ، واتضح أن بينه وبين والدى صداقة قديمة ، وقد حزن حزناً شديداً لوفاة المرحوم والدى . وقد تأثر بالحادثة تأثراً بالغاً وسألته أيضاً عن اسمى هذين المواطنين اللذين يجلسان معه ، فأشار على أحدهما وقال هذا المواطن اسمه كربلاى تقى ، وهو من أهل " مرند " ، وهو يقيم فى هذه المدينة ، وذاك أيضاً اسمه خليل سلطان زوج أختى ، وقد أرسلته لى حتى أحكم بينهما ، ولما أنه يجهل مايرىحنى فهو يريد أن يتسبب فى بلائى

وأذيتى وذلك بسبب الحب والود الذى بيننا ، ودار حديث مازح لفترة من الوقت ، وفى تلك الأثناء دخل شخص وقال دون أن يمهّد للموضوع ، يا حاجى هذا الرجل يماطل ثانية واستحلفك بالله أن تخلصنى من برائن هذا الظالم ، فقال الحاجى ياوالدى العزيز .

ماذا أفعل ، فقد ذهبت له ثلاثة مرات وطلبت منه أن يعطيك من المنات مائة وخمسين ، وقد وعد هو نفسه بذلك فأية مماثلة هذه ؟ وليلعن الله تلك الطائفة التى لاتخجل من الله ورسوله ، التى تجرات على أكل أموال الأيتام والضعفاء من الناس ، واذهب أنت وأنا سأذهب اليوم ثانية ، فربما أفعل شيئاً حتى أخلصك ، ودعا له ذلك الشخص ، وأثنى عليه ورحل ، فسأل " خليل سلطان " ماالخبر ؟ ومن هو هذا الشخص ؟ فقال الحاجى توفى العام الماضى مواطن هنا ، وكان له دكان بقالة ، فباع القنصل محتويات الدكان فبلغ ثمن مايحتويه الدكان سبعمائة وخمسين وبعض المنات ، واستولى عليها جميعها ، والآن فهذا الشخص الذى جاء هنا أخو المتوفى ، ولديه شهادة من كبار علماء المملكة تفيد أنه أخو المتوفى ووارثه ، والآن مضت عدة أشهر وهو معطل على العمل ، ولم يذهب القنصل لإعطائه تركة المتوفى ، حتى أننا حددناه بمائة وخمسين من المنات ، وذلك بشق الأنفس ، وهو لا يريد أن يعطيه هذا المبلغ ظلماً وعدواناً ، وسألت من يُعين القنصل ؟ قال

إنه يتعين من قبل جنرال سفارة "تفليس" ، فقلت فليعرض موضوعه هذا على الفريق القنصل في "تفليس" ويشكو له منه ، فقال رحم الله والدك ، فقد تعلّم هو نفسه هذا الأسلوب من هناك ( إيران ) ، فقال خليل سلطان : ما ذنب القنصل المسكين ، إنهم لا يعطونه شيئاً من المال فماذا يفعل ؟ وليس ببعيد أنهم يأخذون المبلغ أيضاً تحت اسم الرشوة والهدية ، فقلت يا سيد سلطان أنتما زميلان في العمل ، وتعملان معاً في الديوان ، ولا شك أنكما تريدان أن تحميا القنصل ، وربما لا يعطونكم شيئاً؟ ، فقال بالله لو أنهم لا يتقاضون شيئاً فأنا راض ليكون ربحهم حلالاً ، فقلت ما هذا ؟ قال أنا لم أر شيئاً من تلك الرشاوى منذ سنوات وكان لدى جواد أصيل ، وكنت أحبه أكثر من عيني ، وقد رأى عميدنا هذا الجواد فطمع فيه ، وكلما لمح لى عن غرضه بالإشارة لم أكثرث بذلك ، حتى أفصح عن غرضه بلسانه ، فأصررت أن لا أعطيه إياه ، فحاول أن يخلعنى من منصبى ويحث عن مشترٍ لمنصبى وطلب منه سبعمائة تومان كرشوة له حتى يعطيه قيادة الفوج ، فقلت له وأنا بين جمع من الناس : يا سيادة العميد إن هذا المنصب ورثته عن أجدادى ، وقد خدم أجدادى الدولة كثيراً ، وقد عانى والدى من فتنة القيادة عامين فى "خراسان" ، وتحمل الكثير من العناء والمشاق ، فلو أعطيت منصبى لأحد غيرى ، سوف أذهب مباشرة إلى المبرقة لأشكوك



للملك ، وسأسعى فى هذا الأمر حتى ولو كلفنى حياتى ، لأننى لاحظت أنه لا جزاء لمن يعمل ، وما هو جدير بالقول فقد قلته .

فرأى العميد أننى لست كسائر الأشخاص ، فعدل عن فكرته بل وأهتم بى وخلع على خلعاً ، ومع كل هذا لم أفرط فى الجواد ، وقلت أصدقنى القول أليس لديك عائد مادى منتظم أساساً أم لا يعطونكم ؟ قال ماذا تقول ، إن خزانة الدولة تقرر لنا مرتبات معينة ومحددة ، ولكنهم يأكلونها ولا يعطون شيئاً لأمثالى ، ولما أننى من فضل الله لست فى حاجة لها فإن الحكام الكبار يستولون عليها ، ونظراً للعراقيل السالفة الذكر قد يصل صاحب هذه المرتبات عُشرها أو قد لا يصله شىء منها ، وأنا لم أر منها شيئاً قط ، ( ومن السهل جداً أن أتعرف على الأشخاص الذين هم امثالى ) <sup>(١)</sup> ، وأولئك لا يرون منها شيئاً أيضاً ، وقال صاحب المنزل أتحبون أن نخرج ونمشى قليلاً ؟ قلت لا بأس ، وخرجنا معهم وقد شاهدنا كل شىء حتى وصلنا إلى حديقة حكومية ، وكانت فى غاية الازدحام وبها أناس كثيرون ، وقد مضى من الليل نصف الساعة بعد أن عدنا ، وفى لحظة الوداع قلت لصاحب المنزل ، ربما لا يمكننا أن نزورك بالغد ، وقد أتت الباخرة اليوم ، وغداً إن شاء الله سوف نتوجه إلى "إسلامبول" ، فأدعوا لنا ، فقال الحاج لا يمكن أن أسمح لكم أن تذهبوا غداً فظننت أنه يدعونا إلى البيت ، فقلت : لا يمكن لأبد وأن أذهب ،

(١) أى أن امثالى كثيرون .

قال : لا فالساعة الآن نحسة ، فرأيت أن الموضوع قد تغير وأن جناب الحاج رجل ساذج ، فقلت متجاهلاً إننا اشترينا الساعة بواسطتك ، فلو كانت سيئة لما لم تخبرنى حيثئذ حتى لا نشترىها؟ قال لا أقصد تلك الساعة فبالأمس كنت أنظر فى التقويم ، فرأيت أنه لا يستحب سفر البحر اليوم ، فشعرت بمرارة شديدة وقلت : لعنة الله على ذلك التقويم وكاتبه والمعتقد فيه ، فيا عبد الله أليس من العيب أن تقضى عمرك فى هذا العبث وتضيع وقتك الثمين ؟ إن ذلك الشخص الذى لا دين له قد كتب أن اليوم الفلانى لا يستحب فيه سفر البحر ، وأن الساعة كذا مناسبة لرؤية الحكام ، وهو نفسه يغفل عما يدور بيته ، وليترك (ابن المحروق) الأمور السماوية أو الغيبية لحالها وليفكر فى الأمور الأرضية التى حوله ، فأولاً يخبر مواطنيه بعدد سكان إيران ويخبر المواطنين أيضاً كم تبلغ مساحة المملكة وكم تبلغ مسافة حدودها وبعد ذلك يهتم بالسماء ، وأشد ما يؤلمنى من جراء هؤلاء المنجمين وتقويمهم أن يخون المرء ربه الذى هو يعيش بفضله فيقول : إن اليوم الفلانى ليس مناسباً لرؤية وجوه الملوك ، وسىء الحظ بالنسبة لرؤية الملوك دائماً مبارك ، ... فكن أميناً وعبداً صديقاً وقريناً ملازماً لتحرك الملك ، وكلما اتاحت الفرصة انظر فى وجوههم حتى تكون ميموناً وسعيداً !

وعلى العكس فحينما تخون الدولة والملك يكون بالك دائماً مشغولاً ومشوشاً من جراء ذلك ، واعلم إن أى يوم أو ساعة

مباركة لا يمكن أن ينجيك من أعمال السوء والخيانة للملك  
والشعب ولا أعلم إلام تنتشر هذه الألاعيب والشعوذات في  
"إيران" وبين الإيرانيين ؟ فياجناب الحاجي إنى أشير عليك بهذا:  
حينما تحتاج أن تنظف بدنك فاذهب إلى الحمام بدون تحديد ساعة  
الخير أو الشر ، وهذا الوقت هو أسعد الأيام والساعات ، وحينما  
تشكل عليك مسألة شرعية فاذهب إلى فقيه المدينة دون اعتبار  
للتقويم ، فإن أفضل الأوقات هو هذا الوقت ، وإذا مرضت لا  
قدر الله فاذهب إلى طبيب ليعالجك ، ودع هذا التقويم جانباً إذ  
أن كله خرافات ، ودعك من هذه الكلمات العابثة التي يتشدد بها  
صاحب التقويم ، من التَّعَمُّ في السكر والحرير ، وما ينعم به  
المغنون والراقصون فكله كذب واختلاق ، ومن ذلك سعادة رجال  
البلاط وسوء جلسة النساء وتفشى المرض بين الرجال، فكل هذا  
كذب وهذيان ، فرأيت أن الحاجي قد استاء وقال إذن بعد إذنك  
ينبغي أن نلقى بهذا التقويم ؟ ... حسن لولا هذا التقويم من أين  
كنت تعلم اليوم كم يوماً في الشهر ؟

فقلت أيها الحاجي العزيز إنى لا أقول إن التقويم ليس لازماً،  
فبلاشك هو ضرورى لكل قوم وشعب ، ولكن ليس تقويم  
"إيران" هذا الذى يكتب فى صدر كل صحيفة ( أوضاع هذا  
الشهر تدل على ملوحة الجبن وحلاوة السكر ونعومة القطن  
وخشونة الحجر ! ) .

**الخلاصة:** أننى رأيت أن الحاج مستعد أن يطوى بساط

الحديث ، فودعته ورحلت ، ونمنا تلك الليلة بالمنزل ، ومع تنفس الصبح وبعد أداء الصلاة وارتشاف الشاى حيث اشتد طلوع الشمس ، أخذ عمى يوسف التذاكر يصحبه خادم الفندق إلى قنصلتى "إيران" و "تركيا" واعتمدها ، وأخذت القنصلية الإيرانية على كل تذكرة مين ، وأخذت القنصلية التركية منا واحداً وثمانين ( كباك ) ، وقد الصقت القنصلية التركية فوق التذاكر طوابع بعشرين قرشاً ، ثمنها عشرون قرشاً ، فاتضح أن ما أعطيناه للقنصل التركى قد ذهب إلى دولته المشار إليها ، وما أعطيناه للقنصل الإيراني فقد ذهب إلى جيبه .

**الخلاصة:** انتهى أمر التأشير على التذاكر بعد أن مر من

اليوم أربع ساعات ، ذهبنا إلى مرسى الباخرة ، ورأينا أن السفينة لا تزال تشحن ، ولما أن الباخرة قد تأخرت عن الوقت المحدد ، فقد سرت فوق الكوبرى ، وكان فكرى وحواسى فى غاية الاضطراب وعدم الاتزان . وكأئننى فقدت عقلى ، وسمعت يوسف عمى يقول : عُدْ إلىَّ يا بىك ، إنك سقطت فى الحجر ، ولما التفت نحو اتجاه صوته رأيت أن نفس الخطوة التى كنت أخطوها كانت فى البحر ، فالتفتُ بعد أن تراجعت ، ونظرت إلى يوسف عمى فرأيت أنه يلطم رأسه بيديه .

وخلاصة القول : أننا انتظرنا كثيراً فى ذلك المكان ، حتى حانت لحظة تحرك الباخرة ، ودخلناها ، فرأيت أنها نفس السفينة ( أزوف ) الروسية التى ركبناها عند بدء سياحتنا لهذه المنطقة ، وقد تعرفت على عمال السفينة ، وتجاوزنا معهم أطراف الحديث ، ودار هذا الحديث عن السؤال على أحوال كل منا ، وبهذه الفرصة الطبية قضيت وقتاً ممتعاً ، وتحركت الباخرة ، إذ كان الجو جميلاً ، والبحر هادئاً ، وقد مررنا بمراس ( طربزون وسينوب وكيره سون وصامسون ) واحدة تلو الأخرى ، وفى صباح اليوم الخامس دخلنا بوغاز "إسلامبول" ، وأمام حاجز ( قواق ) حيث مدخل البوغاز حسبتُ ( مدة السياحة ) فوجدت أنني مررت من هنا من أجل زيارة المشهد المقدس والسياحة فى "إيران؛ منذ ثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً .

ويقول صاحب المنزل عندما قرأت تلك السياحة المحزنة وانتهيتها غرقت فى بحر من الحيرة ، وحينئذ نظرت إلى الساعة ، فرأيت أنه بقيت عشر دقائق على الغروب ، وقد زادت حيرتى أكثر ، لأننى شغلت مدة تسع ساعات بقراءة تلك السياحة ، وفى تلك الفترة لم أشعل سيجارة ولم أكل شيئاً ولم أحرّك شيئاً من مكانه ، وكنت غافلاً تماماً عن نفسى ، ولم أكن أعلم شيئاً عن الضيوف المساكين ، فقد ذهبوا إلى الحمام لاغتسال أبدانهم وعادوا ، والآن غربت الشمس ولا أعلم شيئاً عنهم ، وكان كل تفكيرى منحصر فى هذا أين مكث هؤلاء وأين تناولوا غداءهم ؟

فناديت الخادم فأتى ، ولما رآنى تعجب وقال هل كنت يا سيدى بالبيت ؟ لقد ظننا أنك ذهبت بصحبة الضيوف ، والآن كانت السيدة تسألنى قائلة لماذا لم يأتوا بعد ، فقلت : لا تثرثر فكما ترى إننى مكثت هنا ولا معنى لأى سؤال آخر ، واذهب على الفور إلى بيت الوالدة فى الدور العلوى ، حجرة رقم كذا ، واطرق الباب وانظر هناك فلعل الضيوف فى ذلك المكان ، ثم تعال بهم إلى البيت ، وإذا لم يكونوا هناك اسأل صاحب البيت هل جاءوا عنده أم لا ؟ ثم عد على جناح السرعة ، وذهب الخادم فأخذت أفكر فى الضيوف ، وخجلت كل الخجل لفعلتى هذه ، فلماذا لم أذهب معهم ؟ ولم يمر وقت طويل حتى جاء الضيفان ، فنهضت واستقبلتهما .

ولما جلسا قلت يا أخى لقد جعلتنى فى حالة عجيبة من أمرى ، وقد تصفحت كتاب ( المصيبة ) هذا ، أو كتاب سياحتك ، فشغلنى عن الذهاب إلى أى مكان ، وأصبحت من جرائه لا أعلم شيئاً عن ذاتى أو عنكما ، وحتى الآن لم أكل أى شىء ، ولم أشعل سيجارة ، وربما لم اتحرك من المكان الذى جلست به ، حتى ظن أهل البيت أننى ذهبت معكما ، والآن عدت إلى يقظتى بفكرت فيكما . . . ترى أين مكثتما ، فقال نحن أيضاً خرجنا من الحمام ، وذهبنا إلى أحد المواطنين والذى كنا نعرفه ، وذهبنا معه إلى بيته ، وهناك تناولنا الغذاء والشاى ، ولم يسمح لنا بالانصراف قائلاً : ينبغى أن تقضوا هذه الليلة هنا ، وبعد إلحاح



شديد رضىنا واتيـنا مباشرةً إلى البيت وأثناء الطريق قابلنا خادمك  
والذى كان يتعقبنا .

## **سيرة إبراهيم بيك بعد دخول إسلامبول**

**الخلاصة :** أننا تحدثنا قليلاً ، وبعد ذلك قلت إنهم يعدون  
العشاء ، وفى تلك اللحظة تذكرت أن خطاباً قد وصل من  
"مصر" باسم إبراهيم بيك ، فقلت يا أخى فى الحقيقة إننى  
نسيت فقد وصلت ورقة من "مصر" باسمك ، ثم أخرجت  
الورقة من جيبى وأعطيـتها له ، وأخذ إبراهيم بيك الرسالة بشوق  
ولهفة وبدأ فى قراءة الخطاب على الملأ .

## **محتوى الخطاب المذكور**

أخى العزيز الحمد لله والشكر له ، فكل من يخلصك بخير ،  
وآمل أن تكون فى هذه الأيام قد دخلت "إسلامبول" ، فكم كنا  
فى قلق من أجلك . . . قلق لا يمكن أن نصفه ، وقد ملَّ  
اصدقاؤك من طول وقت سياحتك ، وجميعهم كانوا يعلمون أنك  
قد نشأت فى حرية تامة فى "مصر" ، وقد وجدت أن الوضع  
مختلف فى إيران عن "مصر" ، وفى الواقع إننا كنا نخشى أن  
تُصدم فى "إيران" بسبب ما نشأت عليه من حرية ، خاصةً أمك

العجوز والتي كانت يشغلها جداً هذا الموضوع ، اذ كانت تبكى وتتألم ليل نهار ، ولافترض أنك رجل جحود ، أنسيت أصدقاءك تماماً ، ثم أين ذهب حب البنوة ؟ ثم إنه خلال هذه المدة الطويلة لم يصل أى خطاب أو تلغراف يطمئن أصدقاءك ومن ثم يطمئن قلب أمك المسكينة التى هجرتها ، إننى ادركت جيداً وكنت أعلم أنك سوف تنسى الدنيا وما فيها عند رؤية جمال معشوقتك ( إيران خاتون ) الخلاصة : الشكر لله ، فمنذ عدة أيام وصل تلغراف يزفُّ لنا بشرى تحركك من " تبريز " وقد سعد الأصدقاء كثيراً عند سماعهم هذه البشـرى ، ولاسيما أنها جددت الأمل لدى والدتك ، فكانت تبكى ليل نهار وذلك من فرط سعادتها وفرحها ، فهى تشم تلغرافك وتقبله وتمرره على عينيها ، ولحسن الحظ أن التلغراف قد وصل بسرعة فائقة ، كانت مثار الدهشة والحيرة لدى الجميع ، ولعله كان يدرك حالة الملل لدى الأصدقاء ، وحالة القلق لدى والدتك ، فوصلنا التلغراف فى غضون ثلاث ساعات وأربع وثلاثين دقيقة ، وزف لنا بشرى تحركك وسلامتك فى نفس الوقت ، ويصف " ميرزا رضا " الشاعر سرعة البريد التى تفوق البرق فيقول :

(أيها التلغراف أنت أفضل واسطة لطالب العدل

فأخبر الملك عن أحوال الشحاذ)

( وأنت تطوى طريقاً مسافته مائة سنة

وذلك في لحظة واحدة وحركة واحدة كشعاع الشمس)

( وطبك للفراسخ كالطيران

من محجر العين إلى الأهـداب ) (١)

الخلاصة : لا أخفى عليك أن جميع أصدقائك بخير وليس لديهم حديث سوى ذكراك ، ويقول البعض أثناء الحديث عنك . . . . آه لو كنا في "إيران" عند إبراهيم بيك لتفرجنا كيف يغضب عند رؤية تلك الأوضاع ، ولمن سيوجه شتائمـه الغلاظ ؟

ويا تُرى مَنْ مِنْ الأشخاص سيعتبره لا دين له ولا غيره عنده؟ فهم يتحدثون عن هذه المقولة ويضحكون متحسرين ، فلتعجل لنا العودة إن شاء الله ، فإن الأصدقاء في انتظارك ، وإذا أردت أن لا تختلف معهم فأسبقهم إلى ما سوف يقولونه ، وكن مثلهم في الضحك والمزاح ، حتى تستريح منهم ، وإلا فسد أمرك، واعدوا لك كل ما سيغضبك .

( لقد تحدثت إجمالاً عن تفصيل هذه النكتة

فأقرأ أنت حديثاً مفصلاً عن ذلك المجمل ) (٢)

(١) أى تل تونيك واسطة داد خـواه را ... آگاه کن رجال گدا یا دشاء را

دريك زمان بيك حركت چون شعاع شمس ... طى ميکفی مسافة صد ساله راه را

فرسخ بريدن تو/ بقدر بريدن است ... از صحن ديده تاصف مُزُ كان فکاه را

(٢) من از مفصل اين نکته مجملی گفتم ... تو خود حديث مفصل بخوان از آن مجمل

وبعد مغادرتك البلاد وقع حادث محزن يؤسف له ألا وهو وفاة المرحوم "على بابا السلماسى" ، وقد حزن جميع الأصدقاء على وفاة ذلك المرحوم الغريب ، وبعد العزاء أتى موظفو القنصلية الروسية ، وقد حددوا وعاینوا أمواله النقدية وأملاكه ومستحقاته .

وقد بالغ الناس كثيراً فى الثروة المشار إليها ، وقد ترك من كل الثروة أربعاً وثلاثين ألف ليرة من الأموال النقدية والأموال بما فى ذلك الديون ، وكانت تلك أسهم "على رضا الصغير" و "محمد على" الذى كان مختل العقل . وقد أودعت هذه الأسهم فى البنك ، وقد تم تحديد مبلغ خمس وعشرين ليرة شهرياً لنفقة على رضا من أجل نفقة المدرسة وما إلى ذلك ، وثمانى ليرات أخرى لنفقة محمد على ، وسلم الورثة الكبار نصيبهم ، وقد شغل موظفو القنصلية أسبوعاً كاملاً بتقسيم ميراث المتوفى بما فيه من أموال نقدية وعينية ، وقد أخذ أفراد القنصلية مبلغ خمس ليرات ونصف ليرة نظير العناء أو كحق للحكومة ، وقد أخذوها من الوريث الكبير ، ولم يأخذوا شيئاً من نصيب الورثة الصغار ، وهذه واقعة وانقضت ، وقد وقعت حادثة أخرى عجيبة للغاية فصدىك الذى كان يملك محلاً فى ميناء (السويس) كان قد ذهب فى عمل تجارى إلى (السودان) ، وهكذا كان يبدو أنك كنت فى ذلك الوقت فى "مصر" .

**الخلاصة:** منذ عدة أيام شاع خبر وفاته ، فأرسل الخان أى قنصل "إيران" رجلاً من "مصر" لكى يقفل محله فى (السويس) ، وطرد من يعمل بالمحل ، وقد ضاع كل ما كان بالمحل من أموال نقدية وبضائع ، ولا أعلم كيف عرف صاحب المحل المسكين فى (السودان) بتلك الواقعة ، وبعد شهر ونصف الشهر من انتشار خبر وفاته وصل صاحب المحل نفسه إلى السويس ، فوجد أن محله شُمع ، وجاء إلى "مصر" وأخذ يصيح قائلاً : أنا لم أمت حتى تفتحوا محلى ، وتودعوا أموالى ، وهذا الأمر لم يحدث فى أى مكان ، وأخذ جناب القنصل يماطله ، فاضطر المسكين أن يلجأ إلى الحكومة المصرية ، لكنه لم يجد اهتماماً من أحد ، . . . . . إنه لعمل غريب ، وبالأمر كان السيد "ميرزا عباس" و "حاجى خليل" يمزحان حول قصته هذه قائلين يا عبد الله لقد ثبت للقنصلية إنك ميت ، والآن ينبغى أن تذهب إلى السودان لكى تُحضر شهادة تفيد إنك ب قيد الحياة ، فحينئذ يبحثون فى موضوعك ، وقد جُنَّ المسكين لسماع هذه الكلمات . والآن حتام يتردد على الأبواب ؟ ويقول المواطنون فى "مصر" لقد أوحشنا إبراهيم بيك ، ولو رأى هذه الحادثة بعينه هل يدرك صدق ما نقول أم كان يعتبرنا بلا غيره أو حميه على وطننا ؟

فرأيت أن يدى إبراهيم أخذتا ترتعشان ، وقد شحب وجهه ، واضطرب اضطراباً شديداً ، فمزق الخطاب إرباً ، إرباً ، وألقى به

جانباً ، وقال لا أدري ما هذا البلاء الذى حط على رأسى ؟ . . .  
إن المصائب ورائى فى كل مكان ، وكأنهم أرادوا أن يجمعوا كل  
تلك المقدمات وذلك لإذابة قلبى خاصة ، ولا يعلمون أن قلبى  
المريض هذا قد غدا قطعة دامية .

ياله من رجل ثرثار ، وكأنه أرسل هدية لاستقبالى ، فبالله  
هل أنا راضٍ عن كل هذا ، حتى يغيرُ على قنصل إيران ويتسبب  
لى فى أشد المصائب ؟ ولكن بعد موتى لن يأتى لى عدد من  
الأشخاص النصارى الحلاقين ممن يرتدون القلنسوات ، لن يأتوا  
لوارثى الشرعى فى بيتى من أجل تقسيم تركتى ، فهؤلاء الأفراد  
الغافلون هكذا يظنون أنه ليس بروسياً ظلم ، وأن الموظفين لا  
يرتشون ، وقسماً بالله إن أولئك يتخلصون من القيود كثور خواجه  
نصر الدين ، ويفعلون أسوأ بكثير مما يفعله موظفوا إيران .

أما سبب ألماننا هنا فإننا أس الخراب ، وإذا ما حذوا حذو  
موظفى الروس فى الخيانة . فإنهم لن يستطيعوا أن يتخلصوا مما  
فطروا عليه ، وأن يبلغوا ما بلغوه حتى ولو كانوا من أفراد الأسرة  
الإمبراطورية . كما أنه ليس بينهم مكان للوساطة وما حكمت به  
المحكمة جزاء جرم ما ينفذ بحذافيره ، ولا تمثل الرشوة معنى  
العدالة ، فإذا ما وصل أمر إلى محكمة العدل ، فإن قوانين  
المساواة تراعى بحذافيرها ، وهذا ما قاله الحكماء (المساواة فى



الظلم عدل) ، ولكن فى إيراننا التعسة يخون الفرد الدولة بمائة ألف تومان ، ويتعدى على ممتلكات الآخرين ، وإذا ما ظهرت تلك الخيانة أو ذلك التعدى ، فإن ذلك الفرد إذا ما رشا رؤساءه بعشرين ألف تومان فبلاشك أنه سيحصل على نصيبه مما بقى ومن ثم سوف يتخلص هو نفسه من هذه الخيانة .

ويقول صاحب البيت : على الرغم من أننى عرفت من قبل مدى التعصب القومى لدى إبراهيم بيك ، وهكذا كنت أظن أنه بعد سياحته فى إيران ورؤية كل هذه المفاسد ، إن نار تعصبه القومى سوف تخمد ، ولكن بملاحظتى هذه الحالة وسماع هذه التفاصيل ، وجدت أن ظنى كان على غير صواب ، بل بالعكس فقد زاد تعصبه القومى أكثر من ذى قبل ، ثم إننى تيقنت تماماً ، أن هذا الطبع لديه فطرى ، وليس بعارض ، ( فقد مزج هذا التعصب بلبن الأم ، وهو يسرى فى روحه ) ، وفى الواقع فقد رق قلبى لأناته الحزينة المتوالية ، فنهضت من مكانى دون وعى واحتضنته باكياً بل وقبلته ، وقلت يا أخى العزيز أدام الله نعمة حب الوطن وعشقه عليك .

(رحمة الله على أبيك الذى رباك وأمك التى ولدتك) (١)

فحقاً ما تقوله ، فقد أدركت جيداً أننا أس الخراب .

وليس كل الحكام المسلمين ظلمة ، وليس كل غير المسلمين عادلين ، ولدينا هنا قنصل مسيحي وهو أكثر ظلماً وغدراً من

(١) آفرين خد آى بر بدرى . . . . . كه تورا برورد وما درى كه تورا زاد

العديد من القناصل السابقين بل إن الفظائع التي يرتكبها لا تعد ولا تحصى ولا أعلم كيف جاءوا به إلى هذه السفارة ، ووضعوا فى يد هذا الظالم مصائر كل طبقات الشعب لفترة طويلة من الزمن ، بل وسلطوه على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم ، وكم هو متجرب وغير مبال بنهب وسلب ضعاف طبقات الشعب ، ومحاولته النيل من شأن المواطنين المحترمين ، فجميع القناصل والسفراء يرحمون ويراعون الله باستثناء قنصل واحد ألا وهو القنصل موضوع الحديث ، وكان يحكى لى أحد الأصدقاء قائلاً: إننى ترددت على السفارة عدة أيام لقضاء إحدى المهام ، فرأيت اثنين من عوام الشعب هناك ، وكان أحدهما دائماً والآخر مديناً، فقال المدين ليس فى استطاعتي قضاء الدين ، فصاح الدائن دون أن يشعر بما قال : ( أيها الخان نفسى فداؤك ، أنصفنى من هذا الظالم ، فمالى مال أرمنى ) ، فضحك جميع الحاضرين ، وعلى الرغم من أن خائناً قد ضحك ضحكة مفتعلة ، لكننى رأيت أن وجهه بدت عليه علامات الاضطراب والشىء العجيب أن هذا القنصل كان يُفتى فى قضايا النكاح والطلاق عندنا وفقاً لما تقتضيه وظيفته ، أذن ليس هناك دليل أوضح من هذا على أننا أس الخراب ، فمن الممكن لأى شخص أن يحظى بأية وظيفة طالما قدم الرشوة للحكام الأقوياء حتى ولو كان أحد الحكام الصغار ممن يرتكبون المظالم ، وكلما زادت شقاوته استطاع أن يتقرب أكثر لبلاط الدولة والحكومة ، كما صار المسيحي قاضياً للمسلمين !

وهنا قطع يوسف عمى الحديث وقال يا سيدى العزيز ما هذه الأحكام ؟

فأى ذنب للعرق أو الأصل ؟ إن الشقى فى كل مكان والشقى موجود فى كل شعب ، وليرحم الله الجنرال (ميرزا أحمد خان) القنصل فى "مصر" اذ كان ذلك القنصل يستقى من نفس المنبع والأصل . وكان من موظفى دولة إيران ، وكان يعامل الضعاف من الرعية معاملة الأب لأولاده ، وكان يفتخر الإيرانيون فى ذلك الوقت بوظيفة ذلك المرحوم ، وأولئك الذين كانوا قد تركوا جنسيتهم من السابقين خوفاً من السلب والنهب ، كانوا قد ندموا ندماً شديداً ، ولم يؤذ أحداً من أفراد الرعية الإيرانية سواء من ذلك المرحوم أو من أقاربه ، وكان المسكين دائماً مديوناً ، وكل ما كان يحصل عليه كان يتصدق به على السادات وال دراويش ، وأذكر أنه ذات ليلة كان قد كتب ورقة للمرحوم الحاجى والد البيك ، يطلب منه فيها خمسين ليرة كقرض ، ولما كان الحاج المرحوم يعلم بعدل ذلك القنصل وعطائه ، فقد سلم لى المبلغ وأوصانى قائلاً : سلم بنفسك هذا المبلغ فلاناً ، وانظر ماذا يفعل فى منتصف الليل بهذه النقود ، فسلمته المبلغ ، ورأيت هناك ثلاثة أشخاص من السادات ، وهناك سألت تقريباً الناظر (وكيل الإنفاق) قائلاً لماذا تريدون نقوداً فى منتصف الليل ؟ قال من أجل هؤلاء السادات الثلاثة ، أذ أن الخان قد وعدهم بأن يقضى لهم حاجتهم أثناء ذهابهم ، والآن هم ذاهبون ، لذلك

سنقضى لهم حاجتهم ، وفى الحقيقة لم يمر وقت طويل حتى استدعاهم الخان ، وقسم عليهم كل تلك النقود ، وبعد فترة من وفاة المرحوم تغير القنصل ، وأتى حاجى ميرزا نجفعلى خان (الذى أضاء مصباح الكيروسين بدلاً من الشمع الكافورى) ، وأهمل كل أعمال الخير المشرفة والتي كان قد هياها قبله ذلك المرحوم بشق الأنفس فى مصر من أجل الدولة الإيرانية ، وتجراً أكثر على سلب الرعية ونهبها إلى الحد الذى كان الناس يترحمون على حكم أتباع جنكيزخان وحسن خان نفسه الذى تولى القنصلية أكثر منه وذاع صيته فى الظلم ، لم يبلغ ما بلغه ( نجفعلى ) فى ارتكاب المظالم ، فاللهم عذبه حتى يوم القيامة ، إذن فواضح أن الشقاوة الفطرية القائمة على الظلم تتعلق بالشخص نفسه ، فأى ذنب للمنبع والأصل ، وفى تلك الأثناء قيل إن العشاء معد .

وقال إبراهيم بيك : هل تتناولون العشاء كل ليلة بهذه العجلة مثل هذا اليوم أم إنكم تغيرون نظامكم من أجلنا ؟ قلت يا أخى العزيز إننى اليوم كنت صائماً وذلك بسبب اطلاعى على سياحتكم ، ولكنى للأسف لم أؤد الصلاة فضحك الجميع ، وفى الواقع هكذا نسيت الصلاة تماماً ، ثم ذهبت حيث مأدبة العشاء ، وقد دارت بعض الأحاديث أثناء الطعام ، ولكننى رأيت أن حالة إبراهيم بيك قد تغيرت تماماً ، ولاحظت أنه أخذ يتحرك دون أن يشعر بذلك فعلى سبيل المثال أنه كان يسأل بعض

الأحاديث أكثر من مرة ، وكأنه قد دخل البيت تَوّاً ، فغفل عن بداية الحديث وهكذا كان يكرر بعض الكلمات ، وعلى كل حال إننى تناولت العشاء ونهضت تاركاً المائدة ، وقال إبراهيم بيك سوف أصلى ، وقال بلطف مَنْ يريد قضاء صلوات الظهر أو العصر فليذهب معى ، فذهب هو للمسجد وبقيت أنا والعم يوسف ، فقلت : إيهما العم العزيز ، تحدث لأرى كيف حالك ، فقال أيها السيد لا تسألنى عن أحوالى فإن روحى قد بلغت حلقى ، فلو تعلم كم تجشمت من عناء فى هذا السفر لاشفقت علىّ ، كما أن هذا العناء لم ينته مع هذا الشاب ، إذ أنه كان يسير لعدة أيام شارد الذهن وهو يتجرع الحشرات ، فحيناً كان يعرض شفتيه ذاهلاً ، وحيناً آخر كان يضرب على ركبتيه أسفاً دوغماً سبب واضح ، وكان كثيراً ما يحدث نفسه فى بعض الأوقات حيث يغلق فمه مثل الأفراد المصابين بمرض الصرع ، ويتحرك إنسان عينه فى حجرة العين ، وفى النهاية يرتعش ويسقط مغشياً عليه فيستغرق فى النوم .

وحيث لن أشعر بالراحة مطلقاً ، إذ أنه وهو نائم سوف يتحدث مع نفسه حديثاً عن الوطن مما يتحدث به فى يقظته ، وأحياناً أرى أنه خاطب شخصاً ما وعاتبه ، فيصيح قائلاً : أنتم سبب الفساد فى البلاد ، وسبب ما يعانى منه مواطنوكم من عجز واضطراب ، فأنتم لا تعرفون معنى حب الوطن ، فهو يتحدث العديد من هذه الأحاديث التى تترك أثراً فىّ إلى حد كبير ، ولهذا

أوقفه من نومه وأسأله ما هذا الصياح وهذه الشكوى فى نومك ؟  
ومن هذا الذى تجادل به ؟ فىقول لا شىء ، ويعود إلى نومه ومن ثم  
يعود إلى حالته السابقة ، ولا أدرى ماذا عساي أن أفعل معه ؟  
وأنى أطلب من الله أن يمهلى بعض الوقت قبل الموت حتى أوصل  
هذا الشاب سالماً إلى والدته فى "مصر" ، وبعد ذلك ليس لى  
أمل فى الدنيا غير هذا ، فأحوال هذا الشاب كلها مضطربة ،  
فأنصحها أنت ببعض النصائح ، فربما أجدت معه هذه الحيلة ،  
فيعود إلى صوابه بعد فقدانه للرشد والتعقل ، فقلت : منذ  
البداية سمعت بسياحته وعلمت بما ستعانيان منه ، فأحمد الله أن  
أموركما انتهت إلى خير وسلامة ، وفى تلك الاثناء كان "إبراهيم  
بيك" قد أتم صلواته ، وألقى السلام وجلس ، وقال لو من  
الممكن أن نكتب تلغرافاً إلى "مصر" ويحمله خادمكم ليسلمه إلى  
المبرقة ، ؟ فقلت لماذا لا يمكن ؟ إن الأمر سهل ويسير ، ثم كتب  
تلغرافاً وأرسلناه ، وقلت حسن يا أخى تحدث قليلاً لكى نستفيد  
من سياحتكم ، ولكن أرجو أن لا تتحدث عن شىء يتعلق  
باضطراب "إيران" لأننى قرأت فى سياحتك كل شىء إلى الحد  
الذى علمت أنك نقلت بعضاً من مزايا الوطن والتي كنت قد  
رأيتها ، فقال : كل ما رأيته من مزايا مدون ولاشك أنك رأيته ،  
فقلت من وجهة نظرى لم أر شيئاً ، ومن ثم أريد منك أن أسمع  
وصفاً لمحبوبتك ( إيران ) على لسانك ، قال لقد رأيت فى  
أنحاء "إيران" كلها أربعة أشياء جميلة والتي يمكن أن تكون باعثاً



على سعادتي خاصة وفخر عشاق الوطن عامة ، أولها الروضة  
المطهرة لحضرة الإمام الرضا ( عليه السلام ) ، ثانيها تلك المنازل  
أى منازل القوافل وبعض الطرق المرصوفة والتي هى من آثار  
الملك المغفور له ( عباس الصفوى ) طيب الله ثراه ، وثالثها  
وجود شخص عالم عظيم ألا وهو ( الوجود المحترم ) فى  
" طهران ، رابعاً : دار الفنون الناصرية فى " طهران " أيضاً  
والسلام ، قلت والسلام لماذا؟ هل تجولت فى كل هذه المدن  
الجميلة وتفرجت عليها ؟ وهل هذه الأشياء الأربعة فقط هى التى  
لفتت نظرك وأعجبتك ؟ ومدينة " اروميه " وما بها من رياض  
خضراء جميلة ، وبساتين نادرة . . . لعلك لم تقم بالسياحة بها ؟  
إذ أن جو كل ناحية فيها يعبق بالمسك ، ونسيمها يفوح منه  
العنبر ، كما أن معظم الذين كانوا قد رأوها ، قالوا عنها إنها جنة .

كما أن أفنية حدائقها وبساتينها لا تستطيع أن ترسمه ريشة  
رسام ، وذلك لكثرة ورودها وأزهارها المتنوعة ، أرضها يفوح  
منها العنبر فى كل مكان ، وبالله؟ كيف لا تصف تلك المدينة؟  
والتي هى روضة الدنيا ، فقال لقد وجدت الحدائق والبساتين  
ذابلة ، كما وجدت نواطير البساتين نائمين والورود جميعها يبدو  
عليها الاصفرار والذبول ولا نضرة فى ورودها قط لقد وجدت  
آثار الخريف فى كل مكان ، ولا أظن بهذا الشكل أن يعقب هذا  
الخريف ربيع ، ففصول السنة كلها خريف وكفى .

فقلت يتضح من كلماتك وأحاديثك أنك قد عانيت الأمرين  
فى " إيران " ، فقال إبراهيم حاشا لله؟ إن أضيق ذرعاً أو أعانى

من محبوبتي ( إيران ) وإنى لأتباهى بالعشق حينما أتحدث عن إيران أو انتقدها ، وحياتي جزء لا يتجزأ عن هذه الأرض المقدسة ، أما ألى ومعاناتي ، فبسبب غفلة ( البستاني ) ، ولا ذنب للبستان قط ، وكما وصفت أنت فمدينة " أرومية " وسائر مدن إيران جميلة جداً ، كما يصفون أدغال " مازندران " بأنها جنة الدنيا ، وليس هناك مكان في كل أنحاء العالم أفضل من جو هذه المنطقة في صفائه ونقاؤه علاوة على خضرة أرضها ونضرتها ، ولكن وأسفاه فقد تدفق إلى هناك اشرار الأجانب منذ عدة سنوات وذلك بسبب غفلة البستاني ، كما سبق القول ، فراح هؤلاء الأجانب ينفثون سمومهم في تلك الأرض ، وستظل جروح عاشقى الوطن دامية بلا تضييد إلى يوم القيامة ، وذلك من جراء الأعمال المشينة التي ارتكبتها هؤلاء الأخساء ، وفي النهاية ماذا عساي أن أفعل ؟ وما هي مزايا هذا الملك المبارك والتي يمكن أن أتحدث عنها ؟ ولماذا لا تحمل السفن في موانئ أرضنا المقدسة أعلاماً بها علامة الأسد والشمس تعبيراً عن السطوة وكيان الدولة والشعب ، ولو أن حكام دولتنا قد أنفقوا على " إيران " ما أنفقوه في الأسفار الثلاثة <sup>(١)</sup> على السياحة في الغرب ، أي أنهم أنفقوا أموالهم من أجل تعمير إيران ، لعاد تعمير البلاد بالخير والنفع على خزانة الدولة ، ولما اضطرت الدولة إلى نهب الرعية وسلبها ، وأخذ تراب هذا الوطن يصيح في كل مكان ويقول بلسان الحال : أيها الإيرانيون . . . . . وأيها الأبناء الجاحدون لا تغفلوا عني ، لقد

(١) السفارات الثلاث هي سفرات ناصر الدين شاه القاجاري .

امتلكت فى جوف أرضى كنوزاً لا حصر لها ، وهى تنتظركم ،  
فاسعوا وجدوا لتحظوا وتناولوا من خيرى ، ولكن نداءها لم  
يسمعه أحد . ( ولهم آذان لا يسمعون بها ) <sup>(١)</sup> .

فقلت إذن من الواضح إنك عانيت من أهل المملكة أي  
من مواطنيك ، وهذا واضح فى حديثك وسياحتك ،  
ولكننى أنصحك أن تتخلى عن هذا الوهم والهوس . إذ أنك لن  
تجنى أية ثمرة من وراء حزن الشاب إبراهيم ، فأنت تعذب نفسك  
من أجل إصلاح أوضاع البلاد ، وستظل دوماً فى هم وحزن  
بسبب اضطراب تلك الأوضاع فى البلاد ، فكل شئ يحدث  
(فى إيران) ، ولن تنال إلا الحزن ، ويقول حضرة أمير  
المؤمنين ( على بن أبى طالب ) كرم الله وجهه : ( الجزع عند  
البلايا هو كل المحنة ) .

(لا تجزع عند البلاء فإن الجزع

يؤذيك من رأسك حتى أخمص قدميك)

(وليس هناك عناء قط أكثر من

أن يجعلك تباعد عن ثواب الله)

وأخشى لا قدر الله أن تؤذى فى جسدك وصحتك بسبب هذا  
التفكير المضطرب ، وربما أثرت حالتك هذه عليك والتى قصدت

(١) الاعراف / ١٧٩ .

بها حياتك ، وهذا من الذنوب الكبيرة ، وهى فى الآخرة باعثة على سخط الله وغضبه ، وحينما لا تشفق على نفسك من أجل تلك العجوز ألا وهى ( والدتك ) ، فاسمح لى أن أقول لك إنها اليوم وليس لها فى الدنيا سواك وحياتها متعلقة بحياتك والأشياء التى كتبتها فى سياحتك وتتأذى منها لا يخفى منها موضوع على أحد ، والجميع يراها يومياً ، وقد تعودوا على رؤية تلك الأوضاع ، ويرى الجميع أكثر من هذه الأوضاع ، ولكن لا أحد يعيرها أدنى اهتمام ، ولكن واحسرتاه على تلك الأوضاع . . . . . وماذا يمكن أن نفعل ؟ ولو أن إصلاح هذه المساوىء متعلق بموتى وموتك ، فقم أنت أولاً ، وأنا بعدك لكى نتحرر ، ولما كان علاج هذه الآلام ليس بيدي أو بيدك ، فعلينا أن نصبر حتى يبعث الله الفرج ، فيوقف كبار الشعب وولاة أمور الدولة .

قال : إبراهيم ، يا أخى العزيز ، إننى لم أكتب كل ما رأيته من مفساد البلاد حتى لا يعترض عليها المعترضون ، وأكون موضع لومهم ومن ثم يجعلون اليوم المضىء أظلم من دياجير الظلام شماتة منهم بى .

(لغيرتى لا أقول إنها قتلتنى

حتى لا يعلم الناس ما اسم معشوقتى)

وبينما كنا نجلس على هيئة حلقة ونتحدث هذه الأحاديث ، وإذا بالبواب قد طُرق ففتحه الخادم ، فدخل أحد الإيرانيين والذى

كان معمماً ويشبه فى هيئته العلماء ، ولعله كان قد جاء لقضاء تلك الليلة ، وعلى كل حال فقد قال بعد التعارف المعتاد .

فى الحقيقة إننى سمعت بوصول الضيف العزيز ، وفى الصباح كنت أريد أن أحظى بشرف لقائه ولكن بعد ذلك فكرت وقلت لنفسى إن الليالى كثيرة ، لكن من الأفضل أن أذهب الليلة ونقضى الوقت فى سمر ، فقلت إنك أحسنت صنعاً بمجيئك ، فمرحباً بك وخيم على المجلس الصمت والسكون ، وقال الملا : أرى أنى كدرت صفو مجلسكم ، فإن كنتم تتحدثون أحاديث سرية فلا ضير من أن أتناول قهوتى وأستأذن ، فقلت لا يا ضيفنا المحترم ، فنحن آتيننا من "إيران" منذ قليل ، ونحن غير راضين عن سياحتنا فى تلك المنطقة ، وذلك لمشاهدتنا بعض المساوىء والمفاسد ، وتكدير المجلس ليس منى أو منك ، فأمعن الملا النظر فى إبراهيم بيك وقال : أخى الضيف ماذا جدَّ فى "إيران" . . . . فهل من أخبار جديدة وماذا حدث حتى تصبح مكدر الخاطر ؟ فتحدث لنرى نحن أيضاً ، فقال إبراهيم ليس هناك أى خبر ، فأصر الملا ثانية ، فقال إبراهيم بيك إن السبب الرئيسى الذى كدر صفوى هو أنت ، فقال الملا أنا ! ، فقال إبراهيم سواء أنت أو إخوتك فليس هناك فرق ، فقال الملا ماذا فعلنا لك أنا وإخوتى ؟ قال إنكم لم تفعلوا شيئاً لى ولكنكم ضيعتم حقوق جميع إخوتى ، فقال الملا أى حقوق ؟ . . . وما هى حقوق إخوتك ؟ قال إبراهيم إنها حقوق إخوتى فى الوطن فقال الملا .

إننى فى الحقيقة لم أفهم حقاً ، فقال إبراهيم الآن سأشرح لك الموضوع بالتفصيل ، وستفهم . أيها السيد أنا وهذا (العم يوسف) اللذان يجلسان أمامك ذهبنا إلى ملا معلم بحجة ما فى مدينة (شهرود) وكان يوسف عمى البائع وأنا المشتري ، فكتب حجة اشترط فيها بيع بيته فى مقابل مبلغ من المال ، وتقاضى منا (المعلم) قراناً واحداً ( كأجرة للقلم ) وختم تلك الحجة الكاذبة ذات البيع الوهمى ، وكتب شهادة بدون أن يحقق فى صحة الموضوع ، أو يسألنا كلمة من باب تقصى الحقيقة ، فربما يبيع يوسف عمى هذا ممتلكات شخص آخر لى من باب التزوير ، إذ أن الملا المذكور يجهل كلاً منا ، فكيف ختم تلك الحجة وبأى دليل شرعى شهد على تلك الحجة ؟ فقال الملا مستهزئاً ، ما هذا الحديث الذى تتحدثه يا سيدى العزيز ؟ وما ذنب الكاتب ؟ فأنتما ذهبتما وكتبتما إقراراً ، وقد كتبته هو بدوره فقال إبراهيم لو أن البيت ملك شخص آخر فليس من حقه أن يبيعه لى ، فحينئذ ماذا يحدث ؟ فقال الملا أن لم يبيعه لن يحدث أى شىء ، فقال إبراهيم إن لم يبيعه فسأذهب إلى حاكم المدينة كى أشكو له ، فقال الملا أنت تعلم هذا فإذهب وافعل ، قال إبراهيم حينما أشكو لدى الحاكم ، فبلاشك أنه سيفوض كبير السعاه فى أمر الحكم ، والذي سيأخذ بدوره العقار أو الممتلكات ويعطيها لى .

وحينئذ سوف يأخذون رشوة من الطرفين ، وسنعلم بعد ذلك أن أمر كل منا قد انتهى ، والآن نحن تركنا ملا المدرسة



هذا ، فماذا تقول فى حق رجال الفتاوى الكبار ؟ إذ أنه قد يصدر من عالم واحد العديد من الأحكام المتناقضة فى قضية ( زيد وعمرو ) . وقد رأيت الكثير من قضايا الممتلكات التى هى من هذا القبيل ، وقد يحصل الطرفان على عدة أحكام من عالم واحد وهما لم ينتهيا من قضيتهما بعد ، وعند تغيير الأحكام تتجدد القضية مع كل حاكم جديد وفى النهاية يتنازع أسرتا الطرفين مع بعضهما نزاعاً شديداً لنفس هذا السبب ، وقد تشتعل النار بين الطرفين حتى تأتى على الأخضر واليابس ، فهل يليق هذا بالمقام الرفيع للعلماء ؟ وهل يجوز أن تكون أحكام الله وأوامر الشريعة الغراء متناقضة فى إحقاق حقوق الناس ؟ ولماذا لا يبت فى قضايا الممتلكات التى قد تستمر لأعوام ؟ فقال الملا أنا لم أر عالماً بعينى أخذ رشاوى وبذا لا يمكننى أن أتناول عليه ، فقال إبراهيم أنا لا أقول هذا ، ولكن ما أقوله : لماذا لا يكون للعالم الذى اختير للفصل بين أهل المدينة ، لماذا لا يكون لديه سجلات شرعية منظمة للحسم فى قضايا الناس ؟ ولماذا لا يحدد وقتاً معيناً ومكاناً محدداً للمحاكمات والمرافعات بين الناس ، فقد يكون فى يد البعض حرية التصديق على حكم ( دون البعض الآخر ) ، إذ يصدق الحاكم على حكم فى بيته ويعطيه لأحد المتنازعين وبعد يومين يصدق الحاكم أيضاً على حكم مخالف للأول ( بين صلاتين ) فى المحراب ويعطيه إلى المدعى عليه حتى يصل الأمر إلى أن يناقض هذا الأحكام العرفية .

وأقول لماذا لا توجد قاعدة أو نظام فى إيران بشأن جميع الأمور الروحية والجسمانية ، ولماذا تورث المناصب العلمية والملكية وهل يجوز أن يتولى المرء منصب القضاء دون أن يكون أهلاً لهذا المنصب ، وذلك لأن والده كان قاضياً ؟ أو أن يصبح الشخص "عميداً" بعد وفاة أبيه فى سن الثامنة عشرة ، فى حين أنه يجهل كل شىء وذلك لأن والده كان عميداً قبله ؟ فكل هذه حقوق الشعب وحقوق اخوتى فى الوطن والتى هى الآن مداسة بالنعال، قال الملا : يا سيدى العزيز وفقاً لفتواك هذه ينبغى أن يجلس علماء الشعب فى البيت . فقال إبراهيم : استغفر الله فلست من أهل الشورى ومن فى أيديهم حل الأمور وعقدها ، ولست من ذوى النفوذ حتى أصدر أحكامى ولكن التعصب القومى لا يمنعنى من أن أرد على الكلمات المجانبة للحق والصواب فى مجالس الصمت والجدال وأن أتحدث عن هذا الموضوع بعد إذن العلماء والفضلاء .

أليس اليوم لدينا قانون يشتمل على الأحكام الآلهية ، أم سيكون تنفيذ هذا القانون عند ظهور حضرة إمام العصر عجل الله فرجه ، واليوم فإن أساس الأحكام هو ما يعتمد على الأدلة العقلية والنقلية ونحن فى حاجة إلى وجود منفذ للقوانين والأحكام الشرعية أكثر من أى شىء آخر ، وفى بداية الأمر ينبغى أن نشرح ذلك ، ويمكن أن يتحقق ذلك على هذا النحو : أن يشكل مجلس كبير مكون من ثقات علماء الشعب ويكون مرجعاً

لكل العلماء فى أحكامه ويتعين على ذلك المجلس نظراً لاتساع الأقاليم وكثرة عدد سكان المدن أن يعين عدداً من العلماء فى تلك المنطقة من أجل حسم القضايا وإحقاق حقوق الناس ، وحينئذ يختار من العلماء أولئك الذين يعملون فى مجال الخدمة العامة ويكونون قدوة للجميع فى طلاقة اللسان وعذوبة البيان والتقوى والتدين ونور العلم والوقوف على الأحكام الشرعية بحيث يترجمون أمهات كتب الفقه ويطبعونها بل وينشرونها فى لغة فارسية بسيطة سهلة ، وهى تلك الكتب المتعلقة بالحقوق والبيع والشراء والتجارة وما إلى ذلك حتى يحصل عليها كل شخص ويقرأها ، ومن ثم يكون على دراية إلى حد ما بموضوع حقوقه الشخصية وحينئذ فإن كل حكم يصدر من قاضى المدينة العادل يكون موضع التنفيذ وقد كتب أوائل الإسلام بشكل موجز أحكام القضايا الهامة فوق قطع من الجلود والعظام وكانوا يرسلونها إلى كل جهة فى العالم وكانت تنفذ بحذافيرها ، كما أن الشريعة المحمدية الغراء فى بادئ الأمر براء من أى نوع من الحيل والديسائس ولم يكن بها أية حيلة أو خدعة قط ، وكم عانى الشارع المقدس والذى ( أفدى شريعته المقدسة بجسدى وروحى ) ، كم عانى وقاسى فى سبيل إرساء أحكام شريعته وكم واجه من المنغصات ومع ذلك تحملها جميعاً حتى لا يشق الأمر على أتباعه فى حسم القضايا والأحكام . . . واحسرتاه على أحوال اليوم إذ أن علماء الشعب يحرفون ويزورون أحكام الشريعة الغراء ويطلقون

على ذلك حياً شرعية وكأن الله ليس عالماً ومطلعاً على كل شيء وعلاوة على هذا فإنهم يعتبرون العلم متعلق بأربعة مقاييس من الخيوط وكل من أمسك بطرفها وجب علينا أن نعتبره عالماً وعندما نمكن العالم من هؤلاء العلماء فإنه حينئذ سيتكىء على متكأ العلم وينبغي أن يكون العلم والتقوى والدين وكل شيء لديه ( من هذا القبيل ) جديراً بهذا المتكأ المقدس وإلا فلا ، ثم تدخل صاحب البيت في الحديث وقال لإبراهيم بيك إن إصرارك على هذا التعصب القومى لا معنى له وإبراز عيوب الناس أمام أعينهم وإظهار قبيح أعمالهم .

والإشارة إلى طريف أفعالهم كل هذا لن يسفر عن شيء ، إلا أنك تعادى الناس بلا سبب ومن ثم فإنهم يهربون عن مصاحبتك ومخالطتك ، فلا تكدر صفوهم إلى هذا الحد وابق على سيفك فى غمده .

### امض فى طريقك كما مضى السائرون (١)

فقال إبراهيم سيدى المضيف ، تعلم فى بداية الأمر أنه لا يوجد بينى وبين أحد من الناس غرض أو نزاع فى مثل هذه الأحاديث وأنا شخصياً على وفاق تام مع الجميع ولكن دافعى فى هذه الأحاديث هو التعصب القومى وعشق الوطن وكل من

(١) ره جنان روكه رهروان رفتند .

رأى هذه المفاسد ولم يسمها بمسمياتها ، ينبغي أن يخرج عن مجموع عاشقى الوطن وأعتقد أن كل من يقول ( وما شأنى ) تلك الجملة المشئومة ليستحق اللعنة ، وقد لعنت فى سياحتى الموجزة هذا النوع من الأفراد فى عدة مواضع منها ، فكيف أرضى عن نفسى أن أصبح داخل زمرة قصار النظر ، ولو أن كل المواطنين الذين ابتعدوا عن الملاحظات الشخصية كانوا يقولون عن السىء سيئاً والحسن حسناً منذ خمسين سنة مضت لا نصلح اليوم حال كثير من الأعمال المشينة ، وما كان هذا الشعب التعس أسير حكم كبير السعاه ورئيس العسس وما أصبح ملات المدارس الجهلة مفوضين فى كل شىء عندنا ، ومعلوم أن سوء الأخلاق والأفعال الذميمة والعادات الرذيلة غالباً ما تظهر وسط كل طائفة وقوم ، فإذا تغاضى عنها عقلاء القوم أى تغاضوا عن ذكر تلك العادات السيئة فإن نتيجة ذلك هو شيوع كل خلق سىء وسط كل قوم ، أو طائفة . وشيئاً فشيئاً سيصبح أفراد تلك الطوائف والأقوام ، موضع تهكم الأجانب وسخريتهم . ومن ثم سيصبح شرف أفراد أولئك القوم وكرامتهم محوياً وعدمياً لدى المحلى والأجنبى ، إذن ينبغي على علماء الشعب وعقلائه أن يذكروا مفاسد تلك الطائفة وعيوبها بلا أى اعتبار لشأن أولئك الأشرار المفسدة على الرغم من أنهم فى ظاهر الأمر من ذوى النفوذ والقوة فرما يتعظون عند سماع ذلك ويحذون حذو الأخيار المصلحين وينتثون عن الأفعال الذميمة ، وشيئاً فشيئاً يحل الإصلاح محل

الفساد وتنتهى المفسد تماماً ، فكيف أصمت ولا أقول أن دين الإسلام الحنيف أمرنا بالعدل والمساواة ؟ وينبغي على حكامنا وقضائنا أن يحكموا بالعدل والحق فى حسم القضايا فلا يغضون الطرف لمحاباة شخص أو لرشوة شخص آخر فى شأن أوامر الله والرسول (ﷺ) ، تلك الأوامر الواجبة الطاعة فهم يعلمون حقوق الضعفاء ويفهمونها ومع ذلك يتغاضون عنها ، كل هذا فإنهم يجأرون بدعوة الإسلام ويقولون إنهم يتمون إلى رسول آخر الزمان .

وفى (مصر) عدد من تجار "إيران" الكبار والذين يمثل وجودهم فى واقع الأمر فخراً للشعب الإيرانى ويحاول موظفو "إيران" والذين كل يوم يذهب واحد منهم لياتى آخر بدلاً منه ، يحاولون أن يضيّقوا الخناق على أولئك التجار ، لهذا فهم يضطرون إلى الهجرة إلى الدول الأجنبية حتى يجدون الحماية بها ، فما ذنب هؤلاء المساكين حتى يخرجوا من دولتهم الأصلية ليتجنسوا بجنسية الأجانب ، ربما دعته ملكة "انجلترا" أو ربما قرر لهم إمبراطور الدولة الروسية الرواتب الشهرية ، فهل تساءل واحد من هؤلاء لماذا أنتم تركتم جنسيّكم ؟ وماذا يفعل من ليس له قاض يحفظ له حقوقه ؟ ومن السهل أن تحرم الرعية من حقوقها الإنسانية بعد أن حرمت من حقوقها المالية ، كما أنه يوجد فى المدينة الواحدة عدة حكومات وكل منها تعتدى بطريقة معينة على الضعفاء وكل من يتجرأ بالاعتراض على الأحكام



الظلمة لأولئك الحكام الفراعنة كأن يقول مثلاً لماذا هذا ؟ . . . .  
ولماذا ذاك ؟ فإنه حيثئذ يعاقب شر العقاب على الفور .

فضاع الحق تماماً بين الناس ، اذ أن كل ما يريدونه يفعلونه  
ظلماً وعدواناً ، ولكل شخص من هؤلاء الحكام نرجيلة مذهبة  
وخادمان وأربعة سعاة وجبة وشال وهم مسلطون على أرواح  
الناس وأموالهم واليوم لم ينته الأمر عند هذا الحد بل أن كثيراً من  
العلماء قد حذوا حذو الحكام ، فتفوقوا عليهم في إظهار مواكب  
الاحتفال وضرب الدفوف ، كل عالم وفاضل من هؤلاء لهو أكثر  
جرأة في نهب الرعية وسلبها من الحكام أنفسهم ، وهو خبير  
فاضل في هذا أما من كان منهم رحيماً خائفاً من الله إلى حد ما  
فهو بلا كفاءة وكل من كبرت عمامته وطال كمه اعتبر أعلم  
العلماء ، وكل من يثرثر كذباً اعتبر أفصح الشعراء ، ولا تظن  
أننى هكذا كتبت كل ما رأيته من مساوىء ومفاسد في الوطن ،  
كلا قسماً بحياتك الغالية إننى غضضت الطرف عن كثير وتركته ،  
أى أننى ضقت ذرعاً بهذا وعلى سبيل المثال إننا كنا ذات يوم  
ضيوفاً في مكان عظيم أى إننى دعيت لذلك المكان عن طريق أحد  
الأصدقاء ، وحينما دخلنا المجلس كانت القاعة مكتظة بالضيوف ،  
فجلسنا وراء الجميع وفي الحقيقة فإن مكاننا كان ينبغي أن يكون  
نفس المكان الذى جلسنا به ، إذ كان المدعوون جميعهم من العلماء  
الأعلام والخوانين العظام والتجار الكبار فرأيت عشرة أو اثني عشر  
شخصاً وفي يد كل منهم نرجيلة وهم يتزاحمون وفي عجلة من

أمرهم وكأن ورائهم عدواً لدوداً يتعقبهم ودخلوا القاعة وراحوا يتسابقون داخل الحجرة بحيث لم يبق مكان للآخرين لكي يتقابلوا معهم وقد اهتزت أبواب القاعة وجدرانها من تراحمهم وتحركاتهم، فكنت أنظر بعين الحيرة لذلك الوضع .

وراحوا يوزعون النراجيل والغلايين على السادة الضيوف حتى دخن الجميع وكرروا هذا الأمر مرتين وخرجوا . وفى تلك الأثناء سمعت ضجة فى إحدى المقاهى وهى عبارة عن شتائم بذئنة وكلمات متفرقة وكانت الكلمات تتغير وتبدل فى نغمات وأصوات مختلفة وبمجرد سماعى هذه الشتائم والكلمات السوقية القبيحة تعجبت وسألت صديقى قائلاً : ما هذه الجلبة ؟ فقال اصمت الآن حتى أقول لك بعد ذلك وبعد انتهاء مجلس الضيافة حيث عدنا ، قال أثناء الطريق : تلك الجلبة والشتائم القبيحة التى تبودلت كانت بين خدم السادة الضيوف ، إذ كان كل منهم يريد أن يسبق الآخر فى تقديم النرجيلة لسيده لأنه كلما أدخلت النرجيلة لشخص أكثر من مرة فى المجلس كان هذا دليلاً على سمو مقامه ونجابته وينتظر حضرات السادة أنفسهم هذه الخدمة من خدمهم لذلك فإن هذا الأمر دائماً ما يتسبب فى حدوث المشادات والمشاجرات بين الخدم فى مثل هذه المجالس ، وكثيراً ما يصل الأمر إلى الشتائم فقط بل إلى ضرب بعضهم البعض . ولا يكثرث السادة فى أى وقت من الأوقات بهذا الوضع كما رأيت أنت بنفسك اليوم وكن منصفاً فى حديثك فقد زادت أحوالنا سوءاً

إلى حد كبير ، فيحنما يشغل خاصة أفراد الشعب بهذه الألاعيب الصببانية فماذا تنتظر من عوامه ؟ وبأى شىء يشغل عقلاء سائر الشعوب ؟ وبأى شىء خاصتنا ورؤساؤنا الروحليون وغير الروحلين ، والآن فإن الزمان قد أعطى زمام حل أمور الشعب وعقدها إلى هؤلاء السادة ، فينبغى أن يكونوا هم أنفسهم على خلق ومتواضعين كما تقتضى ذلك الحالة الإنسانية والتنشئة الاجتماعية وعليهم أن ينصحوا الآخرين فى تواضع وسلوك حسن وأن ينادوا بالعدل والقسطاس من أجل إنصاف المظلومين والكادحين ويحثوا الشعب على الاتحاد والإخوة . وأن ما يرى على النقيض من ذلك كالتزاع بين عوام الشعب بدون أى سبب معقول لمجرد اتباع أهواء النفس ، وسببه ما يصدر عنهم من بغض وكراهية لبعضهم البعض كما أن هؤلاء العلماء غرقى فى بحر أغراضهم الشخصية ، فأين تلك الفرصة التى تتاح لهم ، لكى يتعدوا عن أهوائهم الشخصية من أجل حسم قضايا الضعفاء من الشعب ومن ثم يحكمون بالعدل والإنصاف فى تلك القضايا ، وينبغى على علماء الشعب أن يكون هدفهم الأول هو نشر العدل وتوطيد أسس الوحدة والوئام بين أفراد الشعب ، إذ أن هدف الله سبحانه وتعالى من إرسال الرسل هو نشر العدل والقسطاس بين عباد الله فى الدنيا حتى يقتصوا من الظلمة للمظلومين ، ومنذ عدة سنين قرأ أحد أدباء إيران شعراً فى هذا الصدد للمرحوم والدى ، وقد حفظته بدورى فليرحم الله ذلك الشاعر إذ أنه كان يحسن

القول جداً ، ولما أن هذا الشعر يناسب هذا المقام فلأقرأ عليكم  
ذلك الشعر فربما يقع المأمول . وهذا هو الشعر :

(منح رب السماء العادل الملك العدلَ

حتى يعمرَ الملكُ ملكه بذلك العدل)

(ولو ظلم الملكُ الناسَ

فإن ربَّ السماءِ يقتصُّ منه)

(إنه منحك العدلَ حتى تعدلَ

وإن ظلمت فإنه يقتصُّ منك)

(اصغ لشكوى المظلوم اليوم

وإلا لن تنقذُ في الغد)

(اعدلْ واعدلْ إذ أن اللهَ

قد أرسل قافلةَ الأنبياءِ للعدل)

(إن ذلك البناء الذي شيّده الأنبياء في الدنيا

يقوم أساسه على لبناتٍ من العدل)

(إن عمار الملك بالعدل

فمتى تُعمر الدنيا بدون ماء العدل)

(إن لم تتعظ بالظلم والعدل  
فقم واذهب لبابل والمدائن وبغداد)  
(وانظر إلى قصور كبار الملوك الغابرين  
سواء ما كان منها من الطوب أو ما كان منها من الفولاذ)  
(وكل ما يقوم على العدل خالداً  
وكل ما يقوم على الظلم ذاهباً)  
ولما قرأ إبراهيم الأشعار وفرغ من قراءتها ، قال الملا قولك  
الشعر من الذنوب الجسيمة ، وأنا لا أصغى لمثل هذه الأشعار ،  
قال إبراهيم الآن فقط أنت لا تصغى ، وفي اعتقادك أن هذا ذنب ،  
فسألني عليك شعراً آخر قد نُظم في الأفراد الذين لا يعلمون  
ويظهرون أنفسهم للناس في زى العلماء ، أو أنهم على علم  
ودراية لكنهم لا يعملون بعلمهم . وذلك الشعر هو :

(قال شيخ لبغى إنك سكرى  
فكل يوم تقعين في فخ آخر)  
(قالت أيها الشيخ أنا كل ما تقول  
ولكنك لست كما تتظاهر)  
فأضطرب الملا بسبب هذا الحديث وقال ألا تخشى أن تتناول  
على العلماء ؟

قال إبراهيم : يا جناب السيد إن العلماء هم الذين يعلمون شئون مقامهم الرفيع كما أنهم ربما بل ويجب أن يحافظوا على ذلك المنصب المقدس ، بل وأعرف أيضاً بعضاً منهم ، وأطلب من الله أن يقصر من عمرى لطيل فى أعمارهم ، ولو لم يظهر أولئك العلماء الاطهار لانتبهنا نحن بدورنا ، فحياتنا متعلقة بوجودهم الكريم وكيف استبدل الذى هو خير بالذى هو أدنى وأقول عن العلماء الأشرار الذين لا يعملون بعلمهم أنهم أخيار ؟

قال الملا : ما هذا الحديث ، العلماء جميعهم نوع واحد ولا اختلاف بينهم ، والآن فقد سببت العلماء ، فأنت مرتد وأبواب النجاة موصدة أمامك ، قال إبراهيم : المرتد الذى لا يعلم ويظهر نفسه فى زى العلماء ، إذ أن كل بلاء حطّ فوق رؤسنا ورؤس كل الإيرانيين سببه الرئيسى هم أولئك الأفراد الجهلة .

ويقول صاحب المنزل : رأيت أن وجه إبراهيم قد تغير لونه عند سماع لفظة (مرتد) ، فأخذت أطرافه ترتعد واتسعت عيناه وقال إن مثل هذه الكلمات هى التى خربت المملكة المترامية الأطراف وحطمت الشعب القديم والعريق ولهت الناس عن تحصيل العلم واطلقت العنان للجهل فى المملكة وبهذه الكلمات ومن جرائها افتقر الناس وبدت عليهم المسكنة واعتبروا العلم عبارة عن ( ضرب زيد عمرا )<sup>(١)</sup> فغفلوا عن تحصيل العلوم والفنون

(١) أى أن العلماء تركوا جوهر العلم وشغلوا أنفسهم بموضوعات فرعية لا جدوى من الجدل فيها .



المتداولة حتى بلغ الأمر أن هب من كل ناحية شخص يبحث عن  
الوعظ وطلب الرئاسة .

وبكل وقاحة تجرأوا على تغيير بعض الأحكام المقدسة  
للشريعة الغراء وتلقبوا بألقاب مختلفة ، فقال واحد أنا (شيخى) ،  
وتجرأ آخر أكثر ممن سبقه وقال أنا (بابى) وقد أسرع الناس الجهلة  
من كل جانب للانضمام لتلك الدعوات وهنا نفذ صبر إبراهيم  
وأسرع من المكان الذى جلس به وواجه الملاً وجهاً لوجه وتحدث  
متكئاً على ركبتيه قائلاً أنت من أولئك الأشخاص الذين يدقون  
رؤوسهم بالكتاب جهلاً أثناء المناقشات العلمية ويتبادلون الكلمات  
الفضة وهو مما لا يمت لتحصيل العلم بصلة بل هو أساس  
الجهل ، وغدا نفس هؤلاء العلماء سيبدأ فى الجهل بالسيرة النبوية ،  
إذ يتهرب الشعب من الدولة وتتصل الدولة من الشعب ويذهبون  
جميعاً وراء المتاعب والكيمياء المزعومة بل أن ابتلاء الناس بأدمان  
الأفيون سببه غفلتهم عن علم الاجتماع وشيئاً فشيئاً علا صوت  
إبراهيم ومن كثرة الصياح والجدال ، بدا كجمل يرغى ويزبد ،  
وأخذ يتصيب عرقاً وذلك لحرارة قلبه وهنا دهشت لهذه الحالة  
وقال إبراهيم : أى تراب أحطه على رأسى ؟ فهذا يدعى العلم  
ويجعلنى مرتداً ، وذلك بسبب نطقى كلمتى حق ، فتارة أخذ  
يضرب كفاً بكف ويخلع القلنسوة ويضرب بقدميه على الأرض  
كالمجنون وتارة أخرى أمسك بالقلنسوة من على الأرض وألقى بها  
على المصباح القريب ، فسقط على الأرض وانكسر فسال زيت

المصباح على الأرض واشتعلت النار من الفتيلة ، وعلى الفور تحولت الفتيلة إلى شعلة من نار فأحاطت النار بكل مكان ، وأثناء ذلك الجدال دهشت ( لتصرف إبراهيم ) بل رأيت أن إبراهيم أصبح فى غير وعيه ، وأشعل النار بفرش الحجره وحينئذ صحت بقولى : أيها الغلمان تعالوا . . . . . هلموا لقد احترقنا ، فأقبل العم يوسف والخدم فقلت للعم يوسف يا عزيزى أخرج إبراهيم وخلصه من النار ولتذهب الحجره إلى الجحيم ، وأخرج ثلاثنا جسد إبراهيم وفى تلك الأثناء أراد الملا أن يهرب وينقذ نفسه من حريق النار ، وقد اشتعلت النار بطرف ثيابه ، فصاح قائلاً لقد احترقت . . . . . الماء . . . . . الماء . . . . . الماء . . . . . وصحت أنا بدورى قائلاً ( إنه حريق ) فتدفق الجيران حيث المنزل من كل حدب وصوب وراحوا يرشون المياه فوق النار ، وفجأة اشتعلت النار فى الستارة ووصلت إلى حلق النافذة والسقف فصحت قائلاً: شدوا الستارة واكسروا الحلق الخشبية وأمسك الناس بالستارة وأخذوا يرددون : يا على . . يا حسن . . . يا حسين . . . يا على بن الحسين وسقطت الستارة وخمدت النار .

( الآن خرج الشاب من وراء ستارة الصبر . . . فحتام يخرج الزمان من وراء الستارة ) .

( تم )

## الخاتمة

الحمد لله الرحمن الرحيم <sup>(١)</sup> الذى وفقنى إلى طبع هذه  
السياحة وبهذا الأسلوب وفقت إلى أن أذكر فى الدنيا اسم هذا  
السائح المحترم المبتلى الذى استعذب العناء والخسائر الفادحة فى  
سبيل حب الوطن .

وكما ورد فى المقدمة أن الغرض من طبع ونشر هذه السياحة  
ليس بهدف المنفعة الشخصية وقد احتاجت هذه السياحة إلى  
الكثير من العناء والإنفاق على حد سواء ومن وجهة نظرى يعتبر  
هذا العمل ضرباً من ضروب عشق الوطن وحب الشعب والرغبة  
فى تشكيل حكومة وقد استقبلت عناءه ونفقاته بطيب خاطر وذلك  
حتى ينظر المطلعون المحترمون من باب الإنصاف إلى محتواه  
( كتاب السياحة ) ومن ثم يشحنون همهم لمنع مثل هذه المساوىء  
والمفاسد وإيجاد العلاج لمساوىء الوطن ، فربما شيئاً فشيئاً يحل  
الإصلاح محل الفساد وذلك عن طريق وحدتهم واتحادهم ، ومن  
خلال أيضاً همهم العالية ولا ينبغى اليأس والقنوط من هذا  
الوضع المضطرب ، اذ لا يمكن أن يقف هذا عقبة فى طريق  
السعى والعمل القومى وقد قيل فى هذا الصدد ( همم الرجال  
تقلع الجبال ) وينبغى أن نتحرك سوياً لإصلاح أمورنا حتى نتغلب  
على الشدائد .

(١) هذا هو أسلوب وصياغة الكاتب .

وآمل أن يرفض حكام الشعب هذه المذلة سواء لأنفسهم أو لمواطنيهم حتى يتعظوا مما سبق ويبحثوا عن العلاج والذي من خلاله يتحقق مستقبل وطنهم بحيث يكون هذا العلاج باعثاً على القضاء على المفساد وتوفير الراحة العامة ، حتى يضيء وطننا العزيز نور الحضارة الحقيقية وذلك مما يتوفر في شريعة الإسلام الإنسانية الغراء ، فتتكشع سحب الجهل والكسل الكثيفة وذلك مع هبوب نسائم العلم والفن والعدل والمساواة ، ومن ثم يصفو أفق مملكتنا والذي هو أفضل منطقة في العالم من دخان الظلم وغباره ، فتتلاشى آثار الجور والفتن لترتفع راية العدل خفاقة في كل مكان في القصبات وثغور الوطن العزيز وفوق عمائر الدولة ، فمن جانب ترفرف علامة الأسد والشمس والتاج الكياني ومن جانب آخر ترفرف أيضاً آية الفتح المباركة في مباهاة وافتخار وتعود بين المدن محاكم العدل في العمائر الفخمة على أساس المساواة بين جميع السكان ، فيكون الغنى والفقير والأسير والأمير سواء أمام حكام العدل ، فتصان حقوق عباد الله من تجاوزات ذوى النفوذ ويراعى قضاة محاكم العدل أوامر مولى الموالى حضرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) ليتخذوا منه قدوة في أحكامهم في المحاكم .

وكما خطب ذلك الخليفة الراشد ( على بن أبى طالب ) في جمع غفير من المسلمين قائلاً : إننى لا أفضل ابنى الحسن والحسين عليكم ولا أميزهما عنكم أو عن عبد حبشى ، فهذا

سلوك أسلافنا مع الضعفاء من الشعب ، والآن انظروا كم عانى  
أجدادنا فى أواخر القرن الثانى عشر من جور هؤلاء الحكام الظلمة  
ومن تعدى رئيس العسس وكبير السعاه والساعى ، وأتباع أولئك  
الأشرار وأمثالهم ، إذ أنه بإشارة واحدة غير مسئولة يُغير شخص  
وحشى على أموالهم وأرواحهم .

وكم عانى الشعب والدولة من آثار السلب والنهب من قبل  
الأعداء الأقوياء ، والآن يشكو أفراد الشعب الإيرانى أوضاع  
حياتهم فى اليوم مئات المرات ، وهم يدعوون لملك إيران العادل  
ودولته قائلين اللهم آدم دولته ، ويترحمون فى نفس الوقت على  
أسلافهم . واليوم لو نظرنا فى تاريخ الأيام السالفة سنرى مذابح  
المغول (أتباع چنكيزخان) وتخریب وتدمير أولئك الأقوام المتوحشة  
الجهلة والذين تطاولوا على حقوق وطننا وأسلافنا الكرام وكم  
نحن فى أسى وحزن من جراء ذلك الأمر ، وبلاشك فإن أحفادنا  
سيرون تاريخ عصر حياتنا ومن ثم ينبغى أن نتحرك بالشكل الذى  
لا يرثون عنا مصائبنا ونوائبنا .

والفرق كبير بين ذلك العصر وهذا العصر الذى نعيش فيه .  
فاليوم قد تغير وضع عصرنا أكثر مما يتصور وإذا ما قورن ذلك  
الزمان فى كل أرجاء العالم بالوقت الراهن كان ذلك العصر أشبه  
بالغابة ، إذ أنه لم يكن لأى قوم أو طائفة من عمل سوى الحرب  
والقتال وسفك دماء بعضهم البعض ولم يكن هناك أثر للرقى  
والحضارة فى أى مكان من العالم ، لهذا فنحن نلتمس العذر

لأجدادنا لأنهم لم يستطيعوا أن يؤسسوا سوراً أو يقيموا حصناً يقيهم شر ذلك ( السبيل ) ولكن اليوم فقد أشرقت شمس المدينة والحضارة من ناحية الغرب ، فعم ضياؤها كل مكان وبأماكن كل طائفة أن تنهل من فيض تلك الحضارة ، لهذا فإن أحفادنا وأخلافنا لن يقبلوا بشكل من الأشكال عذراً منا ، وينبغي أن نقول من باب الإنصاف أنه ليس هناك أية دولة يصبح فيها التاجر الكبير عرضة لاستخفاف ساع وقح يبتزه ألا في " إيران " ، وفي أى مكان يوجد الثواب والعقاب بل إن وظيفة الحاكم والمحكوم وواجباتهما محددة ومقننة ألا في " إيران " وكل مملكة تحدد ضرائب الدولة بالمساواة والعدل ألا في " إيران " بل وتدفع رعية أية دولة ضرائبها المحددة فى وقت معلوم ومحدد وقد يطلب جهاز الحكومة تحويل مستحقاته ألا نحن وفى كل مملكة يشترك الشعب والدولة فى الحفاظ على الوطن وحمايته ألا فى " إيران " .

وفى أى مكان من العالم لا يتدخل علماء الدين فى الأمور السياسية ألا فى " إيران " <sup>(١)</sup> ولا توجد فى أية منطقة من العالم مقامات مقدسة وبيوت علماء وحكام تكون ملجأ للصوف والمحتالين وسفكة الدماء إلا فى " إيران " وينبغي أن نبحث عن علاج للتخلص من كل هذه المفاسد قبل فوات الأوان وهذا الذى قيل ليس خرافة أو حكماً أو وهماً بل أوضاع يراها كل إنسان

(١) ليس صحيحاً أن علماء الدين لا يتدخلون فى الأمور السياسية بل أن التاريخ شاهد على أن أكبر الساسة فى العالم الإسلامى كانوا من رجال أو علماء الدين .



يومية فالأصدقاء فى حزن وألم لرؤية هذه الأوضاع المشينة والأعداء فى غبطة وسرور ويتهاكمون على الشعب العريق النجيب بل ويمثلون هذه الأوضاع فى الملاحى والمسارح فهل يليق بنا أن نرضى بهذه المذلة لأنفسنا ؟ ولا نتقدم خطوة نحو الرقى والحضارة حتى نصلح ما فسد من أمورنا ؟

وأخشى أيضاً على الرغم من استنارة العالم كله أن يضحك بعض المواطنين سخرية وتهكماً على هذا السائح وطابع هذا الكتاب وذلك بعد قراءة هذه السياحة ويعتبروننى أحمق ومجنوناً وليس بعيد أن لا يكتفى البعض الآخر بهذا النقد بل يعتبرونى بلا دين أو مذهب ولكننى أقول هذا بجرأة تامة أنه لو أن كل مظلوم كان يشكو من كل ظالم من أربعين عاماً ولم يرض بالظلم على نفسه والآخرين ولم يتغاض ( من لم ير الظلم ) عن المظلومين وكتب كل سائح ما شاهده من خير أو شر دون غرض أو محاباة وكان ينشره لانتهدت كل تلك الأمراض المزمنة والمتفشية فى البلاد بل وشفى الشعب والدولة على حد سواء من هذه الأسقام والأمراض ولكن واحسرتاه فإن الجميع يقولون ( وما شأنى ) ويمرون على هذه الأوضاع مر الكرام ولكن لن يطول الوقت حتى يروا بأنفسهم رأى العين أن ما حدث قد حدث لهم أنفسهم ، إذ وقتذاك كانت أيديهم بعيدة عن النار أما اليوم فهم وسط تلك النار ولو أن عقلاء إيران وحكماءها وشعراءها وأدباءها حالوا دون السياحة الثانية والثالثة للملك <sup>(١)</sup> بعد أن رأوا عدم انتفاع الشعب

(١) الملك : هو ناصر الدين شاه .

والدولة من وراء كل تلك المبالغ الباهظة والتي انفقت على السفر في السياحة للغرب ، ومنعوا الملك من السفر وذلك من خلال الكلمات المناسبة والنصائح المؤثرة المنظومة والمنشورة ، وكانت تلك المبالغ والأموال الطائلة قد عمرت خزانة الدولة والتي ضاعت هدرأ في الغرب ولنجا الشعب من عار تلك الفضائح التي نتجت عن تلك السفرات وللأسف فإن عقلاء الشعب في مملكتنا لا يزالون لم يتذوقوا بعد حرية الأفكار وحرية القلم ولا يعلمون إلى أي مدى قد تكون تلك النعمة باعثاً على تعمير البلاد وسموق الدولة والشعب .

وفي الحقيقة الباعثة على الدهشة والتعجب أنه على الرغم من أن جميع الأفراد يعلمون كل هذه الأمور ويقرون بها إلا إنهم لا يريدون أن يستنتجوا من باب التجربة والاختيار حتى يدركوا ما لذة هذا الأمر ، واأسفاه فإنهم لسوء الحظ يقولون وما شأنى عند كل وضع يقابلهم ويمرون عليه مر الكرام : فى حين ينبغي على الجنس البشرى أن يكون دائماً تواقاً للرقى والحضارة وأن يحيط علماً بجميع مقومات حرية فكره وقلمه شريطة أن لا يتجاوز نطاق حدود الأدب والإنسانية . بأى شكل من الأشكال حتى يمكنه أن يعيش عزيزاً بين سائر الشعوب ، وكل من يخالف ذلك سوف يصبح حقيراً لا قيمة له فى أنظار الشعوب الغربية كما أصبحنا

حن ، وهذا الموضوع فى غنى عن البرهان والإثبات وهو مثل  
لشمس الساطعة ، بل ونرى أن الشعوب الغربية تعيش فى فخار  
بفضل ذلك الأمر ولا تعتبر أمثالنا من الموجدوات ، ولو نبحت  
عن أسباب ذلك الرقى وتلك الحضارة سنرى أن ذلك ليس  
إلا وليد حرية الفكر والقلم ، ومن الواضح أن الشعب الذى  
يشب على التحصيل والتنشئة الحسنة ويكون قد حظى بقسط  
كبير من العلوم والفنون المتداولة ويضيف إلى ذلك حرية الفكر  
والقلم لاشك أنه بالغ السعادة والرقى فى حياته مثل الغرب فى  
حين أننا مضطرون إلى استعمال الشمع والسكر ، ولابد وأن  
نرتدى قماش اللباد والسرراويل وأن نستهلك الورق فى حين أنه  
ينبغى علينا أن نتعلم تلك الصناعات ، وهى لا تتحقق أيضاً  
بالجهل ، وإذا ما حصلنا العلم لابد لنا أيضاً من الأمن والعدل  
وكلاهما لا يتحقق فى أى مكان بدون حرية الفكر والقلم .

وبإمكان أى صاحب قلم فى الشعوب الغربية من أية طبقة .  
ولو كان هذا الشخص مجنوناً بإمكانه أن يكتب مقالة فى صدد  
المنافع القومية ، ويسلمها للصحف وعد ذلك اليوم سترى أن  
جميع عقلاء الشعب يقرأون مقالة ذلك ( المجنون ) ، فلو رأوا أن  
الكلمة مفيدة فإنهم حينئذ سيعملون بتلك المقالة ، وإلا فإنهم  
لا يشيخون بوجوههم عنها أو يعبسون ويذمون مقالته ، وعلى  
النقيض فحينما يقول عاقل فى مملكتنا شيئاً من هذه المقولة أو  
يكتبه على ورقة لتصل سواد الشعب فإنهم يجأرون بالصياح ،

وذلك بسبب نظرتهم القاصرة وضيق آفاقهم قائلين يا بني ان مثل هذا الشيء لا يحدث فى العالم وقيمون الدنيا ويقعدونها إلى أن يصبح العاقل مجنوناً ، وهذا هو الفرق بيننا وبين الشعوب الغربية ، إذ أنهم يسمعون إلى النهاية كل ما يقوله الفرد حتى ولو كان من المحال . وبعد ذلك يبين رأيه فى ذلك الصدد ولكننا نحن نظراً لقصر نظرنا نصيح فى منتصف الموضوع دون تقييم له أو تفكير فيه لنقول . . . هذا مستحيل خاصةً لو كان القائل مثلى خالى الوفاض من الدنيا وعلاوة على هذا فلو حالف الحظ شخصاً من الأشخاص وسمح لحديثه المفيد أن ينتشر على الرغم من وجود مثل هذه العقبات التى يصعب اجتيازها فلن يستفيد القائل أو شعبه من هذا الحديث المفيد سوى سماع كلمتين رخيصتين ، ولا أعلم أى ضرر يمكن أن يحدث من حرية الأفكار والعلم سواء بالنسبة للدولة أو الشعب لدرجة أنهم كمموا أفواه الشعراء وحطموا أقلام الكتاب ؟ ، وواضح أنهم لم يفهموا معنى الحرية ، أجل فكل قلم يُستعمل فى خيانة الدولة والشعب لاشك أنه ينبغى تحطيمه وكل لسان يتحرك متهماً الأفراد وينطق هاتكاً احترام هذا أو ذاك ظلماً وعدواناً ، لاشك أنه يجب قطعه وليس كما حدث أن صحيفة سيئة الحظ قد تحدثت فى صراحة تامة عن سوء سلوك أمير ظالم ومظالمه الواضحة فصودرت لهذا بدلاً من معاقبة ذلك الظالم وتوبيخه . ويقول بعض الأشخاص وهم من قصار النظر وذوى حمية جاهلية : أن ذكر هذه العيوب وأبراز كل هذه المفاصد

کتابه دلیل علی عدم الغیره أو التعصب القومی فی أنظار  
الأجانب .

وهكذا یظن أولئك المساكين أن الآخرين غافلون عن أوضاع  
إدارة مملکتنا ومظالم الحکام ومفاسد أخلاق الآخرين ، وقسماً بالله  
إن الصواب قد جانبهم فی هذه الملاحظة ، فالیوم لا یخفی أمر  
من أمورنا وأن الأجانب لعلی علم بمفاسدنا وعیوبنا أكثر منا  
أنفسنا . ومن ثم فمن وجهة نظر کل العقلاء أن کل من یرید أن  
یخفی هذه العیوب لاشک أنه خائن للدين والدولة الشعب .

(فی مذهبی أنك شخص حسن الفعال

لأنك ذلك الشخص الذى يقول أن الشوكة الفلانية

فی طریقك)

ویقول مولى المتقين أمير المؤمنين علی کرم الله وجهه فی هذا  
الصدد : إنما سَمِی الصديق صديقاً لأنه یصدقك فی نفسك  
ومعايیک ، فمن فعل ذلك فاستنم إليه فانه الصديق .

وترجمة هذا الکلام المعجز فی نظام باب العلم حضره ختم  
المرتبة ( کرم الله وجهه ) بالفارسية كما یلی : <sup>(۱)</sup>

أذن یتضح أن کل من یحب وطنه ویرید عزة مواطنیه ینبغی

(۱) ( الترجمة ) : " از برای آن صديق ب صداقت نامبردار کرده اند که باتو سخن براستی  
گوید و معایب ترا بروی تو بشمارد ، وجهد کند که ترا از آن معایب باز دارد ، هرکه کسی را  
بدین صفت یا فتی از دامن او دست باز مدار که او صديق تست " .

عليه أن يتبع أوامر حضرة مولى الموالى علىّ العالى عليه السلام  
( كرم الله وجهه ) وهو مولا هم وقدوتهم ، فإذا ما رأى شيئاً من  
مفاسد المواطنين فعليه أن يبرز لهم تلك المفاسد أو المساوىء  
فى لغة مناسبة . فربما عمل بنصيحتة شخص من بينهم وشيئاً  
فشيئاً سيتخلون عن تلك المفاسد حتى يزول الظلم والانحراف من  
بينهم أيضاً واللذان هما من نتائج الجهل ومن ثم يحل محلهما  
العدل والقسطاس والآن حان الوقت ، فإن شعراء الشعب وأدباءه  
الذين لا يزالون يقضون أعمارهم فى مدح الجبابة ووصفهم ،  
عليهم أن ينظموا أيضاً القصائد والأشعار حول حب الوطن  
وتقديسه ، وكما أننا كنا نبكى فترة من الوقت على كل المصائب ،  
فلنقرأ الآن مرثية الوطن أيضاً لفترة ونبكى لتلك المرثية ، فكأن  
الوطن عدمٌ ، فهم لا يسمحون لنا بتنفيذ أى نظام فيه . وكما  
أنهم ذموا لسنوات طويلة عاشقى الوطن ، فليذموا أيضاً عمل  
الخونة نظماً ونثراً فترة من الوقت ، وسندعو الله عدة سنين فى  
تضرع ونحيب من أجل تخليصنا من نار الجحيم ولندعو لفترة  
أيضاً من أجل تخليصنا من الظلم والجور وإحلال العدل  
والإنصاف مكانهما وبدلاً من الأعمار التى نقضيها فى خصام  
ونفاق مع بعضنا البعض وذلك من جراء الأهواء الشخصية ،  
فلنقض هذه الأعمار سالكين سبيل المحبة والوفاق فترة من الوقت  
وكم هو مناسب أن نورد تلك الحكاية التى تنسب إلى الشاه  
(عباس الصفوى) أنار الله برهانه . يقولون : إنه ذات يوم سار



الملك راكباً رضوان الله عليه وكان يسير معه السيد التجيب مير محمد باقر صهره وكذلك الشيخ الجليل بهاء الدين العاملى والليان كانا من فحول علماء ذلك العصر وقد سارا بالتحديد فى معية موكب الملك .

وخطر ببال الملك أن يختبر هذين العظمين حتى يعلم أن كان بينهما تنافس أو حقد ولما أن جواد المرحوم سيد كان كثير التحرك والقفز ، قال الملك للشيخ هامساً : إن جواد ( سيد ) كثير القفز واللعب وفى الحقيقة أن امتطاء صهوة مثل هذا الجواد لأمر لا يليق بالعلماء فعقب الشيخ قائلاً لما أن الجواد يعرف راكبه كم هو شخص عالم وعظيم ، لذا فقد تأثر من وجد ذلك الرجل العظيم والحق مع الأمير ( أن يفضل هذا الجواد ) وبعد ذلك قطع الموكب هذا مسافة طويلة من الطريق ، فألتفت الملك هذه المرة نحو (سيد) ذلك الرجل الجليل القدر وقال : إن جواد الشيخ كسول للغاية فهو لا يريد أن يسير والشيخ نفسه يجهل نظام الفروسية فعقب سيد قائلاً : لا ، ليس جواد الشيخ كسولاً ، بل ما يدعو إلى الحيرة أنه كيف يتحرك مع كل هذه الأحمال الثقيلة لفضايا راكبه؟ ، فحينئذ توجه ذلك الأمير ( الشاه عباس ) المحبوب يشكر الله على سماع هذه الكلمات الجميلة من هذين العالمين العظمين قائلاً . الحمد لله أن يكون علماء الشعب فى أيام حكمى على وفاق ومحبة مع بعضهم البعض بهذه الدرجة ، وهذا وحده دليل على

وجود الوحدة والمحبة والوئام بين جميع أفراد الشعب .

إذن ينبغي علينا أن نتضرع لله الرؤوف بالدعاء ليل نهار كي يحو النفاق من صدور حكامنا ومواطنينا والذي يتسبب في خراب البلاد واضطراب الشعب ، ليأمرهم بالتراحم فيما بينهم حتى يحققوا ما فيه تعمير البلاد وكذا الراحة والسموق للمواطنين ومن ثم يتكاتفون معاً للمحافظة على الأمور الهامة للدولة والشعب وبذلك يجنبون الحكم العتيق من الانقراض وأخلافهم وأسلافهم من الذلة والهوان اللذين تظهر آثارهما واضحة اليوم حتى يتركوا هذه الدنيا القصيرة بعد أن خلفوا وراءهم السمعة الطيبة والاسم الخالد .

(إنى أتحدث معك عما هو أساس النصيحة

سواء أنت اتعظت من كلامي أو مللته)

ومع كل هذا لا ينبغي أن نياس من رحمة الله ، فالله لطيف بعباده وقد يخفى علينا الكثير من رحمته ، ووجدت أنه مما يناسب هذا المقام أن أكتب بعض الأبيات من الأشعار وأجعل منها مسك الختام لحديثي .

## ( مناجاة )

(إن لدينا الهاً عفواً بحيث  
أننى أمل مع الذنوبِ العديدة)  
(أن يفتح الباب الذى يغلقه  
فتعال حتى نتضرع بالدعاء على هذه العتبة)  
(يا إلهى إن تطردنى أو تدعننى  
فليس لنا بابٌ آخر سوى أنعامك)  
(وفخارنا أن تعفو عنا  
وإلا تماديننا فى اقتصراف الذنوب)  
(إنك خلقتنا من حفنة تراب  
فكيف لا نشكر هذه النعمة)  
(إنك وهبتنا الروح والعقل والإيمان  
ولولاك لظللنا كما كنا حِفنة من تراب)  
(يا إلهى أصلح أحوالنا  
فنحن مساكين ومضطربون فى هذا العصر)  
(حتى لانصاع لليأس والقنوط يوماً  
من الأيام مبتعدين عن عتبة أنعامك ولطفك)

## ملحق

هذا العبد المتحدث أحد أبناء تلك الأرض المباركة والذي عانى معاناة كل عاشق للوطن غيور وقد عجز كل مسكين مثلى عن إيجاد علاج لتلك المعاناة فى مجال الفكر واليوم دخلت المطبعة لإنهاء عملى الشخصى وبالصدفة بينما كان كتاب ( سياحتنامة إبراهيم بيك أو بلاء تعصبه ) فوق الآلة حيث كان يُطبع ، حملت ذلك الجزء المطبوع وتصفحته بل اطلعت عليه ، وفى الواقع فقد تأثرت به تأثراً لا أعلم مداه وفى الحقيقة فإن من لديهم ذرة واحدة من حب الوطن فى قلوبهم سوف يعلمون كم عانى هذا الشاب الغيور بسبب حب الوطن وعشق الشعب وكم من الطعنات تحملها من قِبَل جهلة البلاد وكم من المفاسد والمساوئ سمع عنها ، الأمر الذى صدم عقله وأحاسسه ، فقد دخل هناك (إيران) عاقلاً وحكيماً وعاد ذاهلاً بل مجنوناً وكيف أحرقت نار عشق معشوقته "إيران" عقل ذلك الشاب المتحرر بل أودت هذه النار بحياته تماماً ، فهو يغفل عن وجوده وكل ماكتبه المسكين وقاله لهو خال من أى نوع من المبالغة والتهويل ولو ننظر بعين العدل إلى ما رآه من المفاسد والمساوئ ، فإننا نرى أنه لم يكتب من هذه الأمور إلا قليلاً من كثير .

كما أن المساوىء التى تمخضت عن حكام هذه المملكة التعسة  
لا يمكن أن تحصر فى حديث أو كتابة .

( لا يمكن أن نتحدث عن عيوبه فما ذكر قليل من كثير )

وقد يبدو أن علاج هذا الألم معضلاً فى ظاهر الأمر لكنه  
يسير للغاية فى حقيقته ، ومن مشاكل هذا الوطن أن هذه الرقعة  
من الأرض التى هى وطننا نحن التعساء قد وقعت فى منطقة هى  
ملتقى الفتن والصراعات ، وهى موضع توالى الضربات السياسية  
لدولتين كبيرين جشعتين تفكران ليل نهار فى أن تقضيا على  
بعضهما البعض . . . . . ولسوء الحظ فإن وطننا قد كان مسرحاً  
لحروبهما وبهذه الملاحظة فإن أى يوم تظهر فيه مشكلة سياسية  
جديدة قد تواجه إحدى هاتين الدولتين المتنافستين الكبيرين لن  
تتظر هذه الدولة لتسيطر على المناطق الهامة من تلك المملكة  
(إيران) طالما سنحت الفرصة بذلك ، وذلك من أجل أن تجيش  
الجيوش وتعد العدة للحرب من خلال وجودها فى إيران ،  
فتحصل على ضالتها بتلك الوسيلة من خلال هذا الصراع ويصبح  
هدف الدولة الأخرى أن تبقى هذه المملكة فى هذه الحالة من  
الخراب والدمار والاضطراب .

فلا صاحب ملك ولا منافس قوى يمكنه أن ينتفع من ذلك حتى تسنح الفرصة فيترجم كل ما يريده من القوة إلى الفعل .  
(هذا يشد نحوه ، وذاك يشد نحوه الآخر

ونحن وقعنا فريسة لصين من اللصوص) <sup>(١)</sup>

لقد أصبح صراع هاتين الدولتين وغفلة حكام المملكة سبباً في زيادة الاضطراب وخراب هذه المملكة ويوماً فيوماً يزيد عدم الاستقرار والشقاء أكثر من ذي قبل ، واأسفاه فإن أدياء المدينة الكاذبين هؤلاء ، بدلاً من أن يعمروا البلاد ببعض المتزهات الباعثة على الصفاء ، فإنهم يدعون على سبيل الإصلاح إنهم يبحثون عن مقومات النور والحضارة التي من خلالها يجمّلون البلاد وينيرونها وهم في حقيقة الأمر يسعون إلى إظلامها وتخريبها . وقد أدرك أحد علماء "إيران" الأجلاء نوايا هاتين الجارتين القويتين وكتب مقالة مفصلة في هذا الصدد بعنوان ( أين تذهب سفينة سياستنا ) وما واجبا ؟ وماذا عسانا أن نفعل ؟ وهذه المقالة تفيد إلى حد كبير في علاج ألما ورأيت أن الوقت مناسب ، فطلبت من صاحب المطبعة أن يضمّن هذه السياحة جزءاً من مقالات ذلك العالم المحترم حتى يطلع ذوو الطبائع السليمة

(١) المقصود بذلك روسيا في الشمال ، وانجلترا في الجنوب .



والأذهان المستتيرة ، لاسيما حكام الشعب على نوايا أولئك الجيران ( روسيا وإنجلترا ) ومن ثم يعتبرون من ذلك ويكونون على دراية وعلم بمجريات الأمور ، وقد قبل صاحب المطبعة أيضاً نظراً لعشقه للوطن ، وآمل أن لا يخلو نقل هذا الموضوع الأساسى من الفائدة ، وذلك لكونه فى ذيل السياحة .

### **هذا موجز من بيانات عالم إيرانى**

ما هى سياسة إيران ؟ وإلى أين تذهب سفينة سياستنا ؟ وهل هناك أحداث خطيرة فى هذا البحر أم لا ؟ ولو كان هناك تدارك للأمر منا فما هو ؟ وما هى خطتنا ؟ ومن هو عدونا ؟ وأين صديقنا ؟ ومن أى الطرق ينبغى أن نذهب ؟ وما هى المشكلة أو الورطة التى ينبغى أن نتخلص منها ؟ وفى أى حالة كون ؟ وماذا عسانا أن نفعل ؟ وحتى الآن لم يثر حاكم من حكام إيران مثل هذه الأسئلة ، ولا يعلمون شيئاً عن حل هذه المسائل إذ أن سفينة الدولة ليس لها موجه أو مخطط ، وليس لها أيضاً هدف محدد .

وهى حائرة غارقة فى بحر السياسة ، فتارة كنا نقاتل ( العواصف العاتية ) دون مبرر لهذا القتال ونعود إلى الطريق المفقود ، وتارة ثانية كنا نسعى لقطع صلاتنا بالصديق ، وتارة ثالثة رُحنا نشد من أزر العدو ، وبعد هذه الصدمات والتخبطات

التي لا تحصى ولا تعد ، تركنا عنان السفينة فى أيدى الآخرين ولازلنا نجهل ما هو صلاحنا ، وأين هدفنا ؟ بل وتغوص سفينة الدولة فى هذا البحر الملىء بالمخاطر مضطرة لاثارة العواصف العاتية بالقرب من الأعداء دون تحسب للوقوع فى ورطة لا مخرج منها ، ويظن أصحاب السفينة فى نشوة الغفلة أن بواكير العاصفة ما هى إلا نسائم السعادة والأمل الوحيد لنجاتنا ، هو أن يوقظ الله سبحانه وتعالى قبطاننا ليأخذ بيد السفينة ، ويمكن القول إنه من خلال الفراسة اللماحة والهمة العالية لهذا القبطان الشاب المحظوظ ، أن الله الرحيم سبحانه وتعالى لم يبتعد تماماً برحمته عن هذه السفينة التعسة ، كما أن هذا القبطان والذي هو منقذ السفينة محتاج إلى خطط متعددة من أجل تحديد الهدف وإعداد سير تحرك السفينة . لهذا فقد كنت منذ فترة أحذر ركاب هذه السفينة من ركوب البحر وقد قدمت لهذا خطة أو مشروعاً من أجل رحلة السائحين ، وذلك فى عدة وريقات ولو أن فائدة هذه الخطة السياسية قد قصرت على إصلاح تحرك السفينة لكانت ذات نتائج عظيمة وموضع فخر قبطان السفينة ، وبالنظر إلى عالم السياسة يتضح أن هناك نكتة جديرة بالتأمل لدينا ألا وهى جزيرة صغيرة تقع على ساحل ( البحر المحيط ) والذي شكلته الطبيعة وتزيد مساحته عن الربع المسكون من الأرض وقد أخضعت هذه الجزيرة أعظم ممالك آسيا وهى تستولى على العالم بتفكير معجز وعظمة فائقة ، ولا أرى دولة لا ترتعش من اسم إنجلترا ، من

موانئ اليابان حتى غابات العالم الجديد ، ومن البحرين المتجمدين حتى صحراء أفريقيا ، وفي مقابل كتلة إنجلترا الاستعمارية والمثيرة للدهشة نرى كتلة أخرى قد تقدمت على مسرح الدول لإثبات قدرتها الفائقة في حروبها الضارية ، فتقدمت نحو ممالك الهند في استعداد فظيع وتخطيط كبير وذلك من ناحية الشمال ( روسيا ) من أجل القضاء على القوة الانجليزية والسيطرة على العالم وقد شمل استيلاء هاتين القوتين العالم ، ولو بحثنا في كل حادثة من حوادث هذا العصر لرأينا أنه إما كانت هذه الحادثة ناتجة عن حملة إحدى هاتين الدولتين أو ناتجة عن دفاع الأخرى ، فأخضاع الكرجستان وحرب الصين وثورات الافغان وإخضاع السند وحروب سواحل طونة ونزاع سباستوبول<sup>(١)</sup> ، وحملة المحمرة كلها نجمت عن أغراض وخطط استعمارية لدى هاتين القوتين المتنافستين .

وكما نلاحظ لن نرى أية منطقة في العالم إلا وتخشى الاصطدام بهاتين القوتين خاصة إذا ما اشتبكنا معاً ، ومن خلال مشاهدة هذه الأوضاع نرى أن هناك نقطة باعثة على الخوف والتعجب إلا وهي أن هاتين القوتين العظميين سوف تدخلان

(١) نزاع سباستوبول : كان هذا النزاع بين الدول الغربية وتركيا من جانب ، وبين روسيا من جانب آخر سنة ١٨٥٤ م ، وقد تطور إلى حرب منى فيها الروس بهزيمة فادحة عند نهر (الما) ، وقد سمي هذا النزاع بسياستوبول نسبة للقلعة التي دارت عندها الحرب بين المتحاربين . انظر :

كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ( ترجم ) نبيه أمين منير البعلبكي ، ص :

٥٧٠ ، ٥٧١

أرض " إيران " وذلك بعد القضاء على الممالك الأخرى وما يتبع ذلك من خراب ودمار وليس فحسب أنهما ستدخلان أرض " إيران " بل ستتوليان على كل المدن الإيرانية ومع اقتراب الهجوم الوشيك لهاتين القوتين إلا أن أولى الأمر في دولتنا لا يعلمون شيئاً عن هذا الهجوم ولو سمعوا ولو صدفة بعض الأخبار عن هذا الموضوع فإن تلك الأخبار ستكون إلى حد ما غامضة وبعيدة عن أفكارهم ، لدرجة أنهم لا يعتبرون البحث عن الحقيقة في مثل هذا الموضوع جديراً باهتمامهم ، ولكن لما كان احتمال صدق ذلك الأمر بخصوص " إيران " يعتبر من أعظم الفتوحات أو منتهى الذلة <sup>(١)</sup> ، ويعنى أيضاً الانتقال من بقاء دائم إلى انهيار فوري لجميع الاحتمالات الخاصة بحالة الدولة ، لهذا فالبحث عن الحقيقة في هذا الموضوع لن يخلو من الفائدة بأي حال من الأحوال ، وحينما يكون هجوم الدولتين الكبيرين المشار إليهما فرضاً غير صحيح فيمكن القول حيثئذ أن دولة إيران في أمن وأمان ، أما إذا كان اقتراب هذه الحادثة أمراً حقيقياً ، فقد ارتكبنا حيثئذ حماقة لا حد لها ، وينبغي علينا أن نحيط علماً بمدى صحة وكذب احتمالات هذه الحادثة دون توقف وروية ، ويقول عقلاء إيران : إن أحداً لم يطلع على الغد وبمنطق هذا الفكر الخاطيء فإنهم يعتبرون أن البحث عن الحقيقة في أوضاع المستقبل أمراً خارجاً عن حدود مهام الدولة في حين يعتقد حكماء

(١) أعظم الفتوحات للدولة المستعمرة ومنتهى الذلة لإيران .

الغرب ( أن الحكم هو التفكير فى أوضاع المستقبل ) ، أما فى إيران فإنهم لا يفكرون فى أوضاع المستقبل ، إلا من خلال العقل أى أنهم لا يستقرئون الحوادث أو يتنبأون بها ولكن فى الغرب فقد أعدوا علماً واسعاً فى هذا الصدد ، فعلاوة على العقل الكافى ، يستخدمون العلم السالف الذكر ليستقرئوا به جميع حوادث المستقبل ، فحكمة دولة إيران بالتوسع فى العلم المذكور ، وغفلة دولة إيران من الجهل بالعلم المذكور ، ولو اطلع وزراؤنا على علم الغرب هذا لبكوا دماً من مصائب مستقبل " إيران " .

وينبغى أن نذكر كلمتين فى صدد هذا العلم ، إذ أنه فى الأيام الغابرة كانت طوائف الدول الكبرى ذات عمر خاص بها كالكائن الحى وجميعها فى رقيها وتخلفها مثل عمر الإنسان فقد مرت بالفترات الآتية الطفولة والشباب والشيخوخة .

وعلاوة على العمر الخاص أرى أن للدول الكبرى فى العالم عملاً محدداً ومهمة رئيسية ، ومنذ بدء الظهور اتجهوا إلى غرضهم الخاص بحكم قانون خفى دون إرادة منهم ، وبعد ذلك بحكم نفس القانون الخفى تخلفوا شيئاً فشيئاً بل ومحووا من العالم ، وقد قطعت شعوب الغرب عوالم واسعة فى البحث عن حقيقة عمر الدول ، وإذا كان أطباؤهم قد وصفوا كل صغيرة وكبيرة بخصوص أسلوب عمر الإنسان ، فقد وصف حكماؤهم أيضاً رقى وانحطاط عمر الدول وصفاً دقيقاً ، ووفقاً لهذه الأصول

والقواعد أثبتوا مثلاً أن الدولة الفلانية سوف تظهر لسبب ما ،  
وستبقى حية لقوة ما ، وأصبحوا يدركون ماذا حدث لتلك القوة  
الفلانية ، وإلى أين انتهى عمر تلك القوة ؟ وتمر الدول الحالية  
كلها بلا استثناء بنفس قواعد الرقى والاضمحلال للدول الماضية ،  
وكما أن الأطباء يصفون من خلال تشريح الأموات أحوال الأحياء  
وأمرضهم ، فإن علماء الدول أيضاً يحددون طول عمر مستقبل  
تلك الكتل الدولية وكذلك مقومات حياتها ، وذلك من خلال  
البحث فى الأوضاع السالفة . ومن باب العلم يحكون على ما هو  
الباعث على بقاء دولة ما ، وإلى أين ستجـه أحوال الدولة  
الفلانية ؟ وما هى عاقبة الدولة العلانية .

ومن وجهة نظر العلماء فى هذا المجال أنهم لا يشكون مطلقاً  
فى صلاحية مقومات عمر كل من الدولتين الروسية والإنجليزية ،  
ومن باب العلم يدركون أن هاتين الدولتين المتنافستين والمتفقتين  
فى أنظار الحكماء السابقين سوف تزولان ، وسوف يتنازع الحكماء  
معاً فى وسط آسيا ، إذ أن جميع وزرائهم قد رأوا هذه الحادثة  
الكبرى : واعتبروا ظهورها من مقتضيان المشيئة الإلهية .

ويقول أحد المراقبين لأوضاع الهند : لقد قاد الوضع الطبيعى  
والاحتياجات القومية وضرورة الغزو والمشيئة الإلهية ، قاد كل هذا  
الدولة الروسية إلى الهند ، وقد أوصى ( بطرس الأكبر ) أخلافه  
بهذه الوصية التالية :



## نبذة من وصية بطرس الأكبر لأحفاده من بعده

ينبغي على الدولة الروسية أن تستمر فى هذه الحروب وعليها أن تضع هذا الموضوع فى اعتبارها ألا وهو أن تجارة " الهند " هى تجارة العالم كله ، وكل من يسيطر على هذه التجارة يصبح المالك المطلق لجميع ممالك الغرب ، ويقول أحد العلماء الفرنسيين والذي قضى فترة طويلة فى خدمة الدولة الإنجليزية ، وكان مشغولاً بالبحث فى أوضاع الهند ، وقد كتب كثيراً فى هذا الباب من الكتاب ، يقول : ( ولم يتعد الروس لحظة واحدة منذ عصر بطرس الأكبر حتى يومنا هذا عن التفكير فى " الهند " ، وليس بالإمكان أن يصرف الروس أنظارهم عن هذه الفكرة ، إذ أن إخضاع " الهند " ليس هدف الروس وحدهم ، كما أن تحقيق ذلك الهدف أمر لا بد منه لتلك الدولة ، لأن هذه المهمة - أى إخضاع الهند - لازمة من لوازم الوضع الطبيعى للدولة الروسية ، ويقول مؤرخ معروف آخر : ( تحتم طبيعة الدولة الروسية بحكم الجوار أن تتجه نحو الممالك الآسيوية ) ، ويقول فى موضع آخر : ( إن الموضوع الذى يستحق منا البحث هو أنه مع وصف حوادث الفرنج فإن الدولة الروسية قد تقدمت فى المنطقة الآسيوية

إلى حد كبير ، ومن خلال هذه الطرق التى قطعتها فى آسيا ،  
يمكن الحكم عليها بأنها مناسبة للقاعدة الهندية وعن قريب ستصل  
إلى غرضها .

. ويقول أحد الساسة الإنجليز : ( إن تلك الدولة التى تهز  
العالم اليوم هى الدولة الروسية ، وتلك الدولة التى تريد أن  
تقضى على دول العالم هى الدولة الروسية ، وأرى أن الدولة  
الروسية منافس جريء وموفق فى صحراء التار وشرق بحر الخزر  
وغربه وفى شمال البحر الأسود وجنوبه ، بل فى كل مكان ) .

ويقول أحد الوزراء الروس : لابد أن نستولى على ( خيوه )  
وحيثما نستولى عليها ستندفق أموال "آسيا" كلها كالسيل على  
الأرض الروسية ، وذلك من خلال طريق تجارة الهند والروس ،  
وسينفذ المخطط المطلوب لبطرس الأكبر .

**الخلاصة:** فحيثما نستولى على (خيوه)، سوف نزلزل أركان  
التجارة الإنجليزية والتى غدت أساس القوة البحرية لتلك الدولة .

ويقول حكيم فرنسى : ( إن الهند بلاشك فى خطر ولكن  
الدولة الإنجليزية لا يمكن أن تدفع الاخطار عن الهند فى

"البنجاب" وفى "دهلى" وهذه هى الأخطار الكبرى والتي نزلت بالدولة الهندية ، وحينما يفكرون فى علاجها فينبغى أن يفكروا فى العلاج فى "بترسبورغ" و "موسكو" وليس فى "الهند" .

ويقول حكيم آخر : ( لقد كانت الدولة الروسية حتى اليوم . دولة عسكرية ، وبعد هذا ستظل هكذا ولا بد من الحرب للدولة الروسية دائماً .

وإذا ما احتجت الدولة الإنجليزية على ذلك ، فإن الدولة الروسية سوف تهز آسيا كلها ) . ويقول أحد السفراء الإنجليز المشهورين : ( أيها الإنجليز انظروا كيف أن الدولة الروسية تقترب منكم يومياً وكيف تحاصركم مثل أمواج البحر ، إن الدولة الروسية تزحف نحونا بشكل دائم وبدون أن تتحرك فى شكل ظاهر ، وقريباً ستصل إلى تلك الخزائن التي افتخرتم بها وإذا لم تهبوا على الفور لنقف فى طريق الدولة الروسية فاعلموا يقيناً أن وقت استيلاء الدولة الروسية قد حان ) . ومنذ عشرين عاماً كتب حاكم "الهند" رسمياً إلى الدولة الإنجليزية وبعد ظهور القرائن المؤكدة يقول : ( وفقاً للميثاق الذى عقدناه : لا مجال للشك قط فى أن الدولة الروسية تحاول الإفساد وتوسيع نطاق استيلائها حتى حدود الهند ) .

ويقول مؤرخ مشهور أيضاً : ( إن الدولة الروسية فى محاولة دائبة للإفساد فى الممالك الآسيوية ومن تلك الناحية فإن الدولة الإنجليزية تحاول ليل نهار إفساد هذه الفكرة لدى الروس وتزحف هاتان الدولتان من الناحيتين معاً وليس هناك من شك فى أنه عن قريب سوف تكون آسيا مركزاً للتنافس التجارى والعسكرى بين هاتين الدولتين الكبيرتين ) .

ويقول مؤرخ آخر : ( إن كراً الزمان أضاع قضايا ومسائل هامة كثيرة ، لكن مسألة الشرق لازالت قائمة وهى تتفاقم يومياً وبعد هذه الأفكار الجلية والقدرات العظيمة والخطط الجسيمة سوف تتركز أنظار العالم كله حول هذه المسألة ومن هذه الناحية فإن الدولة الروسية قد بلغت ذروة الاستعداد من أجل تنفيذ مخططاتها الكبرى . ومن الناحية الأخرى فإن الدولة الإنجليزية فى اضطراب تام ، وذلك لمحاولة افساد التخطيط الروسى وينبغى أن ننظر متى وكيف سينتهى تنافس هاتين الدولتين الكبيرتين ) ؟

ويقول أحد الوزراء الفرنسين المشهورين للغاية : ( انظروا إلى مسرح التنافس العقلى والعسكرى الرهيب ، اذ أنه إمتد من حدود الصين حتى البحر الأبيض بين هاتين الكتلتين المتنافستين وقد جعلت الدولة الإنجليزية كل مكان فى العالم مسرحاً للحرب والقتال من أجل دفع الحملة الروسية من قعر العالم حتى سواحلنا

وانظروا إلى هاتين الكتلتين الكبيرتين ، بأية حيلة تعدان خنادقهما وحصونهما وبأى شكل ترحفان معاً ) .

ويقول أحد السفراء الانجليز :

( لقد وقفت دولتا الروس والإنجليز فى مواجهة ، وذلك من حدود "الصين" حتى "إسلامبول" وتترقب كل دولة منهما تحرك الدولة المنافسة الأخرى ، وقد قطعت السياسة العالمية لهاتين الدولتين مسافات طويلة . واستقرت فى وسط آسيا . والآن فإنهما قد إقتربتا من حدود بعضهما البعض . وكل منهما لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة نحو الأخرى ، مع ملاحظة هذا أنهما لا تلتقيان معاً أبداً والدولتان مجبرتان على توسيع ممالكهما وهذا التوسع فى الممالك ضرورة لازمة لبقائهما . وقد بلغت الدولة الإنجليزية الذروة فى التوسع ولكن التوسع الروسى لم يبلغ الحد الطبيعى له حتى الآن . ولا يخفى على أحد أن هاتين الدولتين سوف تشتركان معاً عن قريب فى الاستيلاء على آسيا وسوف يتعلق مصير راحة العالم بهذا التنافس والنزاع ، وهناك مثال على ذلك إذ أن صراعات هاتين الدولتين قد تجاوزت حدود العالم ، ويمكن القول إنه على الرغم من أن حرب الدولتين المشار إليهما قد تبدو خفية إلا أنها فى قمة العنف ) .

ويقول أحد الساسة والعالمين بمجريات الأمور فى شأن مسألة الشرق : ( يتضح من قرائن الأمور أن العالم عبارة عن تنافس عظيم وحشر كبير للدول ، وستتأزع دولتا الروس والإنجليز على الحكم فى آسيا واللتان هما طرفا النزاع فى المنطقة ، وسوف يصطدم الجنود الروس والإنجليز على تلك السواحل والتى كانت محل عبور الإسكندر والأمير تيمور وبابرشاه <sup>(١)</sup> ، وسوف يتدفق الكثير من الجنود فى وديان أفغانستان وصحارى الهند وفقاً لإشارة صادرة من "بترسبوغ" ولندن ، ومع القدرة الفائقة لهاتين الكتلتين اللتين ستشنان الحملات ، إلا أن القدر قد يتدخل ويفصلهما عن بعضهما ، وذلك بسبب الجبال الشاهقة والصحارى الشاسعة والبحار العظيمة ، وسوف تكون "أوروبا" و "أفريقيا" جزءاً من هذه الحرب ، وفى كل ناحية من العالم لن تبقى منطقة إلا وتتأثر من هذه الصراعات المخيفة والمكافأة على هذا الفتح العظيم .  
والذى هو حقاً جدير بكل سعى وكد وتضحية هى حكم آسيا ،  
ويصبح أحد الحكام الانجليز فى العالم المضطرب ويقول :  
( فى صوت عال استيقظوا أيها الوزراء الإنجليز وافيقوا يا ممثلى

(١) بابرشاه : هو ظهير الدين محمد بن ميزرا عمر شيخ بن سلطان بن تيمورلنك ولد عام ٨٨٨ هـ ، وأسس دولة المغول فى الهند وقد حكمت هذه الأسرة مدة ٣٣٢ سنة ومن سلاطينها المشاهير أكبر شاه وأورنك زيب .

- وهخدا : لفت نامه ، ج ٨ ، ص : ٩٥ .



الشعب . . . أيها الساسة ويا أرباب السيف عجلوا على الفور للتصدي الروسي ) ويمكن أن نستنبط من هذه الأقوال المتضاربة إلى أى حد بلغت الخلافات والصراعات الروسية الانجليزية وإلى أى حد تقلق نتائج هذا النزاع عقلاء العالم ولاشك أنه ليس هناك فى عالم السياسة مسألة أكبر وأعجب من خلاف هاتين الدولتين .

وإذا أردنا أن نبين أسلوب المستقبل لهاتين السياستين المتضادتين ، ينبغي علينا أن نرى ماذا صنعت هاتان الدولتان من أعمال ومن أى الطرق تقدمت فى الفترة الماضية وكل من كانت له معرفة بعلم الجغرافيا أمكنه أن يعلم أن مركز صراع الدولتين هو سواحل نهر (أتك) ، وهو طريق عبور عدو الهند من أرض "إيران" وأفغانستان" وإفساد مخطط الانجليز على أيدي الروس ليس من هذا الطريق ، وقد شكل نفس هذا الطريق دائماً نوعاً من عدم الاستقرار للدولة الانجليزية ، وأول من لفت نظر الدولة الإنجليزية لأخطار هذا الطريق هو نابليون الأكبر ، ولم يهدف المشار إليه إلى أى شيء من حملته على (مصر) سوى السفر للهند ، ويقول نابليون نفسه : حينما نجحت خطتنا فى (مصر) ، كان يتجمع حولنا عند نهر الفرات مائة ألف شخص ، وفى نهاية الخريف كنا قد تحركنا إلى الهند .

وبعد عودة جنود "فرنسا" من "مصر" سقطت فى أيدي الإنجليز أوامر نابليون ومخططاته فى حرب (بتوصاحب) ، وقد كتب حاكم "الهند" فى هذا الصدد إلى دولته التابعة ما يلى :

الآن أقرأ هذه الأوامر وأشعر في نفس الوقت بخيفة لا حدود لها وينبغي أن نشكر الله كثيراً الذي نجانا من هذه الأخطار العظيمة ، وبعد العودة من "مصر" لم ينس نابليون أيضاً فكرة السفر للهند .

فحينما كان القنصل الأول نابليون ، فقد ذكر خطة هذا السفر للإمبراطور (بولس) <sup>(١)</sup> والد الإسكندر الأول ، وبعد ذلك أصبح هو نفسه إمبراطوراً ، اذ جدد الخطة المذكورة مع الاسكندر نفسه ، والآن فإن مخطط هذين الإمبراطورين يعتبر جاهزاً ، ولكن في ذلك الوقت كانت دول الغرب غافلة عن أوضاع إيران وأفغانستان تماماً ولكن اليوم فبالنسبة للسفر للهند فلدينا معرفة مفصلة ومخطط كاملة والتي يبدو فيها خطة نابليون الناقصة ، ولكن خطة نابليون تعد أساس خطط المتأخرين ، لهذا سنذكر هنا الخطة المذكورة ، خطة نابليون الأكبر في حملته نحو الهند والغرض من السفر للهند وكما يقول نابليون : ( ينبغي أن نخرج إنجلترا تماماً من الهند ونخلص سكان هذه الممالك المليئة بالخير والنعيم من طوق الانصياع للإنجليز ، ونفتح أسواقاً جديدة من أجل ازدهار الصناعات والتجارة للشعوب الغربية ، وعلى الأخص المنتجات الفرنسية ، وهذا هو الغرض من السفر للهند <sup>(٢)</sup> ، والذي سوف يصبح باعثاً على الفخر الأبدى وسينال رؤساء تلك الدول والذين هم مؤسسو مثل هذه الأسفار ، الأثر الجليل .

(١) بولس الأول ، قيصر روسيا من عام (١٧٩٦ - ١٨٠١ م) .

(٢) لعل هذا يفسر لنا التنافس الاستعماري بين إنجلترا وروسيا في إيران، اذ أن كل دولة منهما كانت تأمل أن تفتح لنفسها سوقاً جديدة في إيران ما يكون باعثاً على ازدهار تجارتها ومنتجاتها .

## اتفاق دولتي فرنسا وروسيا على السفر للهند على النهر التالي

سوف تتجه كل من روسيا وفرنسا بعد تشكيل سبعين ألفا من الجنود الى سواحل نهر ( اتك ) وسوف يوطد إمبراطور النمسا العلاقات مع فرنسا وذلك من أجل تيسير عبور الجيش الفرنسي من أرض النمسا حتى يتزل الجيش الفرنسي من نهر ( طونة ) إلى ساحل البحر الأسود وبمجرد تنفيذ مخطط الحملة هذه ، سيتمكن إمبراطور الروس من تجميع خمسة وثلاثين ألفا في ( حاجي ترخان ) وسوف يكون من بين هذا الجيش خمسة وعشرون ألفا كجيش منظم وعشرة آلاف كفرق عسكرية وسوف يشحن هؤلاء الخمسة والثلاثون ألفا على متن سفن وذلك على جناح السرعة ، حيث يحملون إلى ( استراباد ) وهناك سوف ينتظرون مجيء الجيش الفرنسي ، وستكون استراباد معسكرا لهذه الجيوش جمعاء وهناك سوف تعد جميع المتطلبات والمؤن العسكرية وستصبح مدينة استراباد مركزا للالتقاء والعلاقات الهندية الروسية الفرنسية .

### هذا هو طريق عبور الجيش الفرنسي

سوف يكون الجيش الفرنسي قوامه خمسة وثلاثين ألفا من الجنود في هذا السفر ، وسوف يشحن على متن السفينة خمسة وثلاثون ألفا من الجنود في نهر « طونه » ، وسوف يتزلون عند

بوغاز النهر المذكور ، وهناك سوف يستقلون السفينة الروسية ،  
ويعبرون البحر الأسود ، ويتزلون عند مدينة ( تكان روك ) .

وسيعبر هؤلاء الخمسة والثلاثون ألفا من سواحل نهر ( دون )  
وستصل الفرق العسكرية والتي أسمها ( بياتى ازيانكا ) إلى  
مدينة صغيرة ، وهناك سيعبرون أيضا من ضفة ( دون ) ،  
ويذهبون من الطريق البرى الى مدينة ( سارسين ) ، والتي تقع  
على الساحل الأيمن من نهر ( آتل ) وفى هذه المدينة سيشحنون  
على متن سفينة الى ( حاجى ترخان ) ومن حاجى ترخان الى  
بحر الخزر .

وهناك سيعبرون من مدينة ( استراباد ) ومدة هذا السفر  
بالنسبة للجيش الفرنسى من بلادهم حتى بوغاز نهر طونه  
عشرون يوما .

١٦	ستة عشر يوما	فمن بوغاز نهر طونه حتى تكانروك
٢٠	عشرون يوما	ومن تكانروك حتى ( بياتى ازيانكا )
٤	أربعة أيام	ومن ( بياتى ازيانكا ) الى سارسين
٥	خمسة أيام	ومن سارسين حتى حاجى ترخان
١٠	عشرة أيام	ومن حاجى ترخان حتى استراباد
٤٥	خمسة وأربعون يوما	ومن استراباد حتى نهر اتك

المدة كلها : ١٢٠

وعلى هذا النحو ستكون مدة سفر الجيش الفرنسى أربعة أشهر ونضع خمسة أشهر أخرى اضافية ، وذلك لاتساع تحرك الجيش فى هذا السفر وأسلوب هذا السفر على النحو ، ( سترك بعض الفقرات الزائدة فى هذا الفصل وذلك بغية الإيجاز ) :  
اذ أنه سترك الجياد ودار المدفعية على أول ضفة نهر طونه ومع ذلك ستحمل الأشياء الثقيلة وما الى ذلك ، وسينقل خبز لمدة شهر من أجل الحرب ، وسيقدم أصحاب المناصب العسكرية قافلة المؤن وسيلحقون بمؤن الجيش فى منازل بالطريق ، ومن أجل عبور ضفاف نهري ( دون ) و ( آتل )<sup>(١)</sup> سيعدون ما يلزمهم من الكبارى والسفن ، وينبغى أن يكون قواد الدولتين قد أعدوا الأشياء التالية فى ( استراباد ) قبل مجيء الجيش ، فأولا : سينقلون المؤن والمهام العسكرية المختلفة كدار مدفعية قلعة ( كوب ) ، وكذلك المؤن والمهام العسكرية من دار السلاح فى مدينة ( حاجى ترخان ) و ( قازان ) و ( ساراتوف ) .

ثانيًا : سينقلون الجياد من أجل حمل المدافع والأسلحة المختلفة .

(١) آتل : اسم نهر كبير ينبع من جبال ( آس ) والبلغار ويصب فى بحر الخزر .

- ومخلدا : لغت نامه ، ج ١ ، حرف ( ا ) ، ص ٤١ .

ثالثًا : سينقلون الدواب والمناجيق ، وذلك لكي تحمل هذه الدواب الكبارى ومعدات الجيش .

رابعًا : وقد قصر امتطاء الجياد على فرسان الجيش ، تلك الجياد التى يمكن شراؤها والحصول عليها من أى مكان .

خامسًا : إعداد معدات المعسكر ، وذلك من قبيل لوازم هذه المعدات وما تحتاجه .

سادسًا : كما حددت مخازن المهمات العسكرية من قلنسوات وأحذية وقفازات للجنود ، حيث ينبغى شراء هذه الأشياء من مكان ما .

سابعًا : كما حدد مقر لصيدلية تكون بها كل الأدوية والتى يمكن شراؤها من أحد الأماكن .

ثامنًا : مخازن الأرز واللوبياء والدقيق واللحوم المملحة والزيت والخمور .

تاسعًا : وقد حددوا الثيران التى ينبغى شراؤها من مكان ما .

عاشرًا : مخازن الشعير والعلف الجاف ستجلب أيضا من مكان ما .

### وضع تحرك الجنود المقتلفين

قبل مجيء هذين الجيشين لاستراباد ، سيتحرك قواد الدولتين المشار اليهما ليخبروا رؤساده تلك الممالك والتى سيعبر



الجيش منها ، يخبروهم بالأفكار التالية وسأكتب من باب الاختصار فحواها : من خلال إعلان الأسماء وحسن السلوك والتعقل والصدق فى القول ، يقينا أن أولئك الخوانين والذين هم فى عرض الطريق لن يمنعوا عبور الجيش المشترك ، وعلاوة على هذه الملاحظات لن يكون خوانين هذه الممالك قادرين بحال من الأحوال على منع أو دفع هاتين الدولتين المؤتلفتين ، وسيكون بصحبة قواد الدولتين مهندسون مناسبون والذين سيرسمون خططا للطرق والممالك التى سيجتازونها ومحل المعسكرات والضفاف التى ينبغى عبورها ، وكذلك المدن التى ستقابلهم فى طريقهم ، وكذلك الأماكن التى تشكل عقبة فى حمل ونقل الأسلحة والمدافع وسيقدم هؤلاء المهندسون خططا وخرائط لهذه الأشياء ، وكذلك سيقدمون الحلول للصعوبات التى تعترضهم فى الطريق .

وحيثما تدخل أول فرقة من الجيش الفرنسى استراباد ، ستتحرك أول فرقة من الجيش الروسى وستتحرك فرق الجنود المؤتلفين حيث تفصل كل فرقة منهم عن الأخرى مسافة قدرها خمسة أو ستة فراسخ ، وسيقدم الجيش فى كل مكان أربعة آلاف من فرق القواذق وعدد من الجنود المدججين بأسلحة خفيفة وسيعقب أولئك فرقة صانعة للجسور .

وينبغي أن تقيم فرق الطلائع الجسور على ضفاف الأنهار عند الضرورة ، وأن تقوم بتخريب الجسور الأخرى ، كما يجب أن يواظبوا على الاستطلاع لحراسة الجيش ، كما أن الدولة الفرنسية بقيادتها للجيش فأنها ستجلب من المنتجات الفرنسية الكثير من الأسلحة مثل البنادق والطبقات والسيوف وغيرها ، والساعات سواء الجيب أو الحائط والمرايا الكبيرة وقماش الجوخ الفاخر في ألوانه المختلفة كالأحمر والوردي والأخضر والسماوي والتي تقبل عليها شعوب آسيا إقبالا شديدا ، وعلى الأخص الإيرانيين .

وينبغي على الدولة الفرنسية أن تطرح الأقمشة الحريرية وكذلك الستائر الحريرية في ألوانها وأشكالها المختلفة ، وسائر المنتجات والتي تجد رواجاً أو إقبالا على شرائها من تلك الشعوب ، كل ذلك في أسلوب مهذب ، وذلك حتى تضمن لتجارتها الرواج والانتشار بحيث يؤكد هذا على عطاء الدولة الفرنسية وقوتها ، كما يجب عليهم أن يقيموا في تلك المناطق ممرا للتجارة من أجل المستقبل وينبغي أن يكون في هذا السفر العلماء والحرفيون من كل صنف ، وستوفر الدولة الفرنسية جميع الخرائط والكتب التي ألقت في وضع الممالك والطوائف الواقعة في عرض الطريق من أجل اطلاع هؤلاء الأشخاص عليها وينبغي أن يكون في هذا السفر البهلوانات والأفراد الذين يجيدون الألعاب النارية في الاحتفالات ، وينبغي على الجنود المؤتلفين هؤلاء أن يستولوا على المحافل الكبرى قبل تحركهم ، وذلك من

أجل اظهار قدرة الدولتين الفرنسية والروسية ، كما يجب أن يقسموا الجيش على معارك سبعة وبعد هذه الانجازات لن يكون هناك أدنى شك فى تحقيق أهدافهم ، لكن هذا الزحف سوف يكون مرهونا بذكاء قواد الجيش وكذلك مدى غيرتهم وشجاعتهم واتحادهم ، وحينما يصل الجنود المؤتلفون هؤلاء الى أول ضفة نهر اتك ، سيكون هذا حيثئذ أساس التحرك العسكرى وأساس مشاكل هذه الحملة هو طول مدة السفر ، وسوف تزول هذه المشاكل والصعوبات أمام غيرة الجنود الفرنسيين والروس وكذلك شجاعتهم وجندهم ، وقد جاء « نادرشاه » الى « استراباد » من نفس هذا الطريق بعدد كبير من الجنود من « دهلى » فلا يمكن أن نشك أن العمل الذى أنجزه آسيوى واحد لا يستطيع أن ينجزه جيشا فرنسا وروسيا ، وفى نفس الوقت الذى أخذ نابليون يفكر فيه للتخطيط لهذه الحملة ، كان يفكر ( شاهزمان الأفغانى ) أيضا فى هذه الفكرة حتى يتوجه الى دهلى بأربعين ألفا من الجنود من أجل إخضاع الهند من خلال طريق « البنجاب » وحينما وصل خبر استعداد ( زمانشاه ) الى مسامع الإنجليز ، أرسل حاكم الهند فى هذا العالم المضطرب وذلك على جناح السرعة ، أرسل ( ملكم صاحب ) مع برنامج عمل ضخم الى إيران .

## خلاصة برنامج العمل للسفير المذكور

ينبغي عليكم أن توقفوا حملة زمانشاه بما تيسر لديكم من الوسائل ، وذلك بتوسط الدولة الايرانية بين الطرفين ، ولا تسمحوا بأن يهاجم الأفغان الهند ، وإذا ما تحركوا نحو الهند فينبغي حيثئذ أن تدبروا الأمر ، وذلك كأن تشغل الدولة الإيرانية زمانشاه بملك الأفغان بحيث يضطر زمانشاه الى العودة والعدول عن الحملة .

وعلى الأقل حتى لا يفكر فى إخضاع « الهند » مدة ثلاث سنوات أخرى ، ويقول ( ملكم ) نفسه فى الكتاب الذى كتبه فى وضع السياسة آنذاك :

لقد تحقق الغرض من مهمة ( ملكم صاحب ) أكثر مما ينتظر منها وليس فقط أن سفير إنجلترا آثار الدولة الايرانية حتى تتحرك نحو « خراسان » وذلك لتجبر ( زمانشاه ) حتى لا يفكر ثانية فى غزو الهند ، بل وحث شاه إيران على أن لا يسمح لأية دولة من الدول الأجنبية بالمرور من « ايران » ، وأن يجعل الدولة الإنجليزية هي المستفيدة وحدها ، ويقول مؤرخ آخر فى صدد هذه المباحثات الجديدة : لقد تحقق الغرض من مهمة ملكم على وجه أكمل ، وشغل زمانشاه المسكين بأفغانستان أكثر مما كان ينتظر الإنجليز ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن حيث تمر ستون سنة

ولا تزال أفغانستان لم تتخلص من هذه الاضطرابات ، ومن جراء هذه الاضطرابات أفنى أربعة ملوك أفغان وعشرون قائدا كبيرا ، أفنى بعضهم البعض فى ارتكاب أعمال ظالمة ، فى حين أنهم قبل ذلك كانوا مواطنين تجمعهم القرابة والإخوة ، وبدون أن يعوا ذلك فقد سفكوا دم خمسمائة ألف من المسلمين وذلك بتحريض من السياسة الإنجليزية ، وهذه المصائب الكبرى والتي جعلت أفغانستان تغرق فى دماؤها فى هذه الفترة يسمونها بالمصطلح السياسى ( انشغال الدولة ) .

ولو أن حكام دولة ايران كانوا على علم بمصطلحات هذا العصر كلها ، فيقينا ما تعجلوا بإنهاء مهام ملكم صاحب بهذه السرعة .

ويقول شخص آخر وهو من الساسة المخضرمين : ( لقد جعلت الدولة الإنجليزية إيران تثق فى وعودها المختلفة فى شأن تقدم سياستها ، ولكن إنجلترا نفسها حينما استراحت من عزل زمانشاه عن « أفغانستان » ، لم تفكر بعد فى « إيران » وفى تلك الأثناء دارت مفاوضات بين ايران ونابليون وفى نفس الوقت فقد وطد الفرنسيون علاقاتهم بإيران ومن ثم فقد أبدى الإنجليز محبتهم تجاه إيران من جديد ، وقد عكزت مهام الفرنسيين صفو سياسة الإنجليز فى إيران . حتى أنهم استبدلوا سفيرى السفارتين بسفيرين آخرين فى « إيران » وبدون أن يكون حكام الدولة

الإيرانية على دراية بأغراض الحلفاء ونواياهم ، استجاب حكام إيران الى نداء مال الإنجليز وأخرجوا موظفي نابليون جميعهم من إيران ، ونظراً للتصرف الأحمق هذا ، من قبل الدولة الإيرانية ، فقد تخلفت سياسة إيران مائة سنة الى الوراء ، بل ربما قضوا على دولة إيران في ذلك الوقت ، وقد كان لنابليون من المفاوضة والصدقة مع إيران هدفان :

الهدف الأول : أن يحقق السفر للهند ، والثاني : أن يضم الدولة الإيرانية الى صفه في الحرب الروسية . وقد تضمن هذان الهدفان لنابليون أعظم مصالح إيران ، وفي الواقع لم تكن هناك سياسة أفضل من سياسة نابليون مع الدولة الإيرانية ، ولما كان إفساد أمر الروس عن طريق الاستيلاء الفرنسي منافيا للسياسة الإنجليزية ، لهذا فإن الدولة الإنجليزية قد حالت دون تحقيق الوحدة الفرنسية ، وذلك بصلحها المؤقت مع الدولة الإيرانية ، وأنهت النزاع الإيراني الروسي عن طريق المعاهدة التي تمت في « الكلستان » . وفي نفس الوقت فقد كانت السياسة الإنجليزية المضطربة تعارض تماما السياسة الفرنسية في إيران ، وقد كان الساسة الإنجليز مشغولين بنفس الاضطراب في أفغانستان وأقاليم « السند » كما أن المعاهدات التي عقدت في تلك الأثناء كانت كلها تقوم على هدف واحد . وفيما يلي فقرة من هذه المعاهدات وقد كانت معاهدة إيران وإنجلترا عام ألف وثمانمائة وتسعة للميلاد .



## **بعض الفقرات من المعاهدة الإيرانية الإنجليزية والتي عقدت عام ١٨٠٩ م**

البند الثالث : لن تسمح الدولة الايرانية بأن يمر أى جيش أجنبى من الأرض الإيرانية أو يشن حملة على الهند أو على أى ميناء من موانئ الهند ، وفى معاهدة أخرى مؤرخة عام ١٨١٤ م .  
البند الأول : اذا ما أرادت أية دولة من الدول الأجنبية أن تهاجم مملكة « الهند » سواء عن طريق خوارزم أو تارستان أو بخارى وسمرقند أو من خلال أى طريق آخر ، تتعهد الدولة الإيرانية بما لديها من قوة سواء بقوة الجيش أو عن طريق المفاوضات مع السلاطين وحكام الممالك الواقعة فى عرض الطريق أن تمنع الهجوم المذكور .

### **معاهدة الدولة الإنجليزية مع أمراء السند**

البند الرابع : لن يسمح أمير السند أن يستقر الفرنسيون فى ممالك السند ، ومعاهدة إنجلترا مع شاه شجاع أمير أفغانستان مؤرخة عام ١٨٠٩ م .

البند الأول : ولما تحالفت الدولتان الفرنسية والإيرانية على الحكم المشترك فى إمارة الأفغان ، وجب على حكام الدولة الأفغانية أن يحولوا دون مرور الدولتين السالفتين الذكر من الأراضى الأفغانية ،

وستحارب هاتان الدولتان بما أُوتى لهما من قوة : ولن تستطيعا أن تدخلتا أرض « الهند » ، وبعد ذلك استراحت الدولة الإنجليزية من إيران وأفغانستان وتفرغت من الحروب الغربية ، خاصة بعد انهيار دولة نابليون ، وحيثُ رأَت نفسها أمام فريسة حقيقية ألا وهي الهند، وكان مخطط نابليون قد دُفن معه ، ولكن مخطط ( بطرس الأكبر ) كان حيًّا دائماً ، ويوماً فيوماً أخذ يكبر وقد تقدم أمر الروس في الهند في فترة وجيزة ، وقد اتخذ تدخلهم شكلاً واضحاً ومحسوساً ، ولم يبق هناك شك لإنجلترا في هذا الأمر ، ولم يعد هناك أيضاً فرصة للروية والتريث ، والشئ الذى جعل إنجلترا مهددة ، إن هذا الخطر الروسى ليس له علاقة بالأخطار السابقة بأى شكل من الأشكال . وقد كان لكل من ( بيتو صاحب وزمانشاه ونابليون ) خطر مؤقت ، ولكن القوة الروسية كان لها خطر دائم ، بل خطر قومى محدد ، كما أن التفكير السطحى فى هذا الخطر لاطائل من ورائه ، ولم يتغير هذا الموضوع بوفاة الإمبراطور الفلانى أو عزل الوزير الفلانى . وقد أخذت الدولة الروسية تتقدم أكثر كالسيل الجارف ، ولم يقف أى حائل فى مواجهة هذا السيل . وعلى الرغم من هذا الوصف بشأن هذا الموضوع ، فقد هب حكام الدولة الإنجليزية لما تقتضيه الضرورة الحتمية والسياسة القومية لتدبر الأمر بكل ما لديهم من قدرات عقلية ومادية ، وكان تدبير الأمر منحصراً فى تنفيذ الفكرة التالية :

ينبغي إقامة دولة فى تلك الأقاليم والتى تقع بين روسيا والهند بحيث تكون لديها القدرة على دفع الهجوم الروسى من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يكون لديها القدرة على معارضة الإنجليز . ويبدو أن إيجاد حل لهذه المسألة يعتبر من المستحيلات ولكن العقل الانجليزى كان قد أوجد حلا لهذه المسألة فى ذلك الوقت فى الهند والآن ينبغي أن نرى ، كم كانت حلولاً صائبة ، تلك التى فكر فيها العقل الإنجليزى فى هذا الشأن ، وقد تحملت إنجلترا الكثير من العناء والمرارة فى سبيل إخضاعها لبعض الأقاليم فى الهند . كما أن بقاء هذه الأقاليم فى حالتها الطبيعية دون أن تخضعها إنجلترا أمر مناف لمصالحها ، ولإصلاح هذين الموضوعين المتعارضين إبتكر الإنجليز نوعاً من الدول والذى يطلقون عليه اسم ( الدولة المتفعة ) وبالمصطلح السياسى للدولة الإنجليزية ( الدولة الصديقة أو الحليفة ) ، وأساس هذه الدولة الصديقة أن يخضع الإنجليز بقدر ما يستطيعون أرضاً من أقاليم الدولة المستقلة .

وقد نصبوا أحد المتصارعين على الحكم فى تلك المنطقة سلطاناً على العرش ، وذلك بفضل قوتهم ولما كانت قوة هذا السلطان الجديد قائمة على الحماية الإنجليزية ، لهذا كان فرضاً على تلك الدولة أن تطيع أوامر الإنجليز وذلك من أجل استقرارها وحمايتها وقد كانت العهود التى تمت بين الطرفين على هذا النحو :

تعهدت الدولة الإنجليزية على بقاء الدولة الصديقة ، أى أنها كانت تتعهد بأن تحافظ على تلك الدولة من جميع الأعداء سواء المحليين منهم أو الأجانب . وأمام هذا التعهد من الدولة الإنجليزية كانت تتعهد الدولة الصديقة بالفقرات التالية :

أولاً: تعهدت الدولة الإنجليزية من أجل الإنفاق على هذا الجزء من الضمان ، بأن تدفع مبلغاً من المال فى السنة الفلانية ،  
ثانياً : على الطرف الثانى أن لا يجرى أى مفاوضة مع أية دولة من الدول الأجنبية بدون إذن إنجلترا .

ثالثاً : أن يقيم عدد من الجنود الإنجليز فى أقاليم الدولة الصديقة كمستحفظين .

رابعاً : لا ينبغى للدولة الصديقة أن تزيد فى الجيش عن عدد معين .

خامساً : ينبغى أن يكون الإنجليز أصحاب المناصب فى هذا الجيش كله .

سادساً : سوف تحدد الدولة الصديقة الأموال الخاصة واللازمة لنفقة هذين الجيشين . وينبغى أن تكون كل نفقات هذين الجيشين تحت إمرة السفير الإنجليزي<sup>(١)</sup> .

(١) هذا يعنى التدخل السافر فى شئون الدولة التى ترضى بهذه الشروط المجحفة .  
فماذا بقى لهذه الدولة ( الصديقة ) ؟

وقد بلغت ( الصداقة ) أقصاها بين الدولتين مع هذه الشروط ، وقبل هذا بـعده سنين كان يحكم فى الهند مائتان وعشرون حاكما منفصلا وكانوا يحكمون عشرين دولة كبرى من قبيل الممالك الآتية : ( الدكن وكوالبور وكلناهور وبرار والسند وميسور وستارة والبنجاب ) وغير ذلك ، وهذه الحكومات المتعددة والتي يبلغ سكان كل منها من سبعة الى عشرين كرورا ، وضرائبها من أربعة الى عشرين كرورا ، جعلت منها إنجلترا حليفات لها ، تتفاوت كل منها فى مدى ولائها لإنجلترا ، وبما لدى الإنجليز من قوة فقد اهتموا بمراعاة مراسم الصداقة فى نفس الدولة ، وقد ارتبطت تجاوزات أولى الأمر فى تلك الحكومة كما ارتبطت مفاسدهم بالرؤساء السوريين ، بينما كان يعود النفع كله فى هذه الحكومة على الدولة الإنجليزية ، ونظرا لكل هذه الأوضاع فى الهند فقد اضطر الإنجليز أن يغيروا صداقة هذه الحكومات شيئا فشيئا الى السيطرة المطلقة ومن بين تلك الحكومات التى دامت لفترة أطول من الأخريات فى صداقتها ، حكومة ( حيدر آباد دكن ) وهذه الدولة الكبيرة والتى كانت بمثابة ثمانية أضعاف الدولة الإنجليزية . اضطرت بعد الحروب المتعددة والتقسيمات المتوالية ، اضطرت فى نهاية الأمر أن تجعل من نفسها صديقة للدولة الإنجليزية ، والآن فقد استراحت فى ظل الصداقة الإنجليزية لمدة سبعين عاما .

ويبلغ عدد سكانها أربعة وعشرين كرورا ، وتبلغ ثروتها ستة عشر كرورا . وبالقرب من ( حيدر آباد ) والتي هي مقر عرش الدكن ، تؤوى إنجلترا بشكل دائم عشرة آلاف جندي هندي . كما أن هناك اثني عشر ألفا من جنود الدولة نفسها تحت إمرة القواد الإنجليز ، وهم مكلفون بالحفاظ على الأمن الداخلي للمملكة ، كما أن السفير الإنجليزى هو الذى يعين الوزير الأول لتلك المنطقة . وتصرف كل نفقات هذين الجيشين بضمان الإنجليز من خزانة معينة وذلك بواسطة السفير المذكور . وملك « الدكن » يلقب باسم النظام ، ونظام لفظة مختصرة من ( نظام الدولة ) ، ويدير هذا الملك شئون الحكم فى البلاد من عمارة له وهو فى أريحية تامة ، ويعتبر الإنجليز أوضاع ( حيدر آباد ) نموذجا للدولة الصديقة ، ويقولون دائما نحن جئنا لإيران من أجل الصداقة ، ومعنى صداقتهم ماذكر سلفا ، وحتى الآن فإن حكام دولة إيران لم يستطيعوا مع وصف كل تلك الأخطار ، لم يستطيعوا أن يدركوا الصداقة الإنجليزية وذلك لأنهم لم يفهموا المعنى الحقيقى للصداقة المذكورة . ولا تختلف أوضاع إيران عن أوضاع حيدر آباد ، وليس من الممكن أن يعتبر الإنجليز أن الدولة الإيرانية جديدة بصداقتها ، وحينما يطلع شخص ما على أفعال موظفى إنجلترا وأقوالهم فى إيران سيرى أنه فى الستين سنة المنصرمة كانت كل حيلهم وأفكارهم منصبة حول تهيئة مقومات الصداقة المذكورة ، فكان الإنجليز يقدمون الرشاوى «للمغفور له»



الخاقان . وكانوا يتوددون لإيران وذلك عند المفاوضات الأجنبية .  
وكانوا يرسلون القواد الإنجليز من أجل تعليم جنود إيران ،  
ويعاملون حاكم فارس معاملة خاصة ، وكانوا يقدمون الرشاوى  
إلى « ميرزا أبى الحسن » بالإضافة إلى التودد الذى كانوا يظهرونه  
للقائد العام ، كل هذه كانت إرهابيات من أجل الصداقة  
الإنجليزية والآن . . . . . فقد بينا معنى الدول  
الصديقة أو الحليفة وفقا للغرض الإنجليزى ، ومن ثم نعود إلى  
موضوعنا الأصيل ، فلم يجد حكام الدولة الإنجليزية مبررا  
للتصدي للروس ، سوى أن يفرضوا الحماية على تلك الممالك  
الواقعة بين الهند وروسيا ، ومن ثم يحمون دولتهم . وقد ذرعوا  
بذور هذه الصداقة فى إيران منذ أوائل حكم المغفور له (الخاقان )  
ولكنهم بعد فترة أدركوا أن تحقيق الصداقة الكاملة مع الدولة  
المشار إليها لن يكون سهلا ، ونظرا لتقدم الروس فى الكرجستان  
والتمثيل الدبلوماسى لموظفيهم فى إيران فقد صمموا على أن  
يبدأوا مخطط هذه الصداقة فى أفغانستان<sup>(١)</sup> . وبعد ذلك سيهون  
الأمر فى إيران كلها ، وشيئا فشيئا يتوسعون فى هذه السياسة ،  
وفى بداية الأمر ذهب عدد من القواد إلى أفغانستان وتركستان ،  
هؤلاء القواد الذين يعتبرون من بين عشاق السياسة ذهبوا  
للمهيد لهذا المخطط الجديد . وفى تلك الأثناء فإن الدولة

(١) إن ما ذكره المراجع بشأن السياسة الروسية فى آسيا وخاصة أفغانستان وذلك منذ  
ما يقرب من قرن من الزمان نراه يتحقق اليوم فى أفغانستان .

الإيرانية قد مهدت للسفر إلى خراسان دونما أن تكون على علم بأفكار المحيطين بها ، ولم يذهب القواد الأفغان متمسكين بالوعود الإيرانية تحت وطأة الصداقة الإنجليزية ورفض الموظفين الإستجابة لتلك الدولة ويأسوها تماما ، ولا يمكن أن نتصور كم أصاب الإنجليز من اضطراب وذعر من جراء تمهيدات الدولة الروسية وبعض تحركاتها تجاه « تركستان » . والحلية التي بقيت لسياستهم هي أن توطد صداقتها على جناح السرعة وبقوة الجيش في الممالك الأفغانية ، لهذا فإنهم كانوا يغدقون في العطاء لشاه شجاع أخى ( زمانشاه ) والذي كان منذ سنوات مجرد رجل احتياطي ، لكنهم سيحتاجونه في يوم من هذه الأيام في الهند ، وقد استخدموا هذه الألعاب الجديدة ( شاه شجاع ) لتحقيق أهدافهم ، وأغدقوا عليه الكثير من المال وألبوه على ملك أفغانستان وكان ذلك أحد شروط الصداقة في نظر الإنجليز . وكانت إحدى فقرات هذه المعاهدة كما يلي : أن يتعهد الملك شاه شجاع وأحفاده من بعده : أن لا تتم أية مفاوضات بينه وبين أية دولة من الدول الأجنبية بدون علم إنجلترا ورضاها وأن يتعهد أحفاده للإنجليز بمحاربة أية دولة بكل ما أوتوا من قوة للحيلولة دون الاستيلاء على الهند . ولما انتهت هذه المعاهدة كان الشعب الإنجليزي والدولة الإنجليزية قد أبديا سعادتهما ، وذلك بسبب تقدم سياستهما ، كما شعرت الدولة الإنجليزية بأنها أنجزت عملا عظيما ، إذ بهذه المعاهدة قد تحقق أكثر من نصف المخطط

الإنجليزى بالشكل الذى تريده ، ولكن فى الوقت الذى حاول فيه الإنجليز أن ينجزوا النصف الآخر من المخطط وذلك بضم ( هراه ) و ( بخارى ) . فإن غيرة الأفغان وحميتهم كما سيعلم الجميع بالتفصيل قد هدمتا كل الحيل والفتوحات للسياسة الإنجليزية ، وذلك فى عاصفة قومية عارمة<sup>(١)</sup> .

ويقول أحد المؤرخين : ( لقد إقترفت الدولة الإنجليزية جرما عظيما ، ففى حين أنها أرادت بدون وجه حق أن تؤلب « شاه شجاع » على أفغانستان ، ثار الإنتقام الإلهى فى النهاية من الجشع الإنجليزى وقد أعدم رؤساء هذا المخطط جميعهم شنقا . كما ساق الأفغان أفواج الإنجليز من نهر اتك إلى الهند ، وأغلقوا باب الهند فى وجوههم ، وكان مفتاح هذا الباب فى أيدي الروس ، وبعد هذا سوف يكون فتح الباب المذكور تحت إمرة الروس على الرغم من أن هزيمة الدولة الإنجليزية فى أفغانستان كانت ضربة قاصمة لسياسة تلك الدولة .

ولكن الإنجليز ليسوا من أولئك الذين يغيرون مخطط سياستهم لمجرد هذه الضربات المؤقتة ، وقد احتفظت السياسة السابقة للدولة المشار اليها بثباتها مع كل ما لحقها من ضربات

(١) تمكن الإنجليز فى ذلك من إجلاس ربيهم (شجاع شاه) على عرش أفغانستان ، إلا أن إرادة الأفغان كانت أمضى من أسلحة الإنجليز ، إذ قاموا قومة رجل واحد وأخرجوا الإنجليز وصنيعتهم من العاصمة ، كما أبادوا أيضا الجيش الإنجليزى فى « خورد كابول » .  
- أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٢٣٦

قاصمة ، والشئ الذى تغير هو أسلوب التقدم (فى هذه السياسة) ونظام تنفيذه ، وعلى الرغم من أن أفغانستان قد ضاعت من يدها ، فقد أخضعت أقاليم ( السند والبنجاب ) دونما جهد ، وعلاوة على ما خسرتة إنجلترا فى أفغانستان إلا أنها باخضاعها للمملكتين السابقتين قد هيأت مقومات السياسة القديمة بل وبشكل أفضل وأحكام من ذى قبل ، ويمكن القول الآن إن ممالك الأفغان ، قد أصبحت تحت سيطرة الإنجليز ، وقد كان مخطط سياسة الدولة المشار إليها على النحو الذى ذكر سلفا . والآن فلندكر بعض الكلمات عن المخطط العسكرى لتلك الدولة ، ويتضمن هذا الموضوع مسألة طبيعية ينبغى أن نعجل بذكرها ، وفى ولايات العالم الجديد ، تلك الولايات التى سقطت تحت سيطرة طوائف الفرنج ، ظهرت من ذرياتهم طوائف كبيرة فى تلك المنطقة ، ولكن لم يكن من الممكن تعايش الإنجليز وتناسلهم فى الأراضى الهندية ، بل وكان يموت كل الأطفال الإنجليز الذين ولدوا فى هذا الملك ( الهند ) ، كانوا يموتون جميعا بلا استثناء ، قبل أن يصلوا إلى سن البلوغ ، وهذه الحكمة الطبيعية فى قطع النسل الإنجليزى كانت إحدى المشكلات الرئيسية فى حفظ الهند ، ويمر الآن الإنجليز فئة تلو فئة بالأراضى الهندية بعد مائة وخمسين عاما بدون أن يبقى أثر لذرياتهم فى تلك المنطقة ، أو يستطيعوا أن يكونوا عددا كافيا فى تلك المناطق من جنسهم ، ولكنهم قبل أن يستولوا على البنجاب بفترة زمنية رأوا أن حياة

الجنس الإنجليزي بالفعل فى المنطقة المذكورة ( الهند ) سهلة وميسورة ، ولما أن ضفاف البنجاب وعلى الأخص نهر ( اتك ) كان يمتد من أعلى كشمير حتى أراضى السند فبحر عمان ويعد الحد الطبيعى والأعظم لسدود طريق الهند ، لهذا فقد صمم الإنجليز على أن يجمعوا كل قواهم فى أراضى البنجاب ويجعلوا نهر ( اتك ) حصنهم العسكرى ، ومن منطلق هذا التفكير فقد جعلوا من ( بيشاور ) نوعاً من سياستوبول ووضعوا خطة لمواجهة العدو على سواحل نهر ( اتك ) ، ولكن بعد تحصين هذه الحدود رأوا أن خطة الدفاع ناقصة وغير كافية .

فأولاً : أن معسكر البنجاب كان بعيداً جداً عن مقر القوة الإنجليزية .

ثانياً : كان ميدان الحرب قريباً جداً من الأقاليم الهندية .

ومن أجل التغلب على هاتين المشكلتين ، فقد اقترح المهندسون الإنجليز خطة جديدة أخرى والتي ليس لها علاقة بالفكرة الأولى وقد وجد المهندسون الإنجليز أن المحمرة وعربستان الإيرانية اللتين تقعان فى وسط طريق الهند ولندن من أفضل المنازل على الإطلاق ، سواء من أجل عبور الجنود الإنجليز أو من أجل التصدى لمهاجمة الروس أو من أجل تيسير التحرك الإيرانى أيضاً ، وكانت الخطة الجديدة تعتمد على هذا وهو أن تجمع الدولة الإنجليزية كل قواها فى العربستان والموانئ

الفارسية وبدلاً من أن تنتظر الحملة الروسية على سواحل نهر ( اتك ) ، تستقر في الأراضي العراقية ثم تواجه الروس في ( استراباد )<sup>(١)</sup> ولهذه الخطة كثير من المزايا .

فأولاً : إن الجنود الإنجليز يمكنهم أن يصلوا من لندن على نحو أسرع وأسهل كثيراً إلى فارس حتى البنجاب .

ثانياً : وفقاً للعلوم العسكرية سيكون قسم من هذه الحملة من جيش العدو في مازندران وقسم آخر في أفغانستان . وحملة كهذه أفضل بكثير من الحملة تلك السالفة الذكر ، وهذا النمط من الحملات الإنجليزية كان سيضطر الجيش الروسى أن يقوى المقاومة في فارس وبهذا الشكل فإن الجبال والموانع الطبيعية في فارس ستضعف من مقاومة الإنجليز لها .

ثالثاً : حينما تهزم إنجلترا في تلك المناطق ، سيكون في إمكانها تجديد الحرب مرة أخرى في البنجاب .

رابعاً : لن يجدى كثيراً تعاون إيران مع روسيا نظراً لتواجد الإنجليز في فارس وستكون القوة الرئيسية لإيران في أيدي الإنجليز .

**الخلاصة :** لقد تفوقت هذه الخطة الجديدة ألف مرة على الخطط السابقة وليس هناك أى دليل على حرب نهائية لهذه الدولة

( ١ ) استراباد : مدينة بالقرب من ديلمان وجرجان وتقع على طرف الجبال .  
- ومخدا : لغت نامه ، ج ٥ ، شماره ( ١ ) ، ص : ٢١٤٣



مع إيران وبالبحث فى هذا المخطط نجد أن حظ الدولة الإسلامية وحسن طالعها قد أخرا من تنفيذ الهدف الانجليزى ولكن الاشخاص الذين يحيطون علما بدقائق السياسة الإنجليزية وتفصيل هذا المخطط يدركون أن الدولة الإنجليزية لن تكف بهذه السهولة عن مثل هذا المخطط المؤسف ، والسكة الحديدية التى يريدون أن ينشئوها من ساحل البحر الأبيض حتى المحمرة وتعين سفراء ( شيراز ) و ( استراباد ) وتعاون الإنجليز مع حاكم ( مسقط ) هو نتيجة لهذا الذعر الشديد من استقرار الوجود الأمريكى فى الخليج الفارسى ، وكذلك مهمة ( رانسون ) فى إيران والذى هو نفسه من المؤسسين والأساتذة المعروفين لهذا المخطط الجديد لاشك أن هذه المهمة وتلك السياحة فى بغداد التى قام بها أيضا كانتا لمجرد الإحاطة الكاملة بدقائق هذا المخطط ، وكل تمهيداتهم وتضحياتهم الأخرى متعلقة بفكرة واحدة .

وهذا المخطط العسكرى وتلك الخطة السياسية اللذان ذكرا سلفا ، أصبحا أمراً لازماً لبقاء الدولة الإنجليزية ، والإنجليز مهتمون بهذه الموضوعات بحيث أن كل أمر يصدر منهم فى آسيا سواء للصالح أو للتهديد نابع من تلك السياسة ، وبمتهى الاطمئنان نقسم بالله إن هدفهم الباطنى ليس إلا تحقيق هذين المخططين فى المدن الإيرانية .

ويعتقد بعض الأشخاص هذا ( حينما يطمئن الإنجليز للدولة الإيرانية لن يضيرهم شيء أن يمنحوا أفغانستان كلها لإيران ، وفى الواقع أنهم أثاروا حديثا هاما ، وبلا شك أنهم بينوا سبيل الاستقرار ، ولكننى كلما فكرت فى الأمر لم أصدق هذا فالحكومة الأفغانية عندما كانت فى يد زمانشاه كانت تخشى الإنجليز ، فكيف تستقر الحكومة الأفغانية حينما تضم الى إيران ؟ ) والآن فإننا على بعد أربعمائة فرسخ من « بيشاور »<sup>(١)</sup> ، وبمجرد أن ننقل مدفعا واحدا من هراة فان الهند كلها سوف تشتبك مع بعضها البعض وبعد ذلك اليوم فإن الجنود الإيرانيين سوف يدخلون ( جلال آباد )<sup>(٢)</sup> ، فماذا ستكون أحوال الهند حينئذ ؟ كلما فكرت بروية فى هذا الأمر أرى أنه وفقا لآى علم وأى قانون إن قوة إيران لا تكون مع الاستقرار الإنجليزى .

ومن الواضح أن الأشخاص الذين جعلوا اجتماع هذين الضدين أساسا لسياستهم هكذا يتصورون أن معنى الاستقرار الإنجليزى ينحصر فيما يقال من الفاظ منمقة وعهود موثقة من قبل الموظفين الإنجليز والذين يتملقون كما تتملق النساء ويحاولون تعكير صفو سياسة الدولة الروسية فى الباطن من أجل راحة العاملين فى سفارتهم .

(١) بيشاور : مدينة كبيرة ناحية البنجاب فى باكستان .

- وهخدا : لغت نامه ، ج ١١ شماره حرف (ب) ، ص ٧١١

(٢) جلال آباد : قرية صغيرة من قرى نرملشير .

- المرجع السابق ، ج ١٥ ، ص ٦٧ .

نعم : فلو كان وزراء إنجلترا يكتفون بهذا الاستقرار لكانوا منحونا الهند وأفغانستان ، ولكن من الخطأ أن نصدق أن الدولة الإنجليزية كانت تحصر تحقيق استقرارها فى تلك الوسائل ، وقد روجت لسياستها هذه فى عشرين دولة هندية مستقلة ، وحينما تظهر الصداقة والاستقرار الإنجليزيان فى ايران نكون قد حذونا حذو دولة حيدر آباد فى الدكن ، وقد كتب حاكم الهند أثناء سفر المرحوم محمد شاه طيب الله ثراه للإستيلاء على ( هراة )<sup>(١)</sup> كتب لدولته قائلاً : ينبغى علينا أن ندبر الأمر بمشيئة الله ولا نسمح بأن يعيث الوجود الأجنبى فسادا فى أفغانستان وينبغى علينا أن نسرع فى التصدى لذلك العدوان ونذب عن حدودنا وقد كان لإيران وأفغانستان أثر عظيم فى سياسة الشرق .

وقد كانت أفغانستان على مر الأيام مبعث خوف أصحاب المناصب فى الهند ، وتعتبر كابل وقندهار من أبواب الهند وفى أى وقت تغلق هذه الأبواب تسلم الهند من شرور الأعداء الألداء ، ويقول أيضا حاكم الهند : ( كان لابد من أجل تأمين ممالكنا فى الشرق أن نقيم فى أفغانستان حصنا بحيث يوقف الحملات التى يشنها الأجانب ولا ينبغى أن يكون للحكومة

(١) تعتبر هراة مفتاح الهند لذا أولت إنجلترا هراة أهمية كبرى وذلك للاحتفاظ بالهند فى حين كانت روسيا تخلق الفتنة والاضطرابات بل والحروب مستخدمة فى ذلك ايران كأداة تحريكها كيفما تشاء . أنظر :

- جنك أنكليس وايران : كابتن هنت أنكليس ، ترجمة : حسين سعادت نورى

ص ٨٠٧ -

الأفغانية نفسها تلك القوة والقدرة مما يطمع اعداءنا فى التفكير فى الغزو ) .

ويقول أحد السفراء الإنجليز والذي كان قُل ذلك مقيما فى ايران ، يقول فى هذا الصدد : إننى أظن " " دولة الانجليزية لا يمكن أن تسمح بأن تتوسع الدولة الإيرانية فى أفغانستان لأن اقتراب إيران من الهند سيكون باعثا على الاضطراب فى ممالكنا . ويقول حاكم هندي آخر : ( ينبغى أن نقيم سدا بصفة دائمة فى أفغانستان كي يوقف حملات أعدائنا سواء فى الشمال أو الغرب وإذا ماسقطت هراة فى يد الدولة الإيرانية سوف تتوسع هذه الدولة ( إيران ) فى كل ممالك الهند ) .

ويصيح اللورد ( بالمرستون ) فى البرلمان الإنجليزى قائلا : ( تلك الكلمة التى اعتبرها طيلة حياتى وجهة نظرى أكثر من أى شىء آخر هى اذا ما كفنا أيدينا عن أفغانستان فإن معظم المصالح الإنجليزية سوف تتدهور واعلموا يقينا أنكم حينما تتركون أفغانستان اليوم سوف يأتى ذلك اليوم الذى تنفقون فيه من جديد على هذه الممالك المبالغ الباهظة وسوف تضحون فى سبيلها بالجنود الكثيرين ) . ومع إدراك هذه الأفكار هناك احتمال لانعرفه هل ستعطى إنجلترا أفغانستان لايران أم لا ؟ وقد كان للسياسة الإنجليزية فى إيران أسلوب غريب والهدف واحد الا وهو الحفاظ على الهند دائما . ولكن مع ادراك وحدة الهدف للدولة الإنجليزية الا أنها سلكت فى هذا المضمار طرقا متعددة

ومختلفة بل حيلة تناقض بعضها بعضا ، فمثلا فى بعض الأحيان كانت السياسة الإنجليزية تضطر الدولة الروسية الى الحفاظ على الصداقة الروسية ويعد فترة من الوقت كانت تعتبر الخلاف مع الروس أمرا ضروريا لإصلاح أحوال إيران وأحيانا أخرى كانت تنفق مئات الكرورات لكى تخرج ( دوست محمد خان ) من أفغانستان .

وفى بعض الأحيان كانت تبارك خطوات ( دوست محمد خان ) هذا بل وتحثه على أن يستولى على ( قندهار وهراة ) ، وفى عهد زمانشاه منحت أفغانستان لإيران ، وفى عهد ناصر الدين شاه ، تريد أن تستولى على « سيستان » من إيران .

وأثناء سفر نابليون وحملته على موسكو وقعت الخيانة من الفرنسيين فى إيران وكان الروس وقتئذ الأصدقاء الصادقين ، وبمجرد اشتعال حرب ( سباستوبول ) فإن السياسة الإنجليزية والتي أخرجت نفس الفرنسيين من إيران أتت بهم ثانية الى إيران وذلك لكى تثير الدولة الإيرانية بهذه الوحدة حتى تعارض الدولة الروسية . ويدهى أن صلاح الدولة الإيرانية فى الستين سنة المنصرمة تلك كان فى شىء واحد ، ولم يكن لتناقضات تلك السياسة أى مبرر سوى ما تقتضيه السياسة الإنجليزية بدون أن تدرك الدولة الإيرانية أبعاد سياستها ، وقد كان للسياسة الإنجليزية فى هذه الفترة الوسائل المختلفة ومع شرح هذه الوسائل والحيل

الإنجليزية لم يكن للسياسة الإنجليزية أى هدف آخر سوى التمسك بالهند ، فمنذ بدء السياسة حتى نهايتها كان الهدف هو الاحتفاظ بالهند وهناك فى السياسة الإنجليزية نكته أخرى أكثر غرابة من النكته السابقة وهى جديرة بالنظر والتأمل الا وهى أن الهدف الانجليزى فى آسيا هو تكوين جبهة مضادة للهدف الروسى فى تلك المنطقة ، فتريد واحدة أن تقيم الحصون الحصينة من دونها وتريد الأخرى أن تبيد كل مايواجهها من حصون ويحتاج تقدم الأولى الاستيلاء على الممالك الأجنبية فى حين أن الإستيلاء على الممالك الأجنبية دمار واضمحلال بالنسبة للدولة الثانية وتريد الدولة الروسية أن تستولى على العالم وتظهر الدولة الإنجليزية بأنها تترك معظم ممالكها للدولة الروسية ، ولكن الأمر العجيب أنه مع وضوح هذا التناقض فى سياسة الدولة الإنجليزية فى مدة الستين سنة المنصرمة الا أنها قد استولت على أكثر من عشرة أضعاف الدولة الروسية والدليل واضح . وبلاشك فقد أنحصر هدف الدولة الإنجليزية فى هذه الفترة فى إخضاع السواحل الهندية ونظرا لأن إخضاع أية مملكة فى الهند كان يؤدى الى إخضاع مملكة أخرى فوفقا لتسلسل هذه السياسة سيطرت الدولة الإنجليزية شيئا فشيئا على كل ممالك الهند ، فإخضاع ( مدراس ) أدى الى إخضاع كلكتا ( وبنكالة ) وإخضاع بنكالة أدى الى إخضاع الدكن كما أن السيطرة على هذه الممالك يفتح الباب أمام الإنجليز نحو دهلى ، وترتب على



إخضاع دهلى السيطرة على أفغانستان واقتضت هزيمة كابل فتح حيدر آباد السند وصار فتح حيدر آباد باعثا على هزيمة حكومة البنجاب واضمحلالها ولا يمكن الإبقاء على ( لاهور ) دون استقرار الأمر فى « بيشاور » وقد أوجب وضع هذه الحدود استقلال هراة ، كما أن استقلال هراة يؤدى الى الاستيلاء على سيستان ولاشك أن نفس الضرورة التى حدث بالإنجليز على غير مايرغبون من بين عدة دول مستقلة وأتت بهم من كلكتا الى ( هراة ) سوف تتقدم بهم أكثر من سيستان وهذا التوسع فى الاستيلاء الإنجليزى من الشروط الجبرية للاستيلاء المذكور

ويقول ذلك السفير الإنجليزى المشهور والذى قُتل فى كابل : ( إن الاستيلاء الإنجليزى مثل تلك الدائرة التى تحدث فى حوض كبير عن طريق الضرب الخارجى فوق سطح الماء وتتسع الدائرة المذكورة باستمرار حتى تُمحي فى النهاية من زيادة الاتساع ومن ثم فالاستيلاء الإنجليزى لا بد مضطر إلى التوسع على الدوام حتى يُمحي فى النهاية من العالم لكثرة التوسع والتغلغل ) .

وقد بينا أوضاع إيران من ناحية والآن ينبغى دراسة أوضاعها من ناحية أخرى ، ويعتبر وضع السياسة الروسية فى الشرق أمرا أوضح من الشمس ولا تخشى تلك الدولة القوية من الدول المجاورة قط وحتى اليوم لم تر من الضرورة بمكان أن تستخدم الحيل والخداع أمام آية دولة ، وتعلن السياسة الروسية فى صوت

جمهورى على العالمين ( مدعية أن الله قد فوضنى فى ممالك آسيا وإخضاع الهند هو مصيرى القومى ) ولن يمنعنى أى شىء من تحقيق هذه الهبة الربانية ، وقد أعلنت الدولة الروسية منذ بدء ظهورها هذه الغاية القومية على العالم وهى تتقدم فى هذه المنطقة منذ خمسين عاما خطوة تلو الأخرى نحو هذا الهدف ، ولو توقفت وتراجعت عن مسار هدفها فهذا الوقت وذلك التراجع أمرا مؤقت ، وليس له أدنى تأثير على الإطلاق على تحقيق هدفها الأساسى ، ومنذ مائة وستة وثلاثين عاما وحتى الآن لم يتت اسم الدولة الروسية فى تلك المناطق ، وقد سار بطرس الأكبر ومعه أربعون ألف مقاتل من الطرق الوعرة من أجل بدء مخطط إخضاع آسيا ، وقد أخضع المنطقة الواقعة من شرقى الكرجستان حتى مازندران ، ولكن بعد وفاة بطرس الأكبر فإن الصولة النادرية قد أحاطت بكل ذلك المخطط الذى رسمه مؤسس الدولة الروسية القوية بتفكيره العقلى فى منطقة القوقاز ولكن على الرغم من هذه الهزيمة فى بادىء الأمر والهزائم الأخرى فإن الدولة الروسية اليوم تعطى اهتماما كبيرا لمنطقة جبل القوقاز عشرة أضعاف حملات ( بطرس الأكبر ) .

ولم تمنع الأحداث الخارجية أو الثورات الداخلية الدولة الروسية لحظة واحدة عن تقدمها الطبيعى ، وقد كانت تتقدم الدولة الروسية فى منطقة آسيا دائما ويمكن القول الآن إنها

تحاول انتزاع حكم آسيا فى صحراء ( جرجان ) (١) وسواحل  
( جيحون ) (٢) وحينما يبحث شخص ما عن مدى قوة الدولة  
الروسية فإن أول نقطة يرى أنها جديرة بالنظر هى : لماذا لم  
تستول الدولة الروسية على كل ممالك آسيا خلال مدة المائة  
والثلاثين عاما ؟

وبقاء الممالك الآسيوية وفقا لاعتراف كل وزراء الغرب لا يدل  
الا على الخطأ الفادح الذى ارتكبه الدولة الروسية حتى  
هذه الأيام المتأخرة وذلك الخطأ الفادح هو أن « بطرس الأكبر »  
قسم القوة الروسية قسمين فوجه رأس هذه القوة نحو « آسيا » ،  
ووجه القسم الآخر من القوة الى الغرب ، وقد تمادى أكثر خلفاء  
« بطرس الأكبر » أيضا فى خطئه وفقا للمخطط الأول  
تدريجيا ، وقد بددوا كل قواهم على سياسة الفرنج ويجمع كل  
الساسة والوزراء المشاهير من الغرب على أنه لو أن الدولة  
الروسية قد أنفقت على « آسيا » عُشر ذلك الكد والسعى اللذين  
أنفقتهما على الغرب لكانت الآن كل آسيا فى حوزة الدولة  
الروسية ، وعن طريق إخضاع آسيا كان بإمكانها تحقيق هدفها  
الأساسى فى منطقة الفرنج أيضا وقد خاطب حكام الفرنج

(١) جرجان : مدينة كبيرة ، تقع بين طبرستان وخراسان .

- وهخلا : لغت نامه ، شماره حرف ( جـ ) : ٤ ، ص ٣١٠

(٢) جيحون : نهر يقع بالقرب من بلخ وينتهى بخوارزم ويمر بين خراسان ومنطقة ماوراء

النهر .

- المرجع السابق ، جـ ١٥ ، شماره حرف (جـ) ، ص ١٨٦ .

الإمبراطور ( نقولا ) ( ١ ) ، مدة ثلاثين عاما قائلين : ( ليس لك الحق فى التدخل فى شأن الفرنج والشعب الروسى مكلف بإخضاع آسيا بحكم « منزل » ونحن نصدق مهمتكم هذه ، فكفوا أيديكم عن أمور الفرنج واهتموا بإنجاز مهمتكم ولا تقربوا موضعا قط من هذه البلاد ) .

ويقول أحد الساسة المشاهير والمعروفين : ( إن الدولة الروسية مكلفة بحكم القدر أن تنقل حضارة ممالك الغرب الى ممالك آسيا والشىء الذى منع إتمام هذه المهمة هو أن الدولة الروسية لا تريد أن تبدو مشغولة فى آسيا بحيث تصرف النظر عن مهامها فى منطقة الفرنج ) .

كما أن الدولة الروسية كان ينبغى عليها بدلا من أن تضيع جهودها على ممالك الغرب أن توجه اهتمامها نحو آسيا ولو تم هذا لأصبح الآن كثير من ممالك آسيا وعلى الأخص الهند ، أصبح فى حوزة تلك الدولة ولارتفعت الراية الروسية خفاقة فى بعض الممالك الرئيسية من آسيا وعلى ساحل نهر ( اتك ) وفى كلكتا ، كما أن الدولة الروسية بمقتضى وضعها الطبيعى مكلفة بحكم « مقدر » بأن تجمع بين تجارة آسيا والغرب .

(١) نقولا الاول : قيصر روسيا ( ١٨٢٥ - ١٨٥٥ ) عُرِفَ برجعيته الشديدة ، سحق ثورة ديسمبر فى عام (١٨٢٥) .

والشيء الوحيد الذى منعها من إتمام هذه المهمة هو عدم تحضر طوائف آسيا ، وبناء على هذا وجب على الدولة الروسية أن تغير من أحوال الطوائف المذكورة قسرا . كما أنها توسع من نطاق استيلائها يوما فيوما فى تلك المناطق . إذ أنه يجب بل وينبغى أن تنشر حضارة الغرب فى تلك المنطقة .

ويقول عالم آخر : ( يجب على الدولة الروسية أن تعمل على رقى الممالك الآسيوية وأن تنهل هذه الممالك من معين نعم حضارة الغرب ويدعو الأسلوب الراقى للعقلية الروسية هممة الدولة العظمى أن لاتكف عن هذا الاتجاه وينبغى على الدولة الروسية أن تخضع الممالك الآسيوية وأن توجد مقومات الحضارة فى تلك المناطق أما بقوة التجارة أو السلاح أو السياسة ، ويقول حكيم نمساوى : ( إن للدولة الروسية حق ذلك وإصلاحه ، وواجب على عاتق تلك الدولة أن تسيطر على ممالك وسط آسيا وأن تضىء تلك المناطق المظلمة بنور التحضر والمدنية ) .

ويقول كاتب فرنسى : ( ينبغى على الدولة الفرنسية أن تعاضد الدولة الروسية حتى تخضع ممالك آسيا ، وقد وقفت الدولة الروسية فى مواجهة دول الغرب وأيضا فى مواجهة الحكومات الآسيوية ولكن الدولة الروسية انفقت خزائنها كلها من أجل تقدم سياستها فى منطقة الغرب ولو أن الدولة

المشار إليها وجهت جزءا من قوتها من سواحل بحر البلطيق حتى بحر الخزر لكان فى حوزتها الآن من موانئ الصين حتى البحر الأبيض ، ولكن ( نقولا ) إمبراطور الدولة الروسية نظرا لطبعه الغيور وتنافسه ونظرا لخطأ تلك الحملة الكبرى والتي وصل بها الى التدخل فى شئون السياسة الغربية ، لم يستطع أن يتخلف عن درب أسلافه ولكنه تخلص من مساوئ خطئه القديم بهذا الدرس الأخير من قبل الدولة المشار إليها ( فرنسا ) ، كما أنه الآن لا يتدخل فى شئون دول الغرب باستثناء مراقبة أوضاع الدولة الفرنسية وخلافا لما سبق فاليوم تقصر الدولة الروسية اهتمامها على أوضاع آسيا .

ولما أن أوضاع إيران هى مثل أوضاع الشعب الإنجليزى وقد ظهر من بين الإنجليز من يلفت نظر الشعب الى هذا الأمر ، فأنا أيضا كالكاتب الإنجليزى أخذت أصبح قائلا : ( ياولة الأمر فى الدولة والشعب الإيراني ... انهضوا ... وياحكام الإسلام هبوا من السبات العميق الذى ينذر بهبوب عاصفة شديدة وخراب وشيك من المستحيل دفعهما ) .

والآن فقد عاد ذلك السبيل الجارف للقوة الروسية من الغرب متجها نحو آسيا وتلك الاخطار التى لوحظت من قبل الإنجليز لاتقارن بشئ أمام هذا الخطر العظيم فاليوم من الممكن أن تنتهى دولتنا وشعبنا بضربة بسيطة وذلك بإشارة واحدة من



( بطرسبورج ) ( ١ ) ، ومن ثم تنتهى حياتنا السياسية تماماً ولن  
أشرح الطريق والهدف السياسى الروسى بأكثر من هذا وهدف  
سياسة الدولة المشار إليها واضح جداً ، وطريق سيل البلاء هذا  
واضح ومحدد للغاية وينبغى على الدولة الروسية أن تتوجه حتماً  
الى الهند ، ولا يخفى هدفها على أحد ، وكل وزير ينكر هدفها  
هذا هو كالشخص الأنانى المحب لذاته والغارق فى الراحة والتي  
يفضلها عن تقصى الحقائق ، وكل من يدعى الغيرة ويهمه مصلحة  
الدولة فليتهاى للقاء سيل الاستيلاء الروسى وليس ببعيد أن ينكر  
بعض الأشخاص فى « إيران » نظراً لعدم نشر المعلومات ، ينكر  
إمكان الحملة الروسية على « الهند » ، وفى هذه الصدد يقول  
شخص ذو منصب معروف : ( إن الوزراء المشاهير وخاصة  
الأفراد الذين يحيطون علماً بشأن هذه المسألة يقرون جميعاً  
بإمكان وسهولة هذا السفر للهند ) .

ويقول أحد حكام الهند فى خطاب رسمى : ( إنى لا أرى  
أية عقبة تمنع حملة العدو على الهند وبناء على هذا ينبغى علينا أن  
نكون على حيطة وحذر ، فلا نغفل عن مواجهة هذا الأمر ) .

ويقول حاكم آخر : (إننا بينا لعدونا طريقه الى الهند وذلك عن  
طريق سفرنا إلى أفغانستان وأظهرنا كم هو سهل طريق الهند ) ،

( ١ ) بطرسبورج : تسمى الآن ( لينين كراد ) ، وهى مدينة تقع عند مصب نهر ( نولا  
- وهغدا : لغت نامة شمارة حرف (ب) ، ص ١٢١

ويقول شخص إنجليزى ذو منصب : ( كان يظن الأولون أن أساس المشكلة فى الحملة الأجنبية على الهند سيكون فى ممالك الأفغان ، والى عدة سنين كان هذا الاعتقاد صحيحا ولكن الدولة الإنجليزية نفسها تحملت المشاق وأنفقت الأموال وضحت بالآرواح حتى ذلت تلك المشكلات المتوقعة عن طريق حملتها على أفغانستان وقد أدرك الجميع أن عبور جيش جرار من أفغانستان الى الهند فى غاية السهولة واليسر .

ويقول مهندس فرنسى : ( ظل إمكان عبور الجيش الروسى على ساحل نهر اتك لفترات موضع جدال ولكن منذ أن سقطت بحيرة ( آرال )<sup>(١)</sup> فى حوزة الروس أخذ ينظر حكام الدولة الروسية الى إخضاع التركستان ) .

ولم يبق هناك مجال للشك لدى أى مهندس عسكرى فى إمكان السفر وسهولته ، وكل من عرف الأوضاع الحقيقية للجيش الهندى لا يمكن أن يصرف النظر عن تلك الهزيمة الكبرى التى ستلحق بالجيش الهندى ، وفى ذلك اليوم سيلتقى وسط آسيا الجيش الهندى بالجنود الروس ) .

ويكتب أحد العلماء المشاهير والذى قضى فترة طويلة فى الهند مشغولا بدراسة إمكانية المحافظة على هذه الممالك ، يكتب

( ١ ) آرال : اسم بحيرة كبيرة ومشهورة ببحر الآرال فى تركستان الغربية .  
- وهخدا : لغت نامه ، ج ١ ، شماره حرف ( ا ) ص ٦٥ .

فى صدد إعداد الحملة الإنجليزية التفاصيل المعروفة الآتية: ( منذ ذلك اليوم الذى تعد فيه إحدى الدول الأجنبية جيشا على ساحل نهر اتك والذى يتساوى مع ذلك الجيش الذى يمكن أن تعده الدولة الإنجليزية فى نفس المكان ، فإن ذلك اليوم يؤرخ نهاية عمر الدولة الإنجليزية ومملكة الهند ذلك الميدان الواسع والذى حدث فيه مختلف أنواع الخراب والدمار سواء للدولة أو طبقات الشعب المتعددة ، سىكفى فيه عمل طفيف وضربة واحدة ، سىكفى أن ينشرا الذعر بين هذه الطبقات المختلفة وأن يخرجوا من بين هذه المجموعة الغربية الطبقات غير المنتظرة ، وبإمكان رجل واحد بوحدة بسيطة أن يؤلب الكثير من الجنود على شق عصا طاعة الإنجليز ، وقد أخرت الحيل الإنجليزية ظهور هذه الحادثة حتى هذه اللحظة ولكن منذ ذلك اليوم سىظهر فى حدود أفغانستان منافس قوى للدولة الإنجليزية وفى مقابل هذا ستزيد الدولة الإنجليزية من قوتها فى ممالك الهند، وسترى الهند منافسا مستقلا أمامها ومن ثم ستضمحل كل السطوة والقوة الإنجليزيتين أمام تلك القوة الجديدة وسوف يتعجب المنافس نفسه من سرعة هذا الاضمحلال والانهيـار ) .

ويقول العالم المشار اليه : ( وجهة نظرى ومعلوماتى هذه ليست من فراغ فلدينا المستندات الكافية والتى عن طريقها يمكن أن نتبين قبل الوقت المحدد كم يبلغ الجيش الإنجليزى وكم تبلغ

قوته لكى يواجه العدو ، ويحيط الكاتب المشار اليه علما بكل تفاصيل الكفاءة العسكرية للدولة الإنجليزية وعن طريق الشواهد الكثيرة والتحقيقات المفصلة والتي يخرج ذكرها عن محتوى هذا الكتب يبرهن الكاتب أن الدولة الانجليزية لايمكن أن تجمع فى أى مكان أكثر من واحد وستين ألفا من الجنود بحيث يكون خمسة عشر ألفا منهم من الإنجليز وعلى الحدود الغربية للهند ، ويقول العالم المذكور مع شرح تحقيقاته هذه : أرى أن جمع هذا العدد من الجنود غير ممكن للدولة الإنجليزية .

وعلى هذا النحو الذى أرى أنه منتهى ظنى ، ينبغى أن نؤكد أنه حينما يظهر سبعون ألفا من جنود الفرنج فى وادى ( خير ) فإن هذا الجيش كاف لأن يطوى بساط « إنجلترا » من ثغر الهند حتى حدود ذلك المنافس دونما أن يرى أى دفاع أو مواجهة من قبل العدو ) .

ويقول هو أيضا : ( لم يكن يحتاج نابليون من أجل السفر للهند أكثر من ستين ألف جندى فى حين أن السفر للهند وتسيير حملة لتلك المنطقة فى ذلك الوقت أمر سيقف أمامه كثير من الموانع خاصة وقد بدأ وضع أفغانستان مهيبا ، ولما أن الآخرين ليسوا على علم بخريطة هذه المنطقة لهذا كان بإمكان الأفغان حيثذ أن يتحملوا تلك الضربات القاصمة ، ولكن اليوم أو غدا أو بعد مائة سنة أخرى ليس يبعد أن يهب شعب الأفغان كله

لإنتقام من الإنجليز وذلك فى نفس واحد ويستوى مثير هذا الصوت الانتقامى سواء من قبل الدولة الإيرانية أو من الروس ، وقد كان فى ذلك الوقت أتباع عديدون للدولة الإنجليزية فى الهند وكان بإمكان بعض الحكام أن يدافعوا عنها ، أما الآن فإن الدولة الإنجليزية كلها وحيدة ودفاعها ينحصر فى الطوائف القديمة ، وقد كتب الكاتب المشار اليه شروحا مفصلة فى صدد مخطط التحركات العسكرية للقائد الروسى فى الهند ، وفى صدد جميع متطلبات هذا السفر والتي لن أترجمها مراعاة لهذا الكتيب الموجز ، ويقول مثلا لا ينبغي للقائد الروسى أن تواجه أية صعوبة فى شأن المؤن وما هو ضرورى هو أن تملأ جيبه بالأموال دائما ، وبهذا الشكل فإن المخططات المدبرة كافية . وعلى سبيل المثال يتضح من هذا أن مؤن الجيش ستجمع من هذا الموضع كما أن العبور من نهر آتك للمنطقة الفلانية ليس فيه أى اشكال . . . . . وينبغي العبور بالشكل الفلانى . . . . وهذا كاف ، وقد عبر السلطان محمود الغزنوى سبع مرات بجنود لا حصر لهم من نفس هذا الطريق ، كما عبر الأمير تيمور وبابر شاه وهمايون ونادر شاه والقواد الإنجليز أنفسهم أثناء حرب الأفغان بالطريقة الفلانية من نفس هذا الطريق أيضا ، وقد كتب الكثير من قبيل هذه التفاصيل ، وبناء على النماذج القديمة ، ينبغي أن نقر بأن عبورة الأرض لا يمكن أن تكون بأى حال من الأحوال مانعا يحول دون تقدم جنود العدو فى هذه المنطقة ، وما يمكن أن يحفظ ( الهند )

اليوم هو الجيوش المدربة التدريب الجيد وكفى ، وبمجرد أن يهزم الجيش الإنجليزي فى مواجهة الجيش .

الفرنجى مرة واحدة فإن كل القوى الإنجليزية سوف تنهار لأن الجيش الأجنبى بعد هزيمته للإنجليز سوف يصبح جيشا قويا يضم اليه جميع الجيوش الفرعية الأخرى وسيستولى على الهند كلها ، وخطه الدولة الروسية بشأن السفر للهند صائبة للغاية وهناك العديد من الخطط المفصلة بشأن تلك الحملة من قبيل أى الطرق يسلكها الجنود ؟ . . . وكيف يتحرك قواد الجيش أثناء الطريق ؟ وقد أعدت النماذج الكافية لتوضيح ذلك وسأكتفى أنا هنا بالإشارة الى هذه الأقوال موجزا ، فللدولة الروسية طريقان من أجل حملة الهند ، أحدهما من التركستان والآخر من إيران ، وعلى الرغم من أنه حتى اليوم قد سلكت الدولة الروسية هذين الطريقين . وذلك بشكل متساو إلا أنه من الواضح أنها وضعت خططها الأساسية من ناحية إيران وقد كتب فى هذا المضممار شروح كثيرة وأذكر منها فقط بعض الأفكار التى تتعلق بالملكة الإيرانية ، فاليوم تعتبر الدولة الإيرانية فى يد الدولة الروسية وفى كل وقت تحاول الدولة الروسية أن تحفظ الوضع كما هو عليه فى إيران . وبعد ذلك فهى تعيد لإيران بعض الأقاليم التى استولت عليها وتعدّها أيضا ببعض الأقاليم الأخرى ، فى حين أن روسيا تجبر الدولة الإيرانية من خلال اتفاق سرى على هذا : أن تلتزم الدولة الإيرانية بالوفاق والصداقة لموازرة الأهداف الروسية ،



وقد تعرضت الدولة الإيرانية بعد حكم نادرشاه الى حالة من الضعف والاضمحلال وبدت كأنها لايمكنها أن تخرج من حالة الذل هذه ، ولكن مع كل هذا الضعف العارض يمكن أن يظهر منافس كبير ويتدخل في مسألة الشرق عن طريق الوضع الطبيعي لأقاليمها ويكون له تأثير كبير في تغيير خريطة شرق الدولة الإيرانية وهذا الامتداد في رقعة أرض إيران ناتج عن حالتها الطبيعية وليس له أى تأثير في شأن قوة الدولة . ومن خلال ذلك التوازن والذي يوما ما ينبغي أن يرسم مصير إنجلترا وروسيا ، فإن الدولة الإيرانية يمكنها أن تشكل وزنا عظيما بين هاتين الدولتين ، ولاشك أنه حينما تكلف الدولة الروسية إيران بالسفر للهند فإن كل أهل إيران سوف يذهبون عن رضا تام وسوف تحمس غنائم الهند وذكرى نادرشارو وفكرة ضعف إنجلترا في الهند ، سوف تحمس الإيرانيين لهذا الأمر ، كما أن وسائل هذا السفر والمقدرة عليه مهياة على أكمل وجه في الأرض الإيرانية ولكن حكام الدولة الإيرانية تنقصهم الإرادة والقوة اللتان من خلالهما يحصلون على ما يحتاجون بالاستفادة من الإمكانيات الطبيعية لأقاليمهم ولكن حينما تسقط هذه الدولة في براثن الدولة الروسية أو يكون لها وحدة وثيقة مع الدولة الروسية فإن الدولة المشار اليها يمكنها أن تعد العدة لهذا السفر ما بين ستين إلى سبعين ألف جندي في « إيران » ، ومعلوم أن هذا الجيش سوف يكون أحسن حالا من سائر الجيوش خاصة عندما يكون تحت

إمرة القواد الروس المهرة وعلاوة على هؤلاء الجنود المدربين للدولة الإيرانية ، يمكن أن يلحق هذا الجيش ضعفا أولئك الجنود غير المدربين ، واليوم فإن بقاء الدولة الإيرانية مقرون بحجم مهام الدولة الروسية ، وليس لهذا أى تأثير فى شأن قوة الدولة .

**الخلاصة :** أن بعد المسافة هو السبب الرئيسى فى تأخر الحملة الروسية على الهند وللتغلب على هذه المشكلة يلزم شيان : أولهما : أن تحدث وحدة تامة بين الدولة الروسية وإيران من أجل تحقيق هذا الهدف ، ثانيهما : أن تقضى الدولة الروسية على الدولة الإيرانية تماما وحيث تدير جيشها من إيران إلى الهند والآن فإن الاهتمام بهذين الشئتين هو أساس السياسة فى إيران .

وقد كتب العالم المشار اليه تفاصيل كثيرة فى صدد سياسة الدولة الفرنسية والدولة العثمانية مع إيران والتي كلها ينم عن الاطلاع على حقيقة الأمر ولكننا نصرف النظر عن ذكر تلك التفاصيل لاعتبارات كثيرة، وهنا ننتهى من معلومات جناب العالم .

**الخلاصة :** أن الدولة الانجليزية أما أن تنتهى تماما أو تحافظ على الهند بحيث لاتسمح لدولة أخرى أن تطأ أقدامها أراضى تلك المملكة ( الهند ) ونفس الأمر بالنسبة للدولة الروسية فإما أن تنتهى أو تستولى على المملكة الهندية والسيطرة على هذه الدولة شئ لازم وضرورى لكلتا الدولتين ، واليوم فحياة هاتين الدولتين

وموتهما مرهون بالاحتفاظ بأرض الهند ، لهذا فقد ذكر العالم الإيراني فى هذا الصدد من باب الاطلاع على حقائق الأمور وطبقا للظروف الراهنة أى الصراع بين هاتين الدولتين ذكرما يلى :  
( ينبغى على الدولة الإيرانية من باب التفكير فى المصلحة الشخصية أن تنتهج لنفسها سياسة قوية ومؤثرة بما يخدم مصالح المملكة ومع هذا فقد كتب العالم المشار اليه من باب حب الوطن بعض الأفكار اللازمة . . . . . واأسفاه فإن عقولنا غير الناضجة عاجزة من إدراك النكات السياسية لتلك الأفكار والتي تعتبر إحدى الوسائل الهامة لخلاص المملكة وليس هناك أحد يمكن أن يتبع أو يستفيد من تلك المقترحات السياسية والأفكار السامية لذلك الشخص المحترم ، ولكن يمكن القول أن هذه الخطط وتلك المقترحات السياسية لذلك العالم المشار اليه هى نتيجة لأفكار وتصورات سنوات قد خلت .

ومن الواضح أن كل شىء يتغير بسبب تقلب الدهر لاسيما سياسة الدول فهى كالليل والنهار يتغيران من لون إلى لون آخر فى غضون أربع وعشرين ساعة فهما يتغيران من ظلمة الليل إلى ضوء النهار والعكس .

وسيرى المرء ذات يوم وسائل التكدير مع ثروة عن الصداقة قد ظهرت دفعة واحدة بين الدولتين الكبيرتين بسبب حادثة ما قد وقعت فى ناحية من العالم ، وبدأت صحف الطرفين تكتب عن

سوء سلوك بعضهما البعض ، وقد أشار كل منهما إلى الآخر على أنه عدوه القديم وقدم الأدلة والبراهين لإثبات ذلك ، وترى أنه بسبب أحاديث الصحف نفسها بين الطرفين قد حدثت تغيرات رئيسية وخسائر كبيرة فى سندات اسهام قروض هاتين الدولتين ، وذلك فى ظرف يوم واحد ، كما خسر عالم التجارة الملايين من جراء ما تنشره هذه الصحف ، وعلاوة على ذلك فقد زاد الجفاء بين هاتين الدولتين ، بحيث يظن قارئو صحف الطرفين هكذا أن غدا موعد إعلان الحرب ، فى حين أن ذلك كله يعتبر جلبة سياسية ولا يمر أسبوع واحد حتى ترى أن الوضع السياسى قد اتخذ شكلا آخر فتعود المياه إلى مجاريها ، إذ أنهما يغيران سياستهما من وجهة إلى وجهة مغايرة تماما عن ذى قبل . فهاهم ينظمون الشعر كله عن صداقة الطرفين ويرفعون شعار المحبة والود ، فهما لوزة ذات نوايتين فى قشرة واحدة ، وذلك بسبب وحدتهما الفريدة ، وهم يشبتون أيضا أنهم لا يزالون على الصداقة والمودة القديمتين بل يعدون لبعضهما البعض مجالس الضيافة ويحتسون فيها كئوس الخمر نخب سلامتهم .

**الخلاصة :** لا ينبغى الأمن والاطمئنان إلى أى شىء فى أى مكان يوجد فيه اسم السياسة ، فسينبغى التخوف من العدو واتخاذ الحيلة والحذر لذلك ولا ينبغى ترقب أى خير من أصدقائهم لأن المعنى الأساسى لكلمة السياسة هو الخداع والكذب والغرض من استخدام هذه الكلمات ، هو أنهم يحصلون على كل شىء

ويسلبون الآخرين ما يمتلكونه وذلك من خلال حيل لطيفة وهكذا فهم يمتنون على الطرف الآخر بهذه المعاملة وكأنهم وهبوه الحياة ويستقى الغرب جميعا من نبع واحد فى تحصيل هذا الفن البديع ، ودرسهم جميعا من كتاب واحد وكلهم تلاميذ مدرسة واحدة .

وفى حقيقة الأمر أنهم يبلون بالصدقة أكثر مما يبلون بالعداوة ، فنتيجة عدوانهم إخضاع الممالك ونهاية صداقتهم الدمار والهلاك .

فغاية الصداقة عندهم أن يلقوا بك فى فم أفعى ويتخلون عنك وكما رأينا بأعيننا فى العصر الماضى وما استباحوه فى حقنا ، لم يتغاضوا عنه فى حق الآخرين إذن لا ينبغى على الشخص العاقل أن يتوقع الخير من هؤلاء ، وينبغى أن يسعى بنفسه وراء عمله ويبحث عن علاج لآلامه بنفسه وليس بمساعدة الآخرين .

( أن ترك التراب مخزوننا فى العين

هو شفاء لها ( ولا اللجوء ) لهؤلاء القوم )

وعلى كل حال ينبغى على عقلاء الشعب وحكام الدولة الإيرانية أن يتمسكوا بالحبل المتين للوحدة والاتحاد وذلك من باب صفاء العقيدة وحسن النية بحيث يحاولون إصلاح مساوئ البلاد بمساعدة بعضهم البعض وينأون بأنفسهم عن إثارة النفس والهوى .

وعلى كل حال يجعلون من أوامر الأحكام الحقيقية للشرعية  
المحمدية الغراء وسيلة لتحقيق الهدف ويستعينون بالآية الكاملة  
للهداية ( إياك نعبد وإياك نستعين ) ، ويسرون بنية صافية على  
طريق ( الصراط المستقيم ) حتى تشملهم الرحمة الالهية .

( ذلك الذى يراعى الأعداء كيف يحرم الأصدقاء ؟ )

ويقول عالم إيرانى : أين تذهب سفينة سياستنا ؟ ،  
والمعلومات المفيدة لذلك الحكيم العالم بشأن سياسة الدولتين  
العظيمتين المتجاورتين فى غنى عن الوصف والتعريف .

وبفكرنا غير الناضج تجاه السفينة مقرون بالإجراءات الآتية  
وحيث تكمن النتيجة .

أولاً : وحدة الشعب واتحاده فى العمل الموحد .

ثانياً : وجوب الإنصياع لأوامر الملك وأحكامه .

ثالثاً : اطلاع الشعب كله على المصالح الشخصية خاصة  
حكام الدولة .

رابعاً : إثارة السمعة الطيبة على الملذات الشخصية .

خامساً : الأخوة والمساواة فى مجلس النواب .

سادساً : إدراج كل عمل تحت طائلة القانون على حدة .

سابعاً : تنفيذ أحكام تلك القوانين بالمساواة ودون استثناء .

ثامناً : كما هو اليوم شائع بل ومضرب المثل .



لابد من فتح مصنع لتخريج الرجال أو بمعنى أصح فتح مدارس من أجل تحصيل العلوم والفنون المتداولة ، وفي اعتقادي أن أول وسيلة لسعادة شعبنا تكمن في هذه الأفكار الثمانية . وحينما ينفذ الشعب وحكام الدولة هذه الأفكار أو المقترحات ، فإذن الله سوف تذلل كل الصعوبات ، وعلى الرغم من أن تنفيذ مثل هذه المقترحات في بلادنا من الصعوبة بمكان ، إلا أنه ينبغي على المرء ألا يخشى المشكلات ، فالمرء يتغلب على كل الشدائد في ظل الكد والعمل من أجل المعرفة ، وحينما يضع حكام الدولة تنفيذ هذه الإصلاحات موضع الاعتبار ، فهذا كفيلا بتحقيق الهدف ، لأن كل هذه الأشياء لا تحدث دفعة واحدة ، ولكن شيئا فشيئا يمكن أن تتحقق كل هذه الأهداف على أكمل وجه ، والشعب الإيراني ليس أقل من الشعوب الغربية ذكاء وفطنة وعلماء وشجاعة ، فهو ينقصه التعليم والتنشئة حتى يدرك أن معنى حب الوطن من باب العلم والمعرفة ، وحتى يكون على دراية بما في الوحدة والاتحاد من لذة وافتخار .

**الخلاصة :** ان اليوم بسبب تقلب الزمان لا تستقر سياسة الدولة الكبرى والمتجاورة في مكان معين وفي كل يوم تتقل أوراق ( اللعبة ) السياسية لديهم من دولة إلى أخرى وذلك بسبب هبوب الرياح العكسية من بعض الجهات غير المتوقعة ، كما أنه بعد حرب الصين واليابان التفتت أنظارهم إلى تلك المنطقة ، ولما وجدوا أن تلك اللقمة دسمة وسائغة فقد أسرعوا دفعة واحدة إلى

تلك المنطقة ، وكل من حصل على جزء فى هذه المنطقة المترامية الأطراف مستأجرا إياه منذ وقت طويل ، ضمه إلى ممتلكاته ، ولكن ليس مستبعدا أن تقع المنافسة بين هؤلاء المغيرين المتنافسين بسبب النقص والزيادة أو الجمال والقبح فى هذه الأملاك المغصوبة ، فيصل الأمر إلى النزاع والعداء أو أن يترك الصينيون أنفسهم الأفيون<sup>(١)</sup> ويستيقظون من السبات العميق ليهتموا باسترداد ممتلكاتهم ، وعلى هذا فهذا الأمر شرحه يطول ، وهذه كلها ظنون وسيكشف الزمان للمعاصرين إن آجلا أو عاجلا عن النتيجة ، وخلاصة حديثنا عن الوضع السياسى للجارتين الكبيرتين المتنافستين على دولة إيران ، من التفاصيل السابقة اتضح إلى حد ما أن سياسة الدول ليست لها استقرار بحكم مقتضيات الزمان وعلى الرغم من أن هدفهم محدد . ولو اتبع حكام الدولة الإيرانية سياسة معتدلة فى صداقة هاتين الدولتين الكبيرتين لكانوا حققوا انجازا كبيرا وعظيما وذلك متعلق بالآتى : أن لا يتعاملوا مع هاتين الجارتين الصديقتين فى الشئون الداخلية للمملكة من قبيل إقامة السكك الحديدية والتنقيب عن المعادن وتعيين القواد العسكريين

(١) حاول الرأسماليون البريطانيون بكل وسيلة ممكنة تغيير توازن تجارتهم غير المتلائم مع الصين ، فوجدوا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر أن الأفيون بضاعة رابحة جدا ولها سوق رائجة فى الصين بين ارسقراطيتها وبيروقراطيتها وملاك أراضيها وتجارها الاغنياء المبدزين لذلك قرروا استخدامه ليفسحوا لأنفسهم بواسطة موضع قدم داخل عتبة الصين أى غزوها وقد حذا حذو الانجليز الأمريكيون والفرنسيون ، انظر : - سلسلة كتب تاريخ الصين الحديث : حرب الأفيون ، دار النشر للغات الأجنبية ، الطبعة الأولى ، بكين ، ١٩٧٦ م .

من أجل تعليم الجنود ، وكذا تعيين المعلمين فى المدارس وأن لا يتعاملوا مع هاتين الجارتين فى مسألة امتيازات<sup>(١)</sup> المملكة ، كما يقال فى المثل المشهور : ( اله مع الصديق واشرب معه وكل معه لكن لاتعامله ) فهناك أصحاب الملايين فى كل الممالك الأوروبية ، فينبغى على المملكة فى مثل هذا النوع من معاملات الحكومة مع أهالى الأقاليم أن تنأى عن الوساطة حتى لاتصيبنا نار تنافس هاتين الجارتين ، وينبغى على أفراد الشعب من كل طبقة وفئة أن يشحذوا همهم جماعة جماعة منتهجين أسلوبا مغايرا عن ذى قبل وذلك فى عمل موحد من أجل ازدهار التجارة والصناعة فى المملكة ، فينبغى عليهم أن يؤسسوا الشركات حتى تنجز أعمال الوطن ومهامه فتحقق السعادة فى جميع المجالات . فالمشروعات الحكومية ومواظبة حكام الدولة أمور لا تكفى لتحقيق الأمانى ، وينبغى على الدولة والشعب أن يكونا يدا واحدة فى إصلاح مساوئ المملكة ، ويعتقد كل المواطنين أن جميع مساوئنا ومفاسدنا يمكن أن يصلحها شخص الملك ذاته ، وفى الحقيقة يعتبر الملك هو الأب الرحيم للشعب ، لكن ينبغى على الأبناء أيضا أن يظهروا استعداداتهم وأن يطيعوا أوامر والدهم .

**الخلاصة :** أنه لن تكون نهاية الكد والعمل وشحذ الهمم سوى السمعة الطيبة والفخار ، وهكذا فإن « بطرس الأكبر » باق وخالد نظرا للنتائج الطيبة لتلك المشاق التى استهان بها على نفسه وذلك فى سبيل رقى الشعب وتعمير البلاد ، ومن كل مكان يذكر

( ١ ) ابراهيم تيمورى : عصر بى خبرى ، جلد أول ، ص ٨٣ ، ٨٤

اسمه العدو قبل الصديق باحترام تام ، فمحصلة الغفلة والركون للراحة السمعة السيئة والذلة ، كما يشير تاريخ الشاه سلطان حسين الصفوى علينا بذلك ، وينبغى علينا أن نطلب من الله أن تؤثر الكلمات الصادقة وغير المغرضة فى الغيورين على الشعب حتى تجدى فى قلوب عقلاء الشعب وحكام الدولة ، وحتى لا يفسد أمر البلاد كله ومن ثم يهبون جميعا لكى يفكروا فى نجاة الوطن وخلاصة مما هو فيه .

واليوم فنجاتنا متعلقة بوحدة الدولة والشعب والعدالة فى المملكة والوطن المقدس ، وأتضرع إلى الله بالدعاء أن يجعل الدولة رحيمة بالشعب والشعب تابعا ومطيعا لأوامر الملك ، وأن يبعد الكبر والحسد عن قلوب حكام المملكة ، فاللهم اقبل هذا الدعاء من العبد المذنب .

( يا مقلب القلوب والأبصار      ويا مدبر الليل والنهار )  
( ويا محول الحول والأحوال      حول حالنا إلى أحسن حال )  
( فأيتها المواطنين .. استيقظوا من النوم .. وأفيقوا من  
سكرة الكبر والتهيه )

( وأبتعدوا عن الغفلة والنفاق ... وكونوا أخوة  
متعاونين على المحافظة على الوطن )  
( والسلام )

## المشروع القومي للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانينكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف يتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - بيانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن الموين
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ - تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الاسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانينكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٢٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٢٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٢٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عبد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ملحد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتايفو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	الدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد براءة وعثمان الميولي ويوسف الأطلي
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوبيا وخـ م بيناليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسي التدميمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . النجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتن	ت : صبري محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نقاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامي في نوازل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت : حسين محمود



- ٧٢ - السياسى العجوز ت . س . إليوت  
٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز  
٧٤ - صلاح الدين والمالِك فى مصر ل . ا . سيمينوفا  
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا  
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى مجموعة من الكتاب  
٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢ رينيه ويليک  
٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون  
٧٩ - شعرية التأليف بويريس أوسبينسكى  
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين  
٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن  
٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دى أونامونو  
٨٣ - مختارات غوتفريد بن  
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب  
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاي  
٨٦ - طول الليل جمال مير صادقى  
٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد  
٨٨ - الابتلاء بالتقرب جلال آل أحمد  
٨٩ - الطريق الثالث أنتونى جينز  
٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية  
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا  
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل  
الإسباني وأمريكى المعاصر مايك فيذرستون وسكوت لاش  
٩٣ - محدثات العولة صمويل بيكيت  
٩٤ - الحب الأول والصحة أنطونيو بويرو بايخو  
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني قصص مختارة  
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة فرنان برودل  
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) نماذج ومقالات  
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى ديفيد روبنسون  
٩٩ - تاريخ السينما العالمية بول هيرست وجراهام تومبسون  
١٠٠ - مساعلة العولة بيرنار فاليط  
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج) عبد الكريم الخطيبى  
١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الوهاب المؤدب  
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء برتولت بريشت  
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى جيرارچينيت  
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع د. ماريا خيسوس روبييرامتى  
١٠٦ - الأدب الأندلسى نخبة  
١٠٧ - صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر
- ت : فؤاد مجلى  
ت : حسن ناظم وعلى حاكم  
ت : حسن بيومى  
ت : أحمد درويش  
ت : عبد المقصود عبد الكريم  
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد  
ت : أحمد محمود ونورا أمين  
ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى  
ت : مكارم الغمرى  
ت : محمد طارق الشرقاوى  
ت : محمود السيد على  
ت : خالد المعالى  
ت : عبد الحميد شيحة  
ت : عبد الرازق بركات  
ت : أحمد فتحى يوسف شتا  
ت : ماجدة العنانى  
ت : إبراهيم الدسوقي شتا  
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين  
ت : محمد إبراهيم مبروك  
ت : محمد هناء عبد الفتاح  
  
ت : نادية جمال الدين  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : فوزية العشماوى  
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف  
ت : إدوار الخراط  
ت : بشير السباعى  
ت : أشرف الصباغ  
ت : إبراهيم قنديل  
ت : إبراهيم فتحى  
ت : رشيد بنحدو  
ت : عز الدين الكتانى الإبريسى  
ت : محمد بنيس  
ت : عبد الغفار مكاوى  
ت : عبد العزيز شبيل  
ت : أشرف على دعدور  
ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من النقاد  
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش  
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم  
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون  
١١٢ - الاحتجاج الهادئ أولين علوى ماكليود  
١١٣ - راية التمرد سادى پلانت  
١١٤ - مسرحيات حصار كونجى وسكان المستنقع وول شوينكا  
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف  
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا تلسون  
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد  
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر بث بارون  
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل  
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد  
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى  
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت  
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية نيتل الكسندر وفنادولينا  
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جراى  
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديفى  
١٢٦ - فعل القراءة قولفانج إيسر  
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحى  
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيت  
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته  
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندر فرانك  
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين  
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون  
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على  
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب  
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت  
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كونو  
١٣٧ - منكرات ضابط فى الحطة الفرنسية جوزيف مارى مواريه  
١٣٨ - عالم التلفزيون بين الجمال والعنف إيفيلينا تارونى  
١٣٩ - باريس فى ريشارد فاچنر  
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار هربرت ميسن  
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين  
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر  
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديريك لايدار  
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولدونى
- ت : محمود على مكى  
ت : هاشم أحمد محمد  
ت : منى قطان  
ت : ريهام حسين إبراهيم  
ت : إكرام يوسف  
ت : أحمد حسان  
ت : نسيم مجلى  
ت : سمىة رمضان  
ت : نهاد أحمد سالم  
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال  
ت : لميس النقاش  
ت : بإشراف/ رؤوف عباس  
ت : نخبة من المترجمين  
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال  
ت : منيرة كروان  
ت : أنور محمد إبراهيم  
ت : أحمد فؤاد بلبع  
ت : سمحه الخولى  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : بشير السباعى  
ت : أميرة حسن نويرة  
ت : محمد أبو العطا وآخرون  
ت : شوقى جلال  
ت : لويس بقطر  
ت : عبد الوهاب علوب  
ت : طلعت الشايب  
ت : أحمد محمود  
ت : ماهر شفيق فريد  
ت : سحر توفيق  
ت : كاميليا صبحى  
ت : وجيه سمعان عبد المسيح  
ت : مصطفى ماهر  
ت : أمل الجبورى  
ت : نعيم عطية  
ت : حسن بيومى  
ت : عدلى السمرى  
ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	فانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت ولونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكتوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسىوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع	جوردين مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الشعب	أ. ن. أفانا سيفا	ت : سهير المصايفة
١٦٦ - العلاقات بين المثنيين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	واقرت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصنة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فمنست . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزْرُجْ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الثين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام وأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحته إبراهيم بيك	زين العابدين انراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مخترعات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهبرى	إدوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سبيروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جزء	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	أطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	م. سولوفيتشيك ، ز. روفشوف	ت : أحمد محمود هويدى

## ( نحت الطبع )

الولاية	ديوان شمس
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع - القسم الثانى)	مصر أرض الوادى
الإسلام فى السودان	الدرافيل أو الجيل الجديد
العربى فى الأدب الإسرائيلى	سحر مصر
المسرح الإشبانى فى القرن السابع عشر	الهيولية تصنع علماً جديداً
فن الرواية	عولة السياسة
ما بعد المعلومات	رايولا
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	بقايا اليوم
عن الذباب والفئران والبشر	لغة التمرق
العولة والتحرير	فكرة الاضمحلال
علم اجتماع العلوم	حقول عدن الخضراء
قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مئزق البطل الوحيد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١١٠٤٤ / ٢٠٠٠









# سياحت نامہ ابراہیم بیک

يحفل الأدب الفارسی بكثير من کُتّاب السیاحة والرحالین الذین أثروا الأدب الفارسی بما دوّنوه فی مذكراتهم خلال رحلاتهم ، ومن أولئك الکُتّاب : ناصر خسرو فی القرن الخامس الهجری ، الحادی عشر المیلادی ؛ وناصر الدین شاه فی القرن الرابع عشر الهجری ، التاسع عشر المیلادی ؛ وزین العابدین المراغی .

ورحلة ابراهیم بیک تضم أجزاءً ثلاثة ؛ حیث جعل کاتبنا من هذه الرحلة المهمة سجلاً تاریخياً صورّ فیهِ كافة المجالات السیاسیة والاجتماعیة والفکریة فی المجتمع الإیرانی فی العصر القاجاری ، خاصة فترة حکم ( ناصر الدین شاه ) ، ثم حوت أخلاطاً من الشعر والأمثلة والمأثورات الدینیة والشعبیة. وقد عاصر المؤلف أحداث الثورة الدستوریة بإیران فی بدایات القرن العشرين ؛ لأنه توفی عام ۱۹۱۰ یناهز الثالثة والسبعین .

ويعد هذا الکتاب أول رحلة تصف أحوال ایران

المعنیة یُقدّم فی ثوبه العربی ، وقد تحلّی والدقة والجمال فی آن ، أمانة النقل وجماله .  
یشعر القارئ الکریم بالمتعة العقلیة والروحیة إذ المؤلف بین یدیه .